الشعب السوري اللبناني الفلسطيني
تلاحم مستمر



الشعب السوري اللبناني الفلسطيني

تلاحم مستمر

المؤلفان

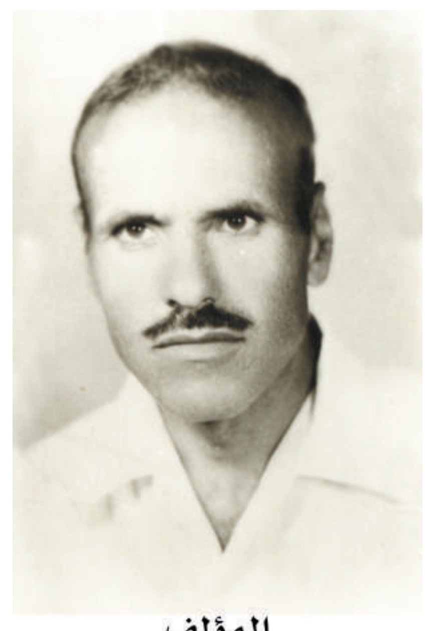
أحمد الزعبي ونجله فؤاد الزعبي





قائد الأمة وأملها ومستقبلها المشرق **الرئيس الدكتور بشار الأسد**
وهو يرتدي العباءة العربية عباءة العز والفخار والقيم العربية النبيلة التي تمثل
الأصالة العربية في أسمى معانيها

كلمة لا بد منها



المؤلف
أحمد محمد عطا الله الزعبي



المؤلف فؤاد أحمد الزعبي

أخي القارئ: الحقيقة دائماً شمس ساطعة ولا يمكن أن تحجبها الظلمة.. والحقيقة هي ذلك النور الذي يرينا الأشياء على حقيقتها دون زيفٍ أو بهتان، وهذا النور أيضاً يجعلنا نورد الحقيقة ونقولها دون تردد، والحقيقة هنا التي لابّد من معرفتها هي أن نجل المؤلف أحمد عطا اللّه الزعبي السيد فؤاد أحمد الزعبي كان له فضلاً كبيراً في إخراج مؤلفات أحمد الزعبي والده، فكان الذراع الأيمن، وكان الساعد الأقوى، وكان الفكر الأسطع إلى جانب والده في جمع المعلومات القيمة وفي صياغة الأفكار الهامة بهذه الكتب وبهذا الكتاب الذي بين أيدينا: السيد فؤاد أحمد الزعبي يستحق وبجدارة أن يقترن اسمه بكلمة مؤلف إلى جانب اسم والده المؤلف أحمد الزعبي وذلك لما يتمتع به السيد فؤاد أحمد الزعبي من أحاسيس أدبية ذكية ومن مخزون فكري كبير ومن ذاكرة متقدة لا تنضب ولا تتعب، لدرجة أنه كان يحفظ جميع معلومات الكتاب غيباً وعن ظهر قلب، فإذا ما سأله والده عن معلومة أو خبر أو حدث كان يقول لوالده أن هذه المعلومة موجودة في الصفحة رقم كذا وفي المؤلف كذا وكان يعيد شرحها دون

نسيان أي حرف منها ، إنها غزارة التفكير وحسن التدبير على نجاح المسير، فكان حقاً طبيعياً له أن يقترن اسمه كمؤلف إلى جانب اسم المؤلف والده لأنه لولا جهوده ومخزونه الفكري لما كان هذا الكتاب سيرى النور أبداً والمؤلف فؤاد أحمد الزعبي الذي أنشأه منذ الصغر على الأخلاق الرفيعة وحسن التعامل مع الناس وحب الوطن فكان مثالاً للابن البار المحب لمجتمعه ووطنه وقد اكتسب ثقافة عالية من خلال ترحاله وتجواله مع والده في جمع المعلومات والوثائق الهامة والأحداث، فصار ذراع والده الأيمن في حفظ المعلومات وصياغتها على الورق، وقد لفت نظري إلى ضرورة إعطاء ولدي فؤاد حمد الحق بالتأليف بهذا الكتاب، الصديقين: المحامي فؤاد رجا والأستاذ عدنان عبيد وهما نعم الأصدقاء، فالأستاذ المحامي فؤاد رجا تخرج من مدرسة المحامي الكبير عيسى مسالمة فكانا مثالاً للعدالة والصدق ورد الظلم عن الناس في محافظة درعا لأنهما يتمتعان بأخلاق عالية جداً والأستاذ عدنان عبيد الذي اعتصره الألم عندما رأى أنني أغفل دور ولدي فؤاد حمد المؤلف الثاني في هذا الكتاب لأنه جديرٌ بذلك، وأشكر لهؤلاء الأصدقاء لفتتهما الكريمة بتنبيهي إلى ذلك، الغالي نجل الغالي الذي نثر حبات الأزهار من حدائق النوار بتشجيعي على مواصلة السير على هذا المنوال.

تعريف بهذا الكتاب

إذا كان خالد بن الوليد سيف الله فإن صلاح الدين سيف الإسلام والقائد حافظ الأسد سيف العرب لذلك كان هذا الكتاب ربطاً عضوياً بين أمجاد وبطولات حطين وبين أمجاد وبطولات تشرين.

وما زالت الشجرة تنمو ... أصلها ثابت وفرعها في السماء ... فقد حاول المؤلف رصد التاريخ قديماً وحديثاً لنشره أمام عيني القارئ متوخياً بذلك الفائدة من تراثنا العريق. وحاضرنا بما فيه من أمجاد ... وما زالت سيوف حطين وتشرين تصلي نحو القدس الشريف.

سيوف تشرين تعانق سيوف حطين ترمز معانيها وحدة السواعد في أجيال الماضي والحاضر والسلاح سواء كان مدفعاً او دبابة أو سيف يأتي وسيلة طيعة إلى إرادة المقاتل العربي.

السلاح الحديث بأنواعه صنع من مادة الحديد التي صنع منها السيف.

الإهداء

إلى روح القائد الخالد حافظ الأسد وكل شهداء الأمة العربية

وإلى سيادة الدكتور بشار الأسد قائد مسيرة التطوير والتحديث

وكل الشكر إلى الدكتور صفوان قدسي أمين عام الاتحاد الاِشتراكي العربي في سورية

وهو درع كرامة ناصرية عربية في المحافل الدولية

وإلى الدكتور محمد الحاج علي

إختصاصي بالجراحة العصبية وأمراض الدماغ والنخاع الشوكي والعمود الفقري وهو رئيس القسم العصبي بالمشفى الوطني بدرعا

لقد حمل السلاح الطبي من أجل القضاء على عدو الإنسان (المرض) ويمتلك إحساس أدبي وصدرت له عدة كتب عن الروح والنظم الإجتماعية

وإلى أحمد سعيد العامر من مدينة محجة أمين فرع الإتحاد العربي الأشتراكي بمحافظة درعا وهو يدير بحنكة سياسية المبدأ الناصري ومعطياته الخيرة

وإلى الأخ حمدي فوزي الحمد أبو نورس من مدينة الشيخ مسكين وهو يمتلك روح ثقافية إجتماعية خيرة

الفصل الأول

الباب الأول

سيوف تشرين تعانق سيوف حطين

يقول المؤلف محمد أحمد عطا الله الزعبي حول اختياره لهذا العنوان لكتابه السابق، إن وحدة سلاح الحق والعدل ما هي إلا سيوف الله في أيدي المؤمنين وأن سلاح عصا سيدنا موسى عليه السلام التي شقت البحر بقدرة من الله قد عانقت هذه العصا سيف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيف خالد بن الوليد وسيف صلاح الدين الأيوبي وكل سيوف تشرين التي اشهرها قائد العروبة والأمة حافظ الأسد وسوف تأتي أمة وأمم يقودها عظماء خالدون يكون سلاحهم الحقيقي التصاق عضوي بسيوف تشرين وبهذا يظل الحق غالباً للباطل ويصرعه دائماً حتى يطوي الله الأرض ومن عليها ويعلق المؤلف أحمد محمد الزعبي حول صورته على كل من غلاف كتاب صور مشرقة من نضال حوران وكتاب ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين)) يوضح المؤلف للقارئ عن وجود مناسبة عطرة ترتبط بوجود صورتين له الأولى على غلاف كتابه الأول (صور مشرقة من نضال حوران) والثاني بكتابه (سيوف تشرين تعانق سيوف حطين) فالصورة الأولى يقول المؤلف: تشدني إلى ذكريات مجيدة حيث أخذتها في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م كوني اشتركت في هذه الحرب المجيدة والصورة الثانية أخذتها عام ١٩٩٤م إلى جانب محافظ السويداء ابراهيم هنيدي، ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي: أما صورتي في حرب تشرين التحريرية فهي المرآة الصادقة إلى تجديد عزيمة الشباب وإن جيل تشرين لا يصاب بالهرم وقنديل هذا الجيل لا يخلو ضوءه ونبعه الأصيل يطيل في عمره الفتي بقنديل الوطن وعذري أنني لا أعطي أهمية لصورتي إلا بقدر أهمية المناسبة وانتصارات هذا الشعب بقيادته الفذة التي أعطت وهج العزة والكرامة الوطنية.

المؤلف

أحمد محمد عطا الله الزعبي

شكر وتقدير

إلى السيد ابراهيم الهنيدي: عضو القيادة القطرية في حزب البعث العربي الاشتراكي ومحافظ السويداء سابقاً ... أتقدم بالشكر إليه لما قدّم من أيادٍ بيضاء ناصعة ساهمت في إنجاح كتبي بما قدّمه لي من مساعدة ومن تسهيلات وتذليل الصعوبات ... إليه شكري وتقديري ليظل شعاعاً من نور يشرق في سماء هذا الوطن.

كما أتقدم بالشكر لكل من:

١ـ الدكتور وائل الحلقي: أمين فرع درعا لحزب البعث العربي الاشتراكي سابقاً.

٢ـ صالح فرحان الصالح: رئيس مكتب التربية سابقاً.

٣ـ الأخت فايزة العذبة: عضو قيادة فرع درعا لحزب البعث العربي الاشتراكي. التي نسيت همومها الأسرية والتصقت بالهموم الوطنية ونذرت نفسها بأن تكون مرآة صادقة وكريمة من أجل دفع الهموم عن المواطنين، بل هي بقعة الضوء القادرة على تبديد الظلام في نفق الأيام الحالكة إنها شقيقة أغلى الرجال الشيخ موسى العذبة والمهندس سلطان إنها قنوات أصالة وثمرة طيبة نبتت بأحضان عائلة كريمة وأينعت ثماراً طيبة من شجرة حزب البعث العربي الاشتراكي وترعرعت في مدرسة المناضل حافظ الأسد وتسير في خندق النضال مع الأحرار والثوار على طريق القائد بشار.

٥ـ محمد أحمد المسالمة: مدير التربية.

٦ـ المهندس عبد الكريم الأحمد: مدير عام مؤسسة المياه بدرعا.

٧ـ المهندس رئيس مجلس مدينة درعا محمد بحبوح.

٨ـ أنور توفيق القطامي (حفيد عقلة القطامي).

٩ـ نمر مصطفى رسلان (عائلة رسلان عائلة النضال والأحرار بالوطن العربي وقادوا الركب الوطني في سورية ولبنان لمجابهة الاستعمار الفرنسي والتركي).

١٠ـ الدكتور سامي عقيل.

١١ـ فضل الزعبي.

١٢ـ نضال شحادات من داعل: أحيي فيه ثلاث خصائص أولاً: الخاصية الأولى الأمانة والثانية الأخلاق العالية والثالثة العقلية التجارية.

١٣ـ الدكتور طارق محمد عيد الشكر مدير المشفى الوطني بدرعا.

أقدم الثناء والعرفان إلى السيد اسماعيل العلي أبو حسام رئيس مرآب مديرية تربية درعا.

كما أهدي شكراً خاصاً لكل من السادة:

مصطفى أيوب علي أيوب محمد أيوب

رموزاً ووطنية عربية أصيلة وأعلامها خفاقة في سماء الوطن يهبونه حبهم وحبات قلوبهم ليبقى عالياً على مر الأزمان.

كلمة شكر يقدمها المؤلف

ابن العم شكري فرحان الزعبي

الأخ يحيى المفعلاني: نبع صدق ووفاء وإصلاح وكرم في المجتمع الحوراني ومنارة الحق.

الأخ أبو عزام الحاج محمد الجاحد من ابطع وهو علم من أعلام المجتمع الحوراني وهو يد سخاء وعطاء اليد السخية يحميها الله وهو رائد من رواد الصلح والإصلاح وأبو عزام من عادته دائماً أن يزرع في كل فرصة ابتسامة وفي كل ميدان وطني كرامة.

وشكر خاص لكل من: الدكتور موفق المسالمة طبيب الأطفال المعروف ويد الرحمة التي تقدم الشفاء لملائكة الرحمة أطفالنا ..

والدكتور موسى المسالمة علماً طبياً في سماء حوران ومعرفةً علمية واسعة يستفيد منها الجميع.

شكر إلى الدكتور محمد علي مدير صحة درعا

وإلى: ابن العم هلال حسين الزعبي من صيدا

وفؤاد محمد حسين الزعبي

ومختار الطيبة عوض عرسان الزعبي

والأستاذ شحادة عبد الحميد الزعبي (موجه تربوي)

والأخ أحمد الراشد الزعبي ((أبو وسام))

والأخ حمدي الحمد من الشيخ مسكين

وشكر خاص للأستاذين:

الأديب الصحفي عبد السلام المحاميد

المحامي الأديب: فؤاد رجا

وشكر للأستاذ عيسى النجار

الأستاذ خضر الزعبي من الطيبة وهو من المدرسين والمربين القدامى في الطيبة

المساعد الأول حسين علي شديد من منطقة اللجاة وكان مرافقا للزعيم الراحل جمال عبد الناصر أيام الوحدة وشارك في كل الحروب ضد إسرائيل ومنها اقتحام مطار الفالوجة وتفجير المستودعات والطائرات بإيعاز من القائد العسكري قاسم علوان عام ١٩٥٨م.

أقدم شكري للقاضي تيسير محاميد.

والأخ حامد قدور أبو جمال من الصنمين.

وإهداء إلى الأستاذ سليمان سعد الزعبي عضو المكتب السياسي لحزب الوحدويين الاشتراكيين الديموقراطي عضو قيادة فرع الجبهة الوطنية التقدمية بدرعا.

وشكر للأستاذ عيسى المسالمة المحامي وإنه من أقدر المحامين في درعا وهو درع كرامة بأفكاره العربية والقومية وله مواقف كثيرة شكلت أرضية خصبة بالأفكار الناصرية.

شكر لـ مختار دير البخت الأخ فارس الشحادات أبو وجيه.

وشكر للأستاذ المهندس قاسم حرب مدير مؤسسة المواصلات السلكية واللاسلكية بدرعا.

وشكر للأستاذ ياسين هواش من الجولان الحبيب الذي ساند بأفكاره الثقافية المؤلف بالحصول على معلومات عن حرب تشرين التحريرية.

شكر للأخ محمد خير الحراكي صاحب استديو (٢٦) في درعا للصور الكثيرة التي قدمها إلى كتابي عن القائد الخالد حافظ الأسد وسيادة الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية والزعيم الراحل جمال عبد الناصر والصور تقدمة مجانية منه.

وشكر كبير للدكتور خالد سليمان الربداوي من قرية طفس وهو من الأطباء المتميزين والجراحين في محافظة درعا وهو نسيج قوي ودرع كبير في نشر الرسالة الطبية.

وشكر إلى ابن العم علي محمود مطلق الزعبي من الجيزة.

وشكر خاص للدكتور حسن المسالمة.

والدكتور عبد الرحيم برمو مدير الصحة سابقاً.

والدكتور محمد ياسين الزعبي.

والدكتور سلامة الخوالدة مدير مشفى الشفاء.

وشكر كبير للأخ خالد الحشيش من قرية العال في الجولان وقد عشنا معاً قدسية الجيزة لمدة (٣٥) عاماً وقد سار على جانبي في أول خطوة بمشروع تأليف كتابي الأول وكان يتحمل عناء السفر معي إلى الجولان وخاصة جباتا الخشب حيث منزل قائد ثورة الجولان أحمد مريود والأستاذ خالد كان يوصلني بمعرفته وثقافته إلى رأس النبع حتى أرتوي من المعلومات الوثائقية عن نضال حوران ونضال الجولان بقيادة أحمد مريود وعكاشة السالم ومحمود الفاعوري.

وشكر خاص للأخ محمد يونس النوفل الزعبي من الطيبة أبو قاسم.

إهداء إلى إمام المجاهدين

حسن نصر الله

كلمة أولى للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي هذا الكتاب إلى إمام المجاهدين عالي الجبين سماحة السيد حسن نصر الله الذي قاد السفينة المنطلقة من عرينه وغار النصر أشرق في جبينه .. الذي صوب الجهاد لتحرير البلاد من عربدة الفساد الصهيوني الغاشم والحاقد .. وأشهر سيف الحق لقهر الطغيان ذنب الشيطان وعدو الإنسان أميركا كما وصفها الإمام الخميني رضوان الله عليه قائد الثورة الإسلامية والتي هي أول ثورة شعبية عبر تاريخ الشعوب ..

فبعدها ارتفعت أعلام الحرية فوق الأمة الإسلامية الايرانية التي هي مظلة شرف وفخار للأمة العربية والمقدسات الإسلامية، وبعد ترسيخ الأقدام لأعظم إمام وهو الإمام الخميني وبعد أن أطلق مقولته المشهورة والتي لا تزال تخترق جدار الصوت فوق الصهاينة الأنذال.

وأميركا الشيطان الأكبر وهذا ما أطلقه عليها الإمام الخميني رضوان الله عليه .. وانتصرت الثورة الإسلامية الإيرانية على العكازة الأمريكية الصهيونية متمثلة بـ شاه ايران لتصبح المرآة الصادقة للأمة العربية الإسلامية .. وها هو سيف حزب الله الذي قطع ذنب ورأس الأفعى الأمريكية في جنوب لبنان .. إنها إسرائيل عدوة الإنسان .. فإن حزب الله هو بقعة الضوء التي بددت الظلام في نفق العدوان الصهيوني، إن حزب الله هو الذي نسج بسيفه اللحمة الوطنية اللبنانية وسلط الأضواء على سموم الأفاعي الصهيونية والت هي معول هدم لتغذية الفرقة الطائفية... ويجدد بالذكر بأن المقاومة الإسلامية هي حضانة الرحمة للإسلام والمسيحية على حد سواء، والأرض الخصبة الزاهية بالربيع الأخضر على أرض لبنان الأجمل أصبحت برجالها باقات أزهار في حدائق النور الذي كشف الستار عن خرافة القوة الصهيونية، والكثير من الإخوة المسيحيين الذين حملوا السلاح للدفاع عن عروبة لبنان وانتمائهم للهوية اللبنانية إنهم كشجرة الأرز التي تعطي زهورة خضرتها لكل الزوار ... أما العملاء اللحديين الذين وقفوا في حفرة الباطن الإسرائيلي كانوا ورقة رخيصة وضعتها إسرائيل وقذفتها على

شواطئ لبنانية وشطبت على كل حرف من معانيها الوطنية اللبنانية الخيرة التي ترمز إليها شجرة الأرز المرسومة على العلم اللبناني الذي رفع على سواعد الأخوة الإسلامية المسيحية فوق قمم جبال الأمجاد اللبنانية، وسقط شهداء مسيحيين وإسلام تحت مظلة العلم اللبناني الذي جرى تحته وهج النفير وتم التحرير من كل دخيل تركي وفرنسي، والمثل العربي القائل أنا وأخي وابن عمي على عدوي وإن القدسية الأخوية المسيحية الإسلامية أصبحت مظلة شرف وكرامة ترجمت حروفها على أغصان شجرة الأرز في الأعلام اللبنانية.

وما أجمل أن يرى الإنسان القائد العربي أمين لحود الرئيس اللبناني درعاً للكرامة العربية في المحافل العربية والدولية بعد أن عزز اللحمة الوطنية اللبنانية وسحب الورقة الطائفية حتى لاتقع في أيدي الصهيونية مرةً أخرى وتوشحها بالسواد ... وما أجمل أن يرى الإنسان العربي الوزير ميشال قده وهو الوجه التاريخي الذي عرى الصهيونية تحت المجهر العالمي وما أجمل أيضاً أن يرى الإنسان هذا البطل العربي وهو يحمل السلاح للدفاع عن عروبة لبنان وهويته الوطنية بقيادة حزب الله .. تحرر من الأسر وأجرى تلفزيون المنار لقاءً معه مع هذا البطل الذي لم ينسلخ عن جلده وعن الوطنية اللبنانية بعد أن سلخ جلد الطائفية والتصق باللحمة الأخوية اللبنانية والتي نسيجها الأقوى المسيحية والإسلام أما العملاء اللحديين إذا دخل في وجدانهم صحوة الضمير وعادوا إلى أحضان الأم العربية اللبنانية فسوف يكون أمامهم هذا الحليب الصافي الخالي من كل غش حليب الأمة اللبنانية وحليب لبنان الأم الحنون المنطلق والمنهمر من شلالات القلب الدافئ والله القوي الكافي .. هذه رجالات حزب الله وهذه أفعالهم المشرفة والتي لم يتوقف سخاء استشهادهم على بعد السنين.

المؤلف

أحمد محمد عطا الله الزعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

يتشرف المؤلف أحمد عطا الله الزعبي بإهداء هذه القصيدة التي ترمز بالمعاني الخيرة إلى سماحة السيد الجليل والمجاهد الكبير السيد حسن نصر الله رئيس حزب الله.

يـــالله يـلـــي بـالمـضـيـقـات نـرجـيـك
يــا غــافــر الـــزلات نـطـلـبـك غـفـران

يا حسن أنا من مشاريف حوران ناصيك
يــا سـيـف حــزب الله يــا عــالـي الـشـأن

ريـت الـسـعـد يـا حـسـن يـتـبـع خـطـاويـك
وأيــامــك الــبـيـضـا تـقــول ورد نـيـسـان

لا جـيـت بـيـتـك طـامـعـا في مـفـالـيـك
آمــن وكــنـي جـيـت بـيـت أبــو الاحـسـان

يــا قــايــد حـــزب الله دون تـشـكـيـك
يـمـــشـــي عــلـــى ســنـــة نـــبـي وقـــرآن

رجـال حـزب الله صـقـور يـوم المداهـيـك
فـخـر الـعـرب يـا عـز يـعـرب وقـحـطـان

لـبـنـان أرض الـحـب حـضـنـاتـه أيـاديـك
وحـولـك شـعـب كـلـه أســوداً وعـقـبـان

ربـــك مـــن الإيـمـــان والـجـــاه مـعـطـيـك
ومـــن يـمـيـنـك تـم تـحـــريـــر لـبـنـــان

لــبــنـــان حـــبـــك وراصـــــــد لمـرامـيـــك
وأنـــت الـلـــي قـهـرت الـظـلـم والـعـدوان

سـبـحـان خـلاق عـلـى الـنـاس مـعـطـيـك
مـن الـبـر والـتـقـوى عـلـى الـصـدر نيـشـان

راعـي الـشـفـاعـة يـوم الـحـسـاب يـحـمـيـك
رســــــول الله مـــــن نـــســـل عـــدنـــان

وختاماً أؤكد بأنه إذا كان صلاح الدين قد حرر بيت المقدس وسماحة السيد حسن نصر الله قد حرر جنوب لبنان ونذر نفسه مجاهدي حزب الله لتحرير فلسطين. فإني أدعو الله عز وجل أن تتحرر الجولان على يدي رئيسنا المفدى الدكتور بشار الأسد.

والله الموفق

إليك أبا الشهيد

هذه القصيدة أهداها الشاعر ناصر خوري عضو اتحاد الكتاب العرب إلى كتاب سيوف تشرين تعانق سيوف حطين عربون حب ووفاء للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

وهي قصيدة مهداة إلى الفارس السيد حسن نصر الله:

عندما تقف على عظمة العظماء، يصغر حجم الكلمة، ويعجز الحرف عن التعبير، وتبقى الصورة أسمى وأجل وأعظم

كل الحب والتقدير إلى سماحة السيد حسن نصر الله.

عـــزّت يمـيـنـك حـــزب الله والــعــرب
لــولاك، لــولاك هـذا الـنـصـر لم يـثـبِ

سـطّـرت مـلـحـمـةً صـلـت شـوامـخـهـا
فـجــراً أزال ظــلام الـلـيـل والـكـرب

ورمـــت دربـــاً بـكـل الحـــب يحـمـلـه
جـيــلٌ تحـــدّر مــن عـــزٍّ ومـــن حـسـب

ورحـــت تـصـنـع لـلـتـاريـخ قـافـيـة
فيـهـا واسـتـظـلـت عـيـون الـفـكـر والأدب

يـعـانـق الـفـجـر في سـاحـاتـهـا كـبـراً
صـقـر تـشـامـخ فـوق الـشـمـس والـشـهـب

فـاغـرس رمـاحـك تَخْـتَـلْ في الـدنـا ألـقـاً
فـهـي الـسـنـا وجــلاء الـشـك والـريـب

ولـيـشـهـد الـدهـر أن الحـــقّ مـنـتـصـر
وأنـــك المـــوت في أجــفــان مـغـتـصـب

فــأنــت أنـــت وعـهـد الله مــا عـرفـت
يمــنــاك إلا ربــيــع الــعـــزّ والـغـلـب

أبـا الـشـهـيـد أعـــدَّ الـركـب في شمم
وخـضّـب الأرض بـالإعـصـار والـغـضـب

لـن يـبـصـر الـنـور مـن أعـمـتـه أقـنـعـة
مـنـسـوجـة بخـيـوط الــذلّ والـوصـب

وانـثـر ورودك عـطـر الـنـصـر موسمها
ودفــقــة الحـــب في أجــفــان مـرتـقـب

يـابـن الجـنـوب وهــذا الـعـمـر أشـهـدُه
بـأنـك الـوعـد في الجـلّـى وفي الطلب

بـــأيّ قـافـيـة أشـــدو فـــاءك يـا ...
حـبّـاً يـعـرّش في قـلـبي وفي كـتـبي

أيـامـك الـغـر مـا نـاخـت قـوافـلـها
يـومـاً ولا كـل فـيـها الـعـزم مـن تعب

نـــذرت نـفـسـك صـــدّاحـــاً بمكرمة
عـبر الــزمـان ولم تـبـخـل ولم تـهـبِ

فـشـامـخ الـدهـر /نـصـر الله/ مـفـخـرة
وعـــانــق الـكـبر في إيـــوانـــه الأشـــب

واعـــذر يـراعـي إذا قـصّـرتُ في أربـي
فـحـبّـك الحـب فـوق الـشـعـر والخـطـب

كلمة وتقديم
للدكتور علي عقلة عرسان
الأمين العام لإتحاد الكتاب والأدباء العرب
رئيس اتحاد الكتاب العرب
إلى
المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

تقول الكلمة:

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي قد سعى واجتهد لتقديم أحداث ووقائع وشخصيات كاد يطويها النسيان ويلفها ضباب الزمن وتمسحها المستجدات من الذاكرة، وهو في توجيه لخدمة الشهداء والمناضلين ضد الاستعمار في ظروف صعبة، يعيد للتضحية احترامها وللدم المهراق في سبيل الوطن قدسيته، ويقدم مادة جمع بعضها ميدانياً، لمن يعنيهم تمحيص الوقائع والوصول إلى الحقائق ويبقى هذا الجهد حلقة في سلسلة العمل المستمر خدمة للحقيقة والتاريخ.

الدكتور علي عقلة عرسان

الأمين العام لاتحاد الكتاب والأدباء العرب

رئيس اتحاد الكتاب العرب

تقديم الكتاب

سيوف تشرين تعانق سيوف حطين

للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

بقلم: حسين حموي
عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب
رئيس تحرير جريدة الأسبوع الأدبي سابقاً
رئيس قسم الترجمة في وزارة الثقافة

التاريخ وجه الأمة، ولسانها المعبر عن فرادتها بين الأمم والشعوب والكتابة التاريخية هي الشاهد الوحيد على عظمة تلك الأمة أو وضاعتها فالذين لا يدركون هذه الحقيقة للتاريخ وأهمية تدوينه في جميع المراحل التاريخية ..

ينقسون إلى فريقين:

- إما جاحدٌ ناكرٌ لعطاءات الأجداد ممن رحلوا أو على وشك الرحيل حيث يشكل أولئك الأجداد العظام إضاءات ساطعة في كل سيرة ذاتية من سيرهم وتراجمهم، تضيء فضاءات أوطانهم.

- وإما جاهل، لم يتسن له الإطلاع الكافي على تاريخ شعبه وأمته بالشكل اللائق، فراح ينحو باللائمة على الأقدمين لأنه يجهل أياديهم البيضاء في كتابة تاريخ شعوبهم وصياغته بالشكل اللائق (والإنسان عدو ما يجهل).

وفي كلا الحالتين ثمة خلل ينبغي تداركه أو تجاوزه إلى ما هو أكثر سطو عاص في إبراز الحقائق أو تجاوزه على أكثر سطوعاً وتسجيل الوقائع كما وقعت في حينها.

من هنا نستطيع القول بكل اطمئنان وحب:

إن الأمة (أية أمة على وجه الأرض) تحقق ذاتها في تاريخها وتكشف عن أهم خصائصها وسماتها في فرادة ذلك التاريخ وخصوصيته فالأمة بلا تاريخ، يشكل مرجعيتها وهويتها وملامحها المميزة عن سواها من الأمم، تتحول إلى مجرد تجمع بشري، يدخل في إطار الكم الرقمي فقط، بعيداً عن أي تمايز كيفي أو تفرد نوعي، وتمسي كأنها شجرة عارية من أوراقها وأزهارها المميزة لأنواع الثمر الذي تنتجه.

إن العالم يتجه هذه الأيام إلى إقامة التكتلات الإقليمية والقارية والتوحد في

تجمعات ذات أنظمة متقاربة وتبادل مصالح مشتركة ربما تكون النوايا الحسنة في هذا التوجه وربما يكون الأمكر غير ذلك، فالأمم تتباين في قوتها وغناها وضعفها وفقرها حيث ينقسم العالم إلى دول الجنوب ودول الشمال، ودول ذات مساحات نووية، وإمكانات اقتصادية هائلة ودول ضعيفة نامية تحبو للحاق بتلك الدول القوية الماسكة لزمام الصناعة والسياسة والاقتصاد والآلة العسكرية، وليست أمتنا العربية خارج هذا الكوكب وليست في وضع يسمح لها أن تحقق ذاتها أو على الأقل أن تحمي نفسها من أخطار الهيمنة والاستغلال من قبل تلك القوى والأطماع الاستعمارية في أرضها وخيراتها لا بل هي مهددة في ضياع هويتها القومية وشخصيتها الثقافية وتاريخها المميز فيما إذا استمرت على هذا النحو من الضعف والتفكك والتشرذم. من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين)) الكتاب الثاني للأستاذ أحمد محمد عطا الله الزعبي بعد كتابه الأول ((صور مشرقة من نضال حوران)) في سياق التدوين التاريخي لأهم الأحداث والوقائع والبطولات التي حققتها هذه الأمة في جزء هام يمثل القلب منها باعتراف الأعداء والأصدقاء على حد سواء فالقطر العربي السوري والمواقف البطولية المشرفة التي وقفها عبر مراحل التاريخ المختلفة دليل حي على أن هذه البقعة من الأمة هي بقعة الضوء وقاعدة الخير ومنطلق الصمود وعنوان العزة ورمز التضحية والفداء في سبيل إعلاء راية الأمة العربية ومشروعها القومي الذي يحقق عزتها وكرامتها، سوف أتجاوز المألوف في تقديم أي أية مخطوطة حيث درجت العادة أن يكون هناك تقريظ وثناء وإظهار للمحاسن وإغفال لكل شيء في الكتاب ينبئ ضعف أو وهن.

قلت سأتجاوز هذا المألوف، لأن التقديم يعني أكثر مما يعني بإعطاء إشارات وملامح عامة دون الدخول في التفاصيل، شأنه شأن التعريف الأولي لكلّ لقاء عابر.

وفي هذا السياق نسجّل للأستاذ أحمد محمد عطا الله الزعبي:

أولاً: جهوده الكبيرة وسعيه الدؤوب لاستخلاص هذه المعلومات الواردة في هذا الكتاب من أصحابها بالذات أو ممن كانوا أقرب المقربين إلى أصحاب تلك الأعمال الجليلة والمواقف النبيلة الذين تحدث عنهم.

ثانياً: توثيق تلك المعلومات بالصور أو بالمرجعيات التاريخية التي تحقق مصداقية التوثيق لكل حادثة تاريخية أو عمل بطولي.

ثالثاً: ربط تلك الأحداث والوقائع بعضها مع بعضها الآخر بشكل منطقي يقارب بين تلك الأحداث ويؤكد حيوية الشعب الذي صنعها وأصالة هذه الأمة في مقاومتها

للغزاة وتصديها لكل أنواع الهيمنة والاستغلال.

رابعاً: إخلاص الكاتب وتفانيه وصدقه في تقديم تلك المعلومات كما وردت، أو كما وصلت إليه دون زيادة أو نقصان أو مبالغة أو انتقاص وهذا دليل أكيد على حرص الكاتب أن يكون مؤرخاً أميناً على تاريخ أمته وشعبه بعيداً عن أي انحياز لأحد، أو إغماط حق لأحد ممن تحدث عنهم.

خامساً: إمضاح الكاتب عن رأيه الخاص في كل حدث أو واقعة وقد جاء هذا الرأي منسجماً في المقدمات التي ساقها، ربما كانت بعض الآراء التي أفصح عنها ليست صائبة لكنها على الأقل جاءت معبرة عن رأي الكاتب بمنتهى الجرأة والوضوح فلكل منا رأيه وموقفه من الحياة وليس بالضرورة أن يكون الناس أو على الأقل بعضهم متفقين في جميع الآراء والأهواء والمواقف.

سادساً: الخروج من إطار الأرض الضيقة التي ولد وعاش فيها الكاتب إلى إطار الأرض الواسعة خارج إطار قريته ومحافظته وقطره فلم تقتصر الأسماء والأحداث التي تناولها بالدراسة والعرض على محافظتي درعا والسويداء بل تعدى ذلك إلى عدد من محافظات القطر العربي السوري في حماة واللاذقية ودمشق وحلب وإلى أقطار عربية أخرى كمصر والسودان والسعودية ولبنان والأردن وغيرها من الأقطار العربية الأخرى.

أخيراً لا يسعني إلا أن أثني على الجهد الكبير والمشاق الكثيرة التي تحملها الكاتب للوصول إلى هذه المعلومات القيمة التي يزخر بها الكتاب. التي تشكل بمجموعها رافداً هاماً للتاريخ النضالي لشعبنا وأمتنا بشكل عام وقطرنا العربي السوري بشكل خاص وهو جهد مشكور تعجز عن القيام به مؤسسة بكاملها وأكثر من فريق عمل واحد فكيف لا يكون الشكر كبيراً حين يؤديه فرد واحد بإمكاناته المتواضعة وجهده الفردي الخاص.

مع تمنياتي للأخ الأستاذ أحمد محمد عطا الله الزعبي بمزيد من الإنتاج

بقلم حسين الحموي

عضو مكتب تنفيذي سابق لاتحاد الكتاب العرب

ورئيس قسم الترجمة في وزارة الثقافة

كلمة وتقديم

هاجم عيازرة

رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب بدرعا

لم تقف الأمة العربية على ناصية التاريخ متفرجة، بل كانت منذ نشوئها وتكوينها تمخر عبابه فاعلة متفاعلة، خاضت غماره ممتطية صهوة.. الزمن دون رهان، وخيول السبق تدق حوافرها الوعر والحزون وصهيلها يسبق الحداء وبريق السيوف، وكان لها على سطح الأرض محطات نور وإشعاع.

أخذ العالم منها ما أخذ ونضح ما نضح، وسطا ونهب خزائنها في فترات الوهن والفتور، وحقب الاسترخاء والضمور.

إلا أنها لم تترجل، ولم تترك الأعنة، ولم تلق السلاح ومعمعان التحدي في أوج هيجانه.

فكانت ولا زالت السنديانة المتجذرة بخاصرة الزمن والأرض. هي والمجد توأمان ولدا من رحم العزة والكرامة ولادة طبيعية ولدا من رحم لم يتخرش بعد، فجاء رجالها للخير والتعمير والبناء فكانوا عظماء مثلها، فأرسوا دعائم الحياة الإرث المخزون شاهد ودليل.

موقعها أسر وطبيعتها خلابة اخّاذة ساحرة وتجثم على خضم الذهب الأسود، مما دعاها لدفع ثمن هذا رعاف الأجساد لترد الذئاب الواثبة المسعورة بعد جوع أكيد، ذئاب حاولت أن تمزق جسدها الفارغ، وحاولت أن تتركه هيكلاً ورماداً فتتدافع القوم بزخم وإيمان لا يوصف، وتقدموا زحوفاً وحشوداً فبنوا من الأشلاء سوراً عصيّاً، وانتحر حوله اللهات والجنون وسرعان ما تلاشت أحلام المارقين، كما اندحرت جحافل المعتدين غير مرة أيها القارئ العزيز:

حاول الزمن أن يوقف بها مغمضاً عينيه، شاكماً عجلاته المتسارعة لاجماً أيامه الهاربة العجول فوقف واجماً بينما الأمة تجاوزته فلحق به مطواعاً صغيراً بعد أن كان عاصفاً حرون.

إنها من الأمم التي تصنع التاريخ وتروض الزمن الذي لا يزال واقفاً كشاهد أمين على غطائها الثر الهتون، وهو الذي وقف على الناصية وبيديه عدسات التصوير اللاقطة، يأخذ من أروع المشاهد لقطات فأصبح النور منصة لها ولا بل منبراً ومنارة للتائهين.

غير مرة وقف التاريخ متأملاً بصفحاته بعد طول غياب، فأدرك قيمة هذه الكنوز الأبدية والأيقونات المعلقة على صدر الكواكب والنجوم ألقاً دائماً، وعبراً استوطنت جنباته الخضراء الأزلية ووهجها يطل من أبراج المجد المشاد على هذه الأرض الطيبة الحنون. فمن كثبان رمالها العطشى العذراء الممتدة تحت القر والهدير لبراثن الشمس ولمخالب الليل مرة، ومن واحاتها النخيلية التي تخفف عنها هذا وذاك.

كان رجال الأمة أطول هاماً من النخل وأقوى ولعله من نافلة القول أن المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي مؤلف كتاب ((صور مشرقة من نضال حوران)) أراد أن يحي بكتابه .. ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين)) بعض المآثر التي كاد الزمن أن يطويها ومن عنوانه استوحيت الكثير الكثير، فأعادني إلى الماضي الضارب بعمق التاريخ، فأدركت الصلة بين المحطات الرائعة التي هندسها العرب كما هندسوا انتصاراتها، وعرفت أن المؤلف هذا يريد من كل كلمة دونها، ومن كل معلومة موثقة قطفها ثمرة يانعة ليضعها في سلة هذا الكتاب، أو أرادها شجرة وارفة معطاء تستظل بها الأجيال القادمة، لتحمل الرسالة وتؤدي المهمة بنجاح وثبات.

نعم لقد دأب واجتهد وكدّ المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي مستدركا ما فات ذكره في كتابه الأول، وما عودته إلى حطين المأثرة إلا بربط انتصارات الأمة مروراً باليرموك إلى تشرين التحرير، فأنت ترى الربط الطبيعي بين تلك الرموز فمؤته رمز ومأثرة، واليرموك رمز ومأثرة، وتشرين رمز ومأثرة، وما سيوف تشرين إلا امتداد طبيعي لسيوف حطين ومؤته وغيرها.

والمسافات الزمنية تبدو طويلة ولكنها أقرب من القريب لأن المسافات الجغرافيا قصيرة بينها ومتقاربة على مسرح الأرض والزمن فربطها مؤكداً على هذه الرموز المترابطة التي تلخص وتوجز أهداف الأمة السامية وهي تنتقل من حال إلى حال، وكلها كتبت بالدماء، وبالبذل السخي والفداء لتطرد الدخيل الوافد .. الصليبيون، الروم، المغول، التتار، الأتراك، الفرنسيون، الانكليز، الصهاينة.

وفي كل مرة استيقاظ وصحوة في الوجدان والضمير.

ودمشق التي فتحت ذراعيها لجيوش الفتح وفرشت صدرها الغربي الدافئ للزحوف والجحافل المظفرة هي نفسها لا تزال واقفة بشمخ وإباء لتدمل الجراح بعد طول سبات، واستطاعت أن توجز التاريخ بسيوف تشرين على هضاب الجولان التي تطل على ضفاف اليرموك وروابي حطين.

كان هذا على يد قائد من قادة هذه الأمة الرئيس الخالد حافظ الأسد وبشيء من التضامن الذي نادى به بعد أن أثخن صدر هذه الأمة بالجراح بعد عام ١٩٠٦ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ فأدرك هذا القائد المخاطر القادمة والتي ستداهم البقية الباقية من جسدها الناحل الضامر، فاستوحى من دروس التاريخ ومن مآثر هذه الأمة ما يكفل إعادة هيبتها ووقارها، فأعلن الحرب العادلة لاسترجاع الحقوق المغتصبة، والمعتقلة غيلة وغدراً على يد الأدعياء والشذّاذ.

وكلمة أخيرة أيها القارئ العزيز أقولها:

إن هذا الكتاب الذي بين يديك هو الحلقة الثانية المرتبطة ... بالأولى حيث يأتي مكملاً ومتمماً لكتاب المؤلف والباحث أحمد محمد عطا الله الزعبي الذي استدرك ما فات قوله وتدوينه في الكتاب الأول ((صور مشرقة من نضال حوران)) ولا بل جاء معمقاً لدور الرجال في صناعة التاريخ وكتابة أحداثه بإخلاص وأمانة مرتكزاً على مصداقية الوثائق المدونة مستفيداً من الآراء التي تضاربت حول ما ورد في كتابه الأول لأن المؤلف هذا هاجسه الأول وهدفه الأول نقل ما هو مطموس ومخزون إلى دائرة الضوء والنور.

والله من وراء القصد

((هاجم العيازرة))

كلمة للكتاب

لم ولن تنتهي حطين ولا تشرين، ما دام هناك على أرض العروبة محتلٌ غاصب.

وعلى مدى الزمان كانت بلادنا وحضارتنا وأمتنا ومطمعاً للغزاة وكان الوطن مستعداً دائماً للتضحية والفداء، دافعاً بقوافل الشهداء، دوداً عن حياته وحمايةً لأعراضه.

ولما طال الزمن بالصليبيين ظنّوا أنهم باقون على صدورنا أبد الدهر يقلدون أعناقهم بأطواق الورد.

ولكن كان هناك من يعد القوة ورباط الخيل، ويقلدون أعناقهم بالسيوف ليومٍ تشخص فيه الأبصار.

وكانت حطين، وعاد القدس الشريف إلى الوطن الأم ماشياً على طريق غسلتها دماء الشهداء من أرجاس المعتدين وما أشبه الليلة بالبارحة.

فقد عاد لاحتلال القدس وما حوله عدوّ جديدٌ باسمٍ جديدٍ ووجهٍ جديد.

وعاد الشعب والجيش والقائد لحمل راية الكفاح.

وكما قاد السلطان الناصر صلاح الدين معركة حطين قاد الفريق الرئيس الخالد حافظ الأسد معركة تشرين.

وما زالت المسيرة مستمرة.

وسيبقى التاريخ المجيد، قديمه، وحديثه، كتاباً تقرؤه الأجيال تنهل منه ماء الحياة الكريمة، مستشرفةً غدها المشرق وها هي سيوف تشرين تعانق سيوف حطين ... معاهدةً على الجهاد، لن تنام في أغمادها إلا على أنغام النصر والتحرير الشامل وعودة الحق إلى أهله غير منقوص.

وليس بدعاً من القول: أن يقوم أحد أفراد هذه الأمة بكتابة هذا الكتاب، جامعاً فيه ما بين هدف حطين وهدف تشرين والمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي قد سبق له أن قدم للوطن صفحات مشرقة من تاريخ نضال حوران جنوب سورية في عهد الاستعمار.

وهو اليوم يتجه بفكره وقلبه وقلمه نحو القدس الأسير يثير في الأمة حماسها وعزها بتاريخها الطارف والتليد.

عبد الكريم الحمصي

شاعر وأديب

مقدمة المؤلف

كثيرةٌ هي المتاعب والمصاعب التي عانيتها من خلال تنقلي بين القرى والمحافظات والمدن حتى استطعت أن أخرج هذا الكتاب إلى النور.

لقد سرت في طريقٍ وعرة وتجاذبتني أعاصير وتيارات مختلفة ما بين مدٍ وجزر، وكثيراً ما كنت أسير بخطواتٍ إلى الأمام، ..... وأحياناً أسير بخطواتٍ معاكسة إلى الخلف وكنتُ أواجه.. كآبة نفسية وتعاسة لا شبيه لها عندما أفشل في الحصول على معلومة أو وثيقة هامة قد تفيد الكتاب، ولك ما ألبث أن أسير بطريقة تلقائية حتى لتكاد تسبقني خطواتي فأسيطر على اليأس الذي يتملكني عندما تلوح أمام خاطري نشوة النصر التي سجلتها حرب تشرين التحريرية فأتعامل مع هذه النشوة بسعادة غامرة وأطوي من سجل تفكيري كل الصراعات والعذابات الفكرية التي كانت تتقاذفني في بحرٍ بلا شطآن وكأنها أنفاق مظلمة لا نهاية لها ولا سبيل للخروج منها.

وكثيراً ما كنتُ أطرح مع نفسي هذه المعادلة النفسية في خطٍ متوازن بين متاعبي هذه وبين هؤلاء الرجال الأبطال الذين قدموا أثمن ما يملكه الإنسان وهو حياتهم فتسقط المعادلة التي طرحتها في سلم المقاييس فأجد نفسي كعودة قشٍ صغيرة في بحرٍ هادرٍ متلاطم الأمواج فأعلم أن قطرة دم واحدة من دماء شهدائنا الأبرار تعادل وتفوق بكثير تضحيات كل أدباء وشعراء وكتاب العالم كله، وهنا أقف بإجلال وإكبار أمام هذه القطرات من الدماء الزكية التي غذت تراب الوطن.

وأمام الآلاف المؤلفة من الشهداء وأمام أنهار الدماء المتدفقة ممن أرخصوا دماهم في سبيل عزة الوطن تسقط كل المتاعب وتهون كل الصعاب مهما عظمت ومهما كثرت.

وكثيراً ما كنت أركب الدراجات والجرارات ومختلف وسائل النقل بما فيها الدواب أثناء تنقلي بين القرى والمدن للحصول على بعض معلومات هذا الكتاب، وبعض الأحيان كنت أسير ماشياً على قدمي ولمسافات كبيرة جداً وشاقة جداً.

وفي إحدى المرات وكان البرد في ذروة التجمد في أيام الشتاء القارس اضطررت للركوب في سيارة عسكرية بالمقطورة الخلفية حيث كنت على تماس مباشر مع الهواء البارد والسيارة تسير في طرقات متعرجة ووعرة مما أدى إلى اصطدامها بسيارة أخرى فكاد قلبي يقفز من صدري من الرعب الذي انتابني ولكن ما لبث هذا الرعب أن تلاشى بعدما شاهدتُ رباطة جأش الجنود الذين في السيارة وعدم تسرب الخوف

إلى قلوبهم فبقيت معنوياتهم هادئة وعالية فتأكدت بعد أن قفز تفكيري إلى بطولات تشرين العظيمة أن هؤلاء الرجال هم رجال هذا الوطن المستعدين دائماً لخوض معارك تشرينية قادمة إذا اقتضى الأمر دفاعاً عن كرامة وطنهم الغالي. وأن هؤلاء الرجال تخرجوا من عرين الأسد الذي جعل من هذا البلد قلعة صمود وتصدي على صخرة صموده تتكسر كل براثن المستعمر الغاصب، فهؤلاء لهم صلابة الصخور المحمولة على أذرع جبل الشيخ.

ولطالما تنقلت كثيراً بسيارتي الخاصة عبر المحافظات والقرى والبلدان وذلك من خلال سنتين من التنقل والعمل الدؤوب في سبيل إنجاح هذا الكتاب وأعود فأحدث نفسي بالمعادلة النفسية التي ذكرتها فبل قليل إذا وضعت هذه المتاعب على خط متوازن مع إرادة مقاتلين حرب تشرين تسقط كل المعادلات وتتقزم كل متاعبي فتسقط من ميزان القياس أمام إرادة الأبطال وجنود حرب تشرين هؤلاء الرجال الذين عصفت رياح تشرين في قلوبهم ورفعتهم إلى قمم الأمجاد العالية بإرادة المقاتل العربي الذي حطم الأسطورة الاستعمارية وهزم التنين الصهيوني فكان طالباً مجداً في مدرسة الشعوب الحرة وكان بطلاً مغواراً في عرين الأسد فارتفع فوق هموم وطنه وقفز فوقها كليث ينشد النصر ولا شيء إلا النصر فعرف شعبنا وهو يغوص في مخاض محنته مع إسرائيل كم هي عظيمة هذه الأقدار الأزلية التي ساقت الفارس العربي حتى يخترق حواجز الخوف التي ترسبت مع حرب حزيران ومن ثم أوصلت هذا الجيش المغوار إلى أعتاب انتصارات رمضان.

أخي القارئ قريباً إنشاء الله سوف يتبع هذا الكتاب الجزء الثاني منه وربما يتبعه جزء ثالث وذلك حسب ورود المعلومات التي ما زالت حتى هذه اللحظة تأتيني من كل حدبٍ وصوب وإنشاء الله سوف أكون أميناً على تسجيل وتوثيق كل معلومة تصلني من قبل أي مواطن أو أي قارئ تتحدث عن بطولات ومآثر شعبنا على مر الأجيال والعصور وأكون سعيداً لو شاركتني أخي القارئ بالبحث والتنقيب عن هذه البطولات منذ القديم وحتى الآن عبر وثائق مكتوبة أو معلومات شفهية لأن هناك الكثير الكثير من أبطالنا من أبائنا وأجدادنا لهم موقفهم المشرفة ضد كل من حاول أن يستعمر ويدوس على كرامة هذه البلاد، وهناك بطولات تستحق منا أن نسجلها كي لا يطويها النسيان وتموت لأن مثل هذه البطولات ثروة ثمينة نتركها بعدنا لأولادنا وأحفادنا لتكون لهم مثلاً ونبراساً يحتذى من الآباء والأجداد والذي دخلوا ألى ساحات الجهاد المقدس وحرروا أوطانهم فكانوا المثل الأنقى والأرقى والأعلى.

فأرجو من أي مواطن لديه قائمة بأسماء شهداء من كافة المراحل الزمنية وعلى كافة الساحات وخاصةً ساحة حرب تشرين التحريرية أن يرسلها لي على عنواني: محافظة درعا ـ مقابل مخبز تشرين الاحتياطي من الجنوب ورقم هاتفي: (٢٣٦٥١٥)، وبإمكان أي قارئ مهتم ولديه معلومات أن يراسلني بريدياً على نفس العنوان فأكون له شاكراً وأخيراً أقدم أمنيةً أرجو من الله تحقيقها وهي أن يطيل في عمر قائد أمتنا العربية حتى يستمر في قيادة الركب الوطني والعربي للوصول إلى مواسم تشرينية وتحريرية أخرى حتى يجلب لنا السلام العادل، سلام الأبطال الذي ينشده شعبنا.

وأخيراً عاشت الأمة العربية سيدةً فوق أرضها قويةً في عزيمتها طالما عاشت ونمت وترعرعت تحت راية قائدها الخالد حافظ الأسد.

المؤلف

أحمد محمد عطا الله الزعبي

الالتزام في حفظ الأسرار
العسكرية عن حرب تشرين هو
أثمن كنز مخزون في أعماق جيشنا
وموضع اعتزاز إلى شعبنا

المؤلف

شهادات فكرية

أراء أدبية وفكرية وصحفية عن مؤلفات أحمد محمد عطا الله الزعبي

في صحف ودوريات عربية.

استطاع المؤلف والباحث أحمد محمد عطا اللّه الزعبي وبجهودٍ جبارة وصعبة أن يصدر كتابيه الأول والثاني، فكان كتابه الأول والذي هو بعنوان ((صور مشرقة من نضال حوران)) والذي كلفه تأليفه جهد سنواتٍ كثيرة من البحث والمراجعة والسؤال والتنقيب في أرجاء القطر العربي السوري فكثيراً ما كان المؤلف يكلف نفسه عناء السفر مئات الكيلو مترات من أجل الحصول على معلومة صغيرة قد تفيد الكتاب ومع ذلك نراه لا يمل ولا يتعب، كان دائم السؤال والبحث عن الحقيقة.

لم يكن المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي يبتغي من وراء ذلك مالاً ولا شهرة بل كان هدفه الأول أن يؤرخ لهذه المنطقة العزيزة على قلبه وقلوبنا جميعاً بصدق وأمانة وذلك أن عجز الكثير من المثقفين بهذه المنطقة أن يكتبوا تاريخ هذه المنطقة ويدونوا أحداث حدثت وقام بها أبطالٌ أشاوس ويذكروا قصصاً تكاد تكون تندثر إذا ما مات هذا المعمر الذي يحمل تفاصيلها، فجاء المؤلف ودونها بصدق وأمانة بعد أن سمعها من أكثر من معمر وبهذا أصبحت تاريخاً غير قابل للزوال وغير قابل للنسيان.

كانت مهمة الكاتب والمؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي صعبة وشاقة فكان كالغواص الذي يغوص في البحر إلى الأعماق السحيقة وبعد جهد وزمن طويل كان هذا الغواص يعود للشاطئ وهو يحمل في كفه جوهرة صغيرة وكثيراً ما كان يعود ولا يحمل شيئاً، هكذا كان المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي الذي كان دائم البحث والسعي والسفر وكثيراً ما كان يغيب عن منزله وعن أسرته أياماً متتالية وعندما يعود كان يحمل معه قصة ثائر أو خبر معركة وأحياناً كان لا يحمل شيئاً مثله مثل ذلك الغواص الذي كان ينقب عن اللؤلؤ والمرجان في أعماق البحر، إن الجهد الذي قدمه المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي جهداً عظيماً، وعندما خرج كتابه إلى النور وأصبح حقيقة وليس خيالاً كان هذا المؤلف يقول للناس بأن منزلة وقيمة هذا الكتاب عندي كمنزلة وقيمة أي ولد من أولادي، فأولادي قد ينسوني بعد موتي ولكن هذا الكتاب يحفظني على مر الأجيال والعصور وسيذكّر كل الناس بي فلذلك له مكانة عندي أكبر من أية مكانة، وهذا شعور نبيل من المؤلف

أحمد محمد عطا الله الزعبي، والحقيقة هذا هو دائماً شعور الكتاب والأدباء الذين يفنون أنفسهم من أجل الحصول على الحقيقة كاملة ووضعها في كتاب، وبعد أن خرج الكتاب إلى النور، وأصبح في المكتبات وفي السفارات وبين أيدي المثقفين أصبح حقيقة جميلة، حقيقة تحمل كل المشاعر النبيلة التي يحملها الكاتب والمتأصلة بحب الوطن عموماً وبحب حوران سهلاً وجبلاً خصوصاً، وباعتزاز الكاتب أحمد محمد عطا الله الزعبي بالأبطال والشهداء الثوار من أبناء هذا الوطن الغالي الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الحق وتطهير تراب هذا الوطن من كل معتدٍ أثيم وكذلك جاءت تضحية المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي حيث ضحى بوقته وراحته وبجزء من صحته وماله من أجل إخراج هذا الكتاب إلى النور ليقول الحقيقة ويعطي هذه الأرض المعطاء حقها، ويعطي هؤلاء الأبطال حقهم، هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل أوطانهم دون نقصان أو بهتان وعندما وصل هذا الكتاب إلى الأيادي البيضاء من مسؤولين ومن قياديين في هذا القطر العربي الغالي سورية بقيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد، وجد هذا الكتاب لديهم كل حفاوة وكل تكريم فشكروا الكتاب وشكروا الجهد الذي قام به المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي فكرموه خير تكريم، وعلاوة على ذلك أصبح مرجعاً تاريخياً وفكرياً في المحافل الأدبية والسفارات العربية والبلاد العربية وفي أكثر من جامعة عربية وفي أكثر من كتاب ليشكل مرجعاً هاماً.

بقلم: عبد السلام المحاميد

عضو اتحاد الكتاب العرب

عضو جمعية الشعر في اتحاد الكتاب العرب

مقالة صحفية بقلم الأستاذ أحمد عبد الكريم

والأستاذ أحمد عبد الكريم وزير سابق في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب عضو جمعية الدراسات والبحوث وهو رئيس اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة ..

وهو رمز فكري ووطني في هذا الوطن العربي الكبير.

مقالة للأستاذ أحمد عبد الكريم في جريدة الأسبوع الأدبي العدد ٤٢١- ١٩٩٤م

صور مشرقة من نضال حوران

كتاب صور مشرقة من نضال حوران، تأليف أحمد محمد عطا الله الزعبي، يعتبر إجابة عفوية خجولة، على سؤال ظل يتردد حوالي نصف قرن على ألسنة الكثيرين حول نضال الجماهير في حوران للتحرر من الاستبداد العثماني والاستعمار الفرنسي خلال النصف الأول من هذا القرن. لقد ذكر بعض الكتاب والمؤرخين نبذاً متفرقة عن هذا الموضوع ولكنها لم تفرد له بحثاً موضوعياً خاصاً يفيه حقه، والمحاولات البدائية السابقة على قلتها كانت عبارة عن نشرات تمجد بعض الوجهاء غرضها الابتزاز ولا يمكن أخذها مآخذ الجد.

وتشاء الصدف أن يتصدى لهذه المهمة الشاقة شاب عصامي جريء زاده الأساسي صلابة العزيمة والدأب، لم يثنه عن خوض هذه المغامرة الصعبة وافتقاره للمنهج العلمي وندرة الوثائق، ومرور السنين الطويلة على الأحداث ورحيل معظم الذين عاشوا أو شهدوا أو ساهموا بصنعها إلى الدار الآخرى حاملين معهم الكثير من الحقائق والتفاصيل.

أهداني هذا الكتاب أصدقاء كرام، من جبل العرب قلبته فأعجبتني لوحة الغلاف للفنان حسين الكراد، وتمنيت لو أن عنوانه كان أكثر تواضعاً .. ثم قرأت الكلمة القصيرة الرصينة الموجودة على الجانب الآخر من الغلاف بقلم الأستاذ علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب، فزادني ذلك شغفاً بمطالعته.

بدأت صباح أمس بمطالعة الكتاب ظناً مني بأنني سألقيه من يدي خلال ساعة أو بعض الساعة، ولكنني فوجئت وكأنه يمسك بتلابيبي طوال يوم بكامله، لم يدع لي الفرصة لإغفال سطر أو صورة. وهكذا لم أتركه إلا بعد أن قرأت الصفحتين الأخيرتين الملحقتين به دون ترقيم .. كنت مع كل صفحة أرافق هذا الشاب المغوار

وهو يتنقل بين المدن والقرى عبر سهول حوران الحمراء الخصبة التي بدأت كروم العنب والزيتون الخضراء ترفدها بهجة وجمالاً وتعيد إليها رونقها القديم، وأنصت إليه وهو يغري بعض المسنين الذين عاصروا تلك الفترة ولا زالوا على قيد الحياة ويشجعهم للحديث عن ماضيهم أو ما يعرفوه عن سيرة بعض الرجال والأحداث، فتجيء كلماتهم بسيطة خجولة وكأنهم يرون فيها نوعاً من الغطرسة والتفاخر أو هتكاً لحرمات أناس ضحوا بدمائهم في سبيل الله والوطن ولا ينتظرون من أحد جزاء ولا شكوراً .. يتابع المؤلف عمله هذا خلال سنوات طويلة دون كلل، ويسجل كل ما يسمعه بأمانة دون أن تفوته ملاحظة أو واقعة مهما كانت متواضعة. وهدفه من كل ذلك الوصول إلى الحقيقة عله يكمل الصورة التي كون إطارها من المقاطع التي التقطها من الكتب والمراجع المختلفة النادرة.

وكنت طوال الوقت أتصور عناد هذا الشاب وإصراره على انتزاع الحقائق، التي أهملها المؤرخون وكاد يطويها النسيان. يحاول ابراز بعض الأحداث التاريخية الهامة والتضحيات الجسيمة التي قدمها رجال أشاوس لا يبتغون من ورائها سوى القيام بالواجب تجاه أمتهم العربية وتراب وطنهم وكرامة شعبهم، ولكي تأخذ مكانها التي تستحقه في تاريخ وطننا الحبيب وتكون مثالاً للأجيال الصاعدة وتشجيعاً لهم على البذل في سبيل مستقبل أفضل لشعبهم وأمتهم الكبرى.

والحق أن المؤلف استطاع بهذا الدأب أن يلوي ذراع الزمن ويكشف عن الكثير من الوقائع الهامة ويحي ذكرى العديد من الأبطال المجهولين الذين ساهموا بفعالية في النضال ضد الاستبداد الطوراني والاستعمار الفرنسي الغاشم. ويلقي الضوء على معارك وأحداث كان لها دور وانعكاسات هامة على مسيرة الثورة العربية الكبرى في العقد الأول والثاني من القرن العشرين ونضال الشعب السوري من أجل الاستقلال والوحدة الوطنية في الفترة الواقعة بين عام ١٩٢٠ ونهاية الحرب العالمية الثانية.

الجهد الكبير الذي بذله المؤلف والأمانة في تسجيل الشهادات والأحاديث المروية، والعاطفة الوطنية التي تنضح بها سطور الكتاب تستحق الثناء لأنها تعزي القارئ المنصف بأن يغفر له أسلوبه البسيط في عرض الأحداث بشكل متشابك أحياناً وبإسهاب وتكرار أحياناً أخرى كما حمله على التغاضي عن الطابع الاقليمي والعشائري الذي أخذه على الكتاب دون قصد طبعاً وأن يقدر أخيراً بكل حياد وموضوعية أهمية المادة الأصيلة الثرة التي طمعت بها صفحاته. مما يشكل مرجعاً للباحثين والمختصين في كتابة التاريخ وكل من يهمهم تدعيم الوحدة الوطنية في بلد يعتبر القاعدة الأساسية للحركة العربية.

مقالة للأديب الصحفي عبد السلام المحاميد في جريدة البعث

العدد ٩٥٢٦ تاريخ ١٩٩٤/٩/٩م

صورة مشرقة من نضال حوران

صورة مشرقة من نضال حوران للباحث أحمد محمد عطا الله الزعبي، صدر مؤخراً عن دار الشادي بدمشق ويقع الكتاب في ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير. إن الحديث عن هذا الكتاب والقاء الضوء على بعض ما جاء فيه بات ضرورياً ولا سيما بعد أن كثر الحديث عنه في الأوساط العامة بحوران.

فالذين كتبوا عن هذه الفترة قلة وما كتبوه لا يتعدى وثائق أولية غير كاملة ومتقطعة ولا تفي بإلقاء الضوء بشكل كامل وواضح، فجاء الكتاب صور مشرقة من نضال حوران بعد جهد وعمل شاق قام بهما المؤلف عبر سلسلة طويلة من الصعوبات على صعيد جمع الوثائق من جهة ومن جهة أخرى في مجال البحث الميداني الذي قام به المؤلف خلال اللقاءات التي أجراها مع المعمرين من تلك الفترة، والذين ساهموا وكان لهم الدور الأول في طرد وجلاء المستعمر عن أرض الوطن ((صور مشرقة من نضال حوران)) صور نسيها المؤرخون وخلدها التاريخ ورجال حملوا البندقية وقاتلوا بكبرياء واستشهدوا بصمت من أجل غاية وطنية مقدمين نبعاً من الدماء الزكية ومخلفين وروداً حمراء على دروب الحرية، وفي كلمة للدكتور علي عقلة عرسان على الجانب الآخر من الغلاف: ((وقد سعى واجتهد لتقديم أحداث ووقائع وشخصيات كاد يطويها النسيان، ويلفها ضباب الزمن، وتمسحها المستجدات من الذاكرة، وهو في توجهه لخدمة الشهداء والمناضلين ضد الاستعمار في ظروف صعبة يعيد للتضحية احترامها، وللدم الزكي المهراق في سبيل الوطن قدسيته ويقدم مادة جمع بعضها ميدانياً، لمن يعنيهم تمحيص الوقائع والوصول إلى الحقائق ويبقى هذا الجهد حلقة في سلسلة العمل المستمر خدمة للحقيقة والتاريخ)). ويؤكد المؤلف من خلال كتابه إن للحرية طريقان، أحدهما غصن الزيتون، والآخر البندقية كما أن الفترة التي يحكي هذا الكتاب قصتها ليست بعيدة عنا، ولا يفصلنا عنها مسافة زمنية لا جغرافية، إنه يحكي قصة نضال شعب حقق استقلاله دون أي امتياز أجنبي، ودون عقد طائفية أو اقليمية، مع الحرص على تدوين فترة محدودة من تاريخنا الحديث لم يكتب عنها الكثيرون، إضافة إلى اعتبار هذا الكتاب دعوة للمؤرخين من جهة والمحللين من جهة أخرى حتى يدونوا ويحللوا هذه الفترة الغنية بالأحداث من تاريخ شعبنا إذ لا يمكن

فهم الحصار بمعزل عن قراءة الماضي كما أن هذا الكتاب يبحث في تحالف الضعيف مع القوي، وفي تآمر القوي على الضعيف ويدرس نتائج مؤامرة وضعت خطوطها منذ سبعين عاماً وسميت باتفاقية سايكس بيكو وفي قرار اتخذته عصبة الأمم بمعزل عن إرادة الشعب السوري سمي بصك الانتداب كما يحيط باتفاقيات وضعها الآخرون لرسم حدود مصطنعة لا تمت بصلة إلى حقائق التاريخ، احتلوا شعارات شتى وزرعوا الطائفية والإقليمية ومارسوا الظلم والإرهاب وارتكبوا المجازر، ودمروا القرى وسرقوا المحاصيل وسجنوا ونفوا الناس، إنهم لم يفعلوا ذلك كله بسبب الأطماع الاستعمارية ولا تنفيذاً لسياسة فرق تسد فحسب بل فعلوا ذلك لأنها سورية لقد أرادوا أن يرسموا لها في الماضي صورة الحاضر حتى يتمكنوا من المنطقة خلال تمكنهم منها، لقد كانت الخطوة الأولى التي قام بها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي من خلال كتابه ((صور مشرقة..)) هي الخطوة الأولى من نوعها حيث لم يقيض لحوران من يقوم بكتابة صورها النضالية منذ خروج الفرنسيين وحتى يومنا هذا باستثناء بعض المحاولات البدائية التي ذكرها بعض الكتاب والمؤرخين نبذاً متفرقة ولكنها لم تفرد له بحثاً موضوعياً خاصاً يفيه حقه وهذه المحاولات على قلتها كانت عبارة عن نشرات تمجد بعض الوجهاء وغرضها الابتزاز ولا يمكن أخذها مأخذ الجد، جاءت ((صور مشرقة من نضال حوران)) من ثنايا نضال الشعب العربي السوري الممتد من جبال الساحل الجميل إلى الحسكة ودير الزور والرقة على ضفاف الفرات وروافده مروراً بحلب الشهباء وإدلب وحماة وحمص ودمشق وريف دمشق إلى أن حط الكاتب رحاله في حوران ملقياً الضوء على هذا الجزء المكمل لوحدة الثورة وتناغم أحداثها ذات الطابع الشمولي أولاً ومن ثم لجأ إلى التخصيص دون خلفية وما يثبت ذلك الصور والوثائق مع الاستناد أي المراجع التي استند عليها الباحث أحياناً وهذا ما أراد إظهاره للقارئ دون لبس أو تأويل كان هدف الكاتب أحمد محمد عطا الله الزعبي.

مقالة للصحفي سلامة دحدل في جريدة الثورة

العدد٩٦٨٦ تاريخ ١٦ نيسان ١٩٩٥م

صفحات مضيئة من نضال حوران النضالي ضد المستعمر الفرنسي

إن الشعوب بحكم طبيعته وتكوينها ميالة إلى الاستقلال، وتواقة إلى الحرية ترفض الاستعمار وتعمل على مقاومته، وتناضل من أجل طرده من البلاد التي يحتلها.

من هنا قاوم شعبنا العربي السوري المستعمر الفرنسي المحتل وناضل بمختلف الوسائل لطرده وتحقيق النصر عليه.

فما أن دخل الاستعمار الفرنسي بلادنا حتى استنفر شعبنا وتصدى له بكل ما يملك واشتعلت الثورات الشعبية في كل محافظات القطر ومناطقه بدءاً من جبال الساحل الجميل إلى الحسكة ودير الزور والرقة على ضفاف الفرات وروافده مروراً بحلب الشهباء وإدلب وسهول حمص وحماة ودمشق والقنيطرة حتى حوران وجبل العرب الأشم.

وفي هذا الموضوع سنقدم بعض الصور المشرقة لنضال أبناء حوران ضد المستعمر الفرنسي التي أغفلت صفحات التاريخ أجزاء كثيرة منها.

الصورة الأولى:

إن دخول الملك فيصل إلى دمشق وإنشاء حكومة وطنية عربية فيها بعد طرد الأتراك لم يرق للفرنسيين الذين عقدوا آنذاك اتفاقاً مع الانكليز على تقاسم المنطقة العربية وأسرعوا بزعامة غورو في حسم الموقف لصالحهم في معركة ميسلون وخرج فيصل من دمشق متوجهاً بالقطار نحو الكسوة ومتوقعاً أن تلحق به وزارة علاء الدين الدروبي والتي بات مكشوفاً ارتباطها وتعاملها مع الفرنسيين رغم الاتفاق على استقالة الوزارة والعمل على توسيع نطاق الثورة الممتدة من جبال اللاذقية إلى حلب الشهباء وقد فوجئ الناس جميعاً بالبيان الذي أذاعه الدروبي في الخامس من آب يحذر فيه الأهالي ويبرز أعمال الجنرال غورو ويختلق له الأعذار لإزاحة العراقيل التي كانت توضع في طريق جنوده.

وقد أثار موقف رئيس الحكومة السورية وأعضائها المشتركين بالوزارة الجديدة نقمة الأوساط الشعبية وغضبها.

وكانت درعا بالنسبة لفيصل والوفد المرافق له مقراً حيث حل الملك وأركان قيادته ضيوفاً على الشيخ عبد الرحمن المحاميد، وتحولت منازله إلى ثكنة عسكرية ومخزن للسلاح الذي تم توزيعه فيما بعد على جميع القيادات الوطنية في محافظة درعا.

لكن الفرنسيين لم يمهلوا فيصل طويلاً في درعا لما تخوفه من حركات عشائر حوران فأوعزوا إلى علاء الدين الدروبي صنيعهم بكتابة برقية مستعجلة لتبليغه بضرورة السفر السريع إلى الحجاز ومغادرة حوران خلال مدة أقصاها عشر ساعات وفعلاً غادر فيصل درعا بقطار خاص صباح اليوم الأول من شهر آب سنة ١٩٢٠متوجهاً إلى مدينة حيفا.

ويقول مؤلف كتاب صور مشرقة من نضال حوران السيد أحمد محمد عطا الله الزعبي:

إن خروج الملك فيصل من درعا لم يوقف نوايا الفرنسيين بدخول حوران واحتلالها وبنفس الوقت لم يثن أبناء حوران عن مقاومة المستعمر الفرنسي الغادر وأطماعه البشعة وطرده من ربوع سورية الحبيبة.

ويقول السيد حسين المقداد في مذكراته التي جاء ذكرها في كتاب صور مشرقة حيث علمت حوران بزحف القوات الفرنسية من دمشق إلى حوران بقيادة النائب سعد الدين المقداد يحملون السلاح إلى أرض المعركة بين جبلي الكسوة والمانع ودارت هناك معركة طاحنة مع الفرنسيين استمرت مدة شهرين اضطرت بها القوات الفرنسية إلى استخدام الطائرات والرشاشات والمدفعية لمواجهة الثوار الذين كان سلاحهم البندقية والسكين وبعض الأسلحة الخفيفة التي غنموها من الاستعمار التركي.

وأشار الأستاذ حسين المقداد في مذكراته إلى أن عدد الثوار في تلك المعركة كان أربعة آلاف مقاتل وقد استشهد منهم (٧٠٠) ثائر بينما عدد القوات الفرنسية يزيد على هذا العدد بكثير وقد بلغت قتلاهم بالمئات فضلاً عن تمكن الثوار من منع القوات الفرنسية من دخول حوران وقطع خط سكك الحديد الذي يربط الكسوة بدرعا.

الصورة الثانية:

وعندما علم الفرنسيون خبر تصدي أهل حوران للقوات الفرنسية والسنغالية التابعة لها من دخول حوران وإجبارها على العودة بالقطار نفسه الذي أقلها واعتبروا هذا التحدي يحول دون توطيد كيانهم الاستعماري في تلك المنطقة وهنا قرر الجنرال غورو إرسال وفد مؤلف من أعضاء الحكومة التي كان يرأسها آنذاك علاء الدين الدروبي إلى حوران لتهدئة الخواطر وإقناع زعماء المناطق بتلبية دعوة غورو للبحث في شأن الغرامات المالية التي فرضتها فرنسا على منطقتهم والاتفاق معهم على كيفية الدفع

وقد كان الوفد يتألف من رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي ورئيس مجلس الشورى عبد الرحمن اليوسف ووزير الداخلية عطا الأيوبي وعدد آخر من الوزراء والمقربين من الحكومة.

ويقول متصرف حوران أبو الخير الجندي في مذكراته أنه لما علم بخبر تلك الزيارة أبرق إلى وزير الداخلية أن شعب حوران في هياج كبير وأن الوضع الراهن يستوجب تأجيل الزيارة ريثما تهدأ الحالة ثم اتبعها في برقية ثانية لما علم إصرار رجال الحكومة على المجيء أوضح فيها خطورة الحالة، وطلب العدول عن الزيارة مؤقتاً وقد وصلت البرقية الأولى وتأخر وصول الثانية وتسليمها إلى وزير الداخلية عدة دقائق، حيث كان رجال الحكومة قد ركبوا القطار بعد أن أصلح الفرنسيون خط سكة الحديد الذي قطعه الثوار في معركة الكسوة في طريقهم إلى درعا وقد قام سكان حوران بطرد موظفي الحكومة وبقي المتصرف (المحافظ) يجابه الموقف بمؤازرة زكي الحلبي قائد الدرك في درعا وبلغ الهياج منتهاه عندما انتشرت اشاعة بين الأهالي مفادها أن رجال الحكومة يحملون صناديق الذهب لتوزيعها على زعماء العشائر وانتشرت هذه الفكرة بين العوام ولكن الحكومة العميلة قد أخطأت الهدف حين أخبرت غورو بأن لديها القدرة على شراء الشعب في حوران بالليرات الذهبية لقد خابت ظنون حكومة علاء الدين الدروبي حين جاءت جموع حوران لتقديم مراسيم الحفاوة والاستقبال لهم بهجوم صافع انتقاماً لشهداء ميسلون وقد خطط لهذا الهجوم باستنفار شعبي بناء على اجتماع سابق لزعماء حوران بقيادة البطل ابراهيم سليم الزعبي من بلدة غزالة وكان أول من مزق جسمه الرصاص النضالي علاء الدين الدروبي الذي كان متخفياً في مقطورة الدرجة الثالثة أما الباقون من أعضاء الحكومة فقد أخذ كل منهم يبحث عن ملاذ مفر إليه من حتف مؤكد وكان شبح الموت يطارد عبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى مما دفعه للهرب من القطار إلى مخفر الشرطة القريب من محطة بلدة غزالة لكن مصيدة الموت كانت له بالمرصاد وقتل في القطار نفسه عدد من الضباط والجنود الفرنسيين واعتبرت فرنسا أن ما وقع جريمة كبرى.

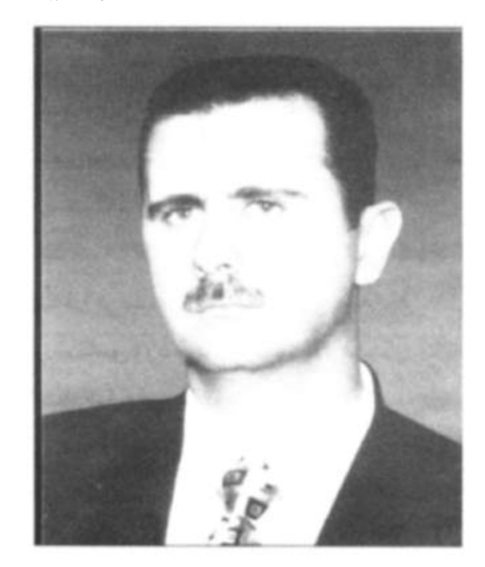
وهكذا توالت المعارك الطاحنة بين المستعمر الفرنسي وأبناء حوران الأشاوس.

فهناك معركة المسيفرة الشهيرة ومعركة داعل والصنمين وغباغب ونوى والدلي والمذخر وغيرها من معارك الشرف والفخار وكانت هذه المعارك مكملة لوحدة الثورة في سورية والمعارك الأخرى التي قادها أبناء المحافظات الأخرى إلى أن حقق شعبنا النصر المؤزر على قولت الاحتلال الفرنسي وتم طرده عام ١٩٤٦م.

الفصل الأول

الباب الثاني

التنسيق السوري اللبناني
الضمانة الوحيد لمواجهة الاحتلال





قدر أمتنا العربية دائماً أن تعيش الويلات وتتحمل أعباء الانتهاكات الخارجية، ومطلوب منها في كل محنة من محنها أن تتحلى بضبط النفس وأن تنسى وتتناسى آلاف الأبرياء والشهداء اللذين أزهقت أرواحهم تلبية للأطماع العدوانية ببلاد العرب، وإذ تتحمل أمتنا العربية في تاريخها المعاصر أشرس وأشد غطرسة عدوانية وهمجية والمتمثلة بالكيان العنصري الصهيوني، إنما لم تكن في يوم من الأيام معتدية وإنما كانت على الدوام تدفع عن بلادها وشعبها العدوان وتريد السلام لها ولغيرها، إلا أن سياسة ضبط النفس التي دأبت الولايات المتحدة وبعض دول الغرب على المطالبة بالتحلي بها في كل عدوان إسرائيلي جديد قد جعل من هذه السياسة مجرد خداع فاضح لتبرير دموية العدوان الصهيوني وتمرير سياسة التوسع الصهيوني على حساب مقدرات الأمة العربية، ومن هنا نجد أن قواعد اللعبة السياسية في المنطقة قد بدأت تطرح مدلولات جديدة تمثلت في رد الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد في حديثه مع الرئيس الأميركي جورج بوش بأن قضية ضبط النفس لم تعد مجدية، وأنه من حق سورية أن تحتفظ بحقها بالرد على العدوان الإسرائيلي الذي استهدف موقعاً للرادارات السورية في لبنان مؤخراً.

لا شك أن الحكمة العربية القائلة: (ليس الشديد بالسرعة وإنما الشديد الذي يضبط نفسه وقت الغضب) إنما تعبر عن كرم الأخلاق العربية ولكن ليس مع أعداء

الأمة وإنما في قضايا التسامح الإنساني وفي حالات الخطأ الغير مقصود أما وأن يصبح ضبط النفس فدية عربية بينما تنتهك إسرائيل كل المقدسات العربية وتتجاوز حدود الوطن العربي وتضرب يميناً وشمالاً ضاربة عرض الحائط كل المواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة، إن مثل هذه السياسة لا تعامل بضبط النفس دائماً وإنما بالرد المناسب السبيل الوحيد للجم سياسة التكالب الصهيوني على الشعب العربي وإننا إذ نتطلع اليوم إلى حكمة وحماسة الشاب الدكتور بشار الأسد إنما نستعيد في ذاكرتنا العربية مواقف السيد الرئيس حافظ الأسد رحمه الله الذي كان يعرف متى وكيف يلجم الهمجية الصهيونية وكيف يلقنهم الدروس والعبر المريرة، ويكفي لبنان اليوم فخراً أن التنسيق السوري اللبناني إنما يصب باتجاه خدمة قضايا المصالح القومية العليا وليعلم شارون أن لعبة ضبط النفس قد انتهت وأن شعبنا قادر على الرد المناسب في الوقت المناسب.

إضافة إلى التبدل الظاهر في الموقف العربي السياسي وذلك من خلال التحرك السياسي والدبلوماسي للرئيس بشار الأسد عربياً ودولياً والتنسيق الكبير مع الحكومة اللبنانية لمواجهة أي احتمالات قد يسعى إليها شارون ضد الجنوب اللبناني، إضافة إلى التصريحات الرسمية التي أعلنها السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري عن محاولات إسرائيل لفرض هيمنتها على العرب ورفض الموقف السوري مثل هذه التهديدات واستعداد سورية للرد على الغطرسة الصهيونية والهمجية الشارونية ولا شك أن التنسيق السوري اللبناني اليوم أحوج ما يكون إليه البلدين وتضامن شعبنا الواحد في مواجهة الغطرسة الصهيونية التي تسعى وعبر سياسة الأرعن شارون إلى ضرب لبنان وتدمير البنى التحتية للشعب اللبناني .. ويظل تعزيز المقاومة الوطنية في لبنان وحشد الطاقات في مواجهة أية احتمالات تسعى إليها سياسة شارون ضد العرب.

إلى أين لبنان يا سورية

بقلم: المؤلف محمد أحمد عطا اللّه الزعبي

سؤال ظل يتردد في ذاكرة الجماهير العربية وهل يكون السؤال بعيداً عن المسؤولية الأخوية، وهل يكون سهلاً على الشقيقة سورية بأن تقف صامتة وهي ترى السفينة اللبنانية تغرق في بحر الحرب الطائفية ...

وهكذا أراد بعض المارقين أن يقودوا السفينة اللبنانية إلى الشواطئ الإسرائيلية حتى ولو غرقت في مستنقع الخيانة في أحضان إسرائيل ...

ولكن هو الذي يقود قارب النجاة إلى هذه السفينة في وسط العواصف الإسرائيلية، وفي هذا الجو المظلم توجهت الأنظار إلى سورية حتى تكون هي قارب النجاة إلى السفينة اللبنانية، وفي طلب من الحكومة الشرعية توجه شباب سورية ليزرعوا ورودا حمراء من دمائهم الزكية على دروب الحرية، ... وانطلقت القوة الوطنية اللبنانية إلى جانب القوات السورية وبدأت بزراعة الموت على محراب السفينة اللبنانية التي تجاذبتها العواصف الإسرائيلية ...

وتلقت القوات السورية طعنات غادرة من الذين وقعوا في المصيدة الإسرائيلية حتى أن هذه القوات كانت بين المطرقة والسنديان الإسرائيلي، الذي عبر الحدود اللبنانية من أجل ضم الخارطة اللبنانية إلى شمال إسرائيل، وكم هي عظيمة مخازن الصبر السياسية الاستراتيجية السورية التي واجهت إسرائيل ورأس الأفعى الأمريكية واستعمار الأمس بريطانية العجوز التي أطلت برأسها على الأرض اللبنانية، ومثل هذه الحروب عزيزي القارئ هي أقسى الحروب صعوبة حيث لا أحد يستطيع أن يرصد السهام المعادية من السهام الصديقة.

ومن الملاحظ عزيزي القارئ أن الفكر العربي والقلم العربي وقفا عاجزين عن تغطية هذه البطولات العربية السورية على الأرض اللبنانية، وهذه القوات كان لها حرية الحركة في حرب تشرين التحريرية وهي تملك الدراية العسكرية الواعية لأن العدو كان أمامها والصديق كان خلفها، والقيادات الوطنية اللبنانية على اختلاف جميع مشاربها قد أرست وطنيتها على جبال لبنان حتى تعانق جبل الشيخ، وقد صفقت لها أغصان شجرة الأرز في خضرتها الزاهية وقد خرج لبنان من هذه الحرب بجسد هزيل وهو يتوكأ على العكازة المعنوية السورية وبدأ الجسد اللبناني يتماثل للشفاء وهذا الشفاء أخذ دوره على الذين انحرفوا عن السكة الوطنية اللبنانية، وعادوا إلى جذورهم العربية، ونباتهم الخير على

الأرض اللبنانية بعد أن اكتشفوا الوجه الحقيقي للصهيونية وسموم الأفاعي التي تسري في أعماقها على رسالة المسيح ومحمد عليهما السلام وحتى سيدنا موسى الذي أنقذهم من الطغيان الفرعوني وعبر بهم البحر والمياه التي أنجتهم وأغرقت فرعون وطاغوته، لكنهم أغمضوا أعينهم عن هذه القوة الإلهية الفاعلة على الأرض وتوجهوا إلى عبادة العجل بعد أن أنزل الله عليهم المائدة من السماء وأنزل المن والسلوى، ولكنهم قابلو كل هذا التكريم بالجحود بدلاً من الولاء للرب المعبود وطلبوا بدلاً من طعام السماء نبات الأرض الثوم والعدس والبصل فجاء هذا النبات متلائماً مع معدنهم الخبيث فكيف يكونوا صادقين في وضع أيديهم منع نفر قليل من اللبنانين ممن لهم تجربة حية على أرض فلسطين حينما أظهروا الود والمسكنة للإسلام والمسيحية وبعد تثبيت أقدامهم على أرض فلسطين حملوا سلاح الحقد على جميع الديانات لذلك لا يزال البيت اللبناني ينتظر أبناءه من جميع المشارب الوطنية والدينية، فهذا البيت الدافئ داخل جدرانه أرضعت الأم اللبنانية حليب اللحمة الوطنية وحتى الذين جحدوا هذا الحليب سوف يجدون في ثدي الأم اللبنانية اللبن الصافي الذي لم يتغير طعمه على أبنائها.

عزيزي القارئ.. ما أجمل أن يرى الإنسان المخاطبة القرآنية التي توجهت عبر الرسول الأعظم والقائلة: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

((وجعلنا منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت))

صدق الله العظيم

وليس من الطبيعي أن يكون لهم موطن بفلسطين المثلين هؤلاء بالقردة الخنازير ولكن الأجدر أن يكون موطنهم الحقيقي هو الغابات الأميركية التي هي أول مدرسة درّست وخرّجت سياسة الإجرام على الشعب العربي.

والشاعر العربي محمود درويش يقول في قصيدته الوطنية المنطلقة من حنجرته العربية:

يا أيها الجرح المكابر

وطني ليس حقيبة

وأنا لست مسافر

افهمي واعلمي يا أميركا وافهمي واعلمي يا إسرائيل أن الوطن العربي ليس حقيبة والشعب العربي لن يسافر ولكنه باقٍ وراسٍ على أرضه كبقاء ورسوخ جبل الشيخ وجبال القدس وجبال الأرز في لبنان.

إن المعاني التي تسلط الضوء إلى (اين لبنان يا سورية) يأتي الجواب إن الشعب السوري

اللبناني له التصاق عضوي في النسيج الأخوي الأزلي بين البلدين، والتعايش ضمن القواسم المشتركة في الامتداد الجغرافي الشاهد على عناق جبل الشيخ مع أخيه جبل ظهر البيدر، كما تأتي وحدة السواعد مع عناق البنادق السورية اللبنانية.. إنه الشعب التوأم الذي ولد وترعرع بين أغصان شجرة الأرز وأغصان شجرة الصنوبر السورية على سفوح جبل الشيخ، وقد حملوا السلاح للدفاع عن الهوية السورية اللبنانية، وبعدما رفعت ونصبت أعواد المشانق في بيروت لأحرار لبنان وبنفس اليوم رفعت أعواد المشانق لأحرار سورية في ساحة المرجة بدمشق، والقافلة الأولى للشهداء في سورية ولبنان كانت في عام ١٩١٥، والقافلة الثانية من شهداء سورية ولبنان كانت في عام ١٩١٦، وكان من أهداف جنرالات الطورانية في الجيش التركي كمال أتاترك وجمال باشا السفاح وهم أحفاد يهود الدونما كان هذا الظلم من أجل انتزاع الهوية العربية من أحرار سورية ولبنان، وكان الشعب السوري اللبناني لا يزال هو النسيج الأقوى في خارطة النضال العربي منذ بداية فجر التاريخ، وسلاحي الوحيد بشرح بعض المعاني في داخل دائرة إلى أين لبنان يا سورية، وإذا طرحت معادلة الربح والخسارة في الحرب اللبنانية، فقد وضعت الأيدي على الوصفة الوطنية الرابحة هي سورية ولبنان في هذه الحرب التي نسجت خيوطها في دوائر استعمارية صهيونية.لكن شهداء الحرية المسيحية الإسلامية الذين حرروا لبنان من الحكم التركي والاستعمار الفرنسي حينها كانوا غير قادرين على شد شريط السنين والأيام القادمة لكي يكتشفوا ما ينطوي داخل هذه الأيام من الحروب الطائفية التي اجتاحت لبنان .. إنها خدمة مجانية لإسرائيل قد قدمتها حفنة صغيرة وضيعة انسلخت عن الجلدة اللبنانية وسارت على السكة الإسرائيلية ... إن لبنان قد تحرر بوحدة السواعد مع عناق البنادق من جميع المشارب الوطنية وشهداء الأمس الذين يطلون بأرواحهم اليوم على الحرب الطائفية في لبنان يقولون لما هذا التفريط في نسمات دمائنا الزكية التي هي أنشودة الحرية عودوا إلى أحضان الأمة اللبنانية وإلا سوف تكون دمائنا لعنات أبدية عليكم .. نعم إننا عدنا الآن إلى أحضان الأمة اللبنانية ولن نسمح بعد الآن لدخان المدافع الإسرائيلية أن تشوه الوجه اللبناني الناصع وتلوث دماء الشهداء الواعد وشموخ الأوابد وجيل الغد الصاعد وزهو اخضرار الأرز العابق بأريج الأماجد .. لبيك يا شجرة الأرز الشهادة التي ارتوت بنور الإرادة الوطنية إنها وسادة السعادة الوطنية.. يا أخي في الوطن العربي أنظر الآن إلى وجه لبنان الناصع بعروبته العائد من غربته

إلى أصالته .. ها هو لبنان الحلم .. ها هو لبنان الحب ها هو لبنان المجد العائد إلى الشواطئ العربية على أعزوفة الحرية.. لبنان الذي ضمد جراحه في نسمات الألفة الوطنية كي يغذيها في أنشودة الحرية.

أحداث الزيارة الأولى إلى بيروت

للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

بتاريخ ١٩٩٩/٦/٢٢ ذهبت إلى لبنان من أجل غاية وطنية هي تأليف كتاب عن المقاومة اللبنانية، وحين دخولي الأرض اللبنانية بدأت السيارة تصارع أنفاسها المسحوقة في أعلى قمم الجبال اللبنانية، وتوجهت بأنظاري من أعلى قمم ظهر البيدر وانحدر نظري مع المنحدرات السحيقة وتخيلت بأنه لا نهاية لها ولكن رأيت مدناً مثل حبات اللؤلؤ المزروعة والمحمولة على كاهل ثلاثٍ هنّ أصغر البنات إلى الجبال اللبنانية العملاقة، كان لهذه الجبال حراسة أمنية على سهول بادية الشام شرقاً والبحر المتوسط غرباً، ولولا نقاط الضعف في تفكيري لقلت أن كوكب الأرض هو أصغر الأولاد إلى الجبال اللبنانية التي تحولت إلى جزء من الإرادة القتالية للقوات السورية في عام ١٩٨٢م بعد الاجتياح الإسرائيلي وكانت القنابل التي يزيد وزنها عن الطن والتي انطلقت من الأسطول الأميركي البريطاني وتذوب هذه القنابل بين صخور الجبال اللبنانية الشامخة وشباب سورية والمقاومة اللبنانية تحولت إلى مخازن من الارادة القتالية العالية والصبر هو شلالات متدفقة على أرضية معنوية للقوات السورية والمقاومة اللبنانية ورأيت الاخضرار الزاهي على أغصان شجرة الأرز إنها رداء الكرامة إلى كل لبناني نبت بين أحضان شجرة الأرز العربية وأنها لا تزال تنتظر صحوة الضمير من أبناءها الذين وقعوا في حفرة الباطل الإسرائيلي وخداعها، وبعد وصولي إلى مدينة بيروت رأيت البنايات وكأنها هياكل عظمية أفرغتها القنابل الإسرائيلية من الحياة.

وسألت السائقين استيضاحاً عن هذه البقايا من البنايات المهدمة فقالوا لي إن الشوارع التي جرى إصلاحها من قبل رفيق الحريري الذي كان لا يفرق بخطة إصلاحه بين الذين وقعوا ورقة رخيصة بالأيدي الإسرائيلية حيث أنه كان ينظر بعمق الأب إلى العاقين من أولاده والذين لا بد لهم من العودة إلى أمهم الأرض اللبنانية وسمعت بأن: رفيق الحريري كان يقدم وصفات فيها البلسم الشافي إلى بعض القيادات الذين ربطوا مصيرهم بالعدو الإسرائيلي وكثير من القيادات تراجعت بعد أن وصلت إلى ضمائرها همسات العتاب من الأم اللبنانية التي أرضعت أبنائها حليب اللحمة الوطنية اللبنانية والعالم يقف شاهداً بأن إسرائيل ناصبت العداء بفلسطين إلى الإسلام والمسيحية والسيد المسيح عليه السلام قال: خذ الحق من أهل الباطل

والباطل الإسرائيلي اغتصب كل الأماكن المقدسة للإسلام والمسيحية وسعيت إلى مقابلة الرئيس رفيق الحريري ولكن يومها كان قد قام بزيارة إلى عمان كما حاولت زيارة السيد الهراوي لكن مرضه منعه من المقابلات ولم تتحقق أحلامي في الوصول إلى هدفي في هذه المقابلات وأصبحت كالطائر الذي فقد أجنحته وبدأ يقفز قفزات عشوائية غير نظامية وبدأت تتقاذفني الأمواج الفكرية كيف الوصول ؟ إلى أعماق البحر حتى اكتشف حبات اللؤلؤ المخزونة في عمق الوجدان العربي التي أفرزت ذراع المقاومة في جنوب لبنان ودخلت وزارة العمل وقابلت شاباً في ديوان الوزير. اسمه أنطون وقرأت في وجهه الملامح العربية وقال متحمساً من الواجب عليك كمؤرخ أن تكتب عن المقاومة في جنوب لبنان لأنها النسيج الأقوى في خارطة النضال العربي ولم أستغرب هذا الكلام لأنها الأخوة المسيحية الإسلامية التي انطلقت تحت قواسم مشتركة تحت مظلة الحب والمحبة للدفاع عن الهوية العربية وكيف لا والمسيح عليه السلام ولد على أرض عربية وبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وعيسى ومحمد عليهم السلام حملوا الهوية العربية لكن الصهيونية تآمرت على عيسى وموسى كما تآمروا على محمد عليه السلام.

وكل هذا الكلام لم يوصلني إلى حماستي حيث نذرت نفسي حتى أقف على ساحات القيادات الوطنية الإسلامية والمسيحية ورأيت الشارع اللبناني قد تحول إلى شلالات دماء غزيرة من الحرب الطائفية المجنونة وكان دور القوات السورية التي دخلت إلى لبنان ليست مع طرف ضد طرف آخر ولكن القوات السورية كدور الأب الذي يستخدم العنف العاطفي مع أولاده حتى ينتزع نار الفتنة التي أشعل نارها الشيطان الإسرائيلي وأصبحت ورقة رابحة في يده.

وأما دماء شباب سورية هي وردة حمراء زرعت على دروب الحرية واستطاعت القوات السورية أن تجمع دماء الطوائف اللبنانية إلى زمرة الدماء العربية ولكن رفيق الحريري استطاع أن يحول لبنان إلى ورشة عمل أوتوماتيكية إلى عمران الشوارع البيروتية وكما اهتم بعمران الشوارع المسيحية التي نبتت على الأرض اللبنانية بين العربية انطلاقاً من فؤاد شهاب وسليمان فرنجية والياس الهراوي وصولاً إلى القائد العربي أمين لحود الذي سار على خط مزدوج وهو شرف انتماؤه.

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

الزيارة الثانية إلى بيروت بتاريخ٢/٨/١٩٩٩

قام بها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

في ١/٨/١٩٩٩ ذهبت إلى لبنان بعد زيارتي الأولى في ٢٢/٦/١٩٩٩ وانصبت الزيارتان على هدف واحد هو تأليف كتاب عن المقاومة اللبنانية المدعومة من قيادات إسلامية ومسيحية داخل لبنان وقيادات عربية وإسلامية من خارج لبنان وفي صباح ٢/٨/١٩٩٩ ذهبت إلى دمشق الساعة السابعة والنصف صباحاً وبدأت إشعاعات تتسرب من قلبي وعقلي وتفجر هذا المخزون من الحب والحنين إلى أهلي وربعي ووطني وغيوم الأحزاب طوقت قلبي وأنستني نفسي وشعرت وكأني مسافر إلى كوكب ثان غير لبنان ولكن سائق الباص المزروع في وجدانه كل الصفات الخيرة من المروءة والشهامة وكل هذه الصفات كانت البلسم الشافي لأحزاني ومركز أنس واستئناسي لإمتصاص البراكين العاطفية التي تفجرت في قلبي وهاجمتني الهموم والأحزان في أثناء سفري إلى لبنان شعرت بأني غريب في هذا العالم وإذا طرحت على نفسي هذه المعادلة بيني وبين أحزاني التي شرحتها وبين رجولة الرجال الذين انحدروا من كل المشارب العربية والإسلامية وانسلخوا عن عطفهم وحنانهم إلى الأهل والأولاد وتنكبوا سلاح المقاومة إنها لهم خير زاد حيث لم يثنهم حنين الغربة والاغتراب ولكن انطلقوا إلى من هو أجمل الأحباب الذين لم يغلق أمامهم أي باب وأتاهم النصر القوي من رب الأرباب وإنهم رجال المقاومة اللبنانية الذين داسوا على قلوبهم التي هي مخازن عطفهم للأهل والأولاد ولكنهم حملوا مخزون حب الجهاد لذلك كيف يقف العالم العربي والإسلامي وقفة المتفرج على هذه المقاومة التي اغتربت عن الأهل والأولاد حتى يعيدوا للغريب تربته ويرتوي العطشان من غيبته وتنهال الأسئلة من النفس على النفس إلى متى هذا الصمت عن المقاومة؟.

والعالم العربي والإسلامي لم يطلق كلمة عطف من الأب لولده وكأنه انسلخ عن فلذة كبده وبي لبن الثدي الصافي والعطف الدافئ.

أليست هذه المقاومة كانت وما زالت داخل التركيبة العضوية في الجسد العربي والإسلامي إلى هذا الحد تنعقد الكلمة على اللسان وينحبس المد القومي من الوجدان ويجمد الفكر الأدبي على حبر الأقلام ودم المقاومة تفجر في جنوب لبنان إنه غيث القوة من الرحمن توجهت إرادة خيرة على سورية وإيران إنهما النسيج الأقوى للصمود أمام العدوان.

لقد وصلت إلى بيروت بعد الظهر وتكرر مشهد الشوارع التي أصابتها الحروب كأنها طوابير عساكر مهزومة في حرب طاحنة ورأيت الحفر من إصابة القنابل على الجدران كأنها عجوز هرم أصاب وجهها مرض الجدري وبعض العقول التي خربتها وهي التي صبت حقدها على الإنسان قبل البناء ووصلت المعهد العالي للدراسات الإسلامية ومدير المعهد الدكتور رضوان السيد لقد أسعدني مشهد داخل المعهد لوحة مكتوب عليها (المركز التوثيقي للعلاقات المسيحية الإسلامية). وهذا ليس غريباً ولا بعيداً عن الأخوة الإسلامية المسيحية داخل البيت اللبناني والدكتور رضوان مخزون بالعلم والمعرفة والثقافة العالمية وأثناء تجوالي في شوارع بيروت رأيت كنائس مزروعة في أحياء إسلامية ورأيت أيضاً لافتات عبر الشوارع مكتوب عليها : (هذا اليوم هو عيد الجيش السوري اللبناني سياج الوطن في سورية ولبنان)

إلى هذا الحد وصل التفريط من بعض اللبنانيين حتى يطلقوا يد إسرائيل لتدمير لبنان هذا البلد العربي كان درة الشرق على الساحل المتوسط وإسرائيل ركبت الموجة الطائفية ووجدت جسر عبور إلى بيروت من ثغرة الجنوب الجميل إني عاجز أن أنسج نشيد الشكر إلى الله الذي زرع إرادته القوية في رجولة الرجال وبطولة الأبطال هذه البطولة أصبحت قوى فاعلة في جنوب لبنان ونسجت المقاومة خيوط النور من دمائهم الزكية على القصب الأحمر على صدر العباءة العربية وهذه المقاومة هي القلعة الحصينة في إرادتها القتالية التي مزقت قوة التجبر للجنرالات الإسرائيلية وسحقت أكبر قائد عسكري.

محطات نضالية

أضوء على أرض الشهداء في الجنوب اللبناني

ـ الباحث الدكتور منذر جابر ابن بنت جبيل الأبية وهو الذي ألف كتاباً عن المقاومة اللبنانية شاهد عيان على استشهاد مندوب مؤسسة الشهداء الشهيد حسن الأشقر الذي يبلغ من العمر (٢٩) عاماً وقد سقط شهيداً عام ١٩٩٢ في الجنوب اللبناني وكان يذهب لمساعدة الفقراء ويردد كلمات خالدة: يجب الزحف إلى القدس فرغم إصابته في عينه كان يقول كرامة الشهداء من تكريم اللّه ...

ـ وتزامن استشهاده مع استشهاد عباس الموسوي وكانت والدة الشهيد حسن الأشقر شاهدة عيان وكان فضيلة الشيخ حسين علي عباس شاهد عيان.

ـ الشهيد هادي حسن نصر اللّه نجل سماحة السيد حسن نصر اللّه أمين حزب اللّه.. عندما استشهد أرادت إسرائيل أن تساوم وتزاود على تسليم جثة الشهيد هادي حسن نصر اللّه، فكان الجواب الفاصل من إمام المجاهدين حسن نصر اللّه والد الشهيد .. إن ابني لا يمتاز عن باقي الشهداء وكل الشهداء أبنائي وأبناء هذا الوطن العربي وهكذا استطاع سماحته أن يفوت الفرصة على المزاودة والمساومة الإسرائيلية فقطع عليها طريق المساومة .

ـ ونذكر هنا الشهيد يوسف عبد المحسن الذي يبلغ من العمر (٤٠) عاماً.. فالمقاومة الإسلامية قدمت ثمن الانتصار أكثر من (١٢٠٠) شهيداً من المواقع الأمامية التي تصدت للاستعمار الإسرائيلي.. وقد عاشت دير سريان أعياد التحرير ومعها قرية الطيبة التي تحررت بزحفٍ جماهيري مقدس على أرض الجنوب بعدما ارتوى ترابها بدماء الشهداء، ونذكر أيضاً قرية سجد المجاورة لبلدة الريحان وهي بلدة قديمة وقرية حصينة كانت قد دمرتها إسرائيل وحررتها المقاومة الباسلة من قبضة القوات اللحدية، ونذكر أيضاً قرية طنوسة وقرية ميس الجبل حيث نجد هناك المذيعة الإعلامية لتلفزيون المنار فاطمة عواضة وكأنها كوكب جهادي باسل قد أطل علينا من أرض الانتصار الجنوب اللبناني وعبر كاميرا تلفزيون المنار نقلت للعالم أفراح الانتصار على امتداد ساحاته حتى تُلبس الصهيونية ثياب الخزي والعار وظل الانكسار وترفع إلى قمة المجد العربي أكاليل الغار لتحقن وتبت في شريان الدم

العربي وهج النور والنار ولا نزال مع فاطمة عواضة وهي تذيع قصة الانتصار من القرى الأمامية وهل هي تنثر على الجماهير العربية أزاهير الانتصار بقرية صدفة القريبة من الناقورة في البقاع الغربي في يوم التحرير ٢٠٠١/٥/٢٣م وها هي تذيع أقوال الصحف من قرية صرفة تل الشهداء وأرضها الخصبة بالخيرات الزراعية، والجدير بالذكر أن المذيعة فاطمة عواضة أجرت لقاء مع الشيخ حسن حمادة من أرض الجنوب تل الناقورة.

- نقل مباشر من تلفزيون المنار من المذيعة فاطمة بري بدير من قرية بنت جبيل وهي درة ثمينة جبلت تربتها من الدماء الزكية حيث تنبت الورود الحمراء على دروب الحرية، نرى فاطمة بري تنقل أقوال الصحافة في بنت جبيل تشخيص حي عن موقع عسكري مكون من ثلاث طوابق وموقع لسجن أسرى المقاومة وقدموا استشهاد صلاح غندور الذي حول سيارات الصهاينة إلى هياكل خالية من الحياة، ويلتقي مع المنار نزيه بيضون في بنت جبيل الجدير بالذكر أن نزيه بيضون وزير دولة فنرى أن هؤلاء الوزراء الشباب تحولوا من مواقعهم السياسية إلى مواقعهم الجهادية أمام الخط الأول للعدو وأصواتهم المعنوية والسياسية تخترق جدار الصوت في سماء الصهيونية عبر قنوات المنار ونذكر أن الشهيدين أحمد صقر وعلي حقي من وادي النزهات في جنوب لبنان قد تحولا إلى براكين قاتلة للقوات المعادية في اقتحام موقع البياضة وهذا الاقتحام قد تم نقله بالصوت والصورة من تلفزيون المنار حيث شوهدت المروحيات الإسرائيلية تخلي القتلى والجرحى من أرض المعركة وتم القضاء على أكبر عميل صهيوني هو هاشم حيث امتدت إليه أذرع المقاومة لتعتلي هذه المقولة العظيمة: بكم انتصرنا وبكم نستمر على درب الاستشهاد ..

إن دماء الشهداء هي قناديل مضيئة لفتح أبواب النصر في جنوب لبنان.. وهذه الدماء الزكية هي بقعة الضوء التي بددت الظلام في نفق العدوان الصهيوني .. إن قنوات المنار تحولت إلى قنوات نضال وحولت الظلام إلى شمس النهار وإن المذيعتين في قنوات المنار فاطمة عواضة وفاطمة بري يحملن أجمل اسم في الوجود اسم فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين صبط الرسول الأعظم، فاطمة الزهراء درة الدنيا ونور الله في الآخرة، ماأجمل اختيارهن لهذا العمل الإذاعي وهذا المشوار البطولي تحت مظلة قائد الثورة والثوار سماحة السيد حسن نصر الله أمين حزب الله وعبر كاميرات تلفزيونية نقلت للعالم كله فرصة مشاهدة أعراس النصر والتحرير في جنوب لبنان.

هذه هي المقاومة اللبنانية وهذه رجالاتها لم يتوقف السخاء الاستشهادي على بعد مشوارها في ذكرى أعياد التحرير نجد نقلاً مباشراً من بوابة فاطمة على قناة المنار

حيث وصل إليها طلاب وطالبات يرتدون اللباس المحتشم وهذه مذيعة المنار تنقل وصفاً حياً من معتقل الخيام ولقاء مع المجاهد الحاج أحمد خشيش الذي كان مع أولاده داخل المعتقل وأيضاً الأسير المحرر أحمد يحيى الذي بدأ يشرح آلام العذاب داخل السجن والأسير المحرر محمد نايف .. هؤلاء الرجال الذين وصلوا إلى بوابة فاطمة بزحفٍ جماهيري مقدس.. إن أرض الخيام خصبة بالخيرات الزراعية ومطوقة بجبال لبنان وفلسطين، ونجد أيضاً لقاء مع وزير الأمس ونائب اليوم علي خليل من سكان الجنوب الذي وقف وسط عرس جماهيري وبدأ يشرح عبر منظاره السياسي عن رجال المقاومة الذين حرروا الجنوب، ونظرة بسيطة إلى الماضي عندما كان العالم يشاهد الشعب اللبناني وهو يرتدي أفخر الثياب برفاهية عالية مرصعاً بورق التفاح قصب الحرير، وعندما بدأ النفير إلى الجهاد شاهد العالم على الخط الثاني الشعب اللبناني يرتدي قنابل التفجير لهزيمة شامير بقوة من العلي القدير، ونتابع المنار مع أعراس الجنوب ويوم التحرير مع الشيخ محمد مقداد وإني أسوق مشاهده على سباق التسليح وهو سباق مجنون بين الغالب والمغلوب، أميركا تسلقت قمة التجبر العالمي وأصبحت أكبر قوة ضالعة وغاشمة في وقوعها في أحضان الصهاينة ولكن دخل على خط قوة التسليح بين السلاح الأميركي الصهيوني والسلاح الأقوى والأمضى هو سلاح الاستشهاد المدعوم من رب العباد.

- ما أجمل أن يرى الإنسان في جنوب لبنان البطل العربي ديكول وهو يقف على خط النار حتى يعري الصهيونية ذنب الاستعمار والتي لبست ثوب الذل والهزيمة والعار وهزمت أمام المقاومة وأمام المقاوم الإسلامي المغوار .. إن تحرير القدس هو أجمل مشوار وهذا البطل الذي خرج من معتقل الخيام وهو أقوى صلابة أمام العدوان الصهيوني لأنه نبتة نضالية جميلة نبتت مع الربيع الأخضر عل ربى لبنان الأجمل والبطل ديكول النسيج الأقوى في خارطة النضال والأحرار سياج الدار وهو الأمثولة الحية للوحدة الأخوية المسيحية الإسلامية مثلما آمن برسالة السيد المسيح وآمن أيضاً برسالة سيدنا محمد علي الصلاة والسلام ومن هذه الزاوية حمل السلاح تحت مظلة حبه للبنان.

- من أقوال إمام المجاهدين السيد حسن نصر الله: كانت مستعمراتهم بعيدة عشرات الكيلو مترات عن المقاومة الإسلامية وكنا لا نخشاهم وكيف نخشاهم الآن ومستعمراتهم تحت أقدام المقاومة الإسلامية.

هذا هو كلام الشجاعة والشجعان قائد الفرسان سماحة السيد حسن نصر الله

إن العالم العربي أيها الأخوة يعيش قواسم مشتركة مع أفراح النصر في جنوب لبنان وهناك نقل حي ومباشر في يومي ٢٥و٢٦ أيار ولقاءات المذيعة فاطمة عواضة من القرى الحدودية إن المذيعين والمذيعات على خط النار فرسان جهاد انطلقوا إلى مهمتهم الإعلامية من أجل نشر الزهور الحمراء من الدماء الزكية على دروب الحرية والمذيعة فاطمة عواضة التقت مع هاشم عوض عضو البرلمان البناني من كفرشويه ومن هناك من الأرض الخصبة والخيرات الزراعية شاهدنا المجاهدة الحاجة فاطمة بري التي حولت بيتها إلى قاعدة للمقاومين، ومن هناك أيضاً تم اللقاء مع أسرة الشهيد علي ابراهيم وقدم والدا الشهيد والدته ووالده قصيدة ترمز معانيها إلى فرحة النصر في عيد التحرير وذكر أن الشهيد على إبراهيم كان يمد يد المساعدة لمساعدة الفقراء .. عزيزي القارئ ليس هناك على هذه الأرض فرحة تعادل فرحة النصر وليس هناك دماء زكية نبتت على دروب الحرية أجمل من دماء الشهداء حيث انطلقت قنابل مضيئة زينت نجوم السماء وليست هناك أعراس حققت السعادة أجمل من سعادة الانتصار، وها هو الشعب العربي له قدسيته في جنوب لبنان والشعب العربي له التصاق عضوي مع أعراس النصر للمقاومة عبر قناة المنار من المواقع الأمامية والتي تنقل وصفاً حياً في لقاء مع أسرة إمام المقاومين وإمام المجاهدين الشيخ أحمد محمد يحيى وكثيرة هي الشهادات التي انصبت بتمجيد هذا الانتصار وكان يردد أنشودة الجهاد والشهادة التي زرعها في روح أبنائه، وشهادات الأصدقاء الكثيرة تؤكد سجايا هذا البطل المجاهد مع أبنائه وبناته.

ـ هنا ك تساؤلات إعلامية معادية قالت بأن سماحة السيد حسن نصر اللّه يتكلم من موقع المباهاة ... والرد على هذا التساؤل الإعلامي المعادي أن سماحة السيد حسن نصر اللّه يتكلم من موقع العزة للّه والرسول والمؤمنين.

والعزة للّه دائماً وهو ربٌ رؤوم، لذلك نجد أن سماحة السيد حسن نصر اللّه يرتدي ثوب العزة من اللّه لأنه مرآة صادقة في إخلاصه إلى اللّه ..

((ألا إن حزب الله هم الغالبون)).

ـ ما أجمل أن يرى المواطن العربي المجاهدة الباسلة المذيعة فاطمة عواضة وهي تنتقل من خط إلى خط المواجهة عبر هذا الوهج الإعلامي ونسيج الكلمات السياسية الثقافية ولقاءاتها المتكررة مع أسر الشهداء والمحررين من سجون العدو الصهيوني، وهذا النقل من خط المواجهة مع العدو الصهيوني وهي تنثر باقات الأزهار في حدائق النوار الاستشهادية ..

إنها المخزون العالي للثقافة السياسية العالمية وما أجمل أن يرى المواطن العربي هذه المجاهدة الباسلة فاطمة عواضة وهي تقف على جبهة أخرى ولكن هذه الجبهة ليست جبهة معادية إلى لبنان ولكنها جبهة سياسية صديقة إلى لبنان وشعبه وهي الجمهورية الفرنسية بقيادتها الحرة الرئيس الفرنسي الذي لا يقل شاناً عن ديغول الذي حرر فرنسا من القوات الألمانية وخاصة هذا الرئيس الحر وهو يستقبل ضيفه القائد العربي رئيس الجمهورية اللبنانية إميل لحود هذا القائد العربي الذي يحمل في جعبته الهم الوطني اللبناني وصيغة وحدته الوطنية وإميل لحود هو درع الكرامة العربية في المحافل الدولية في الدفاع عن عروبة لبنان وسورية وأما المذيعة فاطمة عواضة وهي تنقل وصفاً حياً للاستقبال للرئيس الفرنسي لضيفه إميل لحود وتقف أمام قصر الإليزيه تلك المذيعة التي تحمل أجمل اسم وهو اسم فاطمة الزهراء أعظم إنسانة على الوجود ولكن فرسان المنار دائماً كانوا يغطون الساحات العربية في المجالات الإعلامية وخاصة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

أحمد محمد عطا الله الزعبي

رسالة أخوية موجهة

إلى السيد رفيق الحريري رئيس الوزراء البناني

من السيد ناصر محمد خير الحريري عضو مجلس الشعب السوري موضوعها

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي ..

ـ ضمن إحساس عال بالمسؤولية وفي جو تسوده الروح المعنوية الأدبية قام السيد ناصر محمد خير الحريري عضو مجلس الشعب السوري ممثلاً عن منطقة حوران بإرسال رسالة أخوية إلى السيد رفيق الحريري رئيس مجلس الوزراء اللبناني تضم بين سطورها روح الأخوة والألفة بين الشعبين الشقيقين وبين الحكومتين .. وقد أوضح السيد ناصر الحريري هذه المشاعر الصادقة من خلال نهجه الوطني والتزامه بقضايا وطنه وأمته وهذا ليس غريباً عليه فهو سليل عائلة لها تاريخها البطولي الخالد في مقارعة الاستعمار التركي والفرنسي، وليس غريباً عليه هذا الالتزام الوطني وقد تعلمه عن والده محمد خير الحريري الذي كان يشكل واجهة نضالية واجتماعية في المجتمع الحوراني أثناء مقاومة الاستعمار الفرنسي وبعده، وهنا السيد ناصر الحريري عضو مجلس الشعب السوري يشرح ويوضح للسيد رفيق الحريري مدى التزام الكاتب أحمد محمد عطا الله الزعبي بقضايا أمته وبحقائق التاريخ الغامضة وغير المدونة والتي كاد يطويها النسيان كما ويشرح السيد ناصر الحريري للسيد رفيق الحريري مدى الاهتمام ومدى الحفاوة التي لقيها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي في القصر الجمهوري وفي مراكز القيادة السورية ومدى الاهتمام البالغ من قبل المسؤولين السوريين بمؤلفي الكاتب أحمد محمد عطا الله الزعبي وهما: ((صور مشرقة من نضال حوران)) و ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين))، ويتمنى السيد ناصر الحريري على السيد رفيق الحريري أن يكون لكتاب المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي الجديد بالغ الاهتمام لدى القيادة اللبنانية ولديه، وفعلاً كانت هناك استجابة واضحة وكريمة من السيد رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري بتكريم الكاتب السوري أحمد محمد عطا الله الزعبي، سنطلعك عليه عزيزي القارئ عليها بعد أن نضع بين يديك نص الرسالة التي أرسلها السيد ناصر الحريري عضو مجلس الشعب السوري إلى السيد رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري ..

وفيما يلي عزيزي القارئ نص الرسالة كما ورد:

((نص الرسالة))

المرسلة من ناصر الحريري عضو مجلس الشعب السوري
إلى
السيد رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ الفاضل ابن العم دولة الرئيس رفيق الحريري حفظه الله ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أرجو من الله العلي القدير أن يكلأكم دائما بثوب العزة والصحة ليبقى عملكم وثيقة أساس من وثائق عصرنا شهد لها تاريخنا المعاصر ،

أمدكم الله من عنده بالعون والقوة ليزداد بحركم فيضا وعطاءً ،

ابن العم الفاضل :

إن الكاتب السوري الأستاذ أحمد عطا الله الزعبي من كتابنا المجدين والمجتهدين والذي نذر نفسه للتاريخ وحقائقه فقدم منه ما تيسر له ويبحث عن المزيد ودعما لموقفه فقد أكرم في سورية وأحتفي به القصر ويأمل من جنابكم أن يكون لكتابه حظوة ورعاية ليصار إلى طبعه في لبنان ،

ودمتم ذخرا للوطن والجميع

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشيخ ناصر محمد خير الحريري



الرسالة الموجهة من السيد رفيق الحريري
رئيس مجلس الوزراء اللبناني إلى
المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

بعد أن اطلع السيد رفيق الحريري رئيس مجلس الوزراء اللبناني على المؤلفين المرسلين إليه من الكاتب السوري أحمد محمد عطا اللّه الزعبي وهما: ((صور مشرقة من نضال حوران)) و ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين))، بعد أن اطلع عليهما سيادة رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري لم يجد بدّاً من التعبير عن إعجابه الكبير بهذين المؤلفين وبالجهد الكبير الذي بذله المؤلف السوري أحمد محمد عطا اللّه الزعبي في كتابتهما وتأليفهما ..

الروح الأدبية والوطنية الصادقة التي تسكن عقل وجسد السيد رفيق الحريري جعلته لا يخفي إعجابه بهذين الكتابين، وانطلاقاً من قوميته الصادقة والتزامه الوطني العميق بهذا الوطن وبهمومه فقد أرسل رسالة خاصة إلى المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي مؤلف هذين الكتابين يشرح فيها إعجابه بالكتابين وبما يحتويان من تاريخ نضالي وقومي مشرف لهذه الأمة كما ويهنئ الكاتب أحمد محمد عطا اللّه الزعبي على الجهد الذي بذله في تأليف هذين الكتابين وإخراجهما إلى النور لأنهما ينطويان على صور مشرقة ومشرفة من التاريخ الذي نعتز به وقدرة الجانب التوثيقي فيهما الذي ينير الكثير من الجوانب التاريخية، وكما يبدي إعجابه بالرسالة المرفقة بالكتابين والتي قام بإرسالها المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي للسيد رفيق الحريري رئيس مجلس الوزراء اللبناني ويبدي تأثره الكبير بالعاطفة الصادقة وبالشعور القومي الصادق فيهما، وهو يبدي أسفه الكبير لأن الظروف لم تسمح له بلقاء المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي وفي ختام الرسالة يتمنى له دوام التوفيق والنجاح، هذه اللفتة الكريمة والمعطاءة من السيد رفيق الحريري رئيس مجلس الوزراء اللبناني تركت في نفس المؤلف الكثير من مشاعر الحب والألفة والشعور الوطني المشترك بين البلدين الشقيقين سورية ولبنان وهذه اللفتة الكريمة من السيد رفيق الحريري تركت في روح المؤلف الود والاحترام الكبيرين لشخص السيد رفيق الحريري ممثلاً حكومةً وشعباً وهو يرجو أن يظل دائماً عند حسن ظن الجميع به.

وفيما يلي عزيزي القارئ نص الرسالة المرسلة من رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني إلى المؤلف السوري أحمد محمد عطا اللّه الزعبي.

((نص الرسالة))

المرسلة من السيد رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني إلى المؤلف السوري أحمد محمد عطا الله الزعبي

الجمهورية اللبنانية

بيروت في ١٨ آب ١٩٩٩

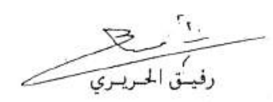
حضرة الأستاذ احمد محمد عطاالله الزعبي المحترم

درعـــا

تسلمت بسرور كبير مؤلفيك « صور مشرقة من نضال حوران » و« سيوف تشرين تعانق سيوف حطين » ، وكذلك الرسالة اللطيفة المرفقة بهما ، وقد تأثرت بالعاطفة الواردة فيها ، وبشعورك القومي الصادق وعمق تحسسك بالنضال المشترك . واني آسف ان الظروف لم تسمح بلقائك

وأود ان أهنئك ايضاً على الجهد الذي بذلته في وضع هذين الكتابين القيمين اللذين ينطويان على صور مشرقة من التاريخ الذي نعتز به ، وقدرت الجانب التوثيقي فيهما الذي ينير الكثير من الجوانب التاريخية .

اني اذ أشكرك اتمنى لك دوام التوفيق والنجاح .



رفيق الحريري

نص الرسالة الموجهة من الدكتور جورج حبش

إلى

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

كذلك عزيزي القارئ قد احتفى المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي بالرسالة المرسلة إليه من الدكتور جورج حبش وقد تركت كلمات الدكتور جورج حبش في نفس المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي الكثير من مشاعر الفخر والاعتزاز والشعور بالمسؤولية الوطنية والتاريخية تجاه الأمة واتجاه القضية الفلسطينية التي يعتبرها المؤلف قضية الوطن كله.

ويشكر المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي للدكتور جورج حبش هذا الاهتمام بكتابيه ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين)) و ((صور مشرقة من نضال حوران)) ويشكر له ثقته والتفاتته الكريمة.

ويذكر الدكتور جورج حبش بأنه تلقى باعتزاز كبير مؤلفات المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي وبنفس الوقت يحيي الجهد المتميز الذي يساهم في إعادة الروح إلى حركة النضال العربي البطولي المجيد.

كما يؤكد ثقته بأن الكتاب جاء خدمة كبيرة ووطنية للأمة العربية وخاصة في هذه الظروف، وفيما يلي نص الرسالة:

نص الرسالة المرسلة من

الدكتور جورج حبش

إلى المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

السـرقم : ____________



الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

التاريخ : 22-9-1994

الأخ الأستاذ أحمد الزعبي،

تحية عربية وبعد،

تلقيت باعتزاز كبير كتابكم - صفحات مشرقة من نضال حوران - وفي الوقت
الذي أحيي فيه هذا الجهد المتميز الذي يساهم في إعادة الروح إلى
حركة النضال العربي، وتذكير الأجيال بتاريخ الكفاح العربي البطولي المجيد
فإنني أؤكد أن الثقافة الحقيقية هي التي تضع نفسها في خدمة الجماهير
وأهدافها، وكلي ثقة بأن كتابكم جاء في هذا السياق ومساهمة منا
في إسناد هذا الخط فقد قررنا شراء عشر نسخ من كتابكم وبمناسبة
لمكتبتنا.

أحييك مرة أخرى على هذا النتاج القيم،

وإنا معاً لمنتصرون

الدكتور: جورج حبش

برقية حب ووفاء

من المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي إلى سماحة السيد حسن نصر الله وجميع جنود المقاومة الإسلامية الباسلة بمناسبة الاحتفال بيوم التحرير وإلى تلفزيون المنار.

نص البرقية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مشارف حوران أحيي تلفزيون المنار وفرسانه المجاهدين ورافعين الجبين هذا المنبر الإعلامي الذي بث الروح المعنوية في الوطن العربي والإسلامي .

إن اليهود معول هدم على الجنس البشري بل هم معول هدم على رسالات السماء. نرجو من الله أن يقتلع جذورهم من فلسطين على سواعد الانتفاضة حتى تعود القدس حضانة للرحمة للإسلام والمسيحية. ولكنها مقبرة للصهاينة والثمن الغالي لإعادة القدس هو المزيد من قوافل الشهداء.

إنهم الأبناء الذين زرعوا وروداً حمراء من دمائهم الزكية على درب الحرية وأرواح الشهداء هي القناديل المضيئة في كبد السماء.

إنها أجمل ضياء من روح الفداء الفلسطيني ومن جنوب لبنان بزغت شمس الحرية من فوهة البندقية الإسلامية اللبنانية بقيادة حزب الله وسماحة السيد حسن نصر الله حليفنا من المجاهدين على سيف الله وصلاح الدين الأيوبي.

المؤلف أحمد عطا الله الزعبي

رؤية المؤلف للصهيونية

إن الماسونية العالمية تم نسيجها الأقوى من خيوط الصهيونية. وهذا وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو من أجل تمزيق الوطن العربي.

مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا. جاءت هذه الاتفاقيات خدمة مجانية للمشروع الصهيوني وتقاسمت الأدوار الدول الغربية لهذا التآمر استعمار الأمس بريطانية وجاءت سيدة التجبر العالمي أمريكا اليوم متممة للاستعمار البريطاني بالأمس والدولتان هما وجهان لعملة واحدة.

والصهيونية العالمية نبتت في أحضان سياسة استعمارية. وفي الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٢ استخدمت بريطانيا وفرنسا المرآة الصهيونية عكازة للتجسس على القوات الألمانية.

وكان في أولويات التجسس بث العنصر النسائي من الفتيات الصهيونيات على المؤسسات الصناعية وعلى مواقع أصحاب القرار السياسي في الحكومة الألمانية.

هؤلاء الفتيات كن وسيلة متعة في أحضان الرذيلة الجنسية المعروف عنها عبر التاريخ الصهيوني بأنه أرخص مادة لديها هن الفتيات.

وقامت حكومة المانية بعقوبة جماعية بحق اليهود وهذا حق طبيعي لكل شعب يحمي وطنه من معاول الهدم الصهيوني على الجنس البشري وعلى رسالات السماء. وهم نباتات خبيثة في الوسط العربي.

نرجو الله أن يقتلع جذورهم من فلسطين على سواعد رجال الانتفاضة حتى تعود القدس حضانة الرحمة للإسلام والمسيحية.

وسلاح البترول العربي تحول إلى قوة اقتصادية للدول الغربية وآلة رعب من الأسلحة النووية ولو تم توظيف البترول العربي في وسائل التصنيع الحربي فإنه سوف يكون انقلاباً بخط المعادلة من العدو الصهيوني إلى الصديق العربي.

إن التاريخ نبض حي للشعوب. والشعب العربي هو شعب حر أشرقت هويته التاريخية بنور الإسلام تحت مظلة القرآن وإن كانت المحن هي مدرسة لتصفية معادن الشعوب. والشعب العربي زادته المحن مع إسرائيل أصالة جهادية وقوة اتحادية.

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

اضاءة على نضال حوران

بقلم المؤلف

إن الخطاب التاريخي والسياسي هو الخميرة الطيبة للعجينة العربية والشعب الذي لا يحمل هوية تاريخية يسير في نفق الظلام والتاريخ هو القراءة الأولى للشعب العربي حيث نزلت أول قراءة ((اقرأ باسم ربك الذي خلق)). إنها الصياغة التاريخية وضعت على صدر التاريخ العربي وسام العزة لله والرسول والمؤمنين.

والشعب العربي شعب حي لم ينسلخ عن هويته التاريخية إن الآباء هم النسج الأقوى للصياغة التاريخية ولكن حوران مظلومة بالسرد التاريخي رجال نسيهم المؤرخون وخلدهم التاريخ وحملوا البندقية وقاتلوا بكبرياء واستشهدوا بصمت إنهم الآباء الذين زرعوا وروداً حمراء من دمائهم الزكية على دروب الحرية إنها صفحات مشرقة إلى هذه المحافظة الباسلة ومن هذه الزاوية سرت على هذا الدرب الصعب حتى أضع بقعة الضوء في هذا النفق المظلم الذي لفه الضباب بالنسيان ومحافظة حوران لها التصاق عضوي بالجهاد الوطني إلى جانب المحافظات الأخرى وكتابي الأول /صور مشرقة من نضال حوران/ يحتوي على مراجعة تاريخية عربية وأجنبية كتاب لورانس البريطاني والضابط الدمشقي صبحي العمري وفايز العضين مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والدكتور عبد الرحمن شهبندر هذه المذكرات وسيف الدين العجلوني (حوران الدامية) أحمد ابراهيم الادلبي سورية في جهادها الدامي المقدس أدهم الجندي تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي الشهيد محمد سعيد العاصي حماة مترجم كتاب جنرال كاترو ملك دمشق معلومات ميدانية للرجال الذين اشتركوا بالتصدي للحكم التركي والفرنسي مذكرات حسين مقداد وأيضاً كاتبة مصرية خيرية قاسمية ويحتوي هذا الكتاب على مرحلتين. الأولى في العهد التركي والفرنسي، والثانية في العهد الفرنسي. وأما الأولى: انطلقت رموز نضالية من حوران بقيادة طلال حريذين وعقدوا مؤتمر مدينة السلط بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ونسق المؤتمرون توزيع الأدوار على كل قطر والإمكانية الاقتصادية والجهادية حتى يتم تسيير الشارع العربي تحت قيادة الثورة العربية الكبرى وكان الشعب السوري الأردني هو النسيج الأقوى في خارطة الثورة السورية الكبرى وبدأ

إعلان الثورة العربية الكبرى في ٢ حزيران ١٩١٦ في إطلاق الطلقة الأولى من الشريف حسين من شرفة قصره واهتزاز الأرض العربية تحت أقدام القوات التركية وطغيانها ...

وبدأت الانتصارات للثورة العربية الكبرى تتحدر من الأرض الحجازية إلى تحرير العقبة وبعدها دخل الملك فيصل مدينة درعا في ٢٨ / أيلول / ١٩١٨ وحينها رفع العلم العربي على سرايا الحكومة في مدينة درعا وبدأت الثورة تطارد فلول القوات التركية المهزومة ودخل الملك فيصل مدينة دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ وبعد أن رفع علم الثورة العربية الكبرى على سرايا الحكومة وتم ترتيب السلطات الأمنية والإدارية وألقى خطبة العرش الملك فيصل ولكن الاستعمار الفرنسي من أول أهدافه تهديم هذه الثورة وإطفاء مشاعلها المضيئة في سماء دمشق وأرسل الجنرال غورو الإنذار الثاني من أجل خروجه.

وفعلاً توجه الملك فيصل إلى مدينة درعا عن طريق الكسوة وبعدها أقيمت الحكومة العميلة لفرنسا بقيادة علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء آنذاك الذي تعهد أن يشتري زعماء حوران بالذهب الفرنسي، وحين وصولهم إلى الخربة تم استقبالهم في محطة خربة غزالة على الطريقة الوطنية الحورانية وكان الموت ينتظر العملاء على مشارف الخربة وتفجرت الثورة في جنوب سورية في محافظة السويداء ودرعا.

ومحافظة درعا آخر محافظة دخل عليها الجيش التركي وأول محافظة رحل عنها .

الفصل الأول

الباب الثالث

السويداء مدينة الخلود والنضال
ومأثرة القائد الأسد
بإعمار مساجد الله فيها

حينما يرتفع البنيان في إقامة مساجد الإيمان تحت مظلة الرحمن بها نقهر العدوان الصهيوني لذلك امتدت الأيادي السخية للقائد العربي المؤمن حافظ الأسد في إقامة المساجد عبر المحافظات السورية، وعبر هذه المساجد تم تعليم حفظ القرآن الكريم، وانطلاقاً من بعد النظر للقائد المؤمن حافظ الأسد بأن المساجد هي القاعدة الأولى لنصرة الإسلام، وهنالك مقولة لعبد الرحمن الغافقي الذي فتح بلاد المغرب وقد قال: (سوف أزرع المساجد على هذه الأرض ويكون لها ربط مباشر مع قدسية السماء) وقال أيضاً: (إذا كان فوق السحابة معلومة تفيد الإسلام سوف أحصل عليها حتى تكون اشعاعاتها الإيمانية مزروعة في القلوب). وإن محافظة السويداء دخلها برنامج إعمار المساجد كمثيلاتها في المحافظات الأخرى، وهنا يقف الإنسان حتى يستعرض زمان ومكان جبل العرب وأهله الذين دخلوا بصراع على أرض لبنان قبل عام ١٨٦٠ م مع حفنة صليبية من الطابور الخامس المتقدم للاستعمار الغربي، وبدأ بني معروف بالوصول إلى أرض الحب والمحبة وهو جبل حوران ولكن الاستعمار التركي أراد أن ينتزع الهوية الوطنية من هذا الشعب المؤمن بعروبته وعقيدته الإسلامية وأطلق الحكم العثماني الاستعمار الفرنسي بأن هذا الجبل هو جبل الدروز ولكن هذه التسمية لم تسعد القائد الراحل جمال عبد الناصر حيث أطلق الاسم البديل بتسمية جبل الدروز بجبل العرب ولكن الطورانية التركية أرادت من هذا الجبل أن ينسلخ من هويته العربية والبديل هو التتريك والالتحاق بالهوية الطورانية التركية والبشوات المنحدرين من جذور صهيونية، وما أن تحررت سورية من الحكم التركي حتى جاء البديل وهو الاستعمار الفرنسي، وهذه مناوبة استعمارية على أرض سورية الحبيبة وكثير من سكان هذه المحافظة من البدو وعشيرة المساعيد قد أقاموا في بناء حديث في المدن والقرى في جبل العرب ونشروا الحضارة وهناك مقولة لسيدنا عمر بن الخطاب تقول: (توصوا بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام).

إن بيت الشعر وطبيعة الصحراء لم تسلخهم عن جلدتهم الإسلامية حيث نرى في عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ذهبت نخبة مثقفة من شباب بني معروف إلى الجامع الأزهر ليتعلموا العلوم الإسلامية الدينية وعلى سبيل المثال قال لي الأستاذ عبد

الله الأطرش عضو مجلس الشعب إني خريج جامعة الأزهر وقال هناك الكثير من الشباب المثقف بدأت تتفتح في قلوبهم وعقولهم نفحات الإيمان وتوجهوا إلى المساجد حتى ينهلوا من ينابيع الإسلام السمحة وإن الرئيس المؤمن حافظ الأسد قد أطلق أياديه الكريمة في إعمار المساجد وإنه لم ينس محافظة السويداء، ومن توجهات القائد المؤمن انطلقت الأيادي الخيرة إلى زرع (٤٢) اثنان وأربعون مسجداً في محافظة السويداء من الحدود الأردنية جنوباً وحتى حدود محافظة دمشق شمالاً، وقد كلمني هذا الشيخ الشاب وهو يملي علي هذه المعلومات والفرح يغمر قلبه من هذه الظاهرة الحية والحيوية في روح الإسلام الساكن في قلوب البدو وعلى مقدمتهم عشيرة المساعيد الذين انتقلوا من بيت الشعر إلى بيوت الحضر في جبل العرب الأشم وإن بيت الشعر غير المستقر في أي مكان كان من العوامل التي أخرت وصول المرشدين من المشايخ إلى أماكن تواجدهم وكذلك بني معروف الذين حيرت حياتهم المسالك الوعرة وكان عدم وصول رجال العلم والفقه إلى هذه المحافظة في عهد تركيا وفرنسا من ضروب المستحيلات، وجاء القائد العربي جمال عبد الناصر الذي فتح قلبه إلى الأزهر الشريف لاستقبال شرائح مثقفة في محافظة السويداء وقد قال لي هذا الشيخ أنه لا يسع الإنسان من سكان جبل العرب إلا أن يقف بإجلال وإكبار أمام فضيلة الشيخ عبد العزيز أبازيد مفتي حوران الذي قام بعدة زيارات إلى جبل العرب وأطلق خطباً كثيرة في النصح والإرشاد في هذه المساجد وكذلك كانت له اليد الطولى في تقديم الخدمات الفنية والمادية في سبيل إعمار المساجد في محافظة السويداء إنها صفحات مشرقة لهذه المحافظة الباسلة التي أطلقت الحكم العثماني والفرنسي وكان من أعظم المحاولات الاستعمارية هو انتزاع العقيدة الإسلامية من عروبة هذا الجبل، وبقيت رايته مرفوعة والقلوب مملوءة بحب الإيمان والإسلام. لقد انصبت القلوب والعقول من بني معروف وبدو الجبل حيث التقت قلوبهم حول هدف واحد وهو نور الإيمان في إطاعة الرحمن وبها الوصول إلى نصرة الإسلام.

القنيطرة: مدينة البعث

مدينة القنيطرة المحررة ولقاء المؤلف مع العميد عبد الهادي الكفري معاون قائد شرطة المحافظة ومعلومات ميدانية عن طبيعة ونضال القنيطرة.

محافظة الجولان هي المحافظة الرابعة عشرة في سورية: تقع في الجزء الجنوبي الغربي من القطر العربي السوري وتمتد على مساحة /١٨٦٠/ كيلو متر مربع.

لا يزال ثلثي هذه المساحة أي /١٢٦٠/ كيلو متر مربع تحت نير الاحتلال الإسرائيلي الغاشم وهناك /٦٠٠/ كيلو متر مربع محرر تحت السيادة السورية.

للجولان مميزات فريدة:

١ـ الموقع الاستراتيجي كونه يقع بين ثلاثة أقطار عربية متجاورة أي عقدة الوصل بينها وهي: لبنان ـ فلسطين المحتلة ـ الأردن وعبر فلسطين هناك طريق إلى مصر الشقيقة.

٢ـ التربة الخصبة ووفرة المياه وغزارة الأمطار ـ كل هذه المميزات جعلت من الجولان مطمعاً لإسرائيل وهدفاً لأغراضها التوسعية.

قامت إسرائيل بغزو الجولان عام ١٩٦٧ معتمدة على نظريتها التوسعية ومدعمة من قبل قوى الشر في العالم ولا سيما العالم الغربي وعندما دخلت إسرائيل الجولان قامت بعمليتين اثنتين.

١ـ طردت جميع السكان بالقوى المسلحة والذين كان عددهم حوالي (١٥٢) ألف نسمة ثم قامت بتدمير القرى والمزارع والبلدات تدميراً كاملاً ومنظماً ومتعمداً فقد دمرت إسرائيل حوالي (٢٤٤) قرية وبلدة ومزرعة. وقامت بسرقة الآثار التي تدل على الحضارة العربية والإسلامية ولخلق تغيير ديمغرافي في المنطقة لم ينجُ من التدمير سوى خمسة قرى تقع في شمالي حوران وهي على التوالي ـ مجدل شمس ـ مسعده ـ بقعاتا ـ عين قنية والغجر وهي لم تدمر بسبب وصول قوات الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي بشكل مبكر ويسكن هذه القرى اليوم حوالي (٢٢) ألف وبعد التحرير جاءت لجنة تقصي الحقائق وبحثت ما حدث بشكل دقيق وأخلصت إلى تقرير إدانة يدين العمليات الوحشية واللاإنسانية التي افتعلتها قوات الاحتلال أثناء احتلالها للمدينة. ويقول التقرير بأن هذه المدينة لم تدمر بفعل عمليات عسكرية وإنما دمرت بشكل متعمد ومنظم وكامل.

وقد قامت الحكومة السورية ووفقاً لتوجيهات خاصة من سيادة الرئيس الأسد ببناء (١١) قرية نموذجية في المنطقة المحررة وزودت هذه القرى النموذجية بكافة متطلبات الحياة الضرورية وأقامت السدود واستصلحت الأراضي.

وأعادت الإنسان الذي أجبر على ترك أرض آبائه وأجداده إلى هذه القرى أي بلده كل ذلك لترسيخ هذا الإنسان بأرض أجداده وآبائه.

- سكان الجولان يتوزعون الآن على الشكل التالي:

١- هناك حوالي (٢٢) ألف نسمة في القرى الخمسة المحتلة في الجولان السوري المحتل.

٢- حوالي (٦٠) ألف نسمة في المنطقة المحررة التي هي تحت السيادة السورية.

٣- وهناك حوالي (٤٠٠) ألف نسمة يعيشون في أربع محافظات سورية - دمشق وريف دمشق - درعا وقليل منهم يعيش في محافظة حمص ويعيش هؤلاء السكان في تجمعات سكانية مؤقتة ينتظرون بشوق يوم العودة لبلادهم وقراهم التي جردوا منها ويقارب عددهم الكلي الآن حوالي النصف مليون نسمة وهناك قصص طويلة ومأساوية بالوقت نفسه منهم يتعرضون يومياً لأقسى وسائل الاضطهاد والبطش والممارسات التعسفية والعدوانية وقد حاولت إسرائيل أن تفرض عليهم الهوية الإسرائيلية والقوانين الإسرائيلية إلا أنهم قاوموها بكل ما لديهم من وسائل ورفضوا ممارساتها ورفعوا شعار المنية ولا الهوية وقد أعلنوا اضرابهم المفتوح منذ عام (١٩٨٢) وحتى الآن وهم محرومون من أبسط حقوق الإنسان في الحياة من تعليم وزراعة وعناية صحية بالإضافة إلى أنهم يعانون في الضرائب الباهضة التي تثقل كاهلهم ولا يكاد يخلو بيتاً إلا وفيه شخصاً أو أكثر يقيم في السجون الإسرائيلية وهم يشاركوننا سنوياً في مناسباتنا الوطنية والقومية ويعبرون فيها عن ولائهم المطلق وانتمائهم إلى وطنهم الأم سورية وقائدهم الرمز الرئيس حافظ الأسد.

- إن مدينة القنيطرة هي عاصمة محافظة الجولان وقد كانت مدينة هادئة وآمنة وجميلة إلى أن دخلتها القوات الإسرائيلية الوحشية وأحلت بها الخراب. فقبل أن تنسحب القوات الإسرائيلية منها وفي غضون عشرة أيام قبل انسحابها احضرت الديناميت والبلدوزرات وقامت بتدمير المدينة بيتاً بيتاً ومؤسسة مؤسسة إلا أن دمرتها بشكل كامل وحتى دور العبادة من مساجد وكنائس لم تنجُ من التدمير.

- تم الحديث عن موقف سورية حيال عملية السلام ومطالب سورية الواضحة وجهودها الحقيقية والمخلصة خلف قيادة السيد الرئيس حافظ الأسد والرامية لتحقيق السلام العادل والشامل الذي يعيد الأرض إلى أصحابها الشرعيين ويعطي كل ذي حق حقه السلام الذي يرفع الظلم ويزيل العدوان ويعيد الأرض إلى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ .

القنيطرة مدينة البعث ١ / ٣ /١٩٩٧

كيف أنساك يا لبنان

هذه بطاقة حب ووفاء من المؤلف إلى لبنان سهلاً وجبلاً وشعباً إلى كل الحكام العرب في كل الوطن العربي ودعوة وطنية لمقاطعة الصهيونية

بسم الله الرحمن الرحيم

هاهو سهل حوران الأخضر يحي جبل لبنان الأحمر الذي يفوح منه المسك والعنبر والذي تعطر بأريج دماء الشهداء الأنظر. كيف أنساك يا لبنان وهل تنسى الأرض المطر كيف أنساك يا لبنان وهل تنسى الثمار الشجر. كيف أنساك يا لبنان وهل تنسى النجوم القمر.

إن إسرائيل غاصت في بحر الطغيان بعد أن ركبت قارب الشيطان عدو الإنسان. أمريكا وذنبها إسرائيل.

يا حكام الأنظمة العربية اقطعوا علاقاتكم الدبلوماسية مع الصهيونية.

إن البحور الشعرية عاجزة عن وصف حركة تلاطم الأمواج النضالية وهذه الأمواج سوف تقذف هؤلاء الحكام إلى شواطئ النسيان.

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

رسالة إلى حوران

قصيدة شعرية للعميد جميل مرعي

عشقت ثرى حوران في الضيق والرغد
وأعطيته خفق الفؤاد بما عندي

وحبي إلى حوران أضحى عبادة
وعاهدته والقلب باقٍ على العهد

أناجيه في سري وعيني حزينة
تفيض بدفعات الدموع على الخد

ولم أخف ما ينتابني من مشاعر
كأني وسيل الذكريات على وعد

إليه خصوصيات حب معبر
وقد زفت البشرى طيوفاً من السعد

صغيري على كفيه أبصر نوره
فيا طيب أرضاً أنجبت فلذة الكبد

روت قطرة من مائه العذب ثغره
زلالاً وقد أحيته إحياءه الورد

تجولت في وديانه وسهوله
فلم ألق في كل الدروب سوى المجد

بوديانه سحر الطبيعة مائل
وشلاله يروي الرياض إلى تود

سمعت تراتيل الخلود بشدوه
وشاهدت ما يجري على جنة الخلد

تناجيت مع همس الزهور صباحه
وفي هداءة الليل الشجي مع الزهد

على ضفة اليرموك في ظل دوحة
تأملت مشدوهاً ورأسي على زندي

هنا خالد أزهى الحياة بسيفه
وماتت على الأوحال أسطورة الجند

وعانقت يا يرموك سيف مغيثنا ... وهنأته بالفوز بالشكر والحمد

وفي السهل خيرات البلاد وفيرة ... مزيج من الفلاح بالدم والجهد

أراه مع الفجر المنير معانقاً ... تراب السهول الخضر بالحر والبرد

صدى المجوز الغريد أشجى مسامعي ... وما أعذب الأنغام من طلة البعد

فمن مفرق السحب لجاسم ... إلى صنمين الخير صوت من الوجد

ينادي وكل العاشقين كأنهم ... يعانون تعذيباً من الهدر والصد

تهيج بي الأشواق عند سماعها ... وتأخذني الأحلام من زحمة الحشد

حلمت بأن البدر دام شعاعه ... عليه وأحلام المحب بلا حد

وسألت من الألبان أنهار جنة ... ومن عسل الزلوع فيه مع الشهد

وعدت لأحيا بالنعيم معاهداً ... بأن أبدأ الأيام فيه من المهد

فو الله يا حوران مازلت هاجسي ... ستحيا بأعماقي ولو في دجى اللحد

العميد جميل مرعي

مدير منطقة درعا سابقاً

قرية الطيبة في حوران
ومعالمها الأثرية وانتماءاتها الوطنية

إن المعالم الأثرية هي المعالم والشواهد الصامتة على الحركات الوطنية والنضالية في حوران بوجه كل الألوان الاستعمارية.

تقع قرية الطيبة على بعد خمسة عشر كيلوا متراً من مدينة درعا وإلى الشرق منها وتحديداً على وادي الزيدي وهناك شبكة سكك حديدية يعود تاريخها إلى عام ١٩٠٤م وتمتد جنوباً إلى الحجاز وغرباً إلى عريش مصر مروراً بفلسطين وشمالاً إلى تركيا وشرقاً إلى بغداد وهناك فرع سكة حديد من بصرى إلى درعا مروراً بقرية الطيبة ويبلغ طوله ٤٠كم وقد سكن الإنسان الطيبة في العصر الحجري الحديث حيث وجدت فيها بعض الأدوات الحجرية التي تشهد على حضارة ذلك العصر وليس التل الذي يتوسط القرية سوى معالم وأطلال مدينة كنعانية يصعب الكشف عن معالمها بسبب إقامة بعض الأبنية الحديثة عليه ويسمى هذا الكوم المرتفع وهو متعارف عليه في قرية الطيبة وبنيت هذه القرية على قمة المرتفع ومن الأبنية التي بنيت عليه منزل محمود علي الزعبي ومنزل عبد الكريم علي الزعبي وعبد الفتاح علي وأحمد علي ومحمد علي وكلهم أبناء الحاج علي الزعبي المعروف عنه بالصلاح وحسن السيرة حيث أقيم مقام قبره على المنحدر الشمالي الغربي من الكوم وإلى الجنوب منه بئر عين زوينة وأقيمت على هذا القبر شجرة تين ولا تزال موجودة حتى الآن ومن المنازل أيضاً منزل عوض سليمان الزعبي وخليل ابراهيم الزعبي وصالح وعلي عدوان الزعبي ومحمد عطا اللّه الزعبي وعوض حسين الجماز وخلف موسى الزعبي وشرقي الكوم منزل مثقال علي الزعبي وطلال ورزق عثمان الزعبي وعيسى هلال الزعبي، ومن الآثار التي تشهد على الحضارة الكنعانية قبر اكتشف بطريق الصدفة في ضواحي القرية ولا شك أن هذا القبر هو جزء من مقبرة كنعانية وجد فيه أوانٍ فخارية وأباريق ذات لون أسود وسطح خارجي لماع حيث كانت تستعمل لحفظ العطور وتعود إلى عام١٨٠٠ق.م وإن كان هذا الاكتشاف لا يوحي بشيء سوى أن هذه المدينة كانت مزدهرة في الدور البرونزي الوسيط وله أهمية إذا ما أضيف إلى بعض المعلومات المتوفرة لدينا عن هذه المدينة في الدور الحجري الحديث وجاز لنا بأن نفترض أن الاستيطان لم ينقطع منذ الدور الحجري الحديث وحتى الآن، فهل احتفظت هذه القرية باسمها القديم وتقول رواية: سميت بالطيبة على اسم المدينة المنورة التي أطلق عليها الرسول الكريم صلى اللّه عليه وسلم اسم الطيبة.

وتقول رواية: سميت بالطيبة لطيب مياهها وتربتها الطيبة وهناك نفق تحت التل الذي يتوسط الطيبة غير معروف إلى أين ينتهي وهناك طاحونة يدور حجرها على الماء فنشأت مع نشأة الطيبة.

أما الطاحونة التي يدور حجرها على النار بنيت عام ١٩١٨م ويوجد في القرية جامع في القسم الجنوبي من التل يطلق عليه اسم الجامع العمري نسبة إلى الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو جامع قديم أما بالنسبة للجسر الذي يقع شرقي الطيبة وفوقه طريق مرصوف بالحجارة يمر هذا الطريق فوق الجسر ويبدأ من أم قيس الأثرية الأردنية يمر بالطرة متجهاً للشرق حتى محطة غرز مروراً بقرية أم المياذن ويتجه شرقاً إلى قرية الطيبة وتوجد محطة لاستراحة القوافل إلى الغرب من الجسر ومن ثم يتجه الطريق الذي يمر فوق الجسر حتى يصل إلى قلعة بصرى الشام وهناك نفق تحت الأرض يبدأ من قلعة بصرى حتى قلعة صلخد في جبل العرب وقد سار في هذا الطريق من الطيبة زعل حسو الزعبي أشجع رجال الزيدي وهذا الطريق المار من فوق الجسر مرصوف بالحجارة بتنسيق حضاري وهذا الجسر تحمله قناطر منحوتة بشكل دقيق يشبه معالم بصرى الأثرية.

وقد روى بعض هذه المعلومات عن هذا الجسر وعن الطريق التي تمر فوقه موسى هلال عدوان الزعبي من مواليد قرية الطيبة عام ١٩٠٤م، وتسمى السهول الممتدة إلى الشرق من الجسر بسهول الرصيف وقد كتب عن هذا الجسر كاتب فرنسي يقول: بأن مستشرق ألماني مر بقرية الطيبة عام ١٨٩٧م وقد اطلع على المعالم الخاصة بهذا الجسر والطريق الذي يمر من فوقه ونعلم من المصادر التي تعود إلى عصر فرعون تحوتمس الثالث عن مدينة اسمها ط.ب أو د.ب ويجب أن تكون في حوران ويستفاد من رسائل تل العمارنة أن مدينة شهيرة اسمها دوبو تقع في حوران أيضاً ويوجد تل أثري اسمه (دبه) إلى الجنوب الغربي من مدينة شهبا في السويداء وبلدة الطيبة حتى لو كانت قراءة الاسم في الحالة الأولى غير موثوقة فهي تدل على وجود مدينة في حوران اسمها ط.ب ومدينة أخرى اسمها دوبو وجاء في سفر القضاة ((٣/١١ ...١ الخ ...)) أن أحد اشقياء جلعاد وهو /يفتاح/ قد فر مع عدد من رجاله إلى بلاد ـ طوب ـ وفي سفر صموئيل الثاني ـ الأصحاح العشر ـ نرى أن شيخ الطوب قد اشترك مع العمونيين: آرامي رحوب وبيت معكة صوبا ورجال طوب وتقع دويلعة رحوب إلى الشمال من عدن وإلى الغرب من عجلون بجوار البادية أما دولة صوبا فهي تشمل سلسلة جبال لبنان الشرقية بالإضافة إلى دمشق والأراضي الواقعة في جنوبها حتى حدود دولة رحوب وإلى الغرب منها مملكة معكة مركزها على ينابيع نهر الأردن ويجب علينا في هذه الحالة أن نفتش عن طوب إلى الشمال الشرقي من رحوب والجنوب الشرقي من صوبا أي في المنطقة الشرقية بالنسبة لدرعا وهذا يقودنا إلى أن الطيبة عي عين طوب وبهذا نرى أن الاسم لم يتغير.

إطلالة نضالية وتاريخية
على الميثاق العربي القومي
الميثاق العربي القومي تاريخيا

وقبل أن نمضي إلى تسلسل الأحداث في سورية ننتقل انتقالاً قاطعاً إلى مؤتمر إسلامي عام عقد في القدس غايته استنهاض العالم الإسلامي والعالم العربي لإنقاذ فلسطين يومئذ مما يعد لها من المصير المظلم ففي ١٣ كانون الثاني ١٩٣١ عقد عدد من الرجال العاملين في القضايا العربية مؤتمراً في القدس ووضعوا الميثاق العربي القومي وأقسموا جميعاً على العمل به وفيما يلي مواد هذا الميثاق:

المادة الأولى: إن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا تقره ولا تعترف به.

المادة الثانية: توجيه الجهود في كل قطر عربي إلى وجهة واحدة هي الإستقلال التام الكامل والموحد ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل السياسي للسياسات المحلية والإقليمية.

المادة الثالثة: لما كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه ينافس كل التنافس مع كرامة الأمة العربية وتماينها العظمى لذلك رفضته الأمة العربية بكل قواها.

ثم رأى المجتمعون ضرورة عقد مؤتمر عام في إحدى العواصم العربية للبحث في .. المسائل المادية المؤدية إلى نشر الميثاق ورعايته في الخطوط التي تنبغي السير عليها لتحقيقه.

وقد انتدبنا نحن الموقعين على هذا الميثاق كلجنة تنفيذية تنشر هذا الميثاق في العالم العربي وتهيئ الرسائل لعقد المؤتمر وتكون قبلة المراسلة بين الأقطار العربية في الشؤون المتعلقة بهذا الأمر وقد بدأنا العمل مستعيذين بالله عز وجل تشد أزرنا الروح التامة الفياضة التي تجلت في ذلك الاجتماع الخطير والتي اظهر حيناً بعد حين في مختلف الأقطار متميزة بقسوة من هذا الطاعون الاستعماري الذي أرهق العرب سيطرة وتسلطاً ومزق جموعهم بالقضايا المحلية وعطل سير مسيرتهم الكبرى بعد كل هذا فقد استفاقت الهمم واستيقظت ثانية الروح العربية لحل القضية الكبرى التي يرمي إليها هذا الميثاق المقدس لإنجاح هذه القضية على مقتضى العهد

والله من وراء القصد .   كانون الثاني عام ٢٣٩١

تواقيع أعضاء اللجنة:

١. محمد عزة دروزة . نابلس
٢. أسعد داغر
٣. عجاج نويهض . لبنان
٤. صبحي الخضرا . صفد
٥. خير الذين الزركلي . دمشق
٦. عوني عبد الهادي . نابلس
٧. محمد رشيد رضا . طرابلس
٨. محمد بهجت الأثري . بغداد
٩. ابراهيم الواعظ . بغداد
١٠. ابراهيم الخطيب . لبنان
١١. علي عبيد . السويداء
١٢. محمد اسحق درويش . القدس
١٣. علي ناصر الدين . لبنان
١٤. صلاح عثمان . بيروت
١٥. محمد العفيفي . القدس
١٦. رياض الصالح . بيروت
١٧. شكري القوتلي . دمشق
١٨. راغب أبو سعود . يافا
١٩. أحمد حامي باشا . دمشق
٢٠. سالم هنداوي . إربد
٢١. محمد طاهر . عمان
٢٢. عمر الطيبي . دمشق
٢٣. محمد علي بيهم . بيروت
٢٤. عبد اللّه الدوار . السلط
٢٥. محمد طارق . دمشق
٢٦. خليل تلهوني . معان
٢٧. سامي السراج . حماة
٢٨. محمد بنونة . تطوان . مراكش
٢٩. بشير العدوي . طرابلس الغرب
٣٠. محمد حسين الدباغ . مكة المكرمة
٣١. الشريف عبد الله بن فيصل . الطائف الحجاز
٣٢. عبد الرحمن عزام . مصر
٣٣. إسعاف النشاشيني . فلسطين
٣٤. محمد الملكي الناصري . رباط الفتح مراكش
٣٥. يحيى خانكان . حمص
٣٦. علاء الدين طوقان . عمان
٣٧. سعيد المفتي . عمان
٣٨. عب القهار مدكر . أندونيسيا
٣٩. محمد سعيد عبد القادر الجزائري . دمشق
٤٠. رشيد الحاج ابراهيم . حيفا
٤١. عبد القادر كيلاني . حماة
٤٢. عادل العظمة . عمان
٤٣. صالح العوران . الطفيلة
٤٤. نبية العظمة . دمشق

إن هذا الميثاق مبارك حقاً وكان يجب أن يكون له الأثر الفعال في البلاد العربية لو أن الوعي السياسي لدى الشعوب العربية كان في مستوى القضايا العربية كما أن الاستعمار الغربي أطبق على البلاد العربية كلها والذي لم يكن مستعمراً استعماراً مباشراً كان يرزخ تحت سيطرة خارجية أجنبية ليست أقل من الاستعمار المباشر شرّاً.

معركة ميسلون
ويوسف العظمة

يوسف العظمة ولد بدمشق عام ١٨٨٤ من أسرة عريقة وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه، أما دروسه الحربية فقد تلقاها في تركيا وألمانيا، وخدم في الجيش العثماني بالونيك في أثناء الحرب العالمية الأولى وكان معروفاً بمبادئه الوطنية شديد الإخلاص لله وللعروبة وعندما أمر الملك فيصل بتأليف الوزارة الثانية برئاسة السيد هاشم الأتاسي عين المقدم الركن يوسف العظمة وزيراً للحربية وقد قلده الملك رتبة زعيم عميد الفخرية تقديراً لغيرته وتعزيزاً لمهمته وقد عاهد أمته أنه لن يمكن الفرنسيين من دخول دمشق إذا وفى الجنرال اللمبي بوعده ووقف بجانب الحق العربي ولكن من أين للمستعمر أن يتصدى لمستعمر آخر بعد أن تفاهما على الهزيمة وعلى اقتسام الغنيمة وهذا ما حدث تماماً حين تم توزيع سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق بين الدولتين المتحالفتين انكلترا وفرنسا وهذا ما حدث الآن بين كثير من المتحالفين لابتاع البلاد العربية، كان يوسف العظمة كتلة من الحماسة المتأججة بنار الوطنية وكان يعلم حق العلم أن الجيش العربي والذخيرة العربية القليلة لا يساعدانه على خوض معركة واحدة وعندما تأزمت الحال قال له الملك بمرارة:

((هل من سبيل للتراجع بعد الحالة التي وصلنا إليها..))

فما كان من يوسف العظمة إلا أن حيا مليكه التحية العسكرية قائلاً:

((سألتحق بجيشي في الجبهة ولن أعود فأطلب رضاك تاركاً ابنتي في ذمتك))

لقد كان على ثقة أنه لن يعود فالقوتان الفرنسية والسورية غير متكافئتين والإنكليز- على عادتهم- أداروا ظهورهم للعرب بعد أن ملئوا رؤوسهم وعوداً عرقوبية وابتداءً من صباح يوم الثلاثاء ١٩تموز عام١٩٢٠ إلى مساء يوم السبت كانت دمشق تغلي كالمرجل وكانت المنظمات السياسية والهيئات الشعبية تطالب الملك فيصل بالقتال وكانت الأفواه تنادي:

إلى الحرب.. إلى الحرب لإنقاذ الوطن من الأعداء اللئام وأمام هذا الضغط الشعبي الهائل لم يجد الملك فيصل ملكاً ومنصباً من النزول إلى ميدان الشرف فإما حياة كريمة، وإما موت بإباء وشجاعة.

وفي صباح يوم الأحد ٢٤تموزعام١٩٢٠ بدأت معركة ميسلون وكانت وياللأسف معركة فاصلة، لم تدم أكثر من ساعة واحدة اخترق فيها العدو جبهتنا ... وأصاب وزير الحربية البطل يوسف العظمة برصاصة قضت على حياته لقد أظهر البطل يوسف العظمة من ضروب البسالة والإقدام التدابير الحربية ما أدهش الأعداء، ولو توفرت له ولرجاله المعدات الحربية الحديثة والذخائر الكافية لردوا رغم قلة عددهم جيش فرنسا الجرار على أعقابه لأنهم كانوا .. يتحدون الموت ويهاجمون بالدبابات والمصفحات بالبنادق العادية وبقلوب لا تحسب للمنية حساب وكان الملك فيصل يرغب في التفاهم مع فرنسا ويتجنب مقاومتها لا حباً بها ولا خوفاً عليها ولا منها ولكن ليقينه أن العتاد الحربي كله لا يزيد على مئتين وسبعين رصاصة لكل بندقية حربية وعلى ثمانين قنبلة لكل مدفع من المدافع السبعين التي كنا نملكها في دلك الحين أما عدد البنادق فكان لا يتعدى الخمسة عشر ألفاً وأما العربات المصفحة والطائرات وزارعات الألغام فكنا لا نملك منها شيئاً.

هنا ثارت الثائرة وأمام هذه الأوضاع المحزنة امر الملك فيصل بأن تنسحب الوزارة إلى محطة الكسوة وعين نوري باشا السعيد أميناً للعاصمة وبعد قليل لحق بهم وعيناه مغرورقتان بالدموع حزناً على الشهيد البطل يوسف العظمة الذي بذل نفسه على مذابح الفداء والذي هاجم كالأسد الهصور على مصفحات العدو فكان مثالاً رائعاً للبطولة الخارقة والحمية الوطنية المنقطعة النظير.

يوم ميسلون تاريخياً
والخطة العسكرية الفرنسية

يوم ميسلون:

إن يوم ميسلون هو من أخطر الأيام التي سجلها تاريخ الأمة العربية وإن المدة التي انقضت بين بدء تكوين الدولة العربية بدمشق وبين انتهاء عهدها هو من تاريخ (١) تشرين الأول عام ١٩١٨إلى (٢٤) تموز عام ١٩٢٠ وقد تضافرت على تأسيس الدولة العربية جهود أحرار العرب ومفكريهم، وأن يوم ميسلون كان اليوم الفاصل في تاريخ القضية العربية وهو من أخطر الأيام التي مرت على الأمة العربية في تاريخها الحديث.

الخطة العسكرية الفرنسية في معركة ميسلون:

صدر الأمر إلى فرقة المشاة الثالثة المعقودة للواء الجنرال غوابيه ورئيس أركان حربه الكولونيل باتلا، ان تزحف إلى دمشق بعد أن تغتصب الممر في وجه الجيش العربي، خيمت الفرقة في موقع عين الجديدة خلال يومي ٢٢ ـ٢٣من تموز عام١٩٢٠ بينما كانت المفاوضات مع الملك فيصل الأول تنتهي بتوجيه الإنذار الذي لم يقبله في حينه وفي صباح الرابع والعشرين زحفت على الجيش السوري المرابط على طريق دمشق غربي ميسلون:

١ - فرقة من السنغاليين بأمر الجنرال بوردو مؤلفة من الفيلقين العاشر والحادي عشر للرماة.

٢ - أربعة ألوية من فيلق الرماة الإفريقيين وفيلق المشاة.

٣ - فيلق الصباحيين المراكشيين وكوكبة من فيلق الخيالة السريعة الأولى.

٤ - بطارية عيار (١٥٥)، بطاريتين من عيار (٦٥) وكتيبة دبابات وكتيبة فنية وقد كشف الفرنسيون مواقع الجيش السوري مساء نهار ذلك اليوم فكانت قواته عبارة عن فرقة من المشاة مجهزة ببطاريتين تشتملان على عدد من المدافع من عيار (١٠٥) وعلى (٢٥) مدفعاً رشاشاً وقد استقرت صفوفه على طريق بيروت دمشق وعلى جانبيه وانتشرت على سفح صخري وعر المسالك تفصلهما مسافة سبعمائة متر أما مدفعية الجيش السوري فقد نصبت على الذروة في مؤخرة الموقعة شمالاً ويطل على هذا الموقع مضيق وادي القرن الذي أقام الجيش السوري عند مخرجه حصناً من المتاريس.

خطة الجنرال غوابيه الحربية

الخطة

لقد كانت خطة غوابيه العسكرية أن يكتسح مرتفعات وادي الزرزور فيهاجمها مواجهة بأن يدفع عليه طليعة عظيمة ثم يعمل على غمر ميسرة العدو من جنوب دير العشائر فيهدد مواصلات الجيش السوري عند خان ميسلون ويملك عليه الطريق من هذه الجهة وقد توزعت القوات الفرنسية على النمط التالي:

١ - القوات المعدة لمهاجمة الجبهة قائدها الليونتان كولونيل ـ دوزاك ـ لواء باولتي التابع لفيلق الرماة الإفريقيين الثاني تؤازره بطارية من المدافع الرشاشة شمال

الطريق.

٢ - لواء آبوت لفيلق الرماة الإفريقيين الثاني تؤازره بطارية روبير عيار (٧٥) على جانبي الطريق.

٣ - لواء مينيان التابع لفيلق الرماة السنغال العاشر تؤازره سرية من المدافع الشاشة عيار (٦٥) ينطلق من مشارق الحلوة جنوبي الطريق.

٤ - لواء غوتيه التابع لفيلق الرماة السنغاليين الحادي عشر تؤازره سرية رشاشات (٦٥) ينطلق من مضيق الكنيسة ... صوب المزرعة حيث يتحول إلى ذروة وادي الزرزور القريبة ويكون على اتصال بفصيلة سرية ماسية في وسط تلك الاستحكامات سرية الدبابات بقيادة وبغار تدعمها كتيبة كاربغا نسيتن التابع لفيلق المشاة (٤١٥) ونصف كتيبة فنية.

٥ - كتيبة مهمتها الإحداق بخطوط الجيش السوري فيصل الصباحيين المراكشي بإمرة الليونتان كولونيل ماسية المشتمل على أربعة كوكبات ومدفع رشاش وهذا الفيلق مدرب على المعارك الجبلية.

٦ - البطارية (١٥٥) ومهمتها مقابلة بطارية الجيش السوري والعمل الإجمالي وقد استقر مركز القيادة الفرنسية على زاوية بطرون الجنوبية، لقد كان من المقرر أن تقذف المدفعية الفرنسية نيرانها زهاء ربع ساعة تهيئة للهجوم حالما تتسلط الطليعة على منفذ المضيق وتعينت الساعة الخامسة للشروع في التحركات.

بدء الهجوم

وفي (٢٤)تموز ١٩٢٠ تقدم لواء آبوت واجتاز المضيق وفي منتصف الساعة السابعة اجتاز المتاريس التي أقيمت على منفذه وانبرت في الحال بطارية روبير واستقرت عند مخرج المضيق واستهدفتها مدفعية الجيش السوري وأنزلت بها خسائر فادحة على إن إحدى سرايا البطاريات (٧٥) استطاعت أن تثبت في ذلك المكان وتفتح النار في الناحية نفسها دون أن تعترضها عقبة وسلطت البطارية (١٥٥) قنابلها الساعة السابعة فأصبح تقدمها وئيداً وتكبدت خسائر فادحة بيد أن لوائي باولتي وآبوت تمكنا مع الدبابات من اجتياز وادي الزرزور ومن ثم شرعا بالتسلل إلى السفح. أما لواء مينيان فقد عاقته المصاعب عن التقدم ولم يحتل مكانه في الوقت المقرر والملائم.

وكان من جراء ذلك أن ثغرة هامة فتحت في الصفوف وحالت دون تقدم المسيرة بينما كان لواء غوتيه في الميمنة يواقع الجيش السوري متفرداً حيال المزرعة وقد تخلل الهجوم فترة سكون فاستقدم الجنرال غوبيه لواء فور كارد التابع لفيلق الرماة

السنغال الحادي عشر ليدعم قلب الجيش ببطء بسبب وعورة الأرض وكانت فصيلة الجيش الزاحفة على جناح الجيش السوري تصطدم بالمسالك الكثيرة التعاريج فضلاً عن مقاومة الجنود .. المتطوعين الفنية فلما أطل لواء غوتيه على وادي الزرزور تدفقت عليه النار من ضفة الوادي اليمنى وحاولت سرية المدفعية (٦٥) التابعة له أن تدعمه عن كثب ولكن سرعان ما فقدت عدداً من دواليبها دون أن تستطيع إحكام المدافع وتصويبها وكان جنود هذا اللواء يتسربون بطء فقد انطلق هؤلاء تحت جناح الظلام ومن ناحية الكنيسة واستوقفتهم على مقربة من دير العشائر قوات من فرسان الجيش السوري والهجانة فحاولت أن تحدق بهم لكنهم بعثروا صفوفها بنار الرشاشات واجتاح الصباحيون دير العشائر في الساعة الثامنة وتقدم فيلقهم من هناك في سيل شديد الوعورة والتعاريج فلم يصلوا إلى الجبل عند الظهر وفي تلك الأثناء استمر الهجوم على جبهة الجيش السوري واندفع الجيش اندفاعاً عنيفاً فقد نفذ لواء فور كارد من المضيق في الساعة العاشرة بينما كان لواء مينيان يدعم ميمنته وانتظمت القوات عندئذ وغارت على الجيش السوري غارة لا تقاوم وكانت الدبابات المبعوثة على السفح تدعمها دعماً قوياً وعند الظهيرة اعتلت القوات الفرنسية الذروة فأثنت القوات السورية بغير انتظام في اتجاه دمشق تاركة على الحضيض خمسة مدافع وعدداً وفيراً من الرشاشات وجثمان قائد الجيش الشهيد يوسف العظمة الذي قتل في مكانه، وقد استعجلت قذائف المدافع والرشاشات هذا الإدبار فحولته إلى هزيمة واستمر الجيش الفرنسي على انطلاقه نحو خان ميسلون دون توقف لأن الحر اللهاب والعطش الشديد اللذين استوليا على الجنود والدواب كانا يدفعا خطا الجند إلى هذا المكان الذي ينبع فيه الماء، فانتهى إليه الجيش الفرنسي عند الساعة السادسة عشرة ولاحت في ذلك الوقت فصيلة ماسية ولكن وصوله إليها جاء متأخراً فلم تستطع أن تقطع على الجيوش السورية التي انقشعت من هناك بسرعة غريبة، وقد عثر الجيش الفرنسي في ساحات القتال على كثير من العتاد - خمسة عشر مدفعاً - وستين مدفعاً رشاشاً وكمية كبيرة من الذخائر وقد جثم معظم الفرقة الثالثة في خان ميسلون ذلك المساء.

وفي الخامس والعشرين من شهر تموز عام ١٩٢٠ دخل الجيش الفرنسي مدينة دمشق دون مقاومة وبلغت خسائر فرنسا في (٢٣) تموز ١٩٢٠ أربعمائة واثنين قتيلاً و(١٥٢) جريحاً فيهم ضابطين وأربع عشر ضائعاً وقد تناولت الخسائر بنوع خاص بطارية روبير وكتيبة كلوبفانستين التي واكبت الدبابات وقد تطوع مع القوات الفرنسية عدد كبير من اللبنانيين وبينهم بعض المثقفين للقيام بأعمال الاستطلاع والتجسس والترجمة خدمة لأمهم الحنون حاملة لواء الحريات في العالم.

الشهيد يوسف العظمة

هو ابن ابراهيم بن عبد الرحمن يوسف العظمة شهيد معركة ميسلون الذي ضرب أروع الأمثال في التضحية في سبيل وطنه.

ولد في دمشق (٢٩) نيسان ١٨٨٤ وتخرج من الكلية الحربية العليا في الاستانة عام ١٩٠٦ برتبة يوزباشي أركان حرب وأكمل تمرينه العملي على الفنون العسكرية في ألمانيا وتنقل أثناء الحرب العالمية الأولى في جبهات بلغاريا ورومانيا رئيساً لأركان الفرقة العشرين ثم رئيساً لأركان حرب الجيش في القوقاز فرئيساً لأركان حرب الجيش الأول في الاستانة ومن خلال العهد الفيصلي كان مرافقاً للأمير فيصل ثم عين معتمداً عربياً في بيروت وتولى بعدها رئاسة أركان الحرب العامة برتبة قائم مقام في سورية ثم وزارة الحربية عام ١٩٢٠ بعد إعلان ملكية فيصل وقد نظم جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل ثم سرح الجيش بعد إنذار الجنرال غورو للملك فيصل وخاض معركة ميسلون بما كان لديه من الجند .. المتطوعين وبينما كان يراقب المعركة أصابته رصاصة وبرواية أخرى قنبلة فخر شهيداً في ساحة المجد والشرف وذلك يوم الأربعاء في (٢٤) تموز ١٩٢٠ ودفن في المكان الذي استشهد فيه وقبره محجة الزائرين ورمز التضحية واستشهد في هذه المعركة زهاء (٤٠٠) من العسكريين والمدنيين وقبل معركة ميسلون حضرت من الاستانة زوجته وابنته الوحيدة ليلى وبقي الملك فيصل يرسل لعائلة الشهيد (٢٠) ديناراً شهرياً إلى آخر أيامه في العراق وفاء لهذا البطل الشهيد.

الفصل الثاني

الباب الأول

حرب تشرين التحريرية
وسيوف تشرين ميلاد فجر جديد

حرب تشرين التحريرية

مثلما يطلّ القمر بأشعته الذهبية فيمحو عن الليل ظلمته ومثلما تشرق الشمس بخيوطها الذهبية في الأفق الشرقي فتفجر نور الصباح يزرع في الأرض الحياة بعد هجعة الليل، كذلك أطلّ ذلك الصباح التشريني يحمل مع أولى خيوط الفجر الحياة للوطن الذي طالت هجعته، فإذا شمس الوطن تشرق من جديد بعد أن طال أفولها تمسح من النفوس اليأس ومن العيون الحزن.

إن المواقف البطولية التي سجلها شعبنا خلال حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ وفيما بعد الحرب والصمود الجبار لجيشنا العربي السوري والقوات المسلحة على خط المواجهة مع العدو الصهيوني وبسالة الجندي العربي التي شهدتها هضاب الجولان وسفوح جبل الشيخ والمعارك اليومية التي يخوضها شعبنا وجيشنا سواءً أكان على صعيد العمل العسكري والبطولات الفردية الخارقة لجنودنا المرابطين على خط النار هي أكبر بكثير من أن يستوعبها نضالٌ في التاريخ في ٢٠ أيلول عام ١٩٧٣ يصرح الرئيس في ردّه على أحد الصحفيين:

((من الإنسانية تعبئة كافة القوى المتوافرة للمعركة وهناك تنسيق كامل بين الجبهتين الشمالية والغربية ونماذج أسلحة جديدة..))

وهكذا كان الرئيس الأسد مدركاً أهمية الإعداد للنضال وأن الحل الوحيد هو التحرير الذي تصّر عليه إرادة الشعوب العربية وقد أدرك الرئيس الأسد أن حالة اللاحرب واللاسلم الذي تصر عليه هذه لن تدوم ولم يعد بمقدور الشعب العربي تحملها كذلك كان استمرار احتلال الجولان يطرح مشاكل خطيرة كلما تسرب اليأس إلى نفوس الجماهير العربية بالإضافة إلى أن إسرائيل لم تكن تقبل أيّ حلٍ وسط على الرغم من قبول سورية مجلس الأمن القرار رقم ٢٤٢ ثم فشلت مساعي غونار يارنغ لوضع قرار الأمم المتحدة موضع التطبيق كلّ ذلك كان يقيم البرهان على قرار الحكومة الإسرائيلية بمواصلة سياسة الأمر الواقع والمضاعفة من بناء مستعمرات يهودية جديدة على الأراضي العربية التي احتلتها في حزيران عام ١٩٦٧م، وفي ٥ شباط عام ١٩٧٣ توجه الرئيس حافظ الأسد إلى القاهرة لعقد مباحثات مع

الرئيس السادات ثم مع العقيد معمر القذافي في إطار الدورة السادسة لمجلس الرئاسة الاتحادي كما جرى آنذاك مناقشات بين العماد مصطفى طلاس والفريق أحمد اسماعيل وكان تحرير سيناء والجولان والقدس هو هدف في حد ذاته يستنفر روح الوطنية في الشعب السوري وقواته المسلحة ويدعو إلى الثأر والانتقام للكرامة العربية التي أهدرت نتيجة لهزيمة ١٩٦٧ والتي أحدثت تغيرات جذرية في أسلوب وشكل روح التضامن العربي وخاصة بعد وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر حيث سعى الرئيس الأسد نحو العمل للقضاء على السلبيات للمرحلة السابقة التي واكبت هزيمة الـ ١٩٦٧، وقد استكمل الرئيس الأسد طريقاً شاقة كانت قد بدأت لإعادة بناء القوات المسلحة السورية تنظيماً وتسليحاً وتدريباً على أسس علمية سليمة وذلك بعد أن حرص جميع القادة السياسيين والعسكريين في سورية بعد الحركة التصحيحية على إبعاد القوات المسلحة عن مجالات العمل السياسي وحصر مهمتها في الارتفاع بمستوى حرفتها العسكرية فقط حتى تكون قادرة على النهوض بمسؤوليتها في الدفاع عن الوطن واسترداد الأراضي السليبة لذلك تم انتقاء القيادة العسكرية السورية بمعيار من الكفاءة العسكرية والخبرة العالية كما وضعت سياسة تنويع مصادر السلاح موضع التنفيذ كسراً لاحتكار السلاح الغربيّ الصنع وعلى الرغم من أن المناخ الدولي كان غير الملائم لسورية والذي أفرزته هزيمة ١٩٦٧، فقد تمكنت سورية من إحراز عدة إيجابيات في مجال السياسة الخارجية وإعداد البيئتين الإقليمية والدولية لتقبل قرار الحرب وتأييده، حيث بادرت القيادة السياسية السورية بتحسين علاقاتها مع جميع الدول العربية وتصفية معظم الخلافات السابقة وتدعيم صلات سورية بكافة دول الخليج كذلك مع المغرب العربي بالإضافة إلى إقامة تحالف سياسي وعسكري قوي مع مصر كان له أثر في قيام جبهة عسكرية موحدة تحاصر إسرائيل من الشمال كما نجحت السياسة السورية في عزل إسرائيل عن معظم الدول الإفريقية والتي قطعت علاقاتها بإسرائيل نفس الأمر مع دول مجموعة دول عدم الانحياز كذلك تمكنت الدبلوماسية السورية من إحداث تغيير جاد مفاجئ في توجهات الرأي العام الدولي نحو قضية الشرق الأوسط حيث أيّدت قطاعات عريضة من الرأي العام تعاطفها مع الرؤية السورية والعربية في ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة وذلك مقابل سلام دائم بينها وبين العرب وقد انعكس ذلك في سلسلة القرارات التي أصدرتها الهيئات والمؤسسات الدولية على مستوى الأمم المتحدة والدوائر الإسلامية والإفريقية وعدم الانحياز والتي أيّدت فيها الموقف السوري والعربي ضد إسرائيل وقد كان على القيادات السياسية والعسكرية السورية أن تتخلص من ميراث طويل من

المعتقدات والإستراتيجيات التي حكمت التعامل العربي مع إسرائيل، فحتى هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ م كان التفكير العربي السائد ينطلق من التحرير المصيري للصراع العربي الإسرائيلي وبالتالي اعتبر أن الحل العسكري من خلال معركة فاصلة هو الوسيلة لاستخلاص الحقوق الفلسطينية السليبة، وقد حددت القيادات السورية الهدف السياسي من الحرب في الآتي:

١. تحريك قضية الشرق أوسطية بخلق حالة توتر عنيف يكون لها صدى عالمي كبير ومستمر في إطار احتمالات نجاح عالية جداً وتحالفات اقليمية موقوتة وذلك بالقدر الكافي لدفع المجتمع الدولي إلى التحرك الجدّي لتوفير حل سياسي شامل للقضية.

٢. أما الهدف الاستراتيجي العسكري للقوات السورية فكان هزيمة تجميع العدو الإسرائيلي في هضبة الجولان وسيناء بالاشتراك مع القوات المسلحة المصرية والاستيلاء على أهداف ذات أهمية استراتيجية تهيئ الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الأرض المحتلة بالقوة وفرض الحل العادل السياسي للمشكلة وهذا ما عبر عنه الرئيس حافظ الأسد بقوله: ((.. لقد أسقطت حرب تشرين المجيدة حسابات الصهيونية والتي يشدون أزرها وأثبتت سوء تقديرهم وأكدت أن الأمة العربية ترفض الرضوخ والاستسلام وتملك مقومات الذود عن حقوقها والنصر في كفاحها. وكانت حرب تشرين ملحمة بطوليةً وبرهاناً ساطعاً عن الطاقات والقدرات العربية وفي المقدمة الطاقة الذاتية للإنسان العربي ..)).

هذه هي حرب تشرين التحريرية التي أعادت للإنسان العربي ثقته بنفسه.

وهذه هي حرب تشرين التحريرية التي رسخت مكانة سورية بين جميع دول العالم وأثبتت المقولة التي تقول: لن يفلّ الحديد غير الحديد.

وهذه هي حرب تشرين التحريرية التي أثبتت ضعف إسرائيل وإن ما قيل عنها من قوة وهيمنة ما هو إلاّ وَهمْ.

وهذه هي حرب تشرين التي ستظل على مر التاريخ ومر العصور القادمة مثالاً حيّاً أنّ الإرادة العربية لا تقهر.

سيوف تشرين
وانتصارات عربية تاريخية خالدة

وبقيام الحرب المقدّسة حرب تشرين التحريرية طالما انتظرها شعبنا العربي من محيطه إلى خليجه، حققت الضربة الجوية الأولى بتدمير معظم المطارات ومراكز الاتصالات الإسرائيلية، وأذهلت مفاجأة التمهيد الناري للطيران والمدفعية السورية القيادات الإسرائيلية فأفقدتها توازنها وأصبحت القوات الإسرائيلية في الساعات الأولى من الحرب عاجزة تماماً عن القيام بأيّ عما عسكري دفاعي لمواجهة موجات الهجوم لتشكيلات القوات السورية، وإذا كانت حرب تشرين التحريرية قد أدت إلى تحرير جزء من الأرض وهذا هام، ولكن الأعظم معنى أنها كانت منعطفاً في الحياة العربية والتعامل العربي مع الغزو الإسرائيلي، وهي المرة الأولى في تاريخ صراعنا مع العدو التي ينتقل فيها العربي من الدفاع إلى الهجوم كما أنها المرة الأولى التي يظهر فيها المستوى المتميز للجندي العربي تنظيماً أو تدريباً أو بسالةً ولم تستطع رعاية الأوساط الصهيونية وحلفائها أن تحجب عن العالم هذه الحقيقة وكانت الساعات الأولى لحرب تشرين عام ١٩٧٣ فاصلة في ترجيح كفة الجيش السوري وإثبات جدارته وقوته وقدرته على تحقيق النصر، فهذا الجيش لم يغمض له جفن طوال ستة سنوات منذ هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ وظل يترقب اللحظة التي يتاح له الثأر فيها للهزيمة وهو قد أعدّ نفسه جيداً بالتجهيز وبالتدريب المتواصل بعد الحركة التصحيحية حتى يكون أهلاً للواجب المنوط به وهو تحرير الأرض واستعادة الشرف والكرامة التي أهدرتهما هزيمة ١٩٦٧، وكان له ما أراد وحقق الغلبة والنصر في حرب تشرين عام ١٩٧٣ م، إنه أهل الشرف للجندية والدفاع عن الأرض والعرض وهو قد أدار باقتدار وبالتنسيق مع أخيه المقاتل المصري ملحمة معارك بطولية في مسارح العمليات الحربية في سيناء والجولان مما أكسبه الاحترام والتقدير عند الأصدقاء والأعداء على حدٍ سواء وأجبر العالم لأن ينظر إلى الحقوق العربية نظرة جديدة تتسم بالموضوعية وهذا ما وضحه السيد الرئيس الأسد بقوله:

((وفي السادس من تشرين وقف الجندي العربي في ميدان القتال يرد على النكسات .. يردع التحدي .. يهزم التردد والخوف ويصنع صخرة الأساس لزمن عربي ومقاتل جديد))

وستظل حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ سجلاً مشرفاً للعسكرية السورية عبر التاريخ ومنارة تهتدي بها القيادات وواضعو الاستراتيجيات في التخطيط للعمليات

الحربية في الجيوش الحديثة وهي قد أصبحت نموذجاً يحتذى وحافزاً يدفع القوات المسلحة السورية وفي الوطن العربي للإجادة والتمييز حتى يتهيأ للوطن العربي الدرع والسيف اللذين يذود بهما عن حماه ضد أي عدوان وتمثل حرب السادس من تشرين حدث تاريخي حفر في مسيرة الحياة العربية تغيرات جذرية، بل كان نقطة انطلاق قوية، جاءت حرب تشرين التي خاضها الجيش السوري مع الجيش المصري لتكون أول حرب نصر من الحروب الأربع التي خاضها الشعب العربي ضد العدوان الإسرائيلي الغاشم وأول حرب تحقق انتصاراً واضحاً على عدو تعود أن يخرج من كل مواجهة منتصراً يشيع من حول نصره الأساطير وقد كانت تلك الحرب التي خاضها الشعب والجيش السوري نموذجاً لقدرة مجتمع ودولة الحركة التصحيحية المجيد على العمل المنظم والتخطيط الذكي والمناورة الناجحة مما يثبت أن إرادة النصر لا يعوقها عائق أو يقف في سبيلها عدو مهما توفرت لديه الإمكانات الذاتية والمدعمة من الخارج أي من الأب الشرعي الأمريكي ونجحت إرادة الشعب السوري والتي تحققت عبر انتصارات تشرين المجيدة أن ننهي حالة الإذلال والاستضعاف التي فرضت على الشعب السوري والعربي من الناحية العسكرية على الأقل فأنها فتحت أمام الشعب السوري بنفس القدر وبنفس التفاؤل والعمل إرادة الحياة الجديدة حيث استطاع أن يشبع نصر تشرين في النفوس المستضعفة روحاً جديدة تقوم على حتمية النهضة والبعث القومي الجديد في مختلف مناحي الحياة.

هذه هي سمات الانتصارات والبطولات التي حققها الجيش العربي السوري في تشرين عام ١٩٧٣م، كذلك جاءت انتصارات المقاتل السوري لتسترد السيادة والكرامة والعزة والأرض وتذود عن الحضارة والشرف والعرض وليثبت الجيش السوري أن سورية لم ترض يوماً بالضيم والذل والهوان، ليس في تاريخها مساحة للقهر والعسف والعدوان وأنها منذ الأزل مقبرة للغزاة ساحقة للبغي والظلم وأنها إذا ما أتت بها الكرب حيناً قادرة على تجاوز الحروب والنكبات في كل ناحية وحين وآن وحين انتفضت سورية قاطبة ممثلة في جيشها السوري كي تزيل عن طريقها شبح الهزيمة ومحو العار وترفع من جديد هامتها متوجهة بأكاليل الغار كانت الروح الجديدة التي سادت سورية بعد الحركة التصحيحية المجيدة مفتاحاً للتفوق وسبباً للنصر وكانت روح الحركة التصحيحية المجيدة في تشرين تتمثل في روح التمسك والتضامن والود والألفة والتراحم والحبّ والتضحية والفداء والإيثار والرغبة في الفوز والانتصار.

وحين نشبت معركة تشرين المجيدة توافرت فيها قوة العقيدة للجيش العربي السوري ورسوخ الإيمان وطهارة الضمير ونقاء الوجدان وتآلف القلوب وتتقدم هذه

الروح السامية على وفرة العدد والعتاد ودقة التدريب وروعة الاستعداد فكان الانتصار وكان التوفيق والسداد ، وحرب تشرين هذا الكفاح الذي خاضه شعبنا هذا الصراع الذي أبرز حقائق وبدد أوهاماً هذه الحرب ما تزال مستمرة بشكل أو بآخر ولم تنته ما لم تتمكن من إبراز كل المعطيات الحقيقية التي يمكن أن تشكل قاعدة متينة للسلام العادل فيتحقق الانسحاب الكامل ويطمئن شعب فلسطين إلى حقوقه المشروعة وليس هناك ما يؤكد أن إسرائيل قد استخلصت كل النتائج المفيدة من حرب تشرين لأننا ما نزال بين يوم وآخر نلمس ونرى ونسمع من الوقائع والتصرفات والتصريحات ما يؤكد لنا إصرار الصهيونية على المضي في عدوانها على أرض شعبنا والاستمرار في تضليلها لشعوب العالم بل وفي تضليلها للناس في إسرائيل نفسها.

حرب تشرين واستمرار النضال والصمود

وقد أعلن الرئيس القائد حافظ الأسد في رسالة وجهها إلى الدورة الحادية عشرة لمجلس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية التي انعقدت في بغداد عام ١٩٧٤.

إن حرب تشرين خضناها لا دفاعاً عن حقنا الواضح وقضيتنا العادلة فحسب بل دفاعاً عن كل ما يمثله نضال الشعوب على مدى التاريخ من قيم ومبادئ وأن وقفتنا في سورية في وجه الصهيونية وتصميم قواتنا المسلحة وجماهير شعبنا على إحباط مخططات إسرائيل واسترداد حقوق فلسطين إنما هو تطبيق عملي لإيماننا بهذه القيم. والمبادئ، وأكد الرئيس الأسد أن التضامن هو مصدر قوة حقيقية للشعوب ونحن مع التضامن بين الشعوب بمعناه المطلق وقد أكدنا على ذلك قولاً وعملاً وسعينا إليه بكل جهد لكي يتحول إلى مبدأ ثابت وممارسة مستمرة استمراراً بالمضي إلى التحرير.

(الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية)

استمرار الحرب والصمود:

واستمرت الاشتباكات على طول خط المواجهة وثابرت قواتنا على قصف وتدمير مراصده ومرابض مدفعيته وعمق دفاعاته ومستودعات ذخائره ودباباته وآلياته

وقواعده الصاروخية واستمرت الحرب واستمر الصمود واستدراج العدو وتكبيده مزيداً من الخسائر في العتاد والأرواح ومنعه من تحصين مواقعه سواء في القطاع الشمالي أو القطاع الأوسط أو القطاع الجنوبي وذلك انطلاقاً من صمود القطر العربي السوري رئيساً وجيشاً وشعباً سواء في معركة النضال السياسي أو في ساحة القتال على خط المواجهة ولن يتوقف الصراع مع العدو الصهيوني حتى يتم تحرير الأرض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني.

إحداث وسام السادس من تشرين

في مجلس الشعب تكريماً لأبطال حرب السادس من تشرين أصدر السيد رئيس الجمهورية الرئيس حافظ الأسد المرسوم التشريعي رقم ١٩ تاريخ ١٥ شباط ١٩٧٤ الذي يقضي بإحداث وسام السادس من تشرين الأول الذي يمنح لعسكريي الجيش العربي السوري كما يجوز منحه للعسكريين من غير السوريين الذين كانوا موجودين على الأرض السورية خلال الحرب وساهموا في حرب التحرير كما يجوز منح هذا الوسام للمدنيين الذين ساهموا في حرب التحرير كما يجوز منح هذا الوسام لكل من قدم عمل بطولي متميز خدمة للوطن وإنسان هذا الوطن خلال حرب تشرين التحريرية.

مواقف بطولية
سجلتها حرب تشرين التحريرية ..

المقاتل السوري في جبل الشيخ

لقد ارتفع شموخ المقاتل السوري إلى أعلى قمة جبل الشيخ هذا الجبل العربي الوقور الذي بقي مستمر حتى عانقته نجوم السماء وباركته غيوم الأرض في غيثها ووجهه الوقور لم يقبل أي لون غير اللون الذي اختاره الله له وجاءت إرادة الله حتى تعطي المقاتل العربي إرادة قتالية لسحق رأس الأفعى الإسرائيلي وليلحق بها الذنب، وجبل الشيخ طل بوجهه الأبيض الأشم الناصع على شعب بلاد الشام قائلاً لهم: ارفعوا رؤوسكم لقد بيض وجهكم المقاتل العربي الذي فتح المقابر الجماعية للقوات

الإسرائيلية وجعل الصخور الصلبة تطبق عليه حتى تعتصر سموم الأفاعي داخل أجساد الجنود الإسرائيليين، إن سفوح جبل الشيخ لا تزال تختزن في أعماقها أسرار بطولات فردية وجماعية إلى قواتنا العربية وسوف يأتي اليوم الذي يرتفع فيه الستار عن أسرار حرب تشرين المجيدة، وقاسم سعد الدين القادري من مواليد الغارية الشرقية عام ١٩٥٠م ليس مدرجاً في أسرار هذه الحرب لكنه شارك في تشرين وحرب الاستنزاف وكان من عناصر الدفاع الجوي وسائق عربة مدفع في القطاع الشمالي موقع وادي الثعالب حيث قام رفاقه المناضلين المقاتلين بنقل الذخيرة على الأكتف وعلى البغال إلى مرصد جبل الشيخ تحت نيران معادية كثيفة وتمكن مع رفاقه من صد هجمات الطيران المعادية وإسقاط العديد من طائرات العدو وتمكن تحت نيران العدو الغزيرة من إيصال عناصر السلاح الدوشكا إلى مرصد جبل الشيخ وأفاد المقاتل قاسم بأنه في موقع أم الشراكيت تعرض مع رفاقه لنيران مدفعية العدو الكثيفة حيث استشهد عدد من رفاقه في ذلك الموقع وأفاد بأننا تمكنا من فتح ثغرة نحو مرصد جبل الشيخ تحت رمي المدفعية المعادية وقصف طيران العدو وحيث استشهد عدد من رفاقه والمقاتل يوسف عبد القادر الزعبي سلاح الدفاع الجوي ساهم في حرب تشرين في موقع تل عنتر وقد تمكن مع رفاقه من صد الطائرات المعادية وتم إسقاط عددٌ من طائرات العدو.

تميز القتال الذي دار يوم الرابع عشر من نيسان بين قواتنا وقوات العدو بمعطيات جديدة .. أجمعت وكالات الأنباء والإذاعات العالمية من خلالها عن اعتبار ما جرى اليوم أعنف وأشد قتال على جبهة الجولان بعد حرب تشرين.

وكان أهم ما ميز العمليات الحربية تركيز العدو على مواقعنا في جبل الشيخ حيث قام طيرانه بهجمات متلاحقة وكثيفة منيت جميعها بالفشل.

من الأرشيف

الفصل الثاني

الباب الثاني

بطل العبور
الزعيم جمال عبد الناصر



الزعيم الراحل جمال عبد الناصر

جمال عبد الناصر هو بطل العبور كما صرح الفريق سعد الدين الشاذلي ولكن أنور السادات أهدى إسرائيل انتصارات العبور التي انتهت على خط الكيلو مائة وواحد.

فلدى قيامي بإحدى المقابلات مع أحد تجار محافظة درعا المهتمين بالقضايا الوطنية والعائد من جبهة السويس حيث قال: لقد ذهبت إلى السويس حيث شرح لنا القائد العسكري المرافق هناك إلى خط بارليف قائلاً: بأن قوات العبور قائدها الفريق سعد الدين الشاذلي لكنها بأفكار الزعيم جمال عبد الناصر الذي خطط لها وغذى الروح العسكرية بذلك هو بطل العبور الحقيقي وصانع النصر في بارليف، ونقلت إذاعة لندن عن مراسلها في القدس بأن أحد الإسرائيليين ذهب لزيارة صديق له في خط بارليف فوصل للمكان المحدد قبل اندلاع الحرب بساعات فرأى الجنود المصريين في حالة فرح ومرح ويغوصون تحت الماء في الضفة الغربية لقناة السويس فتساءل هذا الزائر هل الجنود المصريين يشاركوننا أعياد الغفران فأتاه الجواب في الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من تشرين بأن الفرح جاء على الطريقة العربية محمولاً على سواعد الرجال التي حملت السفر الخالد القادم في الغد البعيد والذي يحمل بشائر النصر من عند الله بعد أن تعطرت بنسمات تشرين حيث كان الجنود المصريين يغوصون تحت الماء كضفادع بشرية لإبطال مفعول أنابيب الغاز ولإبطال كل ما صنعته إسرائيل من أدوات الحرب البشعة حتى خرج من الحمام أحد الجنود المختصين إلى الساتر الترابي

كي ينشر ثيابه لكن المفاجأة القاسية كانت له بالمرصاد حين رأى الزلازل وبراكين القوات المصرية التي تحمل الموت الساعة الثانية بعد الظهر ووصف هذا الجندي بأن هذا اليوم هو يوم القيامة الذي قال عنه المسلمون وهذه القيامة تمثلت بغارات الطائرات وهجوم الدبابات وبعد مرور ست ساعات من المعركة كانت القوات الإسرائيلية تلفظ آخر أنفاسها في جحور خط بارليف وكانت الصحف الغربية التي تخدم إسرائيل تقول بإن القوات المصرية سوف تصاب بالجنون إذا هاجمت خط بارليف لأنه أسطورة العصر آنذاك وتم لقاء صحفي مع الفريق سعد الدين الشاذلي وكان السؤال المطروح عن سرعة التقدم للقوات السورية والمصرية على جبهات القتال معاً وكان الجواب: إنه لدينا خطة عسكرية مدروسة لا تسرع في الخطوات ولا تراجع في الثبات على الأرض وحينها وصف الإعلام الغربي بأن الفريق الشاذلي هو ثعلب سيناء وأبرع ضابط في التخطيط في منهاج الحرب الحديثة وعندما أرادت القوات الإسرائيلية إعادة أقوى الحصون في خط بارليف حيث تم إرسال موجات متتالية من الدبابات ولكن الإرادة العربية كانت أقوى وسقطت أسطورة الغول أسطورة إسرائيل حتى تجس نبض القوات المصرية في ذلك الحصن وآخر قوة هي فرقة دبابات بقيادة العقيد عساف آقوري حينها ثبتت القوات المصرية بأبرع قوة تمويهية على طريق هذه الدبابات وبث الأشجار التي زرعت على الطريق وحينما سأل العقيد عساف ضباطه عن هذه الزوالات قالوا له بأنها نباتات صحراوية طبيعية وتقدمت الدبابات إلى شرك الموت المنتظر ودمرت مئة وعشر دبابات بسرعة الرماية المصرية وآخر دبابة دمرت هي دبابة القائد حيث لجأ إلى ساتر ترابي ووقع أسيراً في أيدي القوات المصرية وقادوه إلى القائد المصري في الحصن وهو يرتجف خوفاً فقال له القائد المصري ما اسمك؟ وما رتبتك؟ ولماذا؟ أنت خائف قال رتبتك العقيد إن عساف آقوري أن لدينا معلومات من القيادة السياسية بأنكم تقتلون الأسير فأجابه القائد المصري أننا ملتزمون بعقيدتنا الإسلامية وهي الحفاظ على حياة الأسير مكرماً لكن قيادتكم ظللت المعالم وظللت العالم وأيضاً ظللت مسار السياسة الأمريكية وسوف ترون قتالاً يدرج على أرض صلبة حتى تعود لنا مشروعية الحق العادلة ونقل هذا الأسير إلى القاهرة وتم لقاء صحفي يومها وقال: بأني تخرجت من أعظم الأكاديميات العسكرية في العالم ودرست مناهج الحروب العسكرية عن الحرب العالمية الأولى والثانية لم أر أسرع من مقاتلكم في إفناء الدبابات مثلما رأيت حين دمرتم مئة وعشر دبابات وهذا ليس مقياس في مقياس الأيام والساعات لكن جاء هذا المقياس على ال دقائق وهي عشر دقائق التي انتهت الدبابات الإسرائيلية فيها ونقلت هذه المعلومات التي أذاعتها إذاعة لندن عن مراسليها العسكريين في جبهة السويس.

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيرة هذه الآيات التي مسخت اليهود وجاءتهم العقوبة من عند الله وها هو سيدنا موسى الذي أنقذ اليهود من فرعون بعد أن عبر بهم البحر الأحمر إلى سيناء هذه سورة المائدة تحكي إلى كل الأجيال عصيان اليهود على سيدنا موسى آية (٢١) و(٢٢) و (٢٣) و(٢٤): ((يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إن جعل فيكم أنبياء وجعلوكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإّنا داخلون)) والمعروف عن بني إسرائيل بأنهم قتلة الأنبياء كما ورد في القرآن الكريم المائدة وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا.

فاروق الشرع يستخدم سهام تشرين في مؤتمر دولي في عام ١٩٩٣م

دعت سورية إلى مؤتمر دولي لتعريف الإرهاب الذي رفعت شعاره الدول الاستعمارية، أمريكا ترفع ورقة الإرهاب حتى تغطي حقيقة الوجه الإرهابي لإسرائيل التي شردت الشعب الفلسطيني من وطنه وإذا هذا الشعب لجأ إلى وسيلة استخدام القوة لإعادة الأرض تستنفر الدول الغربية قوتها الإعلامية بأن الذي يطالب فيه هو إرهابي ورداً على هذا المفهوم الغريب للإرهاب الذي يقبله مزاج إسرائيل ومن خلفها ولكن الحق الوطني تحميه قوة عسكرية واقتصادية تترجمها قوة عسكرية واقتصادية وسياسية أيضاً وعلى هذا المنبر الدولي تفجرت مفاجأة لم تكن داخله حسابات إسرائيل، وهزت العالم عندما وجه فاروق الشرع سهم من سهام تشرين في وجه إسحاق شامير وهو يحمل صورة وفي يده صيغة مكتوب عليها ومكتوب تحتها بأن اسحاق شامير يقود الإرهاب العالمي من بعد الحرب العالمية الثانية ومن المعروف أن فاروق الشرع يختزن في عقله ثقافة سياسية عالمية تستند إلى قوة عسكرية واقتصادية وأنه الدرع الصلب السياسي الذي حطم أسهم الادعاءات الاستعمارية وفيها حول المندوب الأمريكي ومعه المندوب البريطاني والفرنسي الذي أغمضوا أعينهم حتى لا يصدقوا أن اسحاق شامير قائد الإرهاب العالمي، ولكن شعبنا العربي يصدق هذه القناعة لأنها نابعة من هذا البلد وسياسته الحكيمة في تيارات شعبية غنية بوهج التضحيات التحريرية.

نموذج عن الأسلحة المستخدمة (سورية)

في حرب تشرين التحريرية

نماذج من الأسلحة السورية التي استخدمت في المعركة

Samples of Syrian weapons used in the war

شكل عن بانوراما حرب تشرين التحريرية



نموذج عن الأسلحة الإسرائيلية المستخدمة في حرب تشرين التحريرية

و التي استولت عليها القوات العربية السورية أثناء المعركة

Samples of Israeli weapons captured by the Syrian arab .armed forces during the war



شكل عن بانوراما حرب تشرين التحريرية

نموذج بانورامي



An oil- painting in Great Hall "President Hafez al- Assad in the battlefield tanding and entrustin the tasks to senior army and shaff officers who participated in the October War of Liberation"

لوحة زيتية في البهو الكبير

((السيد الرئيس حافظ الأسد في الميدان وهو يقوم بإسناد المهام لكبار قادة الجيش وأركانه الذين شاركوا في حرب تشرين التحريرية))

الجندي السوري في ساحة المعركة
أثناء حرب تشرين التحريرية يعزف لحن الخلود
((الأرض بتتكلم عربي))



أبطال خالدون



مرصد جبل الشيخ وعليه العلم السوري



بانوراما حرب تشرين التحريرية
The Panorama of the October War of Liberation



ساحة المعركة

وارتفع العلم السوري فوق سماء الجولان:

بانوراما حرب تشرين التحريرية

The Panorama of the October War of Liberation



الجندي السوري يرفع العلم السوري فوق سماء الجولان في حرب تشرين

صورة بانورامية عن حرب تشرين التحريرية



الجنود السوريون في ساحة المعركة وجهاً لوجه مع العدو

صورة بانورامية عن حرب تشرين التحريرية



المقاتل السوري في ساحة المعركة يدمر الدبابات والبطاريات الإسرائيلية

صورة بانورامية عن حرب تشرين التحريرية



المقاتلون السوريون يلتقون بالسلاح الأبيض مع الجنود الصهاينة

صورة بانورامية عن حرب تشرين التحريرية



المقاتلون السوريون يدحرون العدوان الإسرائيلي ويرفعون العلم السوري

بانوراما
حرب تشرين التحريرية



بانوراما حرب تشرين التحريرية منظر خارجي عام

THE PANORAMA OF THE OCTOBER WAR OF LIBERATION
A GENERAL EXTERNAL VIEW

الفصل الثاني

الباب الثالث

الثورات السورية الكبرى

الثورات السورية:

لم يبق أمام المجاهدين السوريين وهم يرون جحافل الجيش الفرنسي تحتل السواحل والسهول والمرتفعات إلاّ أن يثوروا على الغزاة الطامعين وأن يتصدوا لهم في كلّ مكان وأن يناصبوهم العداء صوناً للكرامة العربية ودفاعاً عن حرمة الوطن السوري وكان صالح العلي أول الثوار.

ثورة صالح العلي:

كان صالح العلي أول الثوار ثار أولاً في وجه الأتراك وتتبع فلولهم الهاربة من وجه الحلفاء ولما أظهرت فرنسا نيتها في احتلال الأرض السورية هاجم فرنسا بعدد قليل من رجاله الشجعان فكان يأخذ من قتلى الأعداء ما يحملونه من أسلحة وذخائر وما يتركونه في ساحة الوغى من مدافع ورشاشات وقنابل يضمها إلى سلاحه.

وثورة صالح العلي ليست أعنف الثورات روعت أكبر قادة العدو وأشدهم وتركت بصماتها واضحة المعالم في سجل كفاحنا الوطني من أجل الحرية والاستقلال لم يكن البطل صالح العلي أمّياً كما زعم بعض من أرّخ له منذ ربع قرن ولم يستشهد كما ذكر عنه بل كان صاحب أنفة وإباء وأملاك وكان متعلماً يقرض الشعر الوطني الحافل بالجزالة والحماسة فكأنه ولد والبندقية في يمينه وقيثارة الخليل تحت إبطه وهو من مواليد سورية عام ١٨٨٥ وهو من نسل فاطمة الزهراء وهو شاعر كبير.

وهذه مقاطع شعرية من شعره:

برئت ذمة العروبة ممن
عن لقاكم يكلُّ أو يتقهقرْ

لا يغرنكم رجال طغى الجهل
عليهم فإنهم شرّ معشرْ

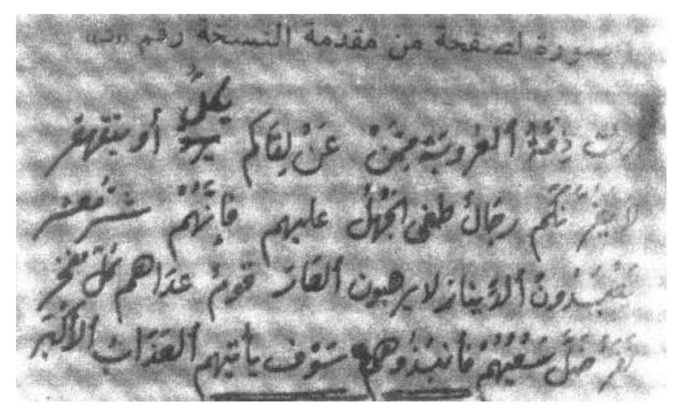
يعبدون الدينار لا يرهبون
العار قومٌ عداهم كل مفخرْ

نفرُ ضلّ سعيهم فانبذوهم
سوف يأتيهمُ العذاب الأكبرْ

بدأ صالح العلي حياته ثائراً على الأتراك لمحاولتهم تتريك العرب وضغطهم عليهم

وفرض اللغة التركية على أطفالهم ولو شطّ بهم الأمر وطال الأمد لكان له معهم ما كان له بعد ذلك مع الفرنسيين القادمين من الغرب وما كاد الشريف حسين أمير مكة المكرمة يعلن الجهاد المقدس على العثمانيين في اليوم العاشر من شهر حزيران ١٩١٦ حتى كان صالح العلي أول من مشى في ركابه وانضوى تحت لواءه المشرف فكان صالح العلي يترصد قوافل الاتراك المارة من أودية جبال اللاذقية وسفوحها وهضابها ويمطرها ناراً حامية وسرعان ما يتحول هو ورجاله الأشاوس من مكان إلى آخر ليصطاد قافلة أخرى وقد دوخ بعمله هذا الأتراك وتعتبر موقعة وادي العيون أكبر وأرهب معركة خاضها صالح العلي ورجاله مع فرقة من الجيش التركي كانت تجتاز جبال اللاذقية باتجاه الشمال لقد كانت معركة رهيبة حقاً بلغ فيها عدد القتلى من الأتراك ثمانين قتيلاً وعدد الجرحى نحو الخمسين ولاذ الباقون بأذيال الفرار تاركين في ساحة الوغى كل ما معهم من سلاح وعتاد ومؤن وبغال وخيول وقعت بأيدي الثائرين غنيمة بادرة بالرغم من هذا الانتصار الباهر فقد راح صالح العلي يجد في أثرهم حتى منعهم من سلوك منطقة الشيخ بدر طرطوس وكما انتصرت ثورة الحسين وارتدت الفلول التركية على أعقابها نحو تركيا وأنزلت البوارج الحربية المقاتلين الجد التفت إليهم صالح العلي وأطلق أول رصاصة في وجه فرنسا وشرع يناصبها العداء لأنها تريد سلب حريتنا وسرقت أرضنا وخيراتنا.

نموذج من شعر الشيخ صالح العلي بخط يده


[illegible] رجال طغى الجهل عليهم فإنهم شر معشر
[illegible] الأديان لا يرهبون العار قوم عداهم [illegible]
[illegible] شعبهم ما نبذوه سوف يأتيهم العذاب الأكبر

أول الحملات الفرنسية تحركت من بلدة القدموس وهاجمت صالح العلي من الشرق فقابلها برجاله البواسل وقتل منها خمسة وثلاثين رجلاً وأخذ عدداً من الأسرى وغنم كثيراً من الأسلحة والذخيرة، جعل صالح العلي لثورته كياناً متين الأساس رائع التنظيم ذا مجلس إداري يتولى هو رئاسته ويشرف على أعماله ويصنع لمعاونيه العقداء الخطط الدقيقة المحكمة واتخذ من كل عشيرة عقيداً يكون مسؤولاً عن

أعمالها وأنشأ عدة دواوين على غرار الدواوين الحكومية وفي ١٥ حزيران ١٩١٩ هاجم الفرنسيون مقر الثورة وكان الشيخ صالح العلي يترصدهم في مرتفعات وادي ورور وبيدر غنام وأحراجهما الكثيفة وما كادت الحملة الجديدة تتوسط الوادي وتصبح على مرمى الثائرين حتى انقضوا عليها كالعفاريت وراحوا يفتكون بأفرادها فتكاً ذريعاً لا هوادة فيه ولا لين ولم تمضِ إلا ساعات قليلة حتى انجلت المعركة بقتل وجرح نحو ثمانمائة جندي وضابط وعن أسر ستة عشر جندياً وفي هذه الحالة أو المعركة استشهد بعض الثوار الذين أبدوا من البسالة ما أذهل الاعداء.

وفي أوائل شهر آذار عام ١٩٢٠ تتمكن الثوار من احتلال قلعة القدموس وأسر معظم حميتها ولم تقصد حكومة الملك فيصل في مساعدة الثوار .. وتزويدهم بالمال والسلاح وكذلك كان رشيد طليع حاكم حماة وإبراهيم هنانو في جبل الزاوية يمدان الشيخ صالح العلي ببعض العون والمؤن وبلغ القتال أشده حين زحف القائد الفرنسي بولانجيه على قرية الشيخ بدر بثلاثين ألف محارب معززين بالمدافع والطائرات ولما بلغوا وادي العيون وشرعوا ينصبون خيامهم كانت المفاجأة الكبرى فقد انهمر .. الرصاص كالمطر من أكتاف الجبال المحيطة بالوادي ومن أعماق الغابات المطلة عليه ومن وراء كل صخرة من صخوره وحاول الفرنسيون الهرب فرأوا جميع الطرق مسدودة في وجههم حتى الطائرات عجزت عن حمايتهم واعتبر عمل بولانجيه مغامرة جنونية عرضت حياة مئات الجنود للموت ... وأساءت إلى فرنسا إساءة لا تغتفر فأحيل إلى محكمة عسكرية تحاكمه وهكذا أعاد التاريخ معركة وادي العيون التي نشبت من قبل بين الشيخ صالح العلي ورجاله من جهة وبين الجيش التركي من جهة ثانية وكانت النتيجة في المعركتين واحدة انتصار ثورة صالح العلي وفي اليوم الثالث عشر من نيسان ١٩٥٠ استأثرت رحمة اللّه بالشيخ صالح العلي بعد مرض طويل فبكاه وطنه ومواطنوه لأنه كان لهم جميعاً.

الشيخ صالح العلي يقود زحف التحرير المقدس فوق جبال الساحل السوري

بعد أن تم للجيوش العربية بقيادة فيصل بن الحسين احتلال البلاد العربية في شهر تشرين الأول عام ١٩١٨ وقع الأتراك مع الحلفاء هدنة هودروس عندما قامت فرنسا تطالب بإرثها من الامبراطورية التركية ثم كانت معاهدة .. سايكس بيكو السرية

المعروفة فاحتلت القوات الفرنسية في ١١ تشرين الأول سنة ١٩١٨ السواحل السورية واللبنانية من الاسكندرون حتى صور وعين الكولونيل الفرنسي ـ بيابان ـ حاكماً عاماً لها وفي ١٥ كانون الأول سنة١٩١٨ وجه الزعيم الشيخ صالح العلي دعوة عامة إلى بعض الزعماء ووجهاء اللاذقية وطرطوس للاجتماع في الشيخ بدر وقد لبى الدعوة فريق كبير منهم ونذكر منهم:

أحمد المحمود عدرة - محمد اسماعيل - الشيخ علي عباس - السيد اسبر زغيبة- السيد علي زاهر - السيد اسماعيل حسان - السيد محي الدين عديا

الشيخ أحمد مهيوب

الشيخ معلى

السيد أحمد غانم

الشيخ محسن خرفوش

الشيخ عبد الكريم الخير

وغيرهم وقد تحدث إليه الشيخ صالح العلي بما يحيق البلاد من الفرنسيين وسألهم عما إذا كانوا يتضامنون معه لإشعال نار الثورة وربط الجسور النضالية بين الساحل السوري ودمشق وتناقشوا في الأمر مدة ثلاثة أيام وبت الرأي لقيام الثورة.

اعتقال الفرنسيين لرجال المؤتمر ومعركة الشيخ بدر

٤. اعتقال الفرنسيون لرجال المؤتمر ومعركة الشيخ بدر:

لقد علمت السلطات الفرنسية بخبر هذا المؤتمر فاعتقلت السلطة الفرنسية من استطاعوا القبض عليه من رجال المؤتمر وتوارى الباقون وأرسل .. الفرنسيون يطلبون حضور الشيخ صالح العلي إليهم فرفض الدعوة لعلمه بالمصير

معركة الشيخ بدر:

كان المجاهدون في الساحل يرابطون في منطقة الشيخ بدر وقد انضم إليهم المجاهد الكبير حسن سعدية وأقرانه من رجال الساحل وهم محمود علي السليمان وهو شقيق الشيخ صالح العلي الأصغر مواليد ١٩٠٠ وكان يثق به ولا يفارقه ويتولى أمانة سره واسبر زغيبة ومحمد ابراهيم الشيخ محمد الخدام وقد أراد الفرنسيون ضرب الثورة والقضاء عليها في مهدها فتوجهت من القدموس إلى الشيخ بدر حملة فرنسية فتصدى الشيخ صالح العلي لمجابهتها مع أربعة من رجاله الأشداء وأنذر قائد الحملة بالرجوع وكان في موضع حصين والجنود في السهل واستمر الاشتباك لمدة ساعة وقد فر

الجند بعد أن حشروا ٢٥قتيلاً وغنم الشيخ صالح ما خلفوه وراءهم من أسلحة وعتاد وانتشر خبر هذا الانتصار فتوافدت عليه أفواج الثائرين في الثاني من شباط عام ١٩١٩ هاجم الفرنسيون الشيخ بدر بقوة كبيرة .. والتحم الشيخ صالح العلي ورجاله معها واضطرت للانسحاب وقد خسر الفرنسيون ٢٠ قتيلاً وثلاثة أسرى وكميات كبيرة من السلاح والذخائر وكان لهذا الانتصار أبلغ الأثر في المنطقة.

موقعة بيدر غنام أو
وادي العيون

في ١٥ حزيران ١٩١٩ زحفت طلائع الجيش الفرنسي تعززه طائرات الاستكشاف وكان المجاهدون يرابطون وراء الصخور فلما أصبح الجيش في منتصف الوادي انقض عليه المجاهدون يتقدمهم حامل راية الثورة مؤلفة من اللون الأخضر يتوسطها هلال ونجمة ونشطت المدفعية بقنابلها تحمي مؤخرة الجيش ورغم كل شيء فإن المجاهدين أحاطوا بالحملة الفرنسية من جميع الجهات ومزقوها شر ممزق واستمرت المعركة طوال النهار إلى منتصف الليل وبلغت خسائر الفرنسيين هناك //٨٠٠// بين قتيل وجريح وأسر ١٦ جندياً واستولى المجاهدون على مقادير كبيرة من الغنائم واستشهد البطل مصطفى خير بك أحد قواد الثورة من وادي العيون وابنته الوحيدة

معركة الحمام و المراقب
معركة المريقب

كانت قوة فرنسية تتألف من ثمانمئة فرنسي ترابط في موقع بين قريتي الحمام والمريقب فزحف الشيخ صالح العلي مع جمع غفير من المجاهدين الذين توافدوا عليه من جميع القرى إلى هذه القوة وأحاطوا بها من كل جانب، هاجموها بعنف وضراوة في ظلام الليل الدامس.

فما أشرقت صباح اليوم التاسع والعشرين من شهر حزيران عام ١٩١٩ حتى كانت هذه الحملة قد أبيدت بين قتيل وجريح وهارب وغنم المجاهدون كميات وافرة من السلاح والعتاد.

معركة المريقب:

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر تموز عام ١٩١٩ دارت رحى معركة بين المجاهدين وحملة فرنسية مؤلفة من كتيبة من الرماة فهاجمها المجاهدون بقوات .. ساحقة واستمر القتال وكان أروع ما حدث في هذه المعركة أن مفرزتين يقودهما الملازمان كارو وكييفر قد تمكنتا من إنقاذ طليعة الحملة من الحصار الخانق الذي أحدق بهما وسقط خلالها قائدها قتيلاً وقد تمكنتا من الدفع أمام المجاهدين.

وقفنا إلى أن هبط الليل حاجزاً وتمكن الجيش معه من الجلاء بمعداته فخسر الفرنسيون نصف قواتهم بين قتيل وجريح من الضباط والجنود كما استشهد فريق من المجاهدين، كانت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل //نيجر// يؤازرها الأسطول الفرنسي المرابط بين السواحل الغربية استمرت غارات الثوار الضارية على الجيش الفرنسي مقرونة بالظفر والغنائم وكان لها الأثر في عرقلة تقدم الجيش الفرنسي نحو المدن الشرقية.

استعداد المجاهدين وهجوم ثوار الساحل على طرطوس ومؤازرة الملك فيصل

إثر هذه المعركة خيم السكون على المنطقة الثورية، وفي هذه الثورة أخذ الفرنسيون يستعدون لمجابهة الطوارئ وبعد أن اتسعت الأعمال الثورية قام الشيخ صالح العلي بإحداث تشكيلات منظمة تعنى بتوزيع السلاح والذخائر على المجاهدين المتطوعين، وبعد أن اتسع نطاق الثورة وكثر عدد المتطوعين للجهاد كان لا بد من تمويل الثورة بالسلاح والعتاد وقد أوفد الشيخ صالح العلي السيد أنيس أبو فرد فقابل الملك وأصغى إليه وطلب منه مؤازرة الثورة للصمود أمام المستعمرين فأوفد في غضون شهر تشرين الأول سنة ١٩١٩ الشريف عبد الله مصحوباً بكمية من السلاح والعتاد وزار مناطق الثورة وشاهد فظائع التخريب وبدأت ترد الذخائر والمساعدات المتنوعة عن طريق حماة واستمرت المراسلات بين الملك والشيخ صالح العلي حتى انهيار العرش الفيصلي.

أكمل الشيخ صالح العلي استعداده الحربي وكان الفرنسيون قد حشدوا قواهم في طرطوس فقرر مهاجمتها لإفساد خطط الفرنسيين وفي مطلع شهر نيسان عام ١٩٢٠ ازداد عدد المجاهدين فأصبحوا بالآلاف واقتضت الحركات الحربية أن يرأس فرق

المجاهدين بعض النظاميين من الجيش السوري لتدريبهم وتوجيههم.

وفي فجر ٢٦ شباط عام ١٩٢٠ بدأ الشيخ صالح العلي هجومه على مدينة طرطوس من ثلاث جهات الشمال والشرق والجنوب في ترتيب وتنظيم بلغت فيه البراعة أقصاها وأحاط بالجيش الفرنسي وكان محاصراً في ثكناته العسكرية ودارت رحى معركة بين بعض فرق المجاهدين والفرنسيين بالسلاح الأبيض وقامت فرق أخرى باحتلال دار الحكومة واحتلال المؤسسات ولم يجرؤ الجيش على الخروج من ثكناته فكان يدافع من وراء الأبواب.

اجتماع الشيخ صالح العلي مع يوسف العظمة والحكم على الشيخ صالح العلي بالإعدام

بدأت المعارك بين المجاهدين والفرنسيين تزداد عنفاً واحتداماً وامتد لهيبها فحشدت القيادة الفرنسية أكبر عدد من سلاح المدرعات وحلبة الإمدادات واستبدلت فرقها بجنود اعتادوا على القتال في المناطق الجبلية من افريقيا والهند الصينية والفرنسية وجعلت القدموس نقطة ارتكاز هامة للجيوش وفي غضون هذه المعارك المتواصلة وجه يوسف العظمة وزير الحربية السوري دعوة إلى الشيخ صالح العلي فاجتمع فيه في قرية السويدة الواقعة بالقرب من مصياف وتباحثا في شؤون الثورة وأقسما يمين الولاء .. والوفاء ولما فشل الفرنسيون بالقبض على الشيخ صالح العلي التأمت المحكمة العسكرية برئاسة الجنرال غورو وقررت الحكم عليه بالإعدام .. وذكرت أنه قائم بثورة عنيفة أدت إلى قتل الكثير من الجنود الفرنسيين ثم أذاعوا هذا الحكم في مناشير كانت تلقيها الطائرات في كل مكان مأهول ولم تمض أيام حتى وصلت أخبار الحكم للساحل فاستولى على الناس الرعب والهلع والقلق على حياة شيخهم وقائدهم وود كل مخلص أن يكون بيته ملاذ للشيخ صالح العلي ليخفيه عن أعين الأعداء والجواسيس ولو أدى بصاحبه للتضحية بروحه وذويه وهل ثمة ما هو أعز على المخلصين من حياة شيخهم وزعيمهم وهل ثمة أمنية أعز على النفوس من أن يضحي صاحبها بروحه من أجل حيلة الشيخ لقد كان الشيخ صالح في مكان لا يحصيه فكر ولا ينفذ إليه البصر بل إنه في مكان غير مستقر غير معروف يدأب على التنقل حتى أصبح في مأمن من معرفة الناس له واشتباههم به وغدى منظره يشتبه على أكثر الناس إليه قرباً وقد صدف ان التقى به جنود فرنسيون في أمكنة مختلفة من مناطق

الثورة فكانت رباطة جأشه سبباً في نجاته.

وفي السابع من شهر تموز عام ١٩٢١ خضعت منظفة الساحل وانتهت بذلك الأعمال الحربية فيها ولما عجز الفرنسيون عن اعتقال صالح العلي ولما وجدوا أن لا طاقة لهم بالاستمرار على هذا الحال أيقنوا أن لا بدّ لهم عن إصدار العفو أذيع قرار العفو بواسطة المناشير المحمولة على الطائرات وتحمل توقيع الجنرال غورو وهو يقسم بشرفه العسكري أنه لن ينال الشيخ بأذى ولن يمسه بسوء وأسرع الناس إلى تلاوة المناشير والدموع في عيونهم والخفقة في قلوبهم ولم تمض ساعات حتى أذيع ها النبأ في الساحل السوري بأجمعه.

هو المجاهد الجبار الوطني المؤمن بعروبته الذي رفع شأن بلاده بثورته وتضحياته والزعيم الديني الذي تحلى بأفضل سجايا الرجال، انحدر من أسرة عربية عريقة ولد عام ١٨٨٣ في قرية المريقب والده الشيخ علي سلمان الذي نذر نفسه لله ولمكارم الأخلاق وبنى مسجداً اعتكف فيه طيلة أيام حياته وكان مرجعاً كبيراً لطلاب العلم والحاجات والحكم والفصل في المشكلات وعظائم الأمور أنجب والده:

الشيخ محمد كامل والشيخ صالح والشيخ عباس والشيخ محمود

ومن العهد العثماني كان الشيخ صالح خصماً للأتراك وقد حدث بينهم وبينه مواقع عدة من أجل الكرامة العربية.



القائد الوطني البطل والشاعر صالح العلي

((كان يخوض المعارك حاملاً بندقيتين، ويستعين بزوجته حبابة/ فإذا أفرغ البندقية الأولى ناولها إياها فتحشوها وتقدمها له بخفة ورشاقة وكانت ترمي الأعداء بالرصاص وتحسن إصابة الهدف)) ...

بداية عهد الشهادة

وجمال باشا السفاح

ما كاد حمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع وناظر البحرية يتسلم زمام صلاحياته الواسعة حتى شرع يصب بطشه على كل من كانت له صلة بإحدى الدول المتحالفة ضد تركيا وألمانيا والنمسا أما بقية الناس فكانوا في خوف دائم وسكوتٍ مطبق وكانوا يلزمون بيوتهم ولا يغادرونها إلا لعمل يكفيهم مؤونة الحاجة ويرد عنهم غائلة الجوع الذي كان يجتاح لبنان بصورة خاصة وبقية أرجاء سورية بصورة عامة.

وقد عبر أحد الشعراء عن هذه الحالة المؤسفة بقوله:

يا قوم لا تتكلموا ... إن الكلام محرمُ

ناموا ولا تستيقظوا ... فما فاز إلا النوّمُ



الظالم المستبد جمال باشا السفاح

وقد ذاقت الإنسانية في هذه الحرب الضروس كؤوس الفجيعة والعذاب المرير وقاست البلاد العربية وخصوصاً سورية ولبنان ألوان الشقاء وآلام الجوع فأيقظ ذلك قرائح كثير من الشعراء العرب فوصفوا مشاهد البؤس والضنك بقصائد تقطر حزناً ومرارة وأسى وصوروا بقصائدهم الجثث الملقاة على قارعة الطريق وفي هذه الفترة كثر محتكرو الغذاء والدواء والوقود ولو استطاعوا لاحتكروا الماء والهواء ولو مات الناس عطشاً واختناقاً، فقد ماتت ضمائر الكثير وكثر عباد المال واختفى الدقيق من الأسواق كما اختفت حاجات ضرورية عديدة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها أو يعيش بدونها.

وفي عهد الملك فيصل الأول أصبح وزيراً للزراعة والتجارة والأشغال العامة وقد عاصر جمال باشا وعرفه عن كثب حيث كان مديراً لديوان حكومة لبنان ورئيساً لمجلس ترجمة القوانين من التركية إلى العربية وليوسف الحكيم عن العهد العثماني وعن العهد الفيصلي وعن بيروت ولبنان وعن فخر الدين المعني الثاني وعن سورية وعن الانتداب الفرنسي مؤلفات نفيسة من اهم وأروع ما كتب في التاريخ والسياسة، وقد تعرض المهتمون لأفظع انواع التعذيب فكان الجلادون العثمانيون ينهالون عليهم بالسياط والهروات حتى إذا فقدوا

وعيهم صبوا عليهم الماء البارد وعادوا على استجوابهم بطرائق وحشية، وقد اعترف بعض المتهمين أنهم قاموا بطلب إصلاح إداري دون أن يسيئوا إلى الدولة أو يقوموا بأي عمل مغاير لها أو يتصلوا بع إعلان الحرب بأي عدو من أعداء العثمانيين ولكن جمال باشا وأعوانه أغلقوا آذانهم ورفضوا كلمة الحق وأصروا على إنزال عقوبة الإعدام برجالنا الاحرار.

إعدام القافلة الأولى من شهداء الأمة العربية

في فجر ٢٠ آب عام ١٩١٥ علق على المشانق في ساحة البرج ببيروت أحد عشر شهيداً تم إعدامهم حسب الترتيب التالي:

١. الشهيد عبد الكريم الخليل
٢. الشهيد محمود المحمصاني
٣. الشهيد محمد المحمصاني
٤. الشهيد عبد القادر الخرسا
٥. الشهيد نور الدين القاضي
٦. الشهيد سليم أحمد عبد الهادي
٧. الشهيد محمود نجا عجم
٨. الشهيد محمد مسلم عابدين
٩. الشهيد نايف تللو
١٠. الشهيد صالح حيدر

إعدام القافلة الثانية من شهداء الأمة العربية

في فجر يوم السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤هـ الموافق ٦ أيار ١٩١٦ علق على أعواد المشانق في دمشق سبعة من مجاهدينا الأحرار وهم حسب التسلسل في إعدامهم كالتالي:

١. الشهيد شفيق بك مؤيد العظم
٢. الشهيد عبد الحميد الزهراوي
٣. الشهيد عمر الجزائري من دمشق
٤. الشهيد شكري العسلي من دمشق
٥. الشهيد عبد الوهاب الإنكليزي
٦. الشهيد رفيق رزق سلوم من حمص
٧. الشهيد رشدي الشمعة من دمشق

وفي فجر اليوم نفسه، علق على أعواد المشانق في ساحة البرج ببيروت أربعة عشر شهيد وهو حسب تسلسل إعدامهم على الشكل التالي:

الشهيد باترو باولي
الشهيد جرجي الحداد
الشهيد سعيد عقل
الشهيد عمر حمد
الشهيد عبد الغني العريسي
الشهيد الأمير عارف الشهابي
الشهيد أحمد طبارة
الشهيد محمد الشنطي اليافي
الشهيد سيف الدين الخطيب
الشهيد سيف الدين الخطيب
الشهيد علي حاج عمر النشاشيبي
الشهيد محمود جلال النجاري
الشهيد سليم الجزائري
الشهيد أمين لطفي الحافظ

إن هؤلاء الشهداء جميعاً وغيرهم ممن أعدمهم جمال باشا السفاح

تكريم شهداء ٦ أيار عام ١٩١٦م

(في سبيل المجد والأوطان نحيا ونبيد)

هناك شهداء كثيرون اغتالتهم يد الغدر وعلقوا على أعواد المشانق في العهد العثماني البغيض ولكن الأمة العربية وخصوصاً سورية ولبنان تحتفل بذكرى السادس من أيار احتفالاً يليق بعظمة الشهداء والشهادة التي قدمها أولئك الأبطال الصناديد وفي ٦ أيار عام ١٩٧٠ كلف السيد الرئيس حافظ الأسد بإلقاء القصائد والكلمات بهذه المناسبة الجليلة تكريماً لذكرى أولئك الذين بذلوا أرواحهم على مذبح الاستبسال والفداء ولم يقف تكريم شهداء السادس من أيار عند هذا الحد بل أطلقت أسماؤهم على العديد من شوارع كبريات المدن السورية واللبنانية وعلى بعض شوارع المدن العربية إن الدم العربي الساري في عروقنا نحن العرب لا يرخص إلا في واقف البذل والتضحية من أجل عزة العروبة وكرامة أقطارها الحرة المناضلة فكم من عربي سفك دمه على مذبح الحرية فكان بحق بطلاً مكرماً في تاريخ أمته وشهيداً مجيداً في موطن الخالدين ولا ريب أن الاستشهاد قمة الأمجاد وأن الأمة التي تقدم الضحايا لا يمكن أن تقهر لأنها ترفض الهزيمة وتتحدى الموت ومن يطلب الموت توهب له الحياة وبعد هذه الجريمة الكبرى التي ارتكبها جمال باشا لُقّب بالسفاح وعد المؤرخون عمله عملاً جنونياً لا يمكن أن يصدر إلا عمن فقد عقله واتزانه وضميره ومن الغريب أنه لم يقتل بيد عربية ولكنه قتل عام ١٩٢٢م في مدينة تغليس الكائنة جنوبي غربي الاتحاد السوفياتي حيث قتله شابان أرمنيان انتقاماً لقومهما الأرمن الذي سامهم السفاح أشد ألوان العذاب والتشريد والاضطهاد وفي العام نفسه ١٩٢٢ ولسبب ذاته قتل أنور باشا رفيق جمال وزميله في جمعية الاتحاد والترقي وشريكه في خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وإذا كانت اليد العربية لم تثأر من جمال باشا السفاح فإنها ثأرت بعد ذلك من الأمة العثمانية كلها وطردتها من جميع أقطارنا، فبعد شهر واحد من تعليق أحرارنا على أعواد المشانق راح الشريف حسين أمير مكة المكرمة يفكر جدياً في الانتقام للدماء العربية الزكية التي أريقت في سبيل استقلال العرب وسيادتهم ومنذ راح يغتنم الفرصة لإعلان الثورة على الدولة العثمانية ولتخليص بلادنا من شرورها وكانت بريطانيا تترقب هذه الثورة من زمن وخصوصاً بعد أن قام جمال باشا السفاح بتلك المجزرة المروعة وكانت المفاوضات بدأت في تموز عام

١٩١٥ بين مكماهون المفوض البريطاني السامي في القاهرة وبين الشريف حسين أمير مكة على فصل البلاد العربية عن المملكة العثمانية وإعطاء العرب حقهم في السيادة والاستقلال باعتبار السلطة التركية معتدية على العرب ومغتصبة الخلافة من أهل البيت الهاشمي وقد تركت انكلترا للشريف حسين أن يعلن الجهاد المقدس في لأول فرصة يراها مناسبة على أن تزود حكومة صاحب الجلالة بكل ما يحتاج إليه من سلاح وعتاد ومال وأن تمده بالمدربين والخبراء والمهندسين والضباط وإذا لزم الأمر وداما المفاوضات تسعة أشهر بين المستر ستروس والضابط البريطاني لورنس من جهة وبين أنجال الحسين الأمراء علي وعبد الله وفيصل وزيد من جهة أخرى، وكان الشريف حسين يطلع أول بأول على سير المفاوضات ويبدي رأيه وتوجيهاته بشأنها وقد قام السوريون الذين كانوا مقيمين في مصر وعلى أثر إعدام أحرار العرب كان الأمير فيصل بن الحسين في دمشق وحل ضيفاً مكرماً على آل بكري وكان يجتمع سراً بزعماء الشام ويباحثهم في قضية الثورة والاستقلال وكان في الوقت نفسه يزور جمال باشا فيلمس منه أجمل ألوان اللطف والمودة وكان فيصل يوهم جمال أن أباه الشريف حسين يعمل على تجنيد رجال العشائر وتدريبهم على حمل السلاح ليقوموا بواجبهم في محاربة الحلفاء ومشاركة إخوانهم العثمانيين في احتلال قناة السويس والاستيلاء على مصر ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز كان الأمير فيصل يجامل جمال باشا ويدخل في روعه وعندما تأزمت الأمور بين من بقي من أحرار العرب وبين القائد العثماني الطاغية جمال تلقى هذا برقية من الشريف حسين مفادها أن يرسل إليه على جناح السرعة ولده الأمير فيصل ليتولى قيادة خمسة آلاف مجاهد أعدهم للمشاركة لإخوانهم الأتراك في محاربة الانكليز ونجحت هذه الخدعة.

الفصل الثاني

الباب الرابع

الشهداء أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر
من أقوال الرئيس المناضل حافظ الأسد



الشهداء أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر
من أقوال الرئيس المناضل حافظ الأسد



إمام المجاهدين الشيخ أحمد الغبيط

تولد الغارية الغربية ١٩١٨ ورحل إلى جوار ربه ١٩٧٦



الشيخ محمد أحمد الغبيط

إمام المجاهدين الشيخ أحمد الغبيط

الشيخ محمد احمد الغبيط نجل الشيخ احمد الغبيط تولد الغرية الغربية ١٩٤٤ الشيخ محمد هو من اجمل القناديل الوطنية والفقهية نبت على دروب الحرية وله من عقله حركة إبداعية ثقافية وسياسية بل هو مرآة كرامة للمنطقة الغربية والإذاعة والتلفزيون أجرت له عدة مقابلات حيث طلب بعض الإصلاحات في المنطقة الغربية من السيد محافظ درعا واستجاب له.

هذا الشيخ الفاضل رجل ولا كل الرجال نشمي العروبة وأصيل الخال أخي القاري تعال معي حتى نسير معك وبك على الساحات الواسعة التي غطاها هذا المجاهد الكبير حتى وصل إلى شواطئ النصر بكثير من التضحيات وكثير من أيادي السخاء والعطاء وأيادي بيضاء ولم يقبل الانحناء إلا إلى رافع السماء وحتى وصل إلى موقع متقدم في ثقة القيادة وحب المواطنين التي هي النسيج الأقوى إلى حياته حتى أصبح بدراً ساطعاً يطلق إشعاعاته الضوئية من أجل تبديد الظلام في نفق العدوان والصهيونية وزفته مهرجانات أولادنا الشهداء حيث أبعدته عن الهم وغيوم الحزن حينما شاهد قطرات الدماء من



الدكتور فخري أحمد الغبيط



الأستاذ قاسم محمد الغبيط

أولادنا و هم الذين زرعوا ورود حمراء من دمائهم الزكية على دروب الحرية هذه الساحات التي غطاها هذا المجاهد بكثير من الصبر والإرادة والكثير من المعنويات التي زرع بذورها في كثير من الشرائح النضالية لا تزال مقولة عبد الناصر تهل علينا مع إشراقة كل فجر ((إن الأمم العظيمة لا تعتبر الأبطال من شهدائنا مجرد ذكرى وإنما تعتبرهم معالم على طريق انتصاراتنا)) وهكذا كان يردد الشيخ أحمد الغبيط ما قاله القائد عبد الناصر وحتى حينما استشهد أولاده لم يقبل التعازي والمطلوب هو التهاني بحيث دماء الشهداء هي بقعة ضوء القادرة على تبديد الظلام في نفق العدوان الصهيوني وحتى الوصول إلى شواطئ النصر على مشارف الأقصى ودماء الشهداء التي روت أرض فلسطين وسورية بها هذه الأرض اكتسبت هذه القدسية من دماء الشهداء ها هو الشيخ أحمد الغبيط وهذه أفعاله لم تغب عنا قط مصداقية ما قاله وله حضور مقدس بيننا وقدسية هذا الشيخ الذي كان يزرع الصيغ الفقهية الجهادية في أجيال متعاقبة وهذه معطياته الخيرة وإنني لم أشاهد قبل رحيله ولكن النسمات العطرة من السمعة الطيبة التي نسجها في يد سخاء وعطاء وحتى زينت خيوط العباءة العربية في قصب الذهب التي ارتداها التي نبتت على دروب الحرية وأخيراً أنني عاجز أن أنسج الكلمات إلى إمام المجاهدين.

والشيخ أحمد الغبيط أقول هذا ما طفح في غيوم تفكيري ولكن الأجيال التي عاصرت هذا الشيخ هي التي تبقي ذاكرة حية على البصمات المضيئة له.

أن الشيخ أحمد فرحان الحسن الغبيط درعا والدته خديجة تعلم العلم في دمشق في دار الحديث على يد فضيلة العالم الأول (بدر الدين الحسيني والعالم الثاني علي الدقر) رحمهم الله وكان بصحبة الشيخ الفاضل عبد العزيز أبازيد في تلقي العلم وأمضى الشيخ شواطئ النصر على مشارف الأقصى ودماء الشهداء التي روت أرض فلسطين وسورية بها هذه الأرض اكتسبت هذه القدسية من دماء الشهداء ها هو الشيخ أحمد الغبيط وهذه أفعاله

لم تغب عنا قط مصداقية ما قاله وله حضور مقدس بيننا وقدسية هذا الشيخ الذي كان يزرع الصيغ الفقهية الجهادية في أجيال متعاقبة وهذه معطياته الخيرة وإنني لم أشاهد قبل رحيله ولكن النسمات العطرة من السمعة الطيبة التي نسجها في يد من سخاء وعطاء وحتى زينت خيوط العباءة العربية في قصب الذهب التي ارتداها التي نبتت على دروب الحرية وأخيراً إنني عاجز أن أنسج الكلمات إلى إمام المجاهدين.

والشيخ أحمد الغبيط أقول هذا ما طفح في غيوم تفكيري ولكن الأجيال التي عاصرت هذا الشيخ هي التي تبقي ذاكرة حية على البصمات المضيئة له.

وأمضى الشيخ أحمد الغبيط في طلب العلم في دار الحديث في دمشق سبع سنوات وتخرج منها علاماً مدرسا في أصول الفقه ودروس اللغة العربية وأصول الفقه للتلاميذ آنذاك وبعدها عاد إلى بلدته الغرية الغربية وهو ينتقل في قرى حوران من بلدة إلى أخرى حتى شاءت الأقدار أن تكون حياته المستقرة في قرية عابدين - هنالك أصبح عالماً مسئولاً عن الإفتاء في جميع القرى التي حوله وأخذ بدوره يعلم أبناء القرية والقرى المجاورة تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في المساجد والأخذ بأيديهم إلى كتاب الله عز وجل في القرآن والكتابة والتجويد وهو على رأس عمله تخرج من هذه المساجد رجال يحفظون كتاب الله على الوجه الشرعي - وكان عالماً ورعاً بين الكتاب والسنة الشرعية التي تقام لها وكان له دوراً كبيراً بالتقليل من عصبية العشائر الموجودة. وله دوراً كبيراً في المقاومة على الفرنسيين ورفض أوامرهم وأطلق الشعارات على الفرنسيين بأنهم استعمار قتلة عند ذلك قررت القيادة الفرنسية قتله بسبب أنه هو الرجل الذي أطلق النار على الطائرة الفرنسية - وهو الذي سجل بطولة مشرفة مع أبناء بلدته على إخراج الفرنسيين آنذاك وأكمل المهرجانات بخروج الفرنسيين من سورية وعاش الإمام أحمد الغبيط بين قرى متعددة كقرية الشجرة وكويا ومعرية وبيت آرا وجملة ونافعة وكان يخطب فيهم ويعلم أبنائهم ويغسل أمواتهم ويصلح بين بعضهم البعض - وكان الإمام المجاهد مزارعاً نشيطاً يأكل من عمل يده حتى كان له السمعة الطيبة بين الناس والدولة حيث قام بدور كبير مع المجاهدين

الفدائيين في سورية حينما يذهبوا على مهمات القتال بالذهاب والإياب ويشد على أيديهم ويزودهم بالطعام والمال إذا انتقصوا وعلى امتداده الجبهة الغربية الجنوبية وتأتيه بطاقات شكر من القيادات الفدائية (وهو يقول لهم من جهز غازياً فقد غزا) وكان من طبعه أن لا يترك بندقيته إلا في الصلاة متوشحاً بصفوف الرصاص تعرف في وجهه نظرة النعيم وكان له دور في حرب ١٩٦٧ حيث شجع أبناء القرية بحفر الخنادق في الأرض ويعلمهم الدروس الحربية. ورفض كل الرفض أن يخرج من البلدة إذ نزل عليه صاروخاً من إسرائيل دقيق الإصابة (على الخندق) فدمر الخندق وهو يشجع الناس ولا تولوهم الأدبار الحذر ثم الحذر - وبينما هو وأفراد عائلته من الأطفال وهو ينقل أولاده الشهداء وهو يقول الكلمة المشهورة له التي دوت في أرجاء محافظة حوران يا رب لك الحمد نارها وغيارها ولا نولي أدبارها وجاء إليه بعض المسؤولين إن ذلك في الدولة السورية فقابلوه كل حب وعرفان بأن يحج على نفقة الدولة السورية فرفض ذلك ووصل المبلغ المالي لصالح المياه وتمديد المواسير لصالح القرية التي كانت تعاني من هذا الانقطاع من شبكة المياه وعاش فضيلة الإمام المجاهد رحمه الله بين العلم وعلم وعمل وعلم أولاده العلم والأخذ بالأسباب والمسببات حتى أصبح في أيامه الأخيرة في رغد العيش ووسعة من المال والحياة والشموخ وموضع التقدير المسجلة له على صفحات من ذهب بحروف من نور والذي كان كنفة عمله ولده الشيخ محمد أبو قاسم للدراسة في دمشق في دار الفراء على يد شيوخ أفاضل منهم فضيلة الشيخ يحيى زميتة رحمه الله تعالى وأكمل تعليمه على يد والده الإمام المجاهد وأوصاه بتعليم الباقين من أولاده حيث تخرج أخاً له الأستاذ فخري أحمد أبو معاذ الغبيط من المدارس الشرعية الجامعية والدبلوم والدكتور في الفقه الإسلامي وتبعه ولده الأستاذ قاسم أبو مدين الغبيط خريجاً جامعياً شرعياً والدراسات العليا من الجمهورية العربية السورية والآن يحضر الدكتوراه في كلية الأوزعي للعلوم الشرعية في دمشق وبنات اثنتين وزوجة صالحة وانتقلت إلى رحاب الله عز وجل وهي تحمل قدسية العذراء وطهارة الأنبياء وبنت في أحضانها أجمل القناديل الوطنية والفقهية نبتوا على دروب الحرية وحليبها الطاهر هو نبع الحنان الصافي من شلالات القلب الدافئ والله هو القوي الكافي هذه الفقيدة الفاضلة كانت حضانة للرحمة على الأولاد والبنات - بزرع التربة رأت بمنظار العطف الأبوي على هؤلاء الأولاد وهم قناديل تهتدي على خطاهم أجيال الشباب وعلى المقدمة الشيخ محمد أبو قاسم وإني شاهد عيان على هذه التضحية وهي آخر مراحل حياتها وهي على محراب فراش الموت يساهرها الليالي وكان يستخدم نفسه وجميع أفراد أسرته لتقديم الخدمات إلى هذه الفقيدة ورحلت عن هذه الدنيا وهي تحمل الرصيد

الكثير من الرضى والرحمة على الأولاد والبنات وهذه الخصوصية من الرحمة أخذ النصيب الأوفر الشيخ محمد أبو قاسم وهو مثل حي على التضحيات على هذه الفقيدة ومات الشيخ المجاهد سنة ١٩٧٦ نهار الاثنين ليلة الإسراء في دمشق مستشفى المواساة وتوافدت على تأبينه محافظة حوران وجميع أقاربه وعلماء دمشق ودرعا وعلى رأسهم وزير أوقاف دمشق عبد الستار السيد رحمه الله قد بنى مسجداً في حياته في القرية وأوصى بعمارة مسجد ثاني من أرضه الخاصة وفقاً لعمارة المسجد ونفذت وصيته وقد قال أحد المتكلمين في بيت شعر منتظم - أيا ليلة الإسراء ما كان فقصدنا بأخذ الحبيب الحيت والشريان الأبهر - لقد تم صياغة هذا الموضوع عن هذا الشيخ الفاضل وأطيب الثمر أواخره قمت في جولات ميدانية ما بين الغارية الغربية وعابدين الحدودية من أجل الحصول على معلومات شفهية عن هذا المجاهد الفذ الشيخ أحمد الغبيط لقد وجدت سجل حافل بالمكرومات الدينية والوطنية من خلال الذاكرة الشعبية لقد قابلت شخصية اجتماعية فذة من مدينة الشجرة وهو (جبر العبيدات أبو نايف) وجدت في جعبته كثير من المعلومات القيمة عن مآثر الشيخ الغبيط وأبو نايف العبيدات من الرجال الغالبي عليهم الأخذ والعطاء من الكلام الطيب وهو ينحدر من جذور عشيرة العبيدات هذه العشيرة لها كثافة سكانية في سورية والأردن وأفرزت الكثير من القيادات الوطنية - والمؤرخ الكبير محمود العبيدات هو من مشاهير المؤرخين في سورية والأردن لقد نقل عن كتابي صور مشرفة عن نضال حوران مرجع تاريخي ونشر مقالاً في جريدة الدستور الأردنية منها الاثنين ١٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٣ تحدث فيها عن كتابي وكتاب العماد مصطفى طلاس وأما في سورية أفرزت هذه العائلة رموز نضالية وخاصة نضال الفلاحين لقد وصل جبر العبيدات إلى موقع متقدم في نضال الفلاحين في محافظة درعا وقد نبت في أحضانه أجمل قناديل الوطنية والإعلامية: هو الأستاذ نايف مدير مركز الإذاعة والتلفزيون في محافظة درعا والذي غطا الساحات الإعلامية والأثرية في الأوساط الشعبية إن المنبر الإعلامي السوري هو درع كرامة إعلامية وعربية في المحافل الدولية كل الشكر إلى أبو نايف الذي شدني إلى احترامه بالشهادة الذي قدمها عن هذا الشيخ أحمد الغبيط وأما الشاعر الأستاذ عبد الكريم الحمصي الذي يختزن الكثير من الصفات الجميلة عن إمام المجاهدين عن الشيخ أحمد الغبيط عندما شاهد الدم الأحمر ينزف من أولاده - فاهتز طرباً وزال عنه الهم وغيوم الحزن وهم الذين زرعوا ورود حمراء من دمائهم الزكية على دروب الحرية وهذه ضريبة الفداء التي قدمها هذا الشيخ الفذ القرابين الرخيصة في سبيل الله والوطن وهذا ما يدفعه الإنسان من مهج الغالية التي انحدرت من حياته.

أمير الشعراء في حوران الأستاذ عبد الكريم الحمصي ارتقى إلى قمة الأدب الشعري ومعطياته الخيرة وطفح في خياله الشعري ورافق الغيوم التي أظلت خالد بن الوليد على ضفاف اليرموك ويومها هطلت على جبينه قطرات الندى أوسمة السحاب المنطلقة من رب الأرباب إنها أوسمة شجاعة زينتها من أثمن البضاعة يا نصرة الجمعة والجماعة وعشقه للرحمن أصبح له مناعة إني أردت أن أنسج معاشي في هذه الكلمات على آخر قصيدة صدرت للأستاذ عبد الكريم الحمصي الذي رافق خالد بن الوليد بكلماته الأدبية إنها رديفة لرصاصة البندقية وكلماته الأدبية زينت الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر والأستاذ والشاعر زينت قصائده صفحات كتبي التي صدرت منذ ١٥ عاماً وتصورت عناد هذا الشاب المغوار وهو يرافق سيف الله التي فتح مقابر جماعية للقوات الصليبية والأستاذ نايف العبيدات مدير الإذاعة والتلفزيون في درعا شديد الإعجاب بهذا الشاب الأديب الذي أصبح نجماً ساطعاً أمام مرآة الإذاعة والتلفزيون وتبدأ القصيدة الشعبية النبطية :

امنين تبدا خطوتك يابن الأكرام

يا مرافق وحش الفلا مع وعرها

يا مرافق نجم السما وطني الظلام

ويا مرافق شمس الضحى مع قمرها

تمشي على الجالين تمشي بالأقدام

ولا راكب من فوق ناقة وظهرها

جريرة الزيدي زنود بالأكمام

وأهل الجراعة وكاشفة عن صدرها

يا واصل ما بيننا وصل الرحام

كنك كبد حوران ولا قدرها

بك علقت القلوب من قبل الاخطام

والحب يعلق بالنفس من صغرها

يا مورد الزينات أمات الخزام

كنهن زهر نوار ولا عطرها

يا مرافق الصياد عشاق الريام

يرتاح بظل الكروم وشجرها

يا مرافق الرعيان وقطات الغنام

ولكبوش للضيفات من هو ثمرها

يا مرافق اليرموك عام بعد عام

وابـن الـولـيـد الـلـي تـقـحـم خـطـرهـا

يـا زيــدي يـا وادي المـعـالم والأعــلام

عـلـى حـقـافـك دوم حـايـم صـقـرهـا

تمــر في ذرعـــات وتمــشـــي لـقــدام

وتـصـب في نبـع الـشـريـعـة ونـهـرهـا

تمـتـد مـثـل الـسـيـف والـسـيـف صـمـام

يـصـحـي قـلـوب الـلـي يحـاول قـهـرهـا

يـا بــادي الخـطـوة مـن قـلـيـب حـوران

ورويــت مـن ثـلـج الجـبـل مـن مطـرهـا

المــي يـا هـل الحــي نـعـمـات وأنـعــام

وربــك يــزود نـعـمـتـو مـن شـكـرهـا

أقدم شكري إلى فارس الفكر والعلم خليل ابراهيم الخطيب والذي صوب فكره وتفكيره على حبر الأقلام مثل صواريخ سام وآتي لا أنس الهد الأدبي الذي بذله في تصليح بعض الجمل المغلوطة في كتابي الثالث إنه صاحب مطبعة في درعا يحمل إجازة أدب عربي.

ونختم هذه الصيغة النضالية على هذا الكنز الثمين من الجهاد المقدس

لا زلنا نسير على أجمل مقال والدخول على شمس النهار إنه الدكتور فخري أحمد الغبيط الذي أحسن الاختيار في أدائه الخير بالعبودية إلى رب الليل والنهار وزرع البذور الخيرة في أجيال متعاقبة في سورية وعلى شواطئ الخليج تدفقت أمواج العلم والمعرفة حتى تكون بقعة الضوء التي تدرج عليها هذه الأجيال هذا الأستاذ الذي ولد في حياته الطاقة الذكية وله الامتياز الأول في الجامعات السورية وهناك (على شواطئ الخليج تحديداً أبو ظبي) أحسن الاختيار للكلمة الطيبة الدافئة التي رافقتها رياح الخليج الساخنة وتحريك الأمواج العالية حتى تكون الربيع الأخضر في القلوب العامرة والعيون الساهرة الناظرة إلى رب الأولى والآخرة وهذا الدكتور الذي التزم في مصداقيته أمانة التعليم ورافقته مسيرة طهارة (الضمير) الزاهي من العالم الخبير الذي أحسن التدبير إلى يوم النفير إنه الرب الكبير ولكنها وقفة عز وإجلال إلى هذا الرمز من رموز الجهاد الذي وقف شامخاً على مشارف كل واد وإنه

حضانة للرحمة على البنات والأولاد وقد درس الأستاذ فخري أحمد الغبيط (أبو معاذ) في دمشق الشام في المزة وهو من الرجال الأوائل في الجامعة السورية ودرس في الثانوية الشرعية للإمام النوري في درعا عند ذاك سافر إلى بلاد الخليج (أبو ظبي) ودرس في الكثير من المدارس الخاصة والعامة وتوسع في (المنارة) وثانوية (النهضة) والمشاعل والورود والمدرسة اللبنانية الثانوية وخاصة في التربية والتعليم وفي مدينة العين ومدينة زايد الثانوية الزايدية (لسمو الشيخ زايد الخير) وكان موجهاً قوياً وبارعاً مفسرا لعلوم الحديث والسنة حتى أصبح مرجعاً فقهياً على جميع المذاهب الإسلامية وكان طموحه دائماً العلم والتعليم والدراسة وكان دائماً يحب الزراعة وخاصة الأشجار المثمرة وكان بطبعه ودوداً يوصي بالأرحام وقد عاش الأستاذ فخري أبو معاذ في المهجر أكثر من خمسة عشر عاماً ثم عاد إلى بلده الأم سورية الحبيبة شامخاً مرفوع الرأس وكانت هوايته مجالسة العلماء والتمحيص في الإفتاء والتدقيق ويحب ترفيه النفس في حب الصيد والأمثال القديمة.

ولنا عودة على تصويب الفكر والتفكير على حبر الأقلام على الفارس الذي انطلق إلى أرض الخليج وهناك لا يضام إنه الدكتور فخري الذي صوّب فكره وتفكيره حتى يقترف من جعبة تفكيره الصيغة الفقهية إلى أجيال الناشئة من شرائح الطلاب والدكتور فخري الذي قطع آلاف الكيلومترات ليس من أجل كسب مادي فحسب ولكن من أجل السخاء والعطاء وزرعها في وجدان الكرماء من النشء الطلابي هناك وعلى أرض الخليج وتحديداً أبو ظبي وجد هناك حضانة الكرامة والتكريم من هذه الدولة الفتية وهي مرعية بقيادة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وأولاده وهو انطلق إلى أرض الغربة حتى يعطي الصيغة الفقهية ومعطياتها الخيرة وإن شعب الخليج أحسن الاختيار على الشيخ زايد إنه شمس النهار والربيع الأخضر الزاهي في كل دار والمطلوب الاستمرار على هذا المشوار من أجل إعمار الديرة والديار واستقبال الخطّار في وضح النهار. والدكتور فخري دائماً يردد عبارة إن دولة الخليج هي جنة الغرباء والشيخ زايد الذي ارتدى العباءة الخليجية ونسج خيوطها الذهبية على صدر الكرامة العربية. هذه قصيدة يقدمها المؤلف أحمد الزعبي إلى سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة. وإن الدكتور فخري يزف أجمل آيات الشكر والعرفان للشيخ مسلم بن سالم بن حم العامري وآيات الحب والتقدير لجميع شيوخ أبو ظبي والإمارات لعمارة الوطن والمساجد وفعل الخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية اكبار للشيخ خليفة بن زايد آل نهيان المكرم ... إنه النسيج الأقوى بل نبتة عربية نبتت على أغصان شجرة الشيخ زايد المكرم.

يا الله يلي بالمضيقات نرجيك
يا غافر الزلات نطلبك غفران

يا شيخ أنا من مشاريف حوران ناصيك
يا سيف آل نهيان يا عالي الشان

ريته السعد يا شيخ يتبع خطاويك
وأيامك البيضا تقل ورد نيسان

لا جيت بيتك طامع في مفاليك
آمن وكني جيت بيت أبو الإحسان

آل نهيان هيان ربع هداريك
أنتم عماد البيت يا حماة الأوطان

أنتم صروح عاليات المداميك
فخر العرب يا عز يعرب وقحطان

حكام شرع الله من دون تشكيك
تمشوا على سنة نبي وقرآن

أنتم أنصار الحق عن دور دوليك
والشيخ خليفة اللي به الحق ينصان

الشيخ زايد بدر حاضناته أياديك
وحولك افهود كلها فروخ عقبان

ربك من السلطان والجاه معطيك
ومن صولتك تتخوف الإنس والجان

والشعب طايع لك وفاهم مراميك
وأنت الذي سايد على الكل سلطان

سبحان خلاق على الناس معليك
من البر والتقوى على الصدر نيشان

راعي الشفاعة يوم الحساب يحميك
طه رسول الله من نسل عدنان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من بطولات الجلاء حكايات يرويها رجل من ذلك الزمان

لقد كان الحاج موسى فارس المصري أبو ناصر مواليد بلدة عتمان ١٩٢٨ الشاهد على العصر بحق فقد شهد فجر الاستقلال وأيام المعارك الضاربة وهو في عز شبابه وعنفوانه ولم يكن مجرد شاهد وحسب بل أحد المجاهدين الذين رفعوا السلاح في وجه الفرنسيين ونالوا شرف المشاركة في هذا العمل البطولي وها هو اليوم يروي لنا ما تسعفه به ذاكرته وهو في الخامسة والسبعين من عمره.

يؤكد الحاج أبو ناصر أن تلك الأيام الخوالي أيام الثورة على الفرنسيين من أحلى وأروع أيام حياته فقد شارك بالمعارك ضد الفرنسيين إلا أن اسمه لم يسجل في سجل المحاربين برفاقه ويذكر انه عندما أعلنت الثورة حدثت منذ أول يوم مناوشات بين الشعب والجيش الفرنسي امتدت إلى كل المحافظات ويقول:



إننا في محافظة درعا قمنا بالواجب في سبيل انتزاع استقلالنا من الفرنسيين حيث كنا نهاجمهم بأنواع الأسلحة كافة: السيف ـ السكين ـ البارودة في الوقت الذي كان فيه بعض الفرنسيين محاصرين في ثكنة تركية والبعض الآخر محتمين بخزانات المياه الفارغة التي اتخذوا منها مرصد للقنص كما اتخذوا من الكنيسة الكائنة جنوب نادي الضباط مرصداً لتنفيذ جرائمهم والقنص كان أحد أساليبهم القتالية البشعة والتي نالت من الكثير من أبناء المحافظة أمثال ابراهيم البرماوي الذي استشهد على بعد ٧ أمتار مني وبدوي مسلوخي ومحمد ومحمود الزعبي اللذين تم أسرهما وغيرهما كثر.

لقد كانت المقاومة في درعا الشديدة لدرجة الاستشهاد أو النصر

يكمل الحاج أبو ناصر لقد كانت جماهير قرى ومدن درعا توافد إلى مدينة درعا بالآلاف من بصرى الشام وقراها والصنمين وقراها وازرع للمشاركة في هذا الحدث كانوا يأتون بالغناء والطبول والأهازيج غير خائفين من الموت في سبيل تحرير الأرض وحفظ كرامة الوطن حالهم قي ذلك حال الشعب السوري في بقية المحافظات واستمر النضال والتصدي لطائراتهم وقصف مدفعيتهم بالسيف والحجر إلى أن جاء فجر السابع عشر من نيسان وقتها أمر القائد الفرنسي بالانسحاب من درعا سراً بعد منتصف الليل مخلفين وراءهم هزيمتهم الكبرى.

وبإعلان خروج آخر جندي فرنسي من سورية أقمنا في درعا يقول الحاج أبو ناصر أفراح لم أشهد مثيلها طوال حياتي ولن أشهد مع أمنياتي باكتمال الحلم العربي وتحرير الأراضي العربية المحتلة كافة في فلسطين والجولان.

ميسون العتمة

شهداء على طريق الخلود

المجاهد الزعيم سعيد الأظن



المجاهد الزعيم الشهيد سعيد الاظن
ولد في دمشق ــ قبر عاتكة ــ اشترك في معظم معارك الغوطة والزور ونهر تورا وألحق أكبر الخسائر عند العدو واستولى على عدد من البنادق والذخائر والخيول وأسر عدداً كبيراً من الجنود .

ولد في دمشق ـ قبر عاتكة ـ اشترك في معظم معارك الغوطة والــزور ونـهـر تــورا وألحــق أكـبر الخسائر عند العدو واستولى على عدد من البنادق والذخائر والخيول وأسر عدداً كبيراً من الجنود ..

شهداء على طريق الخلود:

المجاهد الزعيم الشيخ محمد الأشمر

ولـد في دمشـق - حـي الميـدان - اشــترك في مـعـركـة ميسلون مع البطل الشهيد يوسف العظمة وكان في طليعة المجاهدين القادة عــام ١٩٢٥ وكــان مـثـلاً أعـلـى في الجهاد والنضال كما اشترك في معظم معارك الغوطة وحوران والجبل مع كوكبة مختارة من المجاهدين المناضلين كما اشترك في الثورة عام ١٩٣٦ في فلسطين.



المجاهد الزعيم الشيخ محمد الأشمر
اشترك في معركة ميسلون مع البطل الشهيد يوسف العظمة
وكان في طليعة المجاهدين القادة عام ١٩٢٥

مساهمة حوران في معارك الكفر في جبل العرب



المجاهد إبراهيم حمد الحمود
تولد صماد عام ١٨٨٣م
التابعة لمدينة بصرى

المجاهد إبراهيم حمد الحمود

إعادة تصحيح المعلومات عن النضال الوطني على الأراضي السورية لقد قابلت أكبر معمر من عائلة الحمود إنه أحمد جابر الحمود ووجهت له السؤال التالي هل لك أن تحدثني عن المجاهد ابراهيم حمد الحمود من قرية صماد وعن أدواره الجهادية في حوران وجبل العرب وشعرت بأني بهذا السؤال كأني أدخلته على نفق أحزان الماضي وغيوم الأحزان طوقت فكره وتفكيره حينما تذكر الاستعمار الفرنسي ورغم المرض الذي أصابه استنفر كل طاقاته العقلية والحسية وانتصب جالساً وكأنه يشد الماضي إلى الحاضر الذي يحمل السجل البطولي وبصماته المضيئة حتى يضعه أمامي وحروفه المضيئة في بطولة المجاهد ابراهيم حمد الحمود وقال: رغم ضباب النسيان الذي لف المؤرخين عن أمثال هذا البطل الذي شهدت سهول الجبل الأشم وسهل حوران الأخضر، لقد وصل إلى قرية أم الرمان الأمير زيد الأطرش معاون قائد الثورة وأشقائه الاثنين، الشقيق الأصغر وسلطان باشا الأطرش وقصدا منزل ابراهيم حمد الحمود وحينها كان من القناديل المضيئة على سهل حوران الأخضر وجبل العرب الأشم في دقة الرماية والتي لا يخطئ هدفه وكلفوه بأمر قائد الثورة بأن يلتحق بين الرموز النضالية تحت قيادة سلطان باشا الأطرش وهناك في معارك الكفر زغردت رصاصة من فوهة البندقية الحورانية بأيدي المجاهد ابراهيم الحمود وكانت القوات الفرنسية تراهن بأن هذا البطل هو صاعقة هبطت من السماء على القوات الفرنسية بما أبداه من فنون القتال في معنويات

عالية وإرادة باسلة وكانت القوات الفرنسية تتحاشى المواجهة مع هذا البطل ولكن صّوبت عليه الأسلحة كافة من كل مكان وسقط جريحاً ولكن قبل سقوطه أسقط الكثير من القتلى في صفوف الفرنسيين وحينها أطلق سلطان باشا الأطرش مقولته المعروفة: إني أحيي حوران التي أفرزت هذه الفرسان من أمثال البطل ابراهيم الحمود من قرية صماد، لقد نبتت في أحضان هذا المناضل قناديل مضيئة من الأبناء والبنات وأول هذه القناديل الأستاذ حمد الحمود الذي أطلق إشعاعاته الثقافية والعلمية وهو من المشاعل المضيئة في المجتمع الحوراني بالثقافة العالية والتزم بالصمت ولم يمدني بمعلومات كافية عن والده واستقيت هذه المعلومات من أحمد جابر الحمود من سكان جبل العرب وهو يعيش نشوة الفخر بالبطل ابراهيم الحمود.

صدرت هذه الصفحة في كتاب المؤلف أحمد الزعبي

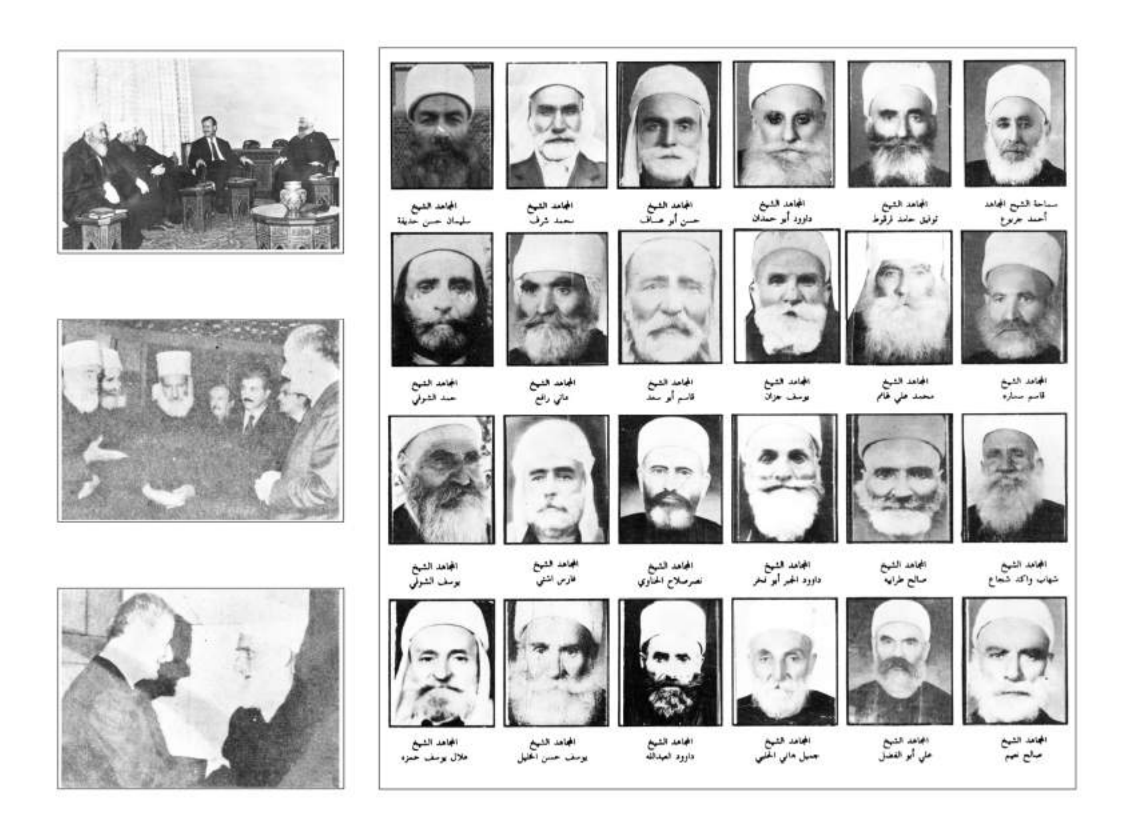
شهداء ومجاهدون
على طريق المجد والخلود

مجموعة من الصور والوثائق الهامة عن الشهداء والمجاهدين الأبرار الذين قضوا في سبيل إعلاء راية بلادهم وهزموا المستعمر عن أرض الوطن، فقدموا دمائهم رخيصة كرمى لعيون الوطن قاوموا الدبابات وطائرات المستعمر بالسيف والبندقية والحجر .. هم راية خفاقة في وجدان الشعوب على مر الأزمان.

هذه الصور جميعها من تجميع الأستاذ الصحفي رياض نعيم في ديوان محافظة السويداء والصحفي رياض نعيم من محافظة الجهاد والشهادة محافظة السويداء.

الرئيس الخالد حافظ الأسد يكّرم المجاهدين القدامى:

شهداء ومجاهدون:



قوتان لا تقهران .. قوة الله وقوة الشعب، ونحن في قيادة الحزب والثورة من هاتين القوتين، ومع هاتين القوتين، وسنحقق النصر بهاتين القوتين.

من أقوال الرفيق القائد حافظ

تكريم المجاهدين واجبٌ قومي في عيد الجلاء



إن الجلاء كان نصراً حققته إرادة الشعب بالكفاح الشاق الذي شارك فيه شعبنا بجميع فئاته والذي شمل كل بقعةٍ من أرض الوطن

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

كوكبة من أبطال الأمس صنعوا تاريخ اليوم:



لكي أعطي لوطني كل ما أملك لا بد لهذا الوطن أن يوفر لي الحرية التي تجعل مني الإنسان الكريم القادر على العطاء، القادر على الدفاع على التضحية في سبيل الشعب الذي أنتمي إليه

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

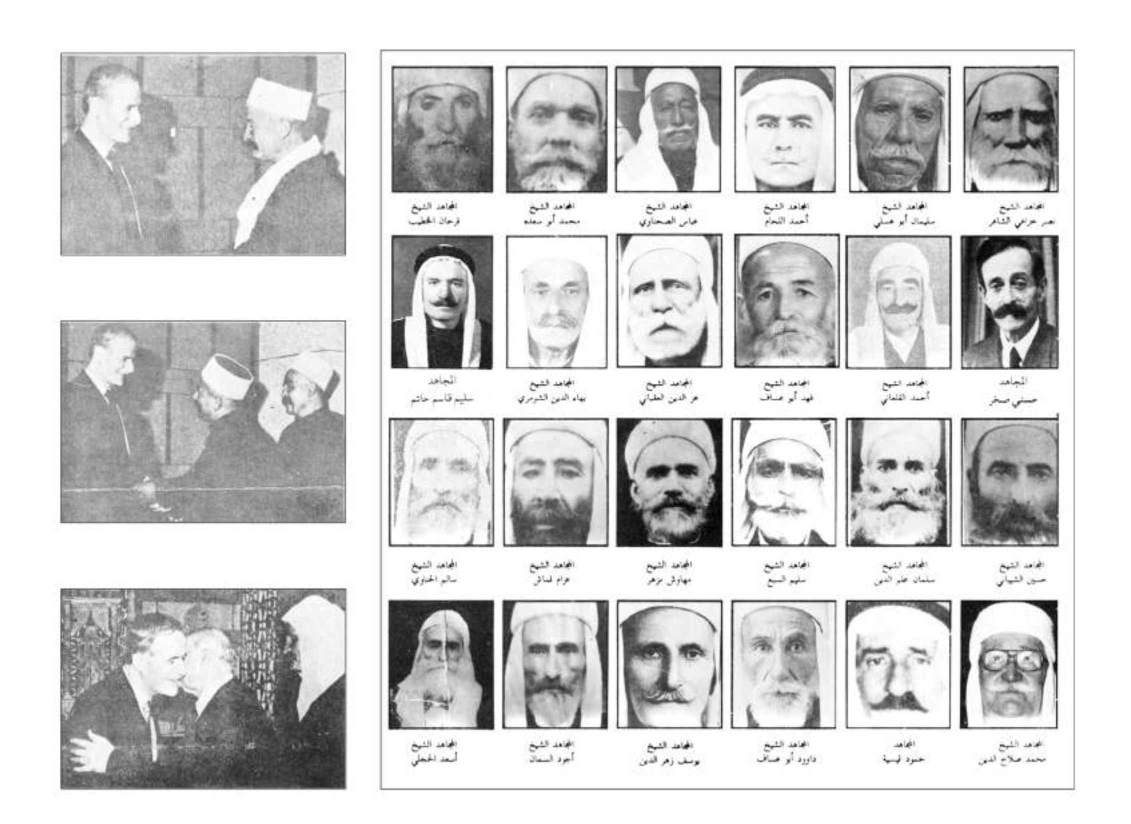
تقضي الرجولة أن نعيش البطولة كلّها



الشهيد هو الإنسان العظيم، عاهد فصدق دعاه الوطن فأسرع، قاتل فاستبسل، قارع العدو فأبدع، ومن أجل أن ينتصر الوطن و الأمة قرر الشهادة واستشهد

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

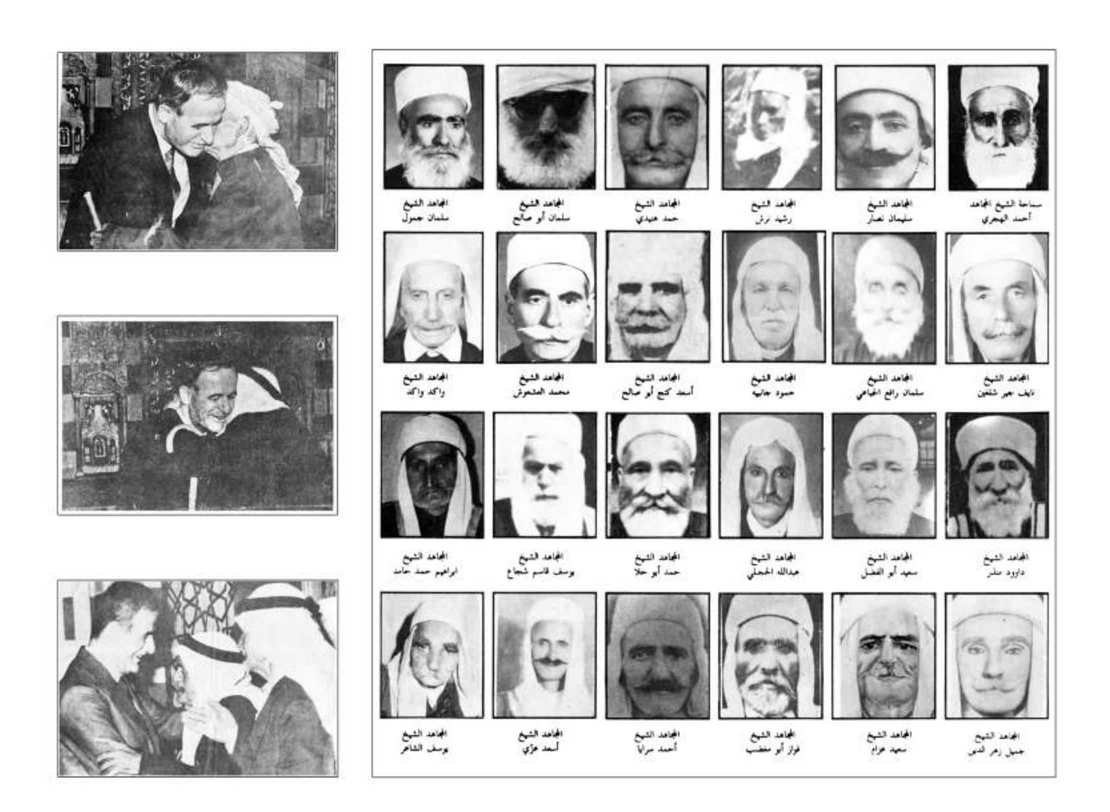
أبطالٌ ومجاهدون في سبيل الحق والإنسان



.. ولم يكن الجلاء قط نهاية المطاف بل كان الجسر الذي عبره شعبنا منتقلاً من جهاده الأصغر إلى جهاده الأكبر

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

في سبيل المجد والأوطان نحيا ونبيد:



بين معركة ميسلون والجلاء عن أرضنا مرحلة شاقة من مراحل النضال خاضها شعبنا بكل طاقاته وسخّر له كل إمكاناته، قاتل قتال الأبطال، وبذل بكل سخاء وضحى بالنفس والمال، فلم يترك للمستعمر فرصة تمكنه من تنفيذ خططه وبلوغ مآربه

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

يوم الجلاء يوم الكرامة والخلود



نجدد العهد أن نتابع المسير على درب شهدائنا الأبرار الذين سقوا بدمائهم تربتنا الطاهرة، وكانوا مثال التضحية والفداء، ضحوا من أجل وطنهم، ضحوا من أجل شعبهم.

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

بذلوا دمهم فجادوا بتحرير الأرض:



إن للحرية والكرامة ثمناً ولا شك غالي، ولكننا مستعدون لدفعه في سبيل أن نصون الشرف، وأن ندافع عن الحرية، و نحرر الأرض، وأن نسترد الحقوق

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

كوكبة من أبطال الأمة:



.. ولم يكن الجلاء في نظر الجماهير غاية في حد ذاتها إنما كان وسيلة هامة إلى غاية هامة، وكان خطوة حاسمة على طريق التحرر الكامل، وكان نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة.

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

عبر السهل والجبل قاتلنا فلول الاستعمار:



لا نجاح إلا للشعب، ولا انتصار إلا للشعب، لأن إرادة الشعب هي إرادة الجماهير، هي إرادة الخير، وإرادة الخير هي إرادة الله، وإرادة الله فوق كل إرادة.

من أقوال الرفيق القائد حافظ الأسد

بطل من هذا الزمان:



حسين علي شديد:

وهو مساعد أول في القوات السورية تطوع سنة ١٩٥٥م، وهو ينحدر من عشيرة الفحيلي المعروفة والمشهورة بجذورها التاريخية البدوية العريقة في الوطن العربي، وكان معروفاً بشجاعته فقد اشترك في جميع المعارك ضد العدو الصهيوني ومن أهم هذه المعارك اقتحام مطار الجاعونة بعمل فدائي وتفجير المطار والمستودعات المليئة بالعتاد والذخيرة وكان ذلك بإيعاز من قائد اللواء جاسم علوان، وقد حاز هذا البطل على أربعة أوسمة تقديراً لشجاعته وبسالته، وقد رُفّع إلى رتبة مساعد أول .. وهذا نموذج حي من نماذج البطولة والبسالة من أبناء هذه الأرض وهذا الوطن .. هكذا تتجلى البطولة في أسمى معانيها وفي أعلى مراتبها فطوبى لهذه الأرض برجالاته الأشاوس. والجدير بالذكر أن هذا البطل من منطقة اللجاة وكان مرافقاً للزعيم الراحل جمال عبد الناصر أيام الوحدة.

أكبر معمر في خربة غزالة:



الحاج خليل حميدان الحاج علي

هو أكبر معمر في بلدة خربة غزالة، وقد أجريت مقابلة مع هذا الوجه التاريخي في بيته، وكان هدف الزيارة بعد إصابته بعدة كسور في قدمه وهو الذي يجبر كسور الآخرين وكافة نفقات التجبير على حسابه وقد شاهدنا منه طبائع عربية أصيلة فهو نموذج خير وفذ للمجتمع الحوراني، وكان بصحبتي في زيارة هذا المعمر محمد عقلة الحاج علي وهو أمين فرقة الحزب في خربة غزالة، والأستاذ محمد عقلة الحاج علي يحمل إجازة في التاريخ عام ١٩٧٦م ودبلوم تربية لعام ١٩٨٢م وسنة دراسات عليا ولكنه للأسف لم يتابع تحصيله العالي بسبب الأحوال المادية وقد ساهم بإعطائي معلومات ثرة عن معركة خربة غزالة فكانت أفكاره قنوات خيرة للمادة التاريخية في مؤلفاتي، ولدى لقائنا مع المعمر خليل حميدان أخذنا عنه معلومة هامة وهي الأسباب التي جعلت اسم القرية خربة غزالة كانت مملكة وملكها اسمه رياح وبعد وفاته تسلمت حكم المملكة ابنته غزالة وبعد الفتوحات الإسلامية سقطت المملكة وسقطت غزالة وحين ذاك أطلق اسم خربة غزالة على هذه القرية.

شهداء من قرية جباب في حوران

١- الشهيد محمد محمود الدلول ١٩٧٣م
٢- الشهيد محمد ياسين المطرود ١٩٧٣م
٣- الشهيد ياسين سليمان الخطيب ١٩٧٣م
٤- الشهيد محمد عمر أبو حوا ١٩٦٧م
٥- الشهيد خالد مصطفى الكرتلي ١٩٦٧م
٦- الشهيد عبد الرحمن محمد الخطاب ١٩٨٣م
٧- الشهيد عبد العزيز فاضل الجمعات ١٩٦٧م
٨- الشهيد صالح ابراهيم قدورة ١٩٨٣م
٩- الشهيد محمد يوسف السيد أحمد ١٩٧٣م
١٠- الشهيد محمد خالد الحسن ١٩٧٣م
١١- الشهيد حسين علي القزحلي ١٩٧٣م
١٢- الشهيد ياسر محمد القزحلي ١٩٨٢م
١٣- الشهيد محمد يحيى القزحلي ١٩٨٢م
١٤- الشهيد محمود قاسم دلول .. كرمه وزير الدفاع لبسالته

تدمير ثلاث دبابات صهيونية وثناء من وزير الدفاع ووقفة مع الشهيد محمود قاسم دلول من جباب

أخي القارئ الحديث عن الشهيد البطل محمود قاسم دلول طويل وله شجون، هذا البطل استطاع وببسالة عالية التصدي لسرب كبير من دبابات العدو الصهيونية أثناء هجومها العدواني على قواتنا المسلحة .. استطاع هذا البطل أن يقتحم هذا السرب رافعاً راية وطنه عالياً غير آبهٍ بغطرسة العدو وهيمنته وقام بتدمير ثلاث دبابات إسرائيلية بعتادها وأفرادها وكامل حمولتها وبينما كان يهم لتدمير الدبابة الإسرائيلية الرابعة وكان علو وشك ذلك أصابته طلقات العدو الإسرائيلي فسقط محنّى معطراً بدمه الطاهر ليروي بها الأرض المقدسة التي دنسها العدو الصهيوني، كانت دماء هذا الشهيد ماءً زمزماً زلالاً في تربة الأجداد ولاقى ربه راضي النفس مرضيها، وخلف دمه زهرات حمراء وبيضاء وصفراء تزين الأرض المقدسة بعطرها وألوانها التي تشبه زهرة الجلنار، فكان نموذجاً حيّاً للشهادة والتضحية والجدير أخي القارئ بالذكر أن هذا الشهيد نال عدة أوسمة منها وسام الشرف ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ثم نال وسام الشهادة وحظي بتكريم وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس تكريماً له على بطولته واستبساله.

شهداء من لبنان

الشهيد البطل رضا الشاعر:

كان هذا البطل يقول لوالده لو أن إسرائيل اعتدت وكان نصيبك الشهادة فإنه لا يكفيني قتل الصهاينة كلهم وكان هذا البطل حين ينطلق إلى عمليات التدريب وكانت السرية الكاملة هي المظلة التي كان يسير تحتها هذا البطل، فقد قام باستطلاع على موقع يسمى كفرمونه وعندما استطلع الموقع وجد فيه مجموعة من الصهاينة مدججين بالسلاح، وبدأ هذا البطل بقذف القنابل وسط الموقع تمهيداً لزملائه الذين استطاعوا أن يقضوا على الجنود الثمانية وبينهم ضابط، وهذا المبنى كان مؤلفاً من طابقين وفجأة ظهر من الطابق الأرضي جندي صهيوني وفاجأ البطل رضا الشاعر برماية غادرة، وهذا غدر الصهاينة الذين يخشون المواجهة مع الأبطال، وهكذا سقط الشهيد البطل رضا الشاعر، ونبتت من دمائه ورود حمراء على طريق الحرية، وقد تكلم عبر تلفزيون المنار والد الشهيد عن هذا البطل كما تكلمت ابنة الشهيد فاطمة لكني لم أعرف تاريخ استشهاده لأني لم أتابع حلقة المنار من بدايتها.

الشهيد البطل علي الأشمر:

هذا الشهيد استطاع أن يقتل ضابطاً صهيونياً برتبة عقيد إضافة لبعض العناصر وقد سبب خسائر مادية فادحة في معدات العدو ..

هكذا تشرق أنوار الحرية من جبهة ووجه هذا الشهيد.

الشهيد البطل علي حجازي:

الشهيد البطل علي حجازي من قرية طنوزه وهو أسير محرر من جنوب لبنان وهو من الأبطال الأشاوس الذين لقنوا العدو درساً لن ينسوه في تاريخ الأجيال العربية.

بصر الحرير:

البطل الملازم أول عبد الرزاق الحريري



جبل الشيخ هو وسام حرب تشرين على الأرض لأن اللّه أرسى الأرض بالجبال أرسى الإنسان بالعقل وجبل الشيخ هو عملاق الجبال على الأرض، أرض الجولان ثابتة على أرض تشرين إلى جانب المقاتل السوري أن اللّه أكرم هذا الجبل في وزنه الثقيل حتى يكون صديقاً إلى كل جيل من وادي النيل وحتى بزوغ شمس الأصيل وإذا كان جبل الشيخ هو عملاق الجبال على الأرض ولكن الطيار السوري هو عملاق الفضاء وهو أجمل القناديل المضيئة بين نجوم السماء وقائد البطولة والفداء وثمرة طيبة تحت قدسية السماء وحامي الحرية ورمز الفداء وطيارنا الأول سيادة الرئيس حافظ الأسد مثلما هو أهم فرسان الفضاء ولكنه أول فرسان القيادات العربية على الأرض. إذا كان مدخل الكلام على العموميات فإن لنا عودة على موضوع الخصوصيات والخصوصيات المشرفة في هذا الموضوع هو البطل الطيار الشهيد الملازم أول عبد الرزاق الحريري.

ولد البطل الطيار عبد الرزاق الحريري في محافظة درعا - بلدة بصر الحرير عام ١٩٥٤م.

انتسب إلى الكلية الجوية عام ١٩٧٠م وتخرج منها عام ١٩٧٢م برتبة مرشح جوي ورفّع إلى رتبة ملازم جوي عام ١٩٧٤م وإلى رتبة ملازم أول عام ١٩٧٦م .

اتبع عدة دورات على عدد من الطائرات المقاتلة مثل ميغ ١٧ وميغ ٢١.

نال عدة أوسمة خلال وجوده كنسر في سلاح الجو العربي السوري منها وسام

الجيش ووسام الشرف العسكري ووسام التدريب كما نال ثقة قادته وثنائهم على المهام التي كان ينفذها بدقة ونجاح.

اختطفته يد المنون إثر حادث أليم عام ١٩٧٧م.

ونظراً لأدائه الخير في حسه الوطني والكفاءة العالية بقيادة الطائرة كان مضرب المثل بين زملائه الطيارين والذي ليس له ماضي ليس له حاضر وماضينا في المجاهد اسماعيل الحريري قائد ثورة حوران ضد الاستعمار الفرنسي وحاضرنا في قائد الشجاعة والشجعان بطل العروبة في كل ساح وميدان وقلعة حصينة أمام العدوان القائد الفذ حافظ الأسد.

كان لهذا البطل شرف المشاركة في حرب تشرين التحريرية حيث قام هو وعدد من رفاقه النسور الأبطال بالاشتراك بالضربة الأولى للطيران حيث قاموا بقصف مواقع العدو وتحصيناته الأمامية تمهيداً لتقدم قواتنا البرية.

وعن تلك اللحظة، لحظة النصر والنشوة، لحظة العزة والكرامة، لحظة الشرف العربي الكبير يتحدث البطل الطيار عبد الرزاق الحريري كما ورد في مذكراته قائلاً:

في الساعة الثانية عشرة ظهراً اجتمعنا مع قائد السرب وأبلغنا عن ساعة الصفر وبعد تلك اللحظة انطلق كل منا إلى طائرته بعد أن عرف مهمته بشكل كامل ودقيق وانتظرنا في الطائرات ما يقارب الـ ٤٥ دقيقة ونحن في حالة جاهزية بدأ هدير الطائرات في الساعة الواحدة وأربع وأربعين دقيقة بعد الظهر وبدأ صوت النور يهدر .. عائدون .. عائدون إليك يا أرضي الحبيبة .. إليك يا أمي .. يا أختي يا ابنتي .. بدأت الأرض تهتز يا له من موقف رائع .. موقف النسور والأبطال .. كل منا انطلق في دوره وأخذ مكانه على المهبط وما هي إلا لحظات حتى رأيتُ ستاً وثلاثين طائرة تعانق السماء بعالي السناء، وكانت مهمة سربي هي قصف موقع جبل الشيخ حيث نفذت المهام جميعها بنجاح كبير دون أي خسائر وعادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة وجهزت بأقصى سرعة للطلعة القادمة المكررة.

بعد ذلك بدأت مدفعيتنا تدك مواقع العدو بعد أن أوقعنا الرعب في قلوبهم .. وفي اللحظة نفسها بدأت قوات مصر العربية بالتقدم على جبهة قناة السويس ويتابع البطل الطيار حديثه عن ذكريات الحرب حيث كان قد شارك في الأيام التالية وطيلة مراحل المعركة في معظم الطلعات والمهام القتالية المسندة إليه وتحدث عن مشاهدته للقوات المعادية واضطرابها وتشتتها وتبعثرها إثر الضربة الموجعة التي تلقتها من نسورنا البواسل وقواتنا البرية البطلة.

المجد والخلود لروح البطل الطيار عبد الرزاق الحريري /أبو ثائر/.

شهداء من بصر الحرير والطيار البطل ذياب الحريري

أجمل تركيبة عضوية في جسم الإنسان العقل وهو أفضل مخلوق خلقه رب العالمين والعضو الرئيس داخل التركيبة العضوية في جسد الإنسان هو القلب المخزون فيه حب الوطن والأهل والأولاد. وأنا عاجز أن أنسج نشيد الشكر إلى الله الذي زرع هذه الطاقة العقلية الخيرة في وجدان هذا الطيار الشاب وإن صفاته هي شلالات عذبة انطلقت من نبع الحنان الصافي والقلب الدافي والله هو القوي الشافي وأن هذا الطيار عشق رجولة الرجال وبطولة الأبطال وخاصة الطيارين الذين زرعوا البطولة حتى تكون أرواح الشهداء هي أجمل القناديل المضيئة بين نجوم السماء وأن بصر الحرير لم يفتر قط حسها النضالي وبقيت قنوات البطولة لها بالتصاق عضوي بين حرمة الأرض وقدسية السماء والطيار السوري هو درع الفضاء حتى يزرع في كل ساحة وطنية السلامة وينسج على صدر العباءة العربية الكرامة. وبصر الحرير أفرزت البطولة والأبطال الطيارين وخاصة الطيار الشهيد ذياب الحريري الذي أخضب دماءه الزكية على قبة السماء المضوية حتى تكون مشاعل مضيئة وأول ذراع البطولة هذا الطيار في إصابة طيران العدو وتدمير أهدافه على الأرض.

المجاهد الزعيم علي الأسد

أبٌ للبطولة وصانع للتاريخ

المجاهد الزعيم علي الأسد

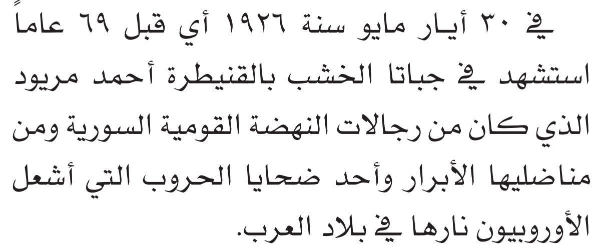
من محافظة اللاذقية منطقة القرداحة، كان في طليعة المجاهدين الثوار الذين أبلوا بلاء حسناً في ثورته على الاستعمار الفرنسي وقواته في الساحل السوري، وكان مثلاً أعلى للشجاعة والإقدام في كل المعارك التي خاضها وقد رافق المجاهد صالح العلي في مواقع كثيرة، وكان صلب العود قوي الشكيمة، متين الإيمان بوطنه وأمته.

لقد أنجب الابن القائد حافظ الأسد الذي انحدر من عائلة النضال ونسل الأحرار فها هو أبو باسل الذي واصل المشوار في ضوء النهار فهو سياج الدار وقاهر الاستعمار لقد سطر المجاهد علي الأسد ونجله الرئيس حافظ الأسد صفحات مشرقة في وهج النضال الوطني والعربي وقلد السفينة في بحر لجي وسط أمواج استعمارية عاتية فكان نعم الربان.

الشهيد أحمد مريود
شهيد الأرض والإنسان



أ. أحمد مريود شهيد الأرض والإنسان:



في ٣٠ أيار مايو سنة ١٩٢٦ أي قبل ٦٩ عاماً استشهد في جباتا الخشب بالقنيطرة أحمد مريود الذي كان من رجالات النهضة القومية السورية ومن مناضليها الأبرار وأحد ضحايا الحروب التي أشعل الأوروبيون نارها في بلاد العرب.

ولد أحمد بن موسى بن حيدر مريود في القنيطرة سنة ١٨٨٧م وهو ينتمي إلى قبيلة المهاودة التي كان لها زعامة البلقاء ردحاً من الزمن ودرس في مدارس القنيطرة ثم أتم دراسته الثانوية في بيروت وكان أبوه رجلاً مثقفاً أنشأ في القنيطرة جريدة اسمها الجولان.

انتمى أحمد مريود إلى جمعية //العربية الفتاة// السرية وعمل خلال الحرب العالمية على تجهيز الفارين من حكم الاتحادين للالتحاق بالثورة العربية في الحجاز ومنعت الحكومة العثمانية تصدير الحبوب من ولاية سورية ولبنان فجاع أهله وأصابتهم ضائقة شديدة ومات الآلاف منهم جوعاً فكان أحمد يحمل ما استطاع من القمح على ظهر خيله ويمضي بها خلسة إلى القرى اللبنانية القريبة منه فيباع فيها بثمنه في أرضه التي نقل منها وبذلك أنقذ عائلات كثيرة من الموت جوعاً، وسيق أحمد مريود مع المتهمين إلى المحكمة العسكرية التي أنشأها جمال باشا في عالية بلبنان وكان من الراجح أن يحكم عليه بالإعدام مثل رفاقه الآخرين لولا أن أنقذه النائب العام الذي كان قد حل في ضيافته فبل الحرب ولما قام العهد الفيصلي في سورية برز أحمد مريود شخصية وطنية قيادية وتحولت الجمعية العربية الفتاة السرية إلى حزب علني هو الاستقلال الذي ضم معظم رجالات العرب الوطنيين وزعمائهم حتى إذا ظهر الخطر الفرنسي على سورية الداخلية بعد الحرب وهدد الاستقلال الدولة العربية الفتية تولى أحمد مريود بقيادة عدد من العصابات لمناوأة الفرنسيين فلما دخل الفرنسيون دمشق سنة ١٩٢٠ كان اسم أحمد مريود في قائمة المحكوم عليهم بالإعدام فراح إلى شرقي الأردن واشترك في إنشاء حكومتها سنة ١٩٢١ وكان يتسلل بين الحين والآخر إلى أطراف القنيطرة يتفقد رجاله وأنصاره في منطقة نفوذه.

وحدثت محاولة اغتيال الجنرال غورو الذي دخل دمشق وأسقط الحكومة العربية فيها وقد جرت المحاولة أثناء زيارة له إلى منطقة القنيطرة وصادف أن كان أحمد مريود على مقربة منها وقيل أنه كان أحد مدبري العملية ولعل ذلك كان صحيحاً فازداد حقد الفرنسيين عليه وطالبوا بتسليمه، وعاد أحمد إلى شرقي الأردن واتخذ منها قاعدة لأعمال المقاومة ضد الفرنسيين وكان يرعى مجموعة من المناضلين يبلغ عددهم المائتين وفي شهر آب أغسطس قامت عصابة سورية بمهاجمة المواقع الفرنسية في سورية واتهم أحمد مريود بتدبير هذا الحادث وسيرت حكومة فلسطين مفرزتين بريطانيتين إلى اربد وعمان أعلن الأحكام العرفية في لواء عجلون وقدمت سلطات الانتداب إلى الأمير عبد الله إنذاراً من جملة بنوده إخراج المتهمين في حوادث الحدود وهددت بإلحاق شرقي الأردن بفلسطين فطلبت حكومة شرق الأردن إلى الزعماء الاستقلالين مغادرة البلاد حفاظاً على كيانها وكان أحمد مريود بينهم فتوجهوا إلى العقبة ومنها إلى الحجاز لكنهم لم يلبثوا أن غادروا الحجاز بسبب الأحداث التي وقعت فيها فذهب أحمد مريود إلى العراق وأقام في مدينة خانقين ولما نشبت الثورة لم يطق البقاء بعيداً عنها فاجتاز بادية العراق وهبط جبل العرب في نيسان أبريل سنة ١٩٢٦ فالتف حوله مناضلوا وادي العجم والجولان وتجدد نشاط الثورة فيها وصارع الفرنسيون وقاتلهم حتى استشهد فحملوا جثته إلى دمشق وعرضوها على الانظار ثم دفن في جهة قبر عاتكة وكان استشهاده سنة ١٩٢٦ عن عمر يناهز الـ ٤٩ عاماً.

ولما استقلت دمشق سمي أحد الشوارع باسم أحمد مريود تخليداً لذكراه وتكريماً لنضاله البطولي م أجل استقلال بلاده وقال سعيد العاص في تأبينه: ((إنه شب على الإباء والشيم والشهامة العربية وسعى بكل ما أوتي من ذكاء ودهاء لإعادة أمجاد قومه)).

ويقول عنه الدكتور محي الدين السفر جلاني في كتابه تاريخ الثورة السورية:

شهيدنا العظيم هذا من آل مريود الكرام المنحدر من المهاودة الأسرة العريقة في السؤدد ومن أنبل العوائل العربية ومن أمراء البلقاء ومقاطعة في شرقي الأردن ذات الأصل الثابت انحسر الظلام عن هذا الهمام فوضعته أمه في جباتا الخشب وأخذ أبوه في تربيته والاهتمام به حتى راهق أو كاد فبعث به إلى كتاتيب القرية إلى أن بات على مقربة من أن يبلغ الحلم وعندها أم القنيطرة لإتمام التحصيل الابتدائي فيها ثم كان في دمشق في مدرسة السلطاني لقد كان هذا الشهم على ذكاء نادر، واقتعاد الدرس وإصغاء ونباهة خارقة وقد تنبأ له معارفه في مستقبل مجيد وبمناصب سامية وكان يعمل على دراسة تاريخ أفذاذ العرب وعيونها فولع بذلك ولعاً شديداً ملك كل

حواسه واستأثر بجميع مشاعره وأقامت في فكره فكرة تجديد العصر الذهبي للعرب وأوقدت فؤاده شعلة الشعور القومي فسرت مع الدم في عروقه فانبرى للسياسة يعل فيها وللوطنية يبحث قضاياها وللصحافة يكتب المقالات في إحدى صحفها التي كانت تصدر في قصبة القنيطرة باسم جريدة الجولان يومئذ وكان اشتغاله بالقضية مدعاة لأن يتصل بأقطاب حركتها بدمشق وفي غيرها فكان في عداد تلك الرجالات وأخذت فكرة العروبة تنمو متناسبة مع عمره حتى كانت الحرب الكبرى وفي غضونها سعى للالتحاق بالأمير فيصل بن الحسين عاملاً في الثورة العربية وقد غادر جباتا الخشب إلى رفيقه جلال البخاري تنفيذاً لما بيتا عليه وبينما كانا في طريقهما إلى الثورة العربية وإذا التقيا بالأمير نوري الشعلان، وألقى القبض عليهما جمال باشا السفاح الذي أحالهم إلى ديوان الحكم العرفي.

ب. أحمد مريود قائد عربية شجاع وشهيد خالد:

الخميس ١١ آذار عام ١٩٢٠.

شاع اليوم أن صادق الخيرة من قادة الثورة أتى إلى قرية عدية ((قضاء مرج عيون)) ورفع عليها العلم السوري، ثم فعل ذلك أيضاً ببلدة بليدة بعد أن مر بالنبطية ومعه ١٥٠ رجلاً بين راكب وراجل.

ولكن لم يطل فرح العاملين بهذه البشرى وبقيام الحكومة الشريفية بدمشق فقد بددت معركة ميسلون كل أحلامهم ودخل الفرنسيون دمشق محتلين فتحول ذلك الفرح إلى غضب يضبح في النفوس وتشكلت فرق عسكرية تناهض الاحتلال وتقاومه وكان من أبرز قادتها في دمشق أحمد مريود فيما كان سلطان باشا الأطرش في جبل العرب يترقب الأحوال ويعد بني قومه لليوم الحاسم.

ج ـ أحمد مريود والحكومة الأولى شرقي الأردن:

كلف السيد رشيد طليع بمهمة إنشاء جهاز إداري منظم في المنطقة بحكم سابق خبرته بشؤون الإدارة ولكونه أكثر الموجودين في شرقي الأردن يومذاك اقتداراً على الاطلاع بهذه المهمة العسيرة وفي تلك الظروف الدقيقة، وشمر رشيد طليع عن ساعد الجد في أوائل شهر نيسان لإنشاء الدوائر المختلفة على أساس الاقتصاد في النفقات بحيث لم يزد أكبر مرتب على أربعين جنيهاً في الشهر ولم يحدث من الوظائف إلا ما لابد منه لمصلحة البلاد مراعياً بذلك:

١ـ قلة واردات المنطقة.

٢. تجنب إرهاق الأهالي بالضرائب.
٣. الاستغناء عن طلب المساعدة المالية من الحكومة البريطانية.
٤. الاحتفاظ بقسم من الواردات يرصد لتأليف قوة عسكرية وطنية تقوم في المستقبل مقام القوة التي وعد المستر تشرشل بالإنفاق عليها.

وفي ١١ نيسان ١٩٢١ صدرت الادارة السنية بإسناد منصب رئيس مجلس المشاورين إل السيد رشيد طليع وسمي الكاتب الاداري وتألفت الحكومة على لوجه التالي:

١. رشيد بك طليع الكاتب الاداري ورئيس مجلس المشاورين ووكيل مشاور الداخلية.
٢. الأمير شاكر بن زيد نائب العشائر.
٣. أحمد بك مريود معاون نائب العشائر وعضو في مجلس المشاورين.
٤. أمين بك التميمي مشاور الداخلية ومتصرف لواء عجلون.
٥. مظهر بك رسلان مشاور العدلية والصحية والمعارف وعضو مجلس المشاورين.
٦. علي خلقي بك مشاور الأمن والانضباط وعضو مجلس المشاورين.
٧. الشيخ محمد الخضر الشنقيطي قاضي القضاة وعضو مجلس المشاورين.
٨. بك الحكيم مشاور المالية وعضو في مجلس المشاورين.

د ـ أحمد مريود في مذكرات أسعد داغر:

ضمن اجتماع ضم مئات من رجال العرب ومفكريهم عقد في إحدى قاعات تلك الدار وحضره بعض رجال حزب الاستقلال ورجال الهيئة الاستشارية لهذا الحزب وكانت مؤلفة من بعض الأعيان أمثال محمد باشا العظم وعبد الرحمن باشا اليوسف وبعد مناقشة طويلة احتدم فيها النقاش تكلم الأمير فيصل فبسط نظرية واستشهد على صحتها بمحادثات دارت بينه وبين رجال السياسة الانجليز والأمريكيين وبوثائق حصل عليها من بعض المقامات السياسية. فأمكنه بذلك أن يستميل أكثر المجتمعين إلى رأيه أو بالأحرى أن يخفف من معارضتهم بإضعاف الحجج التي كانوا يستندون إليها في هذه المعارضة غير أن المرحوم أحمد مريود بقي مصراً على أنه لا يجوز أن تسمع لجنة الاستفتاء في البلاد السورية غير طلب الاستقلال التام الناجز وأيدته أنا فقلت: إن ما تفضلت به يا سمو الأمير على أعظم جانب من الاهمية ولكن رجال السياسة الذي تعودوا على إنكار المعاهدات لا يجوز الاعتماد على أقوالهم في مسألة حيوية كهذه المسألة فإذا أنكروا وعودهم لسموكم كما أنكروا تعهداتهم لجلالة الوالد فماذا نفعل وبأية حجة نستطيع أن نقابل فرنسا فقال إن الحجة الوحيدة هي القوة وإذا فشلت السياسة علينا أن نستعد، ومال محمد باشا العظم نحوي حينئذ

كنت إلى جانبه وهمس في أذني قائلاً: ((أخشى يا بني أن تبلغوا إلى حالة تندمون فيها على الترك))

وخرجت من هذا الاجتماع مع المرحوم أحمد مريود إلى الفندق الذي كنا نقيم فيه وجلسنا في شرفته المطلة على نهر بردى إلى الساعة الرابعة صباحاً ننظر إلى مياهه الصافية تجري هادئة مطمئنة في وسط العواصف السياسية التي كانت تنذر بالهبوب ونبحث في الأسباب التي حملت الأمير فيصل على اتباع هذه الخطة الجديدة وفي النتائج التي يمكن أن تنشأ عنها وكان المرحوم احمد في حالة اضطراب شديد لأنه رأى حينئذ بنظره الثاقب ما لم يره غيره إلا بعد وقوع النكبة وقال لي: إن المستقبل مظلم جداً لأننا نسير بلا برنامج وعلى غير هدى حيثما تدفعنا أيدي المطامع المحيطة بنا من كل الجهات فإذا لم نضع لأنفسنا برنامجاً صريحاً نتعهد بأن لا نحيد عنه ذهبت جهودنا كلها أدراج الرياح كانت العاقبة شراً ووبالاً علينا وعلى البلاد وقد بحثنا حينئذ في هذا البرنامج وكان مما اتفقنا عليه أن هذه الأمة في حاجة إلى نبي أو زعيم ولابد من أن يظهر فيها عاجلاً أم آجلاً وإن مركز الإشعاع العربي يجب أن يكون مصر لأنها قلب البلاد العربية وأغناها وأرقاها وأكثرها عدداً وأن سورية لا تستطيع أن تحل محلها في هذه المهمة ولا العراق ولا الجزيرة فمن الواجب والحالة هذه أن نقترب من مصر ونحملها على السير في موكب العروبة التي ننتظر ظهور نبي فيها.

وكانت نتيجة المساعي التي بذلت في تلك الأثناء أن سورية الداخلية أعلنت بما يقرب من الإجماع رغبتها في الاستقلال التام ولكن أكثرية سكانها سوغوا الرغبة بقبولهم المساعدة المادية والأدبية التي قد يحتاجون إليها من أميركا وإنكلترا بشرط ان لا تمس هذا الاستقلال.

هـ - الشهيد أحمد مريود كما وصفه المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي:

ما أجمل زراعة الورد الأحمر على السفح الأبيض على الجبل الشامخ لوقور جبل الشيخ والمجاهد البطل أحمد مريود زرع وردة حمراء من دماء الشهداء لتظل شامة على جبين هذا الوطن الشامخ الذي جعله الله بدراً ساطعاً في عمامته البيضاء حتى يطل في ابتسامته المشرقة على بلاد الشام فهو هدية السماء على الأرض وحارس امين في صحراء بادية الشام وليس عكازة أمريكا للتجسس ولا إسرائيلية للتجسس، وعلى قمته طبق شهي فيه من احدث ما صنعته المخابرات الاميركية لكي يكون وسيلة من وسائل التجسس على قواتنا ويظل يحمل ويختزن في قلبه صخوراً صلبة تتحطم فوق صلابتها رأس الأفعى الأميركية وذنبها إسرائيل وكلنا يذكر عندما قامت قواتنا

المسلحة بسحق أعظم قوة للتجسس على قمة هذا الجبل الأشم. لقد أكرم السيد الرئيس حافظ الأسد الشهداء وأعطاهم القيمة العليا والفضيلة الأكمل وقد أطلق اسم الشهيد أحمد مريود على شارع محاذي بشارع أبو رمانة من الشرق وساحة النجمة وفي قرية جباتا الخشب تكون قرية هذا الشهيد وقد أقام السيد الرئيس حافظ الأسد صرح للشهيد احمد مريود رمز الشهادة والشهداء فهذه منابر الشهداء العظام الذين خلدوا أسمائهم وهذا شأن القادة العظام الذين يكرمون الشهداء ويعلون الشهادة.

و. أحمد مريود زعيم الشهداء وزحف النجدات:

زحفت الجموع على أثر سماع قصف المدافع وأزيز الرصاص وكان قد وصل حديثاً من فلسطين شكيب بك وهاب والشيخ حسن قبيس وصباح وصولهما وقعت الواقعة وعلى سماع لعلعة المدافع قال الأمير عادل لرجاله إن العدو هاجم جباتا وزحفوا لإنقاذ جباتا ومعهم شكيب وعبد الحكيم الجردي وأحمد عبد الباقي وسليم عبد الصمد ولما أصبحوا على أبواب قرية جباتا شاهدوا النساء كأنها ظباء نافرة فرت من قسوة الهجوم ودبت النخوة على رؤوس الأبطال واشتبكو مع القوات الفرنسية وقد بلغ عدد القتلى من الثوار أربعون شهيداً لقد حلقت أربع طائرات فوق جباتا الخشب وبدأت تقذف القرية بقنابلها ولكن زحفت قوات البطل أحمد مريود وأحمد باراي في فوصلت (حضر) واستأنفت زحفها فشاهدتها الطائرات وألقت عليها ناراً حامية من أفواه رشاشاتها ولكن هذه الفئة الباسلة لم تكترث بتأثير هذه الوسائل واستمرت بزحفها بقلوب فولاذية ولم يؤخر زحفها وعورة المنطقة الصخرية المتكردسة بتأثير عوامل الطبيعة واتحدت هذه القوات مع قوات أبو عبدو سكر واستمرت بزحفهما ولتحدت بقوات الأمير عادل وحمي الوطيس في المعركة حيث انكسرت القوات الفرنسية في هذه المعركة وقدرت خسائر العدو بـ ٣٠ قتيل وأرغم الجند على ترك المنهوبات وأعادوا البقر والخيل وأثاث المنازل واستمروا بطردهم حتى خان أرنبة ومن هنا عاد ثوار دمشق إلى جوار البلدة وعقدوا اجتماعاً هاماً وأسفرت اجتماعاتهم بالعودة إلى الغوطة ليعززوا قواتهم ويستأنفوا الجهاد في هذه المنطقة. عندما قدم الانكليز إنذارهم في آب عام ١٩٢٤ وتقرر قبوله وبلغ زعماء الاستقلال بوجوب الخروج من شرقي الأردن خلال ثلاثة أيام وهم الأمير عادل ارسلان وأحمد مريود ونبيه العظم وسامي السراج وعثمان قاسم وأحمد حلمي وسافروا إلى معان .

مأثر المجاهد البطل عبد الرحيم فندي أبازيد

أخي القارئ: أوردُ هنا قوله جل جلاله:

بسم الله الرحمن الرحيم

((ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة))

وهذه الآية الكريمة تنطبق معنا على المجاهد البطل عبد الرحيم فندي أبازيد الذي كاد أن يضحي بروحه ودمه ليحافظ على صديقه في السلاح والجهاد موسى نجل المجاهد الكبير مصطفى الخليلي وكان هذا الأمر أخي القارئ عند قبض الفرنسيون عليه واتهموه بأنه موسى نجل مصطفى الخليلي وسجنوه ولكن المجاهد عبد الرحمن فندي أبازيد لم ينكر ولم ينف التهمة عنه وذلك لإنقاذ موسى لزم الصمت فترةً طويلة وهو في السجن وكان قابلاً بالعقاب حتى ولو أدى ذلك الأمر إلى إعدامه وذلك مأثرة منه بحماية موسى نجل المجاهد الكبير مصطفى الخليلي، وبعد فترة طويلة من السجن والعذاب في السجن اكتشف الفرنسيون بأنَّ هذا الذي في السجن ليس هو موسى مصطفى الخليلي بل هو عبد الرحمن فندي أبازيد فأطلقوا سراحه بعد ذلك.

أخي القارئ هذه الطبائع وهذه التضحيات الكبيرة هي صفات أصيلة ومتأصلة في الشعب الحوراني الذي حمل البندقية والعصا والحجر وطرد المستعمر عن أرضه وقدّم روحه رخيصة لذلك.

كلمة شكر وتقدير
إلى مدير مخبز تشرين الاحتياطي



مدير مخبز تشرين الاحتياطي
السيد يوسف العلي

الأخ أبو رامي يوسف العلي مدير مخبز تشرين الاحتياطي من مدينة الشجرة مدينة النضال والأحرار، مدينة الكرام وقد انطلق على هذا المشوار في طليعة الثوار محمد فياض المذيب ... والأخ أبو رامي صان قدسية الجيرة والأهل والعشيرة، وجعلها مظلة شرف وكرامة وقد عشناها قواسم مشتركة مع أبو رامي.

الأخ أبو رامي نبتة وطنية واجتماعية نبتت مع الربيع الاخضر على سهل حوران الأخضر بزيتونة وعنبه وخضرته والأحمر بلون دماء الشهداء التي امتزجت بترابه، وقد ترجم أبو رامي حميد خصاله وأفعاله خاصةً عندما استلم إدارة مخبز تشرين الاحتياطي وقد آمن بمقولة القائد الخالد حافظ الأسد الذي كان حريصاً على تأمين رغيف الخبز إلى كل مواطن مثل حرصه على تأمين البندقية إلى المقاتل، وكحرصه على تأمين جرعة الدواء للمواطن.

وأبو رامي مدير مخبز تشرين الاحتياطي التزم في تقديم الخبز النظيف إلى المواطن وهو الخبز الوحيد من حيث الجودة والإتقان الذي اشتهر في المحافظة فكان مثالاً للجودة في أدائه الخير. أخي القارئ: هذه مدينة الشجرة وهذه رجالاتها لم يتوقف السخاء الوطني على بعد مشوارها.

أخي القارىء هل شاهدت أصالة الرجال في وضح النهار والشمس المشرقة على رؤوس الأحرار والربيع الأخضر الزاهي في كل دار وعلى جبينه زهر النوار ولكنه النار المحرقة على الاستعمار إنه الشاب المغوار أبو رامي يوسف العلي مدير مخبز تشرين الاحتياطي الحريص دائماً على تقديم رغيف الخبز النظيف للمواطن وله قدوة حسنة بالقائد الخالد حافظ الأسد الذي كان شديد الحرص على تقديم البندقية للمقاتل وليس المهم أن يحمل الانسان البندقية ليقاتل ولكن المهم أن يكون الانسان

صادق في عمله ومرآة كرامة في وطنه بأي موقع يكون ويوسف العلي المذيب هو يد سخاء وعطاء في أي جهد يقدمه وهذا المخبز وصل إلى موضع متقدم على كل الأفران وهذا يعود إلى صاحبه الذي قدم الكثير من التضحيات والكثير من الصبر بالخبرة الفنية حتى وصل هذا المخبز إلى السمعة الطيبة بين الأوساط الشعبية ويوسف العلي هو حفيد النضال والأحرار على طريق الثورة والثوار حفيد مذيب الذي تصدى للقوات الفرنسية التي دخلت عن طريق لبنان في طريقها إلى القنيطرة وكان يومها يقود الثورة شكيب بك رسلان من لبنان والجولان أحمد مريود ومحمود الفاعور.

المجاهد رحيل رمضان من الأردن، قرية الطرة الحدودية مع حوران وهذا المجاهد في قيادة فواز باشا بركات من مدينة الرمثا وكان فواز باشا بركات يدير معارك الثورة على الفرنسيين من عمان كما ورد في الوثائق المرسلة من فواز بركات إلى بيت عقلة بك الغطاني في هذه الوثائق توجيهات إلى المجاهدين في حوران ويم العثور عليها في منزل عقلة الغطاني وكما هو معروف من الشعب الأردني السوري النسيج الأقوى في خارطة النضال العربي والمجاهد رحيل مصطفى سقط شهيداً في مدينة درعا والمجاهد مذيب من قرية الشجرة كان إلى جانب هذا الشهيد.



الرائد البطل أحمد فهد الرفاعي

الشهيد البطل أحمد الرفاعي

دمٌ عربيٌ حرّ ..

في سبيل الوطن والواجب ، وشعلةٌ من نور على تراب الوطن المقدّس

ما أعظم قوله تعالى : ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون))

صدق الله العظيم

بالشهادة وحدها يسمو الوطن وترتفع راية الكرامة ، والشهيد هو ذلك الإنسان الذي أعطى وطنه بلا حدود ، فليس هناك عطاء أنبل وأجمل وأغلى من عطاء الشهيد الذي قدّم دمه رخيصاً كرمى ليعون الوطن الغالي والشهيد الرائد البطل أحمد الرفاعي هو واحدٌ من هؤلاء الشهداء الأبرار الذين خصّم الله سبحانه وتعالى بالآية المقدسة التي ذكرناها قبل قليل ، هذا الشهيد البطل نشأ وترعرع في ربى حوران وبين أهلها الحر الميامين ، عاش في بيئة لا تعرف إلا الحبّ والعطاء نذر نفسه لإعلاء راية الحق والخير بهذا الوطن منذ نعومة أظفاره ، كان من المتفوقين الأوائل في تحصيله الدراسي فكان الأول على مستوى القطر العربي السوري في الشهادة الثانوية العامة وجد لزاماً عليه أن يلتحق بصفوف الكلية الحربية العسكرية آنذاك لأن الوطن كان بحاجةٍ إليه ولأمثاله ، فكان مثالاً للطالب المجد والمتفوق في الكلية الحربية وتخرج برتبة ملازم بعد عامين من التدريب والتعليم في الكلية العسكرية الحربية ، فكان ضابطاً كفؤاً مسؤولاً ومحبوباً من قبل مرؤوسيه ومن قبل كل من يعرفه ، ثم رُفع إلى رتبة ملازم أول وبزمنٍ قياسي وذلك لحسن سيرته وسلوكه ولأخلاقه العسكرية القيادية العالية ، نال وسام شرف من الدرجة الأولى كما نال عدة أوسمة أخرى نظراً لشجاعته وكفاءته وشخصيته القيادية القوية ، كان مثار إعجاب قادته ومصدر فخر واعتزاز لأمته ، أخي القارئ إنّ الصراع العربي الإسرائيلي فرز الأصالة العربية في أول موقع وهو الرجولة على قمم الجبال ، والصهاينة مواقعهم معروفة وهي هوية الجبن والخوف في جحور الأدغال ، والله

سبحانه وتعالى جعلهم في مواقع الذل والمسكنة لأن هذا هو قالبهم على طول الزمان والسلاح الأميركي لا يمكن أن يحمي جبن الجندي الصهيوني عندما يكون وجهاً لوجه مع الجندي العربي تحت لهيب المعارك ، والجبال الشامخة لا يمكن أن تهزها الرياح المارقة وتـــربة الأرض العربية رضعت من ثدي هذه الجبال التي انطلق منها النبع الصافي والله هـــو القوي الكافي ، وأما الشلالات التي تدفقت من سفوح الجراح ، جراح الشهداء وغـــذت الـــتربة البيضاء على صفحات التاريخ ونبتت على صفحات التاريخ وروداً حمـــراء من الدماء الزكية على دروب الحرية ، وهذه الدماء الزكية التي هطلت فيضاً وعطـــاءً على تربة الأردن الشقيق وهي دماء الشهيد البطل أحمد الرفاعي حيث روى الـــتراب المقـــدس بدمائـــه انطلاقاً من الواجب القومي العربي عندما دخلت القوات الســـورية إلى الأردن من أجل التصدي لقوات الصهاينة ، وكان الشهيد البطل أحمد الرفاعي هناك في مهمة بطولية عسكرية لدرء العدوان الصهيوني ، فروى بدمائه أرض الوطـــن الغالي واستشهد رافعاً راية الحرية والكرامة العربية فكان دمه شعلة مضيئة مع القناديل المضيئة بين كواكب السماء ، أخي القارئ لقد استوفيت هذه المعلومات عن الشـــهيد الـــبطل أحمد الرفاعي من الدكتور أديب الرفاعي شقيق الشهيد ، فقد ولد الشـــهيد الـــرائد أحمد فهد الرفاعي عام ١٩٣٧ م في قرية نصيب محافظة درعا وقد تخـــرج مـــن دار المعلمين بدمشق وعمل معلماً لمدة عامين وفي عهد الوحدة بين مصر وســـوريا نشـــط الرفاق البعثيين بعد حل تنظيمهم الحزبي ، وكان الشهيد من أوائل البعثيين في محافظة درعا حصل على منحة دراسية إلى السويد عندها قامت ثورة الثامن مـــن آذار فقامت القيادة بطلب الرفاق البعثيين الضباط للمحافظة على الثورة عندها تـــرك الشهيد البعثة في السويد وتطوع لصالح الثورة وعين ضابط أمن اللواء ٧٠ في الكســـوة وهـــو برتبة ملازم أول ، رفع إلى رتبة نقيب عام ١٩٦٩ ، اختارته القيادة على رأس القوة المتوجهة إلى المملكة الأردنية الهاشمية للدفاع عن الأردن الشقيق حيث كان يتعرض للقصف الإسرائيلي ، وبعد دخول القوات السورية إلى الأراضي الأردنية قـــام الطيران الإسرائيلي بقصف القوات السورية في الساعة الحادية عشرة ليلاً حيث أضـــيئت السماء بالقنابل المضيئة وشاهدها كل سكان محافظة درعا وقام الشهيد مع رفاقـــه البواسل بالتصدي للطائرات المعادية ودارت معركة طاحنة دامت لمدة ساعتين

أسفرت المعركة عن إنقاذ كامل القوة العسكرية السورية بعتادها وأفرادها واستشهاد قـائد القـوة النقيب أحمد فهد الرفاعي وثلاثة من رفاقه ، ثم رفع إلى رتبة رائد لبلائه الحسـن في المعـركة الـتي دارت يوم ٢١ تموز عام ١٩٦٩ م الشهيد عبد الرحمن الكفـري محافظة درعا قرية نصيب استشهد في معركة الإستز اف عام ١٩٧٠ وكان مثالاً حياً للبطولة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المعـروف بأنها سورية لها التصاق عضوي مع الكرامة العربية فحينما تعرض الأردن لهجوم إسـرائيلي هبـت القوات السورية لنجدة القوات الأردنية والوقوف إلى جانبها دفاعاً عن قدسـية الأرض وكرامة العرض فدخلت القوات السورية على مثلث الرمثا الأردني وهنا يقـف الإنسـان العربي حتى يحيي هذه القوات الباسلة التي لها فنون حربية أذهلت العدو وأسـعدت الصديق . وكان من بين الضباط البارزين الشهيد البطل أحمد الرفاعي والنقيب خـالد الحاج علي وعند استشهاد البطل أحمد الرفاعي بقي النقيب خالد الحاج علي يدير المعـارك بشجاعة ودراية عسكرية . ولا بد أن نذكر حينما وصل النقيب خالد الحاج علي لرتـبة عمـيد كان موضع إعجاب القائد الشاب الدكتور بشار الأسد فكان يكلفه برسم مخططات للمناورات العسكرية فهذه الخصوصية العسكرية التي تفرد بها العميد خالد الحاج علي وحصوله على تكريم من الدكتور بشار الأسد جعلته الخميرة الطيبة بالقوات المسلحة السـورية . وهؤلاء الرجال بخبرهم العسكرية هم درع كرامة وحصانة عسكرية في قواتنا الباسـلة في خوض المعارك العصرية الحديثة والمعروف أن العميد خالد الحاج علي من قرية النعـيمة بلد الشهادة والشهداء . هذه الشهادة زينت صفحات كتب المؤلف أحمد عطا الله الـزعبي الـثلاثة وهذه قرية النعيمة وهؤلاء رجالها لم يتوقف السخاء والاستشهاد البطولي على بعد مشوارها

المؤلف أحمد الزعبي

أخــي القــارئ إني أضــعك وجــه لوجه أمام هذه الصورة إنه حبيب العمر ورفيق العمر الدكـتور نمر مصطفى رسلان الذي أمدني بإرشادات تاريخية ووثائقية وجمعتني وإياه شرف الوظـيفة وـله التصاق عضوي بكرامة هذا الوطن واستخدم حسه الوطني قنوات وطنية وعاش هموم حزينة في هزيمة حزيران وهاجمته غيوم الأحزان في هذه الحرب ولكن في حرب تشرين عاش أجمل أفراح النصر .



الدكتور نمر مصطفى رسلان

((أيام خالدة لا تنسى))

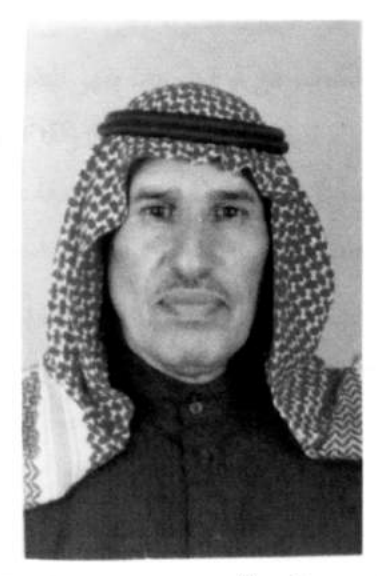
وكــرامة عربية لم تغيب وانتصارات تشرين هي أغلى حبيب ليس هناك فرحة تعادل فرحة النصر وخاصة هذا النصر الذي تم نسيجه الأقوى على سواعد قواتنا المسلحة وخيوط هذا النســيج هو الموجود على العلم السوري وهو يرتفع على مرصد جبل الشيخ وخط ألون الــذي تحول إلى مقابر جماعية للقوات الصهيونية وفي أول بيان عسكري صَدَرَ في أول أيام حرب تشرين وصف هذا البيان حالة التخبط للقوات الإسرائيلية وهي تلفظ آخر أنفاسها في جحورها وتحول الشعب السوري على خط المواجهة الثاني خلف قواتنا المسلحة كلٌّ في موقعــه العــامل في مصــنعه يدير الآلة والبندقية بيده والموظف في دائرته يحمل القلم بيد والبندقية باليد الأخرى وطناجر المطابخ تحولت إلى جزء من وسائل الحرب والمرأة الحورانية

وقفـــت في خـــندق المطـــابخ وهي تقدم الطعام الذي حملوه الرجال تحت لهيب المعارك إلى القوات العربية التي وقفت إلى جانب القوات السورية في هذه الحرب المجيدة ومدينة درعا الـــتي عاشـــت أجمـــل أعراس النصر حيث اكتحلت العيون فيها على أعظم مشاهد المجد وحينما بزغت شمس القوات الأردنية على مشارف درعا هذا البزوغ تم مع بزوغ الشمس وهو أجمل نهار طلعت عليه أعراس النصر وأعظم مراسم الاحتفالات الشعبية التي استقبلت القوات الأردنية في مدينة درعا وأمطرت الدبابات الأردنية في باقات الورود .

إنـــه يوم الشهود ونصرة الحسين بن طلال عبرت الحدود وزغاريد النسوة عانقت البارود ومديـــنة درعـــا شاهدت مثل هذه الحشود حشود الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين بن علي ١٩١٨ دخلت قوات الثورة العربية الكبرى إلى مدينة درعا دخول الفاتحين المنتصـــرين على فلول العثمانيين وجنرالات الجيش التركي هم أحفاد يهود الدونما وما بين الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين وبين حرب تشرين وقائد تشرين والذي أمام المحن لا يلين العالي الجبين القائد الخالد حافظ الأسد الذي وقفت إلى جانبه القيادات العربية الممثلة في جيوشها الجيش الأردني كان يدير المعارك الملك حسين على تل الحارة على الخط الأول مـــع العدو الصهيوني والجيش الكويتي والجيش السعودي والجيش العراقي . إن هذه الجـــيوش العربية جمعتها على خط المواجهة الإرادة العربية والمحن دائماً تجمع ولا تفرق وفي إحـــدى المناســـبات الوطنـــية اســـتقبلت محافظة السويداء وعلى مقدمة المستقبلين محافظ السويداء إبراهيم هنيدي هذا الاستقبال كان في منزل فضل الله باشا هنيدي لسيادة العماد مصـــطفى طلاس ويومها العماد مصطفى طلبني من أجل أن يسألني عن المؤلف عبد الرحمن الحـــوراني من طفس وقلت لسيادة العماد إن سهول حوران كانت مفتوحة لفرسان حطين بقـــيادة صـــلاح الدين الأيوبي وأما الآن سهول حوران مفتوحة لفرسان تشرين وأعراس تشرين لم تغيب عن العين ولم تغب عني تلك الأيام الغابرة في انتصارات هذا الحرب المجيدة في وهـــج انتصاراتها وكنت يومها موظف في دائرة الزراعة بدرعا وكانت الدوائر مستنفرة على الخط الثاني لمواجهة العدو وكنت أذهب في صحبة رئيس الوحدة البيطرية الدكتور نمر مصـــطفى والمطلوب من كل دائرة فرز دوريات مسلحة ليلاً من أجل مراقبة العدو حتى لا يقـــوم بإنزال مظلي خلف قواتنا المسلحة وهذه الدوريات مهمتها قتالية وكانت الشجاعة مطلوبة في مواجهة .

قصف الطيران الإسرائيلي وأشجع الرجال الذين يواجهون مخاطر القصف هو الدكتور نمر رسلان حيث استخدم حسه الوطني زوادة معنوية وثقافته الوطنية هي قنوات شجاعة لأفراد الدورية المسلحة وإذا سقط أي مظلي صهيوني على أرض حوران فإن مهمة الدوريات هي أسر الطيارين أحياء إذا ما أبدو مقاومة من أجل الحصول على معلومات تخدم أهداف قواها المسلحة والدكتور نمر كان يسير أمام الدورية ويلقي إرشاداته حتى ينتزع الخوف من النفوس وهو يحمل سلاحه وإلى جانب هذا السلاح القوة المعنوية التي نسجت مظلة الشجاعة لكل فرد فينا وهذه الصفات جعلته موضع احترام الجميع وليست غريبة قنوات الشجاعة عن عائلة رسلان بالنضال والأحرار في الوطن العربي وخاصة الدكتور نمر كان يتقدم مع جماهير الطلبة عام ١٩٤٠ والهجوم على المذخر في حجر المقلاعة وهذه حقائق عبر كتب المؤرخين عن القيادات العربية من عائلة رسلان وتشكلت أول حكومة أردنية عام ١٩٢١ وارتفع على أعلى منصب في هذه الحكومة مظهر بك رسلان والمناصب التي تشرف في حملها مشاور العدلية والصحة والمعارف وعضو مجلس المشاورين وهناك قيادات عربية برزت من هذه العائلة عائلة رسلان وهو الأمير عادل رسلان وشكيب رسلان وقدمت هذه العائلة المزيد من قوافل الشهداء دفاعاً عن قدسية الأرض وكرامة العرض ولا أنسى معطيات الانتصارات حيث تحول الشعب السوري في خندق المواجهة مع العدو الصهيوني ولا أنسى شجاعة الأستاذ حمد الحمود مدير مال منطقة درعا الذي كان يترأس دورية من رجال المالية وكان سلاحه الأقوى والأمضى وهو الحس الوطني والإدارة المعنوية وليست غريبة عنه هذه الصفات . أنه مرآه كرامة لشجاعة والده إبراهيم حمد الحمود تولد قرية صماد . لقد قابلت أحد المعمرين في محافظة السويداء حيث تكلم كثيراً عن شجاعة المجاهد إبراهيم الحمود وقال إنه من أشجع رجالات الثورة حيث كان إلى جانب سلطان الأطرش في كل المعارك ومن أهم هذه المعارك معركة الكفر حيث شهدت له رجالات جبل العرب بهذه الشجاعة التي أبرزت ضد القوات الفرنسية وكان موضع إعجاب قائد الثورة سلطان باشا الأطرش وكانت له شجاعة مميزة في وهج المعارك وسقط جريحاً في معركة الكفر وجراحه بليغة وخطيرة حيث نقل على ظهر فرسه إلى قرية صماد وله صورة في كتابي الثاني على الصفحة (١٠٤) .

الوجه الكريم واليد البيضاء السخيّة



الشيخ والشاعر السيّد عايض مرزوق فالح الحربي
من الكويت الشقيق

أخي القارئ : ما أجمل أن يرى الإنسان ضيوف الأوطان من كل مكان .. إنّه المكان الذي فيه أجمل سكان إنهم سكّان الكويت الشقيق إنه البلد العربي المضياف الذي عاش قواسم مشتركة مع القبائل العربية وأنه حضانة للكرامة العربية واقتسم رغيف الخبز ضمن صيغة الاقتصاد العربي ومن ليس له ماضي ليس له حاضر ، ماضينا بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر الحريص على كرامة الشعب الكويتي الشقيق وحمايته من كلّ مارق طريق وماضينا بالقائد الرئيس حافظ الأسد من أثمن أهدافه توحيد الصف العربي وحينما جاءت حرب تشرين التحريرية شاهد المواطن السوري القوات الكويتية الشقيقة وهي تخوض معارك بطولية إلى جانب القوات السورية وليس هناك غرابة على هذه الصفات القومية العربية على الجيش الكويتي الشقيق .. هذه العموميات التي بدأت في صيغة هذه المقدمة وأما الخصوصيات بأثمن الكلمات على الأديب الشيخ عايض مرزوق الحربي هذه العشيرة البدوية هي من أصول العشائر البدوية في الوطن العربي ولها صلابة نضالية ضد الاستعمار التركي والفرنسي كما شهدت لها الوثائق والحقائق والشيخ عايض ينحدر من عشيرة

بدويــــة ضاربة جذورها في عمق الصحراء العربية والأقدار الآن ساقته ليكون في أجمل بلدة حورانــــية التي ينحدر أنسابها من السلالة النبوية وهي عشيرة الرفاعي في أم ولد كما ورد معي الوثائق الهامة عبر هذا الكتاب عن قوة البرهان بقهر الطغيان التركي وتخليص الفتيات الرهيــــنات مــــن القــــوات التركية ولولا البراهين التي رأتها القوات التركية من عائلة آل الــــرفاعي لمــــا سلموا الفتيات إلى أهلهن وسوف تتحدث هذه الوثائق بتوقيع من القيادات التركــــية عــــلى قــــوة البرهان المحمية بإرادة الرحمن حينما امتحنت القيادة التركية الشيخ الــــرفاعي ووضــــعته في الفــــرن الذي يصهر الحديد وصلى ركعتين لله تعالى في وهج النار وخرج سالماً بإذن الله والله يدافع عن الذين آمنوا كما حمى الله عز وجل سيدنا ابراهيم من وهج النار .

والشيخ الشاعر الكويتي عايض مرزوق فالح الحربي :

هــــذا الشيخ الشاعر والأديب عايض مرزوق فالح الحربي يحب حوران حبّاً كبيراً لأنه يحبّ ســــوريا العرب الحبّ الأكبر وهو لا يفرق بين دولة عربية وأخرى ولا بين قطر وآخر فهو يرى أن هذه الدول العربية كلها تنتمي إلى وطن عربي واحد كما تنتمي حبات المسبحة إلى الخــــيط الــــذي يجمــــع الحبات في مسبحة واحدة لقد بنى هذا الشاعر بيت للاصطياف في محافظــــة درعا قرية أم ولد وقد زاره مسؤولون كثيرون على هذا البناء وقالوا له لماذا بنيت هذا البيت في سورية فقال لهم أحب سورية وأحب أهلها وأحب الرئيس وحتى الفراش بها

وقال اسمعوا في هذه الأبيات :

لزيــــت الــــزين عــــلى رأس عــــالي — مــــن لاذ بالطيــــب تــــرى الله ينجــــيه

حبيــــت ســــورية جــــنوب وشمــــالي — والرئــــيس الــــلي مــــا ضيات حسانيه

حــــافظ أهــــدي بالشــــام للحمل شيالي — عــــز العــــرب ولكفــــر مــــا هي دانية

تمــــت عــــلى رب العزيــــز الجــــلالي — الواحــــد الي كــــل الإســــلام ترجــــيه

وقال الشاعر عايض مرزوق الحربي بعد وفاة الرئيس هذه القصيدة :

مـرحوم يـلي كـل الإسـلام تـنعاه		إلي حسـناته تغطـي الجـبالي
لـو الـبكى يـنفع والله بكيـناه		أشـهد إن أبـو باسل على القلب غالي
هـذا القـدر مـا حـد يرده إذا جاه		مـن واحـد فـوق السماوات عالي
في جـنة الفـردوس يـا الله مـأواه		تـرى دخـيلك يـا عزيـز الجـلالي
خـلي الـنمر والذيب يمشي مع الشاه		مـتقابلين بـين في الضـلالي
مـا همـني بيـتاً بدرعـا بنيـناه		لترسـه لـو يلـزعون العـيالي
بجرشـه والله قريـب طويـناه		إمـا حصـل مـثله ويـرتاح بـالي
بـني العـوض مـن واحـد كـنا إياه		بشـار شـيال الحمـول الـثقالي
تمـت علـيه ألي تسـجد الناس لرضاه		عـلام مـا يخفـى مـا كـان بـالي

وقائل هذه القصيدة الشاعر الكويتي عايض مرزوق فالح الحربي عن أهل حوران .

يقـول الشاعر أهل حوران بهم عيوب إنهم يذبحون الخاروف السمين ويصبون السمن عليه وعـندهم كثرة الطيب والمحبة والمعشر الحلو والسهرات العامرة في مضايفهم أي الديوانية حـتى الصـباح ويجعلون الواحد ينسى غربته ويسلو بعده عن أهله والله يديم عليهم هذا الطيب مدى الحياة .

ويقول هذه الأبيات :

من الشاعر عايض مرزوق الحربي إلى عموم أهل حوران :

يفـرح الحـربي وسـعيداً مـتاكم		مرحـبا وعـداد هـب اللـو هـبي
مرحـبا وعـداد مـا تمشـي خطاكم		وعـد مـا ترسـل خطـوط المناديبي
يـرجال العـز وعـز لمـن جـاكم		وشـهداً حـوران مشـهود الطـيبي
يـا هـل الـبطولات ما ينقص قراكم		خمـس أشـهر فـوق زل وترحـيبي
كاسـبين المـدح والله بدنـياكم		وتـرى بـاقي العمـر حسرة وتعذيبي
مـا يـنول الطيـب يا كود شرداكم		واحـداً يفـرح بـنطح المـو حـيبي

الفصل الثالث

الباب الأول

{ لقاء المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي }
مع
أكبر معمر في العالم حسين محمد الشاذلي
وهو من مواليد درعا . المسيفرة ١٨٥١ م
إنه نوحٌ ثاني في القرن العشرين



حسين محمد الشاذلي هو من مواليد ١٨٥١ م وتوفي عام ١٩٩٩/٣/٣٠
في
صورة مشتركة مع المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي أثناء اللقاء معه

تعليق المؤلف حول مقابلته مع المعمر حسين محمد الشاذلي:

إنّهُ نوحٌ ثاني في القرن العشرين وهو من مواليد درعا - المسيفرة عام ١٨٥١ م وقد وافته المنية في ١٩٩٩/٣/٣٠ م، وقد أجرى المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي أول لقاء مع هذا المعمّر منذ عشرة سنوات ووجه له عدة أسئلة عن مسيرة حياته ومعاناته وما يختزن من ذكريات وخاصةً في العهدين التركي والفرنسي فكانت هذه الأسئلة التي كان يوجهها له المؤلف تستنهض ذاكرته وتشد الماضي إلى الحاضر وكانت هذه الأسئلة كأحمالٍ ثقيلة من الهموم والأحزان تهجم على نفس هذا المعمر، وكثير من الناس الذي يجهلون قدسية أسرار الموت وعلمه المكين عند رب العالمين، انطلقوا في تفكيرهم الخاطئ بأنّ العد التنازلي لحياة هذا المعمّر قد بدأ وأنه يقف على شواطئ الموت وليس في سلّم حياته إلاّ الأيام والساعات القليلة، ولكنهم وقعوا في سوء التفكير وقلّة التدبير وكانت لهم هم مصيدة الموت بالمرصاد فماتوا هم وبقي هذا المعمّر على قيد الحياة.

أما لقاء المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي الثاني مع هذا المعمّر فكان في الرابع من تشرين الأول لعام ١٩٩٧ عند ما أراد المؤلف أن يلتقط صوراً تذكارية إلى جانب هذا المعمّر وهو يقرأ القرآن الكريم، وسبحان اللّه لم يكن بمقدوري اختراق جدار الغيب لأكتشف أسرار الحياة وهل يكون الموت حقيقةً أقرب إليّ أم أقرب إلى هذا المعمّر، وبقدرة اللّه يبقى هذا التخمين في علم اللّه سبحانه وتعالى.

والجدير بالذكر أنّ التلفزيون العربي السوري قد أجرى لقاءً مع هذا المعمر وقد أُخذت له عدة لقطات وكان بحضور المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي وكان ذلك اللقاء بتاريخ ١٩٩٨/٣/١٧.

والجدير بالذكر أخي القارئ أنّ هذا الوجه التاريخي ولد في قرية المسيفرة عام ١٨٥١ م وقرية المسيفرة هي من قرى محافظة درعا، وقد انتقل المعمّر إلى رحمة اللّه بتاريخ ٣٠ آذار من عام ١٩٩٩م.

ومن المعروف أخي القارئ بأنّ سيدنا نوح عليه السلام قد عمّر وعاش ضمن عشرة أجيال من عصره (إذا كان عمر الجيل مائة عام، أما المعّمر حسين الشاذلي فقد عبر على جيلين) ولا يزال هذا المعمر على قيد الحياة أثناء إجراء هذا اللقاء معه لقد بدأ المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي يداعب هذا المعمّر ويقوده بتفكيره إلى ذكريات الماضي وراح ينتزع منه عدة حقائق من الحقائق التي عفى عليها الزمان وطواها وبقيت مخزونة ومحفورة في طيات تفكير المعمّر حسين الشاذلي نسترجع منها وبها تاريخنا

وماضينا المشرق، فكان السؤال الأول الذي طرحه المؤلف على هذا المعمّر:
وجّه المؤلف السؤال التالي إلى المعمّر حسين الشاذلي:

هل لك أن تحدثني عن الحكم التركي ومتى بدأ يوجه سهام الظلم والقهر باتجّاه الشعب العربي..؟

فأجاب المعمّر: انّه لم يكن هناك رفاهية اقتصادية ولا سعادة نفسية ولكن كانت نفحات الظلم تهاجم كلّ إنسان في الوطن العربي تحت مظلة الحكم التركي. والمجاعة لم يكن لها مثيل عبر التاريخ البشري. وسياسة التجويع المنظمة جاءت من أجل إذلال الشعب العربي، حيث كانت القطارات التركية والألمانية تنقل محاصيل الحبوب من حوران وتعود وهي محملة بالأسلحة، وكانت تتسرب إلى الشرائح الوطنية العربية أخبار من القيادات الوطنية والسياسية بأنّ هناك يهود ((الدونما)) دخلت الى الأراضي التركية عن طريق اليونان وأعلنوا إسلامهم وأقاموا المساجد بطرق تمثيلية لخداع الشعب التركي، ودخلت الشباب من اليهود المثقف إلى الجيش التركي وشكّلوا خلايا من الضباط وقاموا بتنفيذ الإنقلاب الأول على السلطان عبد الحميد المسلم بحجة أنه عجوز حيث كان من أهم هذا الإنقلاب هو إعلان العلمانية التركية وسلخ الشعب التركي عن عقيدته الإسلامية ولو بالهوية، وقد برز من صفوف الضباط باشوات الطورانية اليهودية التركية وتوزعت هذه الباشوات على الأقاليم العربية. وكان من نصيب سورية ولبنان من الحكّام سامي باشا. وجمال باشا السفّاح الذي تولى يومها قيادة الفيلق الرابع في سورية بعد عام ١٩١٤ م، وأن جنرالات الجيش التركي الذين قاموا بمناورات مشتركة مع الجيش الإسرائيلي هم أحفاد يهود (الدونما)، وليس هناك دولة إسلامية تسلل إليها خلايا سرطانية يهودية إلاّ تركيا والتي لها التصاق عضوي بالجسد الصهيوني، وإنّ ضباط الجيش التركي المنحدرين انحدار إسلامي لا يملكون إرادة التغيير حتى يتخلصوا من الجنرالات الإسرائيلية، ولكن يبقى الشعب التركي شعب مسلم مخزون بإرادة الإيمان وقدسية القرآن. سوف يأتي اليوم على هذا الشعب المسلم الذي يستطيع فيه انتزاع الخلايا السرطانية من يهود (الدونما) من جسد الشعب التركي المسلم المؤلف يسأل ويعّرج على تاريخ يهود الدونمة ثم وجه المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي السؤال التالي إلى المعمّر حسين الشاذلي.

س- هل استعمار الأمس أمريكا وبريطانية وذنبهما إسرائيل هم أعداء اليوم للوطن العربي:

فأجاب المعمّر: نعم.. وإن تعددت أقنعتهم الاستعمارية.

سُئل المعمّر: كيف تعلم متى ولادتك طالما أنه لم يكن هناك بطاقات شخصيّة؟ فأجاب: إنّ هويتي التاريخية مازلت أذكرها.. قرية الجيزة إلى الجنوب من المسيفرة لم يكن يسكنها إنسان وكانت خربة غير مسكونة. والمعمرين في هذه القرية ذكروا أن عمر هذه القرية يتجاوز المئة وخمس وأربعين عاماً، ونقل حجر من الأردن وحفر عليه تاريخ النقل وكان يومها خيّالاً عمره أكثر من ثلاث وعشرين عاماً، والحجر عثر عليه أحفاده مؤرخ منذ مئة وخمسة وأربعين عاماً، وإنّ هذا المعمّر وجه تاريخي يطل على أجيال الحاضر حتى يقول لهم: إنّ أعداء الأباء والأجداد من أميركان وإنجليز ويهود لم تتغير هويتهم الاستعمارية.

وأخيراً ما أجمل أن يرى الإنسان المخاطبة القرآنية التي وجّهت إلى الرسول الأعظم الواردة بسورة المائدة: ((وجعلنا منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت)) والمقصود بالقردة والخنازير اليهود ومكانهم الطبيعي هو الغابات الأميركية لأنها المدرسة الأولى التي تخرج منها رعاة البقر والسياسة الأمريكية الإجرامية في العالم وإذا كان المفهوم العالمي بأنّ أميركا هي رأس الأفعى وذنبها إسرائيل.. لكن هذا الذنب هو الذي يضخ السموم على رأس الأفعى الأمريكية وأن أميركا لا تستطيع التحرر من اللوبي الصهيوني الذي يسيطر على القرار السياسي الأمريكي والذي جيّر على المسارات الأخرى الأمريكي وخاصة المسار الاقتصادي.

إنّ الشعب التركي وقع فريسة لمملكة الجواري ويهود الدونما.. أخي القارئ إنني أضع بين يديك الخلايا السرطانية التي دخلت في جسم الشعب التركي من مملكة الجواري ويهود الدونما.

إنّ الشعب التركي المسلم لم تفتر عنده الروح الإسلامية وبقي صلباً في عقيدته الإسلامية وليس كثيراً عليه المزيد من التضحيات حتى يتخلص من جذور يهود الدونما أحفاد جمال باشا السفّاح وكمال باشا الذين سلخوا الشعب التركي عن عقيدته الإسلامية والشعب العربي المسلم يرتبط بالشعب التركي بقنوات الإيمان تحت مظلة قدسية القرآن. لقد أصدر جمال باشا السفّاح برقية إلى الاتّحاد السوفييتي تحمل صيغة التآمر على الشعب التركي والشعب العربي وعلى العالم الإسلامي وإذا كان قدر الشعب التركي المسلم أن يبتلي بهذا السرطان الصهيوني وهذا بمثابة إختبار لمدى تقديم التضحيات إلى الشعب التركي المسلم حتى يتخلص من جنرالات الجيش التركي أحفاد شبتاي زيفي وجمال باشا السفّاح وهناك نموذج فذ في العالم الإسلامي ونأخذ مثالاً الثورة الإيرانية وهي أقوى ثورة شعبية بالتاريخ أطاحت بالحكم الملكي الفاسد الذي سخّر نفسه مطية للاستعمار والصهيونية العالمية وجيّر على

الثورة الإيرانية حتى تكون رفداً اقتصادياً إلى زعيمة التجبر العالمي أميركا وذنبها إسرائيل وإنّ هذا الذنب يضخ سمومه إلى رأس الأفعى أميركا حتى يسد عليها كلّ النوافذ الاقتصادية والسياسية وحتى لا يكون هناك إلاّ نافذة واحدة مفتوحة على الدوام لخدمة إسرائيل وأطماعها الصهيونية، وبذلك أصبحت الأرض الإيرانية أرضٌ خصبة بقدسية القرآن والإيمان بالرحمن وهي الدولة التي نذرت نفسها وجيشها حتى تزحف مع الجيوش العربية لتحرير القدس الشريف ولن يكون ذلك بعيداً اليوم على الشعب التركي أن يقوم بثورة إسلامية حتى يقتلع جذور جنرالات الجيش التركي الذين فرضوا العلمانية الموروثة من كمال أتاتورك اليهودي المقنّع باللباس التركي وحينها تعود تركيبته إلى التركيبة العضوية الإسلامية حتى لا يعود ذلك اليوم الظالم والمظلم تحت قبعة حاخامات إسرائيل الذين خططوا للمناورة مع الجيش التركي: ((وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) صدق الله العظيم.

إنّ الصهيونية العالمية حاولت أن ترشي السلطان عبد الحميد حيث قال في مذاكراته ص ٣١٧ عن أسباب خلعة: ((إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والمعروفة باسم ((جون تورك)) وتهديدهم، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.. إنّ هؤلاء قد أصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على إقامة وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ((فلسطين)) ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً.. وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير)) ذُكرت هذه المعلومة في كتاب بعنوان: أحمد مريود لمؤلفة محمود عبيدات من القطر الأردني الشقيق في الصفحة ٣٥.

وهكذا سار الشعب التركي بنفق الظلام بعد أن سقط فريسة لمملكة الجواري وأبرز هذه الجواري صفية الإيطالية إذ كانت بارعة في الخداع حتى يكون الشعب التركي بعيداً عن الهوية الإسلامية وقريباً على الإلحادية الإيطالية وكأنها عاصمة تركيا هي البندقية ولكن المسار الثاني الذي وقع فيه الشعب التركي هو يهود دونما الخلية السرطانية الكبرى على الشعب التركي، وإني أقدّم إلى القارئ العربي الوثائق الهامة عن وقوع تركيا في أحضان الصهيونية العالمية التي سلخت الشعب التركي عن هويته الإسلامية بالممارسة والضغط وإذا كان هناك حكّام تناوبوا بالتآمر على الشعب التركي ولكن بمشيئة الله سينتصر الشعب التركي على الخلايا السرطانية والرياح العلمانية التي تحمل السموم الصهيونية، وهذا النفق المظلم سوف يعود له

الضياء تحت مظلة قدسية القرآن والإيمان المطلق بعضمة الرحمن، وصفية الإيطالية حكمت تركيا ثلاثون عاماً وهي زوجة مراد الثالث، ويهود الدونما أطلقوا حقدها على العالم العربي والإسلامي وأيضاً على العالم المسيحي حيث قامت بإبعاد جماعته إلى الأرمن كما ورد في كتاب فايز الغصين وكانت المجزرة في عام ١٩١٥، المصدر كتاب فايز الغيض.

يهود الدونما

فئة من يهود تركيا دخلوا الإسلام ولعبوا دوراً مدمّراً

((الدونمة)) يهود تركيا

أشهروا إسلامهم واضمروا كيدهم

بقلم: الدكتور محمد طه الجاسر ❖

قال ((أبا ايبان)) أحد أقطاب حزب العمل الإسرائيلي ووزير الخارجية الأسبق كلاما يفهم من أن اليهود في الدولة العثمانية تعرضوا لصنوف من الضغوط والاضطهاد، جعلتهم يتخلون عن دينهم ويعتنقون الإسلام، فما وجه الصحة فيما قال ؟ هل دخل اليهود حينذاك في الدين الإسلامي اقناعا أم امتهانا ؟

الحقيقة والواقع ينفيان كلا السببين، فمن يسلم هداية يصبح ملتزما ومحبا بدرجة قد تفوق بعض المسلمين أصلاً في حين نرى اليهود الذين أسلموا هم أشد عداوة للإسلام في تركيا، وقادة الموجة الداعية إلى محاربة كل ما يتعلق بالدين الحنيف. أما الاضطهاد، فقد عانى منه اليهود في معظم دول العالم عبر القرون باستثناء العالم العربي والإسلامي، الذي عاملهم بالتسامح، إذن ما هو السبب وراء دخول أولئك اليهود في الإسلام ؟

إنها فكرة شيطانية خطرت لواحد من أدهى رجال الدين اليهودي ويدعى ((شبتاي زيفي ولد مور دخاي)) من مدينة ((أزمير))، بهدف اختراق الأمة التركية، والبعث بمعتقداتها، وتمزيق وحدتها. ولقد أعلن إسلامه حين فشلت آخر محاولة له لتضليل الأمة التركية وإفسادها، وانكشف أمره وأسقط في يده، وكاد ذلك يكلفه حياته وحياة أتباعه، إلا أن الخديعة لم تنطو على غالبية الشعب التركي المتمسك بدينه إيمانا وفطرة، فبدلا من أن يطلق عليهم لقب ((المهتدين)) دمغهم وأنسالهم بلقب ((دونمة)) وتعني المرتدين.

النبي الكاذب

والآن لنبدأ القصة من أولها:

ففي عام ((١٦٦٥)) ادعى حاخام في أزمير يدعى ((شبتاي زيفي)) أنه المسيح ابن الله، بعثه ليهود العالم مرشداً ومنقذاً، وكان أول بيان له كما يلي:

((من ابن الله الولد الأول والوحيد له ((شبتاي زيفي))، المسيح والمنقذ الإسرائيلي، إلى بني إسرائيل السلام. لما كان لكم شرف المعاصرة لخلاص بني إسرائيل، ولنحقق



ما أخبر به الأنبياء، والآباء، تحولت آلامكم إلى مسرات وصيامكم إلى التنعم بالملذات. يا بني إسرائيل، لن يكون لكم بعد اليوم بكاء وقد منحكم الله قوة للتأسي يصعب التعبير عنها. حافظوا على عباداتكم التي اعتدتم عليها من قبل ما عدا يوم الحزن والحداد، فإنه - تكريما لقدومي - يتحول إلى يوم شكر ومسرة. لا تخشوا شيئاً أبدا فإن حاكميتكم ستشمل جميع الشعوب وستكون على الكائنات الحية كلها، سواء التي على وجه الأرض أو التي في أعماق البحار)).

وتنتشر دعوته، ويكثر أتباعه، ويشاع الكثير من معجزاته، وأهمها أنه لا تخترق جسمه السهام ولا تعمل فيه السيوف والحراب. وتصل أخباره إلى الآستانة، ويرى فيه رجال الدولة العثمانية نشاطاً هداماً. يسمم العقول الساذجة، فيأمر السلطان العثماني في ذلك العهد ((محمد الرابع)) بإحضاره إلى القصر في جلسة خاصة حضرها السلطان نفسه والصدر الأعظم ((أحمد باشا الكوبرلي)) ونخبة من رجال الدولة، وأخبروه أنه تأكيداً لصدق دعوته، سيعرضون جسده لوابل من السهام من ثمانية من أمهر الرماة. وكما كان متوقعاً، ارتعد الرجل من رأسه إلى قدميه، وحاول أن ينكر كل شيء، ولكن القرائن كانت دامغة، حينئذ خطرت له فكرة شيطانية يلجأ فيها إلى خديعة ينجو بها برأسه وينقذ حياته، لاختراق الأمة التركية وتضليلها، فأخذ يتوسل إلى السلطان ويعده إن عفا عنه سيعتنق الإسلام، وسيكون من دعاته المخلصين ولربما كان سبباً في هداية اليهود إلى الإسلام، وهكذا أشهر الرجل إسلامه وسمى نفسه ((محمداً))، ولبس الجبة والعمامة وعين له راتب شهري وخصص له جناح في القصر درءاً للفساد، كيلا يختلط بالناس ويعود سيرته الأولى.

ويذكر المؤرخون أن إسلامه كان نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصاراً لليهودية العالمية. فإسلامه كان مجرد كلمة تفوه بها لينجو برأسه وليخلق سرطاناً رهيباً في الجسم العثماني يستفحل وينتشر، وينتقل بالوراثة من جيل لآخر، محافظاً على نشاطه الهدام. إذ ما لبث ((المهتدي)) أن طلب إذناً من القصر ليقوم بنشاط جدي يدعو فيه ذويه وأقاربه ومن يثق به إلى الإسلام. وقد استجاب القصر لذلك، فسمحوا له بجولات في أنحاء البلاد وأطلقوا وراءه رجال المخابرات. فماذا كانت النتيجة ؟ لقد أخذ الرجل يدعو كل من استمع إليه وإلتف حوله من اليهود في تركيا، إلى أن يشهروا الإسلام بأفواههم، ويمارسوا نشاطاً هداماً، لإفساد الأمة التركية وجعلها آلة في أيدي الصهيونية.

مركز الدونمة:

وأشهر اجتماع انكشف فيه أمره كان في إحدى ضواحي اسطنبول على البوسفور تدعى ((كورو جشمه))، حيث ضبط يخاطب أتباعه بالعبرية، وأهم ما قاله:

((الآن وقد أصبحتم مسلمين، أعملوا بكل حرية. عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والروحية والحيوية للأتراك، واستنفروا في سبيل ذلك كل إمكاناتكم، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم السيطرة الشاملة عليهم)). حينئذ ألقي القبض على الرجل، وكان من المفترض أن يعدم لولا أن تدخل شيخ الإسلام ونصح بنفيه على مكان يؤمن فيه شره، لأن قتله سيجعله شهيداً ويضاعف من الأساطير التي أشيعت حوله. وهكذا تم نفيه إلى ((سلانيك)) ولحق به الكثير من أتباعه. وهكذا أيضاً تحولت المدينة إلى مركز للدونمة، ومصدر إشعاع للخيانة والتآمر والأفكار المسمومة، فيها وضعت كل الخطط التي أدت إلى تصفية الدولة.

فرض يهود الدونمة سيطرتهم على البلاد:

التحرر وعملت في الشخصية التركية تحطيماً حتى تمكنت من تسخير فئة غير قليلة لمآربها، ووجهتها وجهة لا يربطها بالعرب والمسلمين إلا العداء والنفور. من ((سلانيك)) تخرج كل من ساهموا في تحقيق المطامع الصهيونية، وفيها زرعت بذور البغضاء بين الأتراك والعرب، وحيكت المؤامرات لتفتيت الدولة العثمانية وتوزيعها على دول الغرب وإقامة دولة إسرائيل. وفي مقدمة هذه الفئة: رؤوس الاتحاديين وجلادوهم: جمال وأنور ونيازي.. وآخرهم مصطفى كمال الذي لقب بعد انقلابه بـ((أتاتورك)) أي أبو الأتراك.

وفور أن استولى الاتحاديون على السلطة بمساندة المثلث المشؤوم، كان أول شيء فعلوه أن فتحوا لهم أبواب اسطنبول والمدن التركية الكبرى بل وحتى أبواب فلسطين أيضا ليهاجر إليها اليهود ويستوطنوا فيها. وإلى سلانيك نفي السلطان عبد الحميد الثاني، الذي - على الرغم من كل ما كتب عنه من أباطيل - يثبت التحليل الموضوعي لوقائع التاريخ، أنه كان ذا توجه إسلامي وعربي في سياسته كما أنه وقف ضد أطماع الصهيونية في فلسطين ورفض اعطاءهم أي امتيازات بالرغم من العروض المغرية لدعم ميزانية الدولة بمبالغ طائلة من المال.

فرض السيطرة:

في اسطنبول بدأت جماعة الدونمة بالسيطرة على مقدرات البلاد، بدءاً بالحكام،

والعسكريين فرجال الدين، حتى أن أول شيخ للإسلام عين في بدء عصر نفوذهم كان: موسى كاظم أفندي في ١٩١٠/٧/١٢ في أوائل عهد الاتحاديين، أخذت تصدر عنه تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبرر تصرفاتهم. ثم وضعوا أيديهم على موارد البلاد فجرى تعيين ((دونمة جاويد)) وزير للمالية، وفي عهده تقدم الدونميون في المجالات الاقتصادية، والتجارية، واستطاعوا بالربا الفاحش والاحتكار وبالاحتيال والاستغلال أن يسيطروا على الأسواق الداخلية. ثم انتقل نشاطهم إلى الإعلام والثقافة، فأسسوا صحفاً تدعوا لكل ما تنافى مع الإسلام ويزعزع التركي بمعتقداته وتراثه.

لهم كصحيفة ((حريات))، وأغلب صحف اليوم، إما يملكها ويديرها الدونمة، أو تتلقى الدعم المالي منهم، شريطة أن تسير في فلكهم وتحقق أغراضهم. من هذه الصحف تذكر ((ملليات)) ومؤسسها ورئيس تحريرها إلى أن اغتاله أنصار التوجه الإسلامي بعد أن تجاوز الحدود في تجرئه على المقدسات الإسلامية هو ((عبدي ايبكجي أوغلو))، وجريدة ((صباح)) الأكثر انتشاراً والأشد عداوة للإسلام والمسلمين والعرب باعتبارهم حملة الرسالة. ثم قام ((عمر رضا دغرول)) وهو من الدونمة أيضاً بترجمة القرآن ودعا إلى قراءته في الجوامع والصلوات بالتركية، كما ترجم الأذان ومنع الأذان بالعربية، وألف ((ألف تكين الب)) وهو يهودي الأصل وكان يدعى قبل إسلامه ((وايز كوهين)) - كتابا أسماه ((التتريك)) ونشره بين طبقات الشعب، يدعوهم فيه إلى نبذ كل ما يتعلق بدينهم وتراثهم لأنها رموز التخلف والرجعية، ولقد ورد في إحدى صفحاته ((ومما لا ينكر أن الدين شيء إضافي، أو بعبارة أخرى أمر ثانوي بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته. وأن الذين فسدت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية، فالدين لهم، والدين عندهم كل شيء)).

أكثر من انقلاب:

ثم كانت انقلابات ((أتاتورك))، والرجل من سلانيك، وهناك شبهات حول جذوره، فأبوه ((رضا)) كان موظفاً في الجمارك ويقال إنه من الدونمة، وأمه ((زبيدة)) كانت في شبابها ذات ممارسات مشبوهة. إلا أن الرجل كان قائداً عسكرياً فذاً، وهو بطل معارك الدردنيل أثناء الحرب العالمية الأولى، التي أفشلت حملات الأسطول البريطاني لاحتلاله. وحين قام بانقلابه اعتمد على قائد الجيش المؤمن ((الجنرال فوزي جقمق)) وتظاهر بأنه مسلم ملتزم ومؤمن صالح، فكان يحرص على حضور صلاة الجمعة ويدعو الله رافعاً يديه إلى السماء. إلا أنه ما كاد يستتب له الأمر حتى أعلن علمانية الدولة، وأخذ يقضي على كل رابطة مع العالمين العربي والإسلامي فألغى الكتابة بالحروف العربية، ودعا إلى التخلص من المصطلحات التركي بدءاً

بدينه ومعتقداته، وإثارة العداوة والكراهية بينه وبين العرب والمسلمين، وما زالت هذه الحملة حتى الآن.

وما حدث أخيرا خلال الخمسين سنة الماضية، يشير إلى أن كل تلك الممارسات لم تنل من عزيمة الغالبية العظمى من الشعب التركي، واعتزازه بمعتقداته والتمسك بهويته وتراثه. بل إن موجة عارمة من الدعوة إلى التمسك بالإسلام غمرت تركيا من أقصاها إلى أقصاها بما في ذلك المدن الكبرى.

فالشعب التركي مسلم كله، حتى أن كلمة ((مسلم)) أصبحت مرادفة لكلمة ((تركي)) وهي جزء لا يتجزأ من هويته.



ومنذ بدأ عهد التعددية الحزبية، شعر رجال السياسة بالتحرك الإسلامي فأخذوا يستجيبون له ببعض الإصلاحات الدينية التي تعتبر تراجعاً عن بعض ما فعله ((أتاتورك)) بدءا من إقامة مدارس للائمة والخطباء على يد حزب الشعب الجمهوري، وإعادة الأذان عربياً من قبل إدارة الحزب الديموقراطي، مع السماح بالصلوات وتلاوة القرآن باللغة العربية، ثم أدخلت مقررات الدين إلى المناهج، وانتقل النشاط إلى وسائل الإعلام، وأصبحت للحركات الإسلامية صحفها ونشاطها الثقافي، وأشهرها اليوم صحف ((تركيا، والزمان، ومللي غازيت))، وتأسست أحزاب بأسماء ليس لها طابع ديني، إلا أنها تقوم على أساس احترام عقيدة الأمة وتعزيز روابطها بدينها والالتفات إلى ما يتلاءم وأصولها والاتجاه نحو العرب والمسلمين، والكف عن الجري وراء الغرب فمن حركة ((النوريين)) في الخمسينيات إلى ((رابطة القوميين)) في أواخر الخمسينيات، ثم تغلغل الإسلاميين في حزب الوطن الأم بقيادة ((أوزال)) الذي عيّن زعماءهم وعلماءهم في مراكز ثقافية وإدارية حساسة، ثم كان حزب السلامة الوطني ومن بعده حزب الرفاه بقيادة ((أربكان)).

لقد بلغ الصراع بين التيار الإسلامي والتيار المعادي أشده في السنوات الأخيرة، وفي كل مرة يحقق فيها الإسلاميون تقدماً وانتشاراً يقوم الجيش بانقلاب يلغي فيه الأحزاب ويتسلم مقاليد السلطة باعتباره حامياً لانقلابات أتاتورك. إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، فالتوجه الإسلامي في ازدياد. ولقد لجأ الجيش أخيراً بعد نجاح حزب الرفاه ذي التوجه الإسلامي في الوصول إلى قمة السلطة فضلاً عن

السيطرة على بلديات معظم المدن الكبرى، إلى انقلاب مبطن خفي، وذلك بممارسة الضغط على أعضاء مجلس الأمة وحملهم بالترغيب والترهيب إلى الإنضمام إلى حزب الوطن الأم الذي تنكر للحركات الإسلامية بعد أن تسلم زعامته ((يلماز))، ودعم الجيش تأسيس وزارة صورية يفرض من خلالها إرادته ويمارس نشاطاته.

وأخطر نشاط قام به هو ذلك التحالف بينه وبين الحكومة الإسرئيلية المعادية لجميع الشعوب العربية والإسلامية بما في ذلك الشعب التركي. إلا أن من يعرف الشعب التركي يدرك أن هذا التحالف سينتهي إلى الفشل.

صفية الإيطالية

سلطانة في البلاط العثماني !

بقلم: الدكتور خالد محمد نعيم

إذا كان للدولة العثمانية ثقل كبير في حماية الإسلام من غارات التعصب



الأوروبية.. إلا أن تدهورها وانهيارها لم يكن مفاجئاً، ولكنه كان نتيجة طبيعية في كثير من الأحيان لسلسلة من التصرفات السيئة التي ارتكبت في حق الدولة، وهدمت بنيانها الشامخ من الأساس.

عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، واجتاحت جيوشها الإسلامية العثمانية أقاليم شاسعة في جنوبي شرق أوربا ووسطها ـ وهي أقاليم لم تخضع من قبل لحاكم مسلم، وأحرزت باسم الإسلام انتصارات باهرة، وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة. وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوروبية فزعاً وهلعاً من هذه الدولة الطارئة عليها في عقر دارها. وتعرضت الدولة في مسيرتها في أوروبا لتكتلات دولية تنادت إليها البابوية في روما, باسم الصليب, أسهمت فيها دول أوروبية عديدة. ولم تترك الدول الأوروبية للدولة فرصة لالتقاط أنفاسها، عندما تبادلت الدولة مع أعدائها

- في بعض الأحيان - الهزائم والانتصارات.

أن الدولة العثمانية لم تكن تمثل عصر ظلام تام بالنسبة للإسلام، بوجه خاص، أو الأمة العربية، بوجه عام، فقد استطاعت في فترة من الفترات الوقوف في وجه الغزوات الصليبية، والغارات الأوروبية التعصبية، إلا أن كثيراً من الحماقات في نظام الحكم وتصرفات السلاطين هدمت بنيانها الشامخ من الأساس، ومن جانب عدد من (الجواري) اللاتي تحولن - فيما بعد - إلى زوجات لبعض سلاطين الدولة.

ففي عهد خلفاء سليمان القانوني، استمر تزايد نفوذ (الجواري) الأجنبيات بصورة خطيرة، في البلاط العثماني، حيث شهد عصر السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) وضوح هذه الظاهرة فالسلطان مراد الثالث،وقع فريسة تأثير جمعة من النساء والمحظيات، وعلى رأسهن أمة اسمها (نوربانو)، كانت في الأصل جارية ثم تزوجها والده، كما كان من بينهن جارية السلطان مراد (صفية الإيطالية)، والتي غدت زوجته هذا السلطان شهد عصره، بيع الوظائف الكبرى، وغدت الرشوة أمرا طبيعياً، فقد ترك السلطان شؤون الدولة في يد زوجته (صفية الإيطالية)، امرأة لا تفهم ولا تحسن الإدارة.

ومما فعلته هذه السلطانة الإيطالية، في عهد زوجها ثم ابنها من بعده السلطان (محمد الثالث) ١٥٩٥-١٦٠٣)، أنها أدارت السياسة الخارجية للدولة العثمانية، على نحو يخدم مصالح وطنها الأول - جمهورية البندقية، فجددت امتيازات هذه الجمهورية، ودست على أبنها رجلا، قيل أنه كان عشيقها، ويدعي (محمد صوقلي باشا)، وجعلت منه وزيراً كبيراً في خدمة أبنها وخدمتها بطبيعة الحال، فقد تدرج هذا (الصوقلي) في المناصب الخطيرة، حتى غدا من عمد الدولة، كما استطاعت (صفية الإيطالية)، أن تتخذ من جنود الانكشارية، أداة لبث الفتن والثورة ضد القادة وحكام الأقاليم، بل والتمرد على أرادة السلطان مراد الثالث نفسه، زوجها ثم بعده أبنها (السلطان محمد الثالث) !!

البداية، جارية في الحريم:

كانت إغارات القراصنة في البحر المتوسط، سمة من سمات القرن السادس عشر، ففي إحدى الإغارات، سطا بعضهم على عدد من السفن،التي كانت لبعض النبلاء الإيطاليين من مدينة (جنوة) التابعة في ذلك الوقت، لجمهورية البندقية. وكانت إحدى هذه السفن تحمل أفراد عائلة شهيرة تدعى (بافور). وكان من بين أفراد هذه العائلة، فتاة تدعى (ايمي دي بافو)، تبلغ من العم أربعة عشر عاماً، وكانت على حظ موفور من الجمال والرقة.

وكان والدها حاكماً على جزيرة (كورفو)، وعندما اختطفها القراصنة، ذهبوا بها إلى الآستانة وعرضوها للبيع عام ١٥٧٧ في سراي السلطان مراد الثالث، الذي اشتراها، وألحقها بحريمه السلطاني كجارية.

وكانت القاعدة المتبعة في بلاط آل عثمان، أن (الجارية) بعد دخولها (الحريم السلطاني)، ترتقي إلى رتبة (أقبال)، وإذا حملت من السلطان، صارت رتبتها (قادين)، فإذا أنجبت ذكوراً أطلقوا عليها لقب (خاصكي سلطانة).

وعندما دخلت (ايمي دي بافو) الحريم السلطاني في (يلدز)، كان عليها أ، تتسى كل ما هو في الخارج، أهلها وأصدقاءها، فقد نشأت هذه الجارية الإيطالية، على قواعد خاصة، حيث تولى تربيتها نساء تعرف الواحدة في اصطلاحهم (باش قلفي) أي المعلمة.

ومكثت (ايمي) في الحريم السلطاني عامين تدربت فيهما على كل ما يسر السلطان، من حسن الهندام أو الأحاديث، حتى مشيتها ووقوفها وجلوسها، وأحفظوها بعض الأشعار والأقوال الشعرية، ودربوها على سرعة الفهم بالرموز، وكافة أصول ((البرتوكول)) المتبع في الحريم السلطاني، والعادات والقواعد والآداب الخاصة بالمعاشرة، ومواجهة أركان الحريم لدرجة أن (ايمي) تحولت إلى جارية، على درجة عالية من المعرفة، لكل هذه الأمور، بدقة وعناية فائقتين.

فقد كان القائمون على (مدرسة الحريم السلطاني)، يعدون للجواري عامة، في الداخل دراسات في الثقافة العامة، والسلوك الاجتماعي، واللغة التركية، بعد أن يطلق عليهن أسماء غير أسمائهن الأصلية وكان السلطان - أي سلطان - عندما يرتقي العرش، ينتقي بنفسه، مع كبيرة المعلمات (القلفيات)، لجواريه أسماء جديدة، لذلك تحول اسم (ايمي دي بافو) إلى (صفية الإيطالية) !!

غرام السلطان بصفية:

وبعد عامين، في الحريم السلطاني، قضتهما (صفية)، سرعان ما تألق نجمها، فقد ازدادت جمالاً في الخلقة، ورشاقة في الجسم، وعمقها في الثقافة، وأدباً في الحديث، ورفاهة في الحسن، فلفتت انتباه السلطان، فحصلت على رتبة (اقبال). وكانت هذه الرتبة تجعل الحاصلات عليها - من الجواري - صاحبات نفوذ الحريم العثماني، حيث كان بمقدورهن رؤية السلطان، لأنهن كن يدخلن حجرة السلطان لخدمته تحت إشراف المسؤولات الأربع في البلاط السلطاني، وكانت (الجواري) الحاصلات على لقب (إقبال) يطلق عليهن فتيات الحجرات، فكانت (صفية) إحدى فتيات الحجرات، فجذبت انتباه السلطان إليها ن فهام بها، فحلمت منه فحصلت على

رتبة (قادين)، وحولت إلى قصر خاص بها، ولما جاء المولود ولداً، (محمداً) !- والذي أصبح بعد والده، السلطان محمد الثالث ١٥٩٦ - علا مركزها، إلى مرتبة تقترب من مرتبة السلطانة، فأعقتها السلطان وتزوجها، وأطلق عليها اسم (صفية الإيطالية). وستظل هكذا حتى تتحول إلى سلطانة، بعد الزفاف طبقاً لقواعد البروتوكول.

وهكذا تحولت (ايمي دي بافو)، الإيطالية، من جارية إلى سلطانة، تسيطر على قلب السلطان مراد وعقله معاً.

أصبحت (صفية الإيطالية) بعد أن أنجبت للسلطان ابنه وولي عهده (محمداً)، هي الشخصية الثالثة في البلاط، بعد (الوالدة سلطانة)، أما السلطانة التي كانت تدعى (نوربانو)، ومعناها (سيدة النور)، وهي جارية ثم إحدى (قادنيات) السلطان سليم الثاني، والد السلطان مراد، من زوجة أخرى غير (بوربانو).

وأخذت الغيرة والحقد يعملان في قلب ونفس (صفية) ؛ من (نوربانو) و (اسمات) لتميز نفوذهما في حريم السلطان، فقد دار صراع خفي حيناً وسافر أحياناً، بين (الوالدة سلطانة) وبين صفية. وتمثل جوهر هذا الصراع حول تميز النفوذ لكل من (الوالدة سلطانة) و (صفية)، فكل منهما تريد أن تستأثر به لنفسها، الأولى هي أم السلطان، وكانت ترى أنها بهذا النفوذ.

ولم تتردد صفية في استغلال هيام السلطان زوجها بها لخدمة أغراضها وطموحاتها، لو كن ببطء وذكاء ذات الوقت، وبعد أن تأكدت الوالدة سلطانة (نوربانو) من سيطرة (صفية) على قلب وعقل ابنها السلطان، لجأت الوالدة سلطانة إلى سلاح خطير، ثبت أنه كان مدمراً لسمعة أبنها السلطان، في محاولة من جانبها للكيد لصفية، فقد أحملت (نوربانو) ابنها (مراد الثالث) - الذي كان معروفا عنه شغفه العميق بالنساء - بعدد ضخم من الجواري الفاتنات، لصرف السلطان عن حبه العميق لصفية الإيطالية، وليخبو حب أبنها للإيطالية الشقراء، فينصرف عنها، كما كانت الوالدة تهدف كذلك، إلى تحقيق مصالحها الشخصية، فإذا ما انصرف أبنها السلطان إلى مخادع الجواري الحسان، استأثرت هي في غفلته بالنفوذ في البلاد وفي الحريم السلطاني، وبطبيعة الحال، تسيطر على أجهزة الحكومة.

ولكن خضوع السلطان لصفية الإيطالية، فاق كل حد وتصور، فقد كانت تفتعل كثيرا من المواقف ضد (الوالدة السلطانة)، لتختبر مكانتها لدى مراد، فكان السلطان كثيرا ما ينحاز لمالكة قلبه ووجدانه الشقراء الإيطالية. وما لبث أن غدت (صفية) السيدة الأولى بين الحريم في البلاط السلطاني بعد وفاة ((الوالدة السلطانة)).

تركيا وقعت فريسة يهود الدونما ومملكة الجواري

إذا كان للدولة العثمانية ثقل كبير، في حماية الإسلام، من غارات التعصب الأوروبية إلاّ أنّ تدهورها وانهيارها لم يكن مفاجئاً لأحد ولكنه كان نتيجة طبيعية لتصرفات السلاطين التي تركت الباب مفتوحاً ليهود الدونما لكي يعتلوا أعلى المناصب وأرفع الرتب في الجيش التركي. وليس السبب بخفي وغريب وراء دخول هؤلاء اليهود في الدين الإسلامي. إنها فكرة شيطانية خطرت لواحد من أدهى رجال الدين اليهودي ويدعى ((شبتاي)) زيفي ولد موردفاي من مدينة (أزمير) يهدف لاختراق ((الأمة التركية)) والبعث بمعتقداتها وتمزيق وحدتها ولقد أعلن الحاخام إسلامه حين فشلت آخر محاولة له لتظليل الأمة التركية وانكشف أمره وأسقط في يده وكاد ذلك أن يفسد مخططاته التي تابعها من خلال إعلان إسلامه. إلاّ أن الخديعة لم تنطل على غالبية الشعب التركي المتمسك بدينه إيماناً وفطرة فبدلاً من أن يطلق عليهم لقب ((المهتدين)) دمغهم بلقب ((دونمه)) وتعني المرتدين. واليوم إذا كانت أمريكا وإسرائيل ويهود الدونما من الجنرالات والأتراك يحاولون الصعود إلى قمة التجبر العالمي والاستكبار والتآمر ولكنها سوف تسقط إلى مستنقع لعنات الشعوب وهكذا يساق الشعب التركي المسلم إلى نفق الظلام والظلم الصهيوني، وإنني أقدّم في كتابي وثائق هامة عن وقوع الجنرالات الأتراك في أحضان الصهاينة فهؤلاء لا يساورني الشك في أنهم أحفاد يهود الدونمه وهم الذين يلوّحون اليوم بالتهديد والوعيد ويحشدون الجنود في وجه الحق العربي السوري ليمرروا صفقة الذل والعار ويقدمونها هدية لأسيادهم في تل أبيب.

إنّ سورية قلعة حصينة للدفاع عن الحق العربي والإسلامي مؤيدة بالفعل الإسلامي في إيران ومنابر الثقافة الصديقة التي نحييها من أرض الصمود العربي وقائد الصمود الرئيس الدكتور بشار الأسد ونحيي المنبر الإعلامي الشجاع، تلفزيون المنار الذي يبثه حزب اللّه بالجرأة والقوة لتعطي الحقيقة كاملةً دون زيف أو بهتان ونحيي جميع العاملين في إذاعة تلفزيون المنار.

الفصل الثالث

الباب الثاني

الهيمنة على شئون الدولة

كان من المتوقع ـ بعد وفاة الوالدة سلطانة ـ أن تخف وطأة سيطرة الحريم السلطاني، على توجيه القرار السياسي للسلطان، ولكن حدث أن (صفية الإيطالية) أخذت تتحكم في السلطان وتحكم الدولة من وراء الستار بعد أن غدت مركز قوة خطيراً على أعلى المستويات في الدولة، فتسلطت على الشؤون الداخلية والخارجية للدولة العثمانية، وعملت على توجيه سياستها الخارجية على نحو يخدم مصالح (جمهورية البندقية)، وطنها الأول. وكانت توجه القيادات العليا على النحو الذي يحلو لها، ويخدم مصالح أبنها ولي العهد، فكان نفوذها الرهيب وسيطرتها على السلطان مراد الثالث، يمثل نقطة سوداء في تاريخه، وخاصة بعد أن ترك هذا السلطان، شؤون الدولة في يد جاريته (ثم زوجته) صفية الإيطالية، تلك الشقراء التي كانت لا تحسن الإدارة.

فقد استخدمت صفية نفس السلاح الذي استخدمته، من قبلها، الوالدة سلطانة ضد السلطان، الذي كان معروفاً عنه شغفه العميق بالحسان من الجواري، فاستغلت (صفية) هذه الهواية في زوجها السلطان، التي كانت أضعف نقطة في خلقه، ووجهت السيدة العجوز (جانفيدا خاتون)، التي كانت تقوم بعمل (الكايا) والمتخصصة في تنظيم ليالي السلطان ـ وطلبت إليها الأكثار من شراء أعداد كبيرة من الجواري الفاتنات، وإلحاقهن بالحريم السلطاني، في محاولة من جانبها، لا حكام السيطرة على السلطان، الذي انخرط في هذا الجو، بتوجيه من زوجته الإيطالية، السلطانة صفية.

السلطانة تجدد امتيازات البندقية:

وأخذ نفوذ صفية يتعاظم، فدست على زوجها السلطان، رجل صوقلي من مواليد قرية (صوقل) بإقليم البوسنة، وهو (صوقلو محمد باشا)، الذي غدا صدراً أعظم في عهد السلطان مراد الثالث، بفضل صفية. وكان (صوقلو) قد وقع في قبضة العثمانيين أسيراً، وهو صبي صغير. وتمكن بما له من المقدرة والمواهب الخاصة، والذكاء، أن ينال الحظوة لدى (السلطانة الإيطالية) صفية، فزوجته من (أسمات)

الأميرة أبنة السلطان سليم الثاني، وأخت زوجها السلطان مراد الثالث، وغدا اسمه (دامـاد صوقلو محمد باشا)، وظل متربعا في منصب الصدر الأعظم مدة تراوحت بين خمسة عشر عاماً وثلاث عشرة سنة وغدا - كذلك - من عمد جاشية (صفية) في البلاط العثماني، وقيل أنه كان عشيقها، وبطبيعة الحال ؛ أصبح (صوقلو) ألعوبة في يد صفية، تحركه كيف شاءت وأنى شاءت.

وفي عام ١٥٨٣ جدد (صوقلو باشا) امتيازات البندقية، لقاء رشوة قدرها خمسة عشر ألف دوكة، وهي عملة ذهبية، وجمعها (دوكات).

وهذه الامتيازات على سبيل المثال - لا الحصر - فإن نصوص المعاهدة التي عقدها (صوقلو باشا) مع جمهورية البندقية ن بتوجيه من السلطانة صفية، تشتمل على عشرات الامتيازات الأخرى، التي حصلت عليها هذه الجمهورية، الموطن الأول، للسلطانة صفية، دون سواها من الدولة الأوروبية وفي الداخل، اتخذت صفية من الجنود الانكشارية أداة لبث الفتن والثورات، ضد معارضيها من القادة والولاة في الأقاليم، فقد أمرت السلطان مـراد، بـأن يرفع الحظر المفروض على فيالق الانكشارية بعدم الزواج، ففعل السلطان.

وبذلك غدا جنود الانكشارية أداة طيعة في يد السلطانة صفية، كانت تحركهم كيف تشاء، بعد أن شغلوا بمشكلات الحياة الزوجية والأنسلال عن الحياة العسكرية، فغدت القوة العسكرية للدولة ضعيفة، ثم نجحت صفية أخيراً، في الأعداد والتمهيد لأبنها (محمد)، ليكون خليفة السلطان على عرش آل عثمان، دون أخوته البالغ عددهم اثنين ومائة أخ. وهكذا تحول السلطان مراد الثالث، في أخريات أيامه إلى سلطان عاطل الـرأي، ضعيف الشخصية، خاضع لسيطرة (الإيطالية الشقراء) عليه وعلى مقاليد السلطة بالدولة العثمانية.

الأبن بعد الأب:

ولما توفي مراد الثالث، وخلفه على العرش أكبر أولاده السلطان محمد الثالث من صفية الإيطالية، التي كانت لا تزال على قيد الحياة، أخذ نفوذها يتعاظم على ابنها السلطان، وبالتالي في شؤون الدولة. فقد كانت صفية حريصة كل الحرص، على استمرار نفوذها وتميزه في شتى أجهزة الحكومة بعد وفاة زوجها.

وكانت أول خطوة فعلتها هذه الجارية الإيطالية، أن أوعـزت لأبنها السلطان

محمد، أن يتخلص من جميع أخوته، غير الأشقاء، حتى لا ينازعوه السلطان بطبيعة الحال، ليخلو لها الجو، وتستأثر بمزيد من النفوذ وحدها. وقد امتثل الولد (السلطان) لأمه - صفية الإيطالية - فقتل تسعة عشر من أخوته، الذين كان عددهم اثنين مائة أخ هم أولاد السلطان الراحل مراد الثالث، من زوجاته الأربع، وقانياته الكثيرات العدد !!

نهاية الطاغية صفية:

واستمرت صفية الإيطالية تسير أمور الدولة العثمانية، وتتبوأ مكاناً عالياً وتسيطر على شؤون الدولة، حتى إذا توفي ابنها السلطان محمد الثالث، في عام ١٦٠٣، وخلفه على العرش ابنه، السلطان أحمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧)، وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، كان في مقدمة تصرفاته - وأن كان هذا بتوجيه من أمه (السلطانة الجديدة) - تجريد جدته العجوز، لأبيه (صفية الإيطالية) من كل نفوذ لها في البلاط العثماني، . وأمر بحبسها في السراي القديم، ومنع اتصال أحمد بها، كما أبعد كل المخلصين لها من حولها، فظلت (صفية الإيطالية) حبيسة حتى توفاها الله، وهي في الثالثة والستين من عمرها، بعد أن حكمت الدولة العثمانية قرابة ثلاثين عاماً.

وهكذا كانت السلطانة صفية الإيطالية، تحكم الدولة العثمانية، فقد مارست نفوذاً واسعاً ابان حكم زوجها، ثم حكم ابنها، ومن هنا تبرز حقيقة الضرر الذي ألحقته هذه الجارية الإيطالية، بالدولة العثمانية، حين وجهت سياستها الخارجية وفق أغراضها الذاتية، وقد ثبت - في هذا الأمر - أن الدور الذي قامت به قد جلب الكوارث على مستقبل الدولة، عندما سيطرت بنفوذها على زوجها ومن بعده أبنها، مفضلة مصلحتها الخاصة، ومصلحة وطنها الأول، على المصالح العليا للدولة.

تركية وقعت فريسة لمملكة الجواري

((يهود الدونما))

تعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني ومذكراته

ولد السلطان عبد الحميد عام ١٨٤٢، والده هو السلطان عبد المجيد أول سلطان في آل عثمان يضفي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفة رسمية إ أنه أمر بتبني الدولة لهذه الحركة وأمر بإصدار

فرماني التنظيمات عام ١٨٥٤م و ١٨٥٦م وبهما بدأ في الدولة العثمانية ما سمي بعهد التنظيمات وهو إصطلاح يعني تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي بهذين الفرمانيين ثم استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية، وبدأت الدولة تستلهم الروح الغربية في الحياة وتستلهم الفكر الغربي في التقنين وإقامة المؤسسات، والحق أنّ السلطان عبد الحميد كان خاضعاً لوزيره رشيد باشا الذي وجد في الغرب مثله في الماسونية وفلسفته ورشيد باشا هو الذي أعدّ الجيل التالي من الوزراء ورجال الدولة وبمساعدته أسهم هؤلاء في دفع عجلة التغريب التي بدأها هو والتي كان إسقاط عبد الحميد الثاني بعد ذلك امتداداً طبيعياً لفكر التغريب، تولى السلطان عبد الحميد السلطنة عام ١٨٧٦م، وأطماع الدولة الغربية في الدولة قد بلغت أوجها، وكان عليه كمسؤول عن دولته بمواجهة هذه الأطماع وإيجاد حل لمشكلتها، فاعتمد على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية بحيث تدخل حرباً فيما بينها تعمل هذه الحرب على تصفية قوى هذه الدول.

وفي ١٣ إبريل عام ١٩٠٩م حدث في استانبول إضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي وعرف الحادث في التاريخ باسم حادث ٣١ مارت وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في عاصمة الدولة نتيجة تدبير أوربي مع رجال الاتّحاد والترقي، تحرك على أثره عسكر الإتحّاد والترقي من سلانيك ودخلوا إستانبول وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية ثم ووجّهت إليه جمعية الاتّحاد والترقي التهم التالية:

١ - تدبير حادث ٣١ مارس　　　٢ - إحراق المصاحف

٣ - الإسراف　　　٤ - الظلم وسفك الدماء

لم يقتصر دور حرس السلطان عبد الحميد في المنفى على محاولة اغتياله فحسب بل وصل الأمر إلى محاولة ضباط هذا الحرس الأعتداء على عفّة الأميرة شادية بنت السلطان، وهذا ما دونته الأميرة في مذكراتها عن الحادث:

ليلة عيد الأضحى دعا ضباط الحرس أحد آغوات الحريم الموجودين معنا وعن

طريقه أرسلوا إلي هذا الخبر:

وضعنا نحن ضباط الحرس في هذه الليلة غازاً تحت غرفة الأميرة شادية وهي كبرى أخواتها كما أن المدمرة (سعودية) التي تقف في البحر ستصب نيرانها الليلة على القصر لتدمره وسيحرق أبوها والقصر كله وإننا نحن ضباط الحرس نرثي الأميرة فهي شابة وفي ريعان الشباب فلتأتِ الأميرة إلينا في منتصف الليل مع أخواتها ونحن كضباط سنحميهم. فهمنا كم كانت هذه خطّة قذرة من هؤلاء الضباط، أما أغا الحريم فقط ظن أن هذا الأمر حقيقة وكان يشعر بحزن عميق اتجاه الكارثة التي يمكن أن يصاب بها والدي.

أخطرت هذا الآغا أن يذهب إلى هؤلاء الضباط ويبلغهم جوابي التالي: إنّ ما يمكن أن يتعرض له والدنا السلطان من قدر فنحن فيه شركاؤه وإنّي واحدة من الذين يقدّرون جيداً نوعية الذين نحن في قبضتهم في هذا السجن وخاصة أنّي فتاة لم أعرف الخوف أبداً في حياتي وليس هناك إمكان قط لقبول اقتراحهم هذا، إذهب إليهم وأخبرهم بما قلته. إنّ غاية هؤلاء الضباط معروفة، إنهم يريدون أن ينشروا شائعة بحرماني وحرمان البنات من شرفهن وعفتهن بأخذهن ليلة في غرفهم وبذلك ينقصون من احترام الناس لأبي. ثم يجعلوا هذا مادة لصحافة

استانبول وأحمد الله كثيراً أن حفظنا خير الحافظين من هذا البلاء، هذا وبالإضافة إلى ما قالته شادية بنت السلطان عبد الحميد قولها الدليل القطعي على وقوع تركيا فريسة لمملكة الجواري ويهود الدونما وليس هناك شك بأن الوثائق التي حصلت عليها من مصادرها الحقيقة أولها كتاب مذكرات السلطان عبد الحميد تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب وثانياً مقال الدكتور محمد طه الجاسر في مجلة العربي شيبتاي اليهود الذي قاد يهود الدونما من السنانيك حتى وصولهم إلى الحكم التركي بالإضافة إلى معلومات ميدانية حصل عليها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي من أكبر معمّر في العالم وهو حسين الشاذلي درعا - المسيفرة وتكلم عن استسلام اليهود الحكم في تركيا الذين ساروا تحت مظلة الإسلام ولكن من أجل طمس قدسية القرآن. إن محطات السكك الحديدية محفور على المناهل النجمة السداسية الإسرائيلية ومحافظة درعا يوجد فيها محطة من العهد التركي وموجودة النجمة السداسية على هذا المنهل حفر على الحجر، إنّي أقدّم هذه الوثائق والتحليلات للعالم العربي والإسلامي وخاصة إلى الشعب التركي المسلم بعقيدته الصلبة والتحصين لهذه العقيدة هو التضحية الصادقة للثورة على الجنرالات في الجيش التركي الذين حولوا تركيا إلى دولة علمانية وسلخوا الشعب التركي عن هويته الإسلامية.

❖ المؤلف أحمد محمد عطا اللّضه الزعبي ❖

رؤية للمؤلف

أحد أعضاء اللجنة التي تكفلت في خلع السلطان عبد الحميد هو يهودي اسمه أيما نويل قراصد وهو يهودي إسباني الأصل وكان مسؤول عن إثارة الشعب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد.

إيما نويل اليهودي هو محامي عن جمعية الاتّحاد والترقي وإنه نائب عن سلانيك ذات الأغلبية اليهودية، وصفته المصادر الإنكليزية بأنّه من قادة الاتّحاد والترقي وجمع أموالاً كثيرة لحسابه ولعب دوراً هاماً في احتلال إيطاليا لليبيا حينما أنتفع كمواطن إيطالي وبقي في إيطاليا حتى وفاته في عام ١٩٣٤م.وكان السلطان عبد الحميد حريصاً على توحيد العالم العربي والإسلامي وعلى المقدمة إيران السلطان عبد الحميد والتآمر اليهودي حدثت اتصالات بين هرتزل بوصفه رئيس الجمعية الصهيونية وبين السلطان عبد الحميد هدفها هو إقامة مجتمع يهودي في فلسطين وأراد السلطان من هذه الاتصالات ما يلي:

أولاً: معرفة حقيقة الخطة اليهودية

ثانياً: معرفة اليهودية العالمية ومدى قدرتها.

ثالثاً: إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود ورغب هرتزل في هذه الاتصالات إلى تقديم تضحيات مالية ضخمة مهمة في سبيل إيجاد موطن لليهود مشيراً بهذا إلى تقديم هدية مالية ضخمة إلى السلطان عبد الحميد من الليرات الذهبية وهي إقراض الخزينة العثمانية ملايين من الليرات الذهبية العثمانية ورفض السلطان عبد الحميد إقامة موطن لليهود في فلسطين لذلك أصبح السلطان في نظر هرتزل ما كراً جداً وخبيثاً جداً ولا يثق بأحد.

أما عن علاقة عبد الحميد بالماسونية فاتّسمت دائماً بمعاداة السلطان للماسونية جاء بكتاب أحد الكتاب اليهود عن / الأتراك واليهود في عهد الحرية / يقصد الكاتب اليهودي الذي بدا بإسقاط عصر عبد الحميد وإسقاط عبد الحميد عن السلطنة وأرادت الماسونية المرتبطة بالصهيونية أن تنتفع من إطلاق الحريات، إضافات وثائقية هامة هي صور لوثائق تهم الباحثين في التاريخ العربي في عهد عبد الحميد وهي صور تقارير للمخابرات الفرنسية وللمقاومة العربية ضد الاستعمار الفرنسي والاتصالات العربية بالسلطان عبد الحميد لمساعدة العرب ضد الفرنسيين، صورة منشور السلطان عبد الحميد إلى المسلمين بالصين تدل على وصول فكرة الجامعة الإسلامية على يد دعاة عبد الحميد إلى الصين في بكين باسم الجامعة الحميدية للعالم الإسلامي

تعقيب للمؤلف:

ليس الحق العربي صوصاً هزيلاً خارجاً من البيضة بل هو أرض مقدسة ومهبط رسالات السماء، والأرض المقدسة ليست غابة أمريكية تخرج منها سياسة الإجرام الأمريكي الصهيوني، والحق العربي لا يوجد أحد يستطيع إحالته على التقاعد، ولا أحد يستطيع إحالته حتى يقضي شهر العسل على شواطئ المحيط الأطلسي، ولكن رغم تغيير النظام العالمي الجديد وصعود التجبر الأمريكي على ميزان القوة في العالم ورغم هذا التغيير فإنّ الشعب العربي لا يعنيه هذا التغيير طالما يحتفظ برصيد معنوي مخزون في داخل القلوب وسوف يمضي الشعب العربي حتى يصل إلى حقه المشروع حتى لوزع المهج والأرواح على جوانب طريق التحرير.

ماذا يقول السلطان عبد الحميد عن القدس

عن القدس يقول السلطان عبد الحميد: لماذا نترك القدس إنها أرضنا في كلّ وقت وفي كلّ زمان وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية لا بدّ أن تظل القدس لنا، وعلى الساحة اليهودية لا يخلو كتاب من إدانة عبد الحميد بأنه عرقل الفكرة الصهيونية وعندما فشلوا في إقناعه أبدوا معارضته سواء من العثمانين من الاتّحاد والترقي وخاصةً المحافل الماسونية في الجيش التركي المرتبط بالصهيونية العالمية مصدر هام وهو الاستفادة من مذكرات ابنة السلطان عبد الحميد الأميرة شادية.. هذه الأميرة عاصرت أحداث حكم والدها ونشرت مذكراتها حديثاً في استانبول.

السلطان عبد الحميد واليهود عندما مات البارون هيرش كان يأمل في إقامة وطن يهودي في روسيا والأرجنتين وعندما تدخل تيودور هرتزل في المسألة اليهودية أصبح الأمر لا يتعلق بيهود روسيا فقط بل بكلّ اليهود ولم يصبح الوطن الذي يطلبونه الأرجنتين بل أصبح في فلسطين وكانت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية لا زال الكلام إلى السلطان عبد الحميد.. اليهود يطلبون مني فلسطين، ولدت في أميركا دولة فتيّة قوية وكانت إسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها اتحاداً وانتظم يهود العالم وسعوا عن طريق المحافل الماسونية للعمل في سبيل الحصول على فلسطين مقابل أموال طائلة وبالطبع رفضت وحدث بالفعل أن كان إيمانويل اليهودي ضمن وفد الاتّحاد والترقي الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار خلعه أما طلعت باشا زعيم الاتحاد والترقي كتب في مذكراته عن موقف الاتّحاد والترقي من اليهود بصراحة ما يلي:

كان الاتحاد والترقي أمل اليهود هذا صحيح ولقد أبدلوا اليهود بهؤلاء اليهود

الذين أجبروا على الهجرة من روسيا، أخذ اليهود المهاجرين يشترون الأراضي من فلسطين بواسطة اليهود من التبعة العثمانية جاء.../٥٠ ألف يهودي إلى أراضي فلسطين خلال سنة واحدة من يناير ١٩٠٨م إلى مارس ١٩٠٩م، كتب علي أكرم بك المتصرف السابق وعين والياً على بيروت وكتب إلى وزارة الداخلية بخطورة إسكان اليهود أما صبحي بك الذي حلّ محله فكان مؤيداً لإسكان اليهود ببعض الشروط فالخزانة خاوية على عروشها وليس هناك في الدولة دخل واليهود القادمون معهم المال وأصحاب مؤسسات متكاملة ليس بالمال فقط بل بالعلم والتجارة والزراعة والفنون وسيكونون مخلصين للدولة إذ منحوا عن نية الاتّحاد والترقي بعد خلعهم السلطان عبد الحميد في إقامة دولة يهودية في فلسطين، يقول طلعت باشا ج٣ ص ١٢٨٢ يقول تحسين باشا رئيس أمناء القصر السلطاني في عهد الحميد في مذكراته ما يلي:

جاءت شخصية نمساوية إلى استانبول وطلب إقامة وطن يهودي في سنجق القدس وقالت هذه الشخصية أنها تتحدث في هذا باسم الصهاينة وأنّ روتشليد المصري وراء هذا الأمر وكان أساس مطلب هذا اليهودي إقامة قرى يهودية في فلسطين في مكان تحدده الحكومة العثمانية ولا مانع من وجود منازل إسلامية في هذه القرى إذا رغبت الحكومة في هذا وسيتبع اليهود القادمون من الخارج قوانين ونظم الدولة العلية العثمانية ويتم مقابل هذا تقديم الخدمات والتسهيلات اللازمة في مسألة الديوان العمومية وسيتم تقديم الضمان الكافي بهذا.

خطط عبد الحميد بنفسه الخطوط الأساسية للسياسية العثمانية اتّجاه اليهود وفهم تفكيرهم اتّجاه القضية الفلسطينية وفي ٢٨ يوليو عام ١٨٩٠م و٧ يوليو من نفس العام أصدر السلطان صورة برقية وصلت من جمال باشا السفّاح تحمل هذه البرقية صيغة التأمر على تركيا التي خسرت الحرب مع روسيا، هذه البرقية وصلت إلى روسيا من قيادة الاتّحاد والترقي التي استلمت الحكم من بعد خلع السلطان عبد الحميد والاتّحاد والترقي هي الواجهة التي من ورائها يهود الدونما التي سلخت الشعب التركي عن هويته الإسلامية وعلى رأس المسؤوليات العسكرية التركية جنرالات من أحفاد يهود الدونما. والشعب التركي المسلم قادر بالقيام بثورة شعبية للقضاء على جنرالات الجيش التركي المنحدرين من أصل يهودي وأنّ الثورة الإيرانية الإسلامية هي أكبر ثورة شعبية في العالم والثورة الإيرانية هي نموذج حي لثورات العالم والشعب التركي هو شعب أصيل في عقيدته الإسلامية وهو قادر على قطع جذور جنرالات الجيش التركي الذي اخترق القلاع الإسلامية في الروح الإلحادية الماسونية العلمانية. قصر بيلربي في ٤ نيسان ١٣٣٣هـ - ١٩١٧م روحياً السلطان عبد الحميد خليفة

المسلمين يسجنه الضباط في قصر يهودي قصر ألاتيني في سلانيك مشيد في مكان لطيف مطل على البحر ودخل السجن مع السلطان عبد الحميد أفراد أسرته على مقدمة الأسرة شادية ابنة السلطان التي كتبت مذكرات والدها، تقول الأميرة شادية بأنّ ضباط الجيش الثالث في الجيش التركي هددوا والدي بأن يتنازل عن كلّ أمواله إلى الجيش وإلاّ قصفوا القصر بالمدفعية وبالفعل تنازل السلطان عن كلّ أمواله من بعد أن أحضروا الضباط موظفين من البنوك للتنازل عن الأموال حتى لم يبق مصروف أسرته، علماً أنه عندما كان السلطان على رأس الحكم وضع أمواله تحت تصرف الحرب التي دارت بين تركيا وروسيا وكان يهود الدونما والمحافل الماسونية من وراء هذه الحرب ومخطط الماسونية المرتبطة بالصهيونية هي التي ورطت تركيا في هذه الحرب مع روسيا والسلطان عبد الحميد كان يغطي تكاليف مليون لاجئ مسلم من دول البلقان حينما خسرت تركيا الحرب مع روسيا وحينما استلم لينين قائد الحزب الشيوعي في الاتّحاد السوفياتي وتحسنت العلاقات بين الدول العربية والاتّحاد السوفياتي بعث لينين صيغة برقية كان قد بعث بها جمال باشا السفّاح إلى قادة الاتّحاد السوفياتي ونص هذه الرسالة فيه تآمر على الشعب التركي المسلم والشعب العربي ومعروف أنه بعد استلام يهود الدونما الحكم في تركيا أقدموا على مجازر في حق الشعب الأرمني من أجل تلطيخ سمعة الإسلام.

... إنهم يقتلون الأطفال...
يا حكّام أميركا.. هل شاهدتم
محمد الدرّة وإيمان حجو

هل شاهدتم يا حكّام أميركا محمد الدرّة وهو يقتل في حضن والده وهل شاهدتم يا حكّام أميركا إيمان حجو وهي تُقتل في حضن أمها..

ولكني أمتلك الجواب بأنكم لا تملكون الرؤية الحقيقية والحس الإنساني والعالم يشهد بأنّ أميركا لا تؤمن برسالات السماء ولكنها تؤمن بالمصالح الأميركية الإسرائيلية ولم يكن لديها منظار إلاّ منظار الصهيونية، ومنذ نشأت إسرائيل كنبتة خبيثة على الأرض المقدسة والسلاح الأميركي هو الذي يقتل الشعب الفلسطيني.... واللبناني، وكلّ ساحات المطامع الصهيونية الأميركية والعالم العربي والإسلامي وصل إلى قناعة سياسية بأنّ اميركا هي عدوة العالم العربي والإسلامي بل عكازة رخيصة في المنهجية السياسية الصهيونية ولكن هذه الدماء الزكية



هي الأرضية الخصبة على ساحات الحريّة.
وإنّ مغريات الإجرام لأميركا والصهيونية يغذيها البترول العربي، وهل وصل الحد عند حكّام البترول العربي بانّ قطرات البترول أثمن من قطرات الدم التي تنزف من الشعب الفلسطيني، وهل يأتي اليوم الذي تطرح فيه المعادلة بين المصلحة العربية والإسلامية وقطرات البترول المنصبة على المصانع الأميركية والتي تُصنّع السلاح سلاح التدمير على بيوت الشعب الفلسطيني، نتمنى أن يأتي هذا اليوم على حكّام البترول وأن يوقفوا قطرات البترول عن أميركا من أجل توفير قطرات الدم في الجسد العربي.

والزعيم الراحل جمال عبد الناصر رحمه الله كان يقول للملك فيصل ان الجندي الفعّال على ساحات المعارك مع إسرائيل هو لجندي البترول حينما يقطع البترول عن الاِستعمار سوف يكون هناك جني الثمار لنصرة القضايا العربية وأما الحس الشعبي العربي والنظرة الوطنية النضالية لن تغيب عن محمد الدرّة وعن إيمان حجو ولم يكن هناك غرابة في بشاعة الإجرام الصهيوني في قتل محمد الدرّة في حضن والده وإيمان حجو بحضن أمها بالسلاح الأميركي الذي تمّ تصنيعهُ بالبترول العربي ولكن الغرابة في السياسة الأميركية أنّها لم تقرأ تاريخ الصهيونية التي قتلت الأنبياء، وأميركا ليس لها نبي تؤمن به إلاّ اللوبي الصهيوني المسيطر على المؤسسات السياسية والاقتصادية الأميركية، والعالم يضع أميركا الأن في قفص الاتهام والإجرام.

إنّ القنوات السياسية والاقتصادية والصناعية والعسكرية الأميركية أصبحت تحت المظلة الصهيونية وعلى الإدارة الأميركية أن ترحم كلّ هذه المؤسسات بإصدار عنوان موحد هو منح كلّ مواطن أميركي بطاقة للجنسية الصهيونية حتى تكون هذه البطاقة خاضعة للتوقيع من قائد الإجرام الصهيوني في مجازر صبرا وشاتيلا وسوف يأتي هذا اليوم الذي يقود فيه شارون أميركا إلى الهاوية وسقوطها في مستنقع لعنات الشعوب وحينها لا أحد في هذا العالم يعتصره الحسرة والألم على نهاية أميركا التي أصبحت عكازة رخيصة في أيدي صهيونية وأميركا الآن تقف على الخط الأول في مواجهة ومجابهة شعوب العالم حتى تصّوب حقدها الظالم على هذا العالم من أجل خدمة مجانية للصهيونية وأميركا لها التصاق عضوي في خط الجرائم الشارونية الصهيونية، والصهيونية هي حضانة للإجرام المنظم والقدس سوف تبقى هي حضانة الرحمة للإسلام والمسيحية ولعنة أبدية على الصهيونية.

الفصل الثالث

الباب الثالث

رسائل فواز باشا بركات من الرمثا

ووثائق هامة عن بطولة الثوّار ضد الاستعمار الفرنسي.

فواز باشا بركات مجاهداً في سبيل الوطن



رده على الرسالة المرسلة من عطوفة القائد العام للثورة وكلّ من:

علي المحتاوي. توفيق هنيدي

فضل الله عزام

سلطان باشا الأطرش

وسنورد نصّ الرسالة بعد كتابة الرد الذي كتبه فواز باشا بركات.

حضرة اخواننا الزعماء المحترمين سدد الله خطاكم ووفقكم لكل عمل صالح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد علمنا عزمكم على المسير الى حوران والتجول بها وحيث اننا من اهل تلك البلاد ولنا خبرة واسعة بطرقها ونفوس اهلها وبما انا تذاكرنا سابقاً في الخطط التي يجب السير عليها اتينا بكتابنا هذا معرضين لكم رأيي الذي اعتقد بصحته في كيفية السير وهو

أرى ان تقسموا القوة الى قسمين احدهما يسير نحو جهة الطيبة - الزعبية - [illegible] تخريبات في خط بصره وخصوصاً تخريب جسر الطيبة وذلك يكون بعد التأمين من اهل المحل واما القسم الثاني يتجه نحو الخمان لاجل نسف جسر عواد والخط وذلك يكون بعد الاتفاق مع الجند الموجود عليه وهم مستعدون لمساعدتكم حسب المخابرات السابقة التي جرت معهم [illegible] وكل ذلك يكون بأمر زعماء الجبل واذا اعتمدوا على ارسال حامية خيال الدروز وعددها لكم كذلك يجب ان تقسموا الى قسمين فيتوجه احدهم نحو السهوة - الكحيل - [illegible] وينتظر قوة الطيبة والقسم الثاني يكون كموناً تجاهه نحو الحراك - الحريك - دير السلط ينتظرون به قوة الخمان والقوة الجنوبية وعصابة اللجاة سيكون عملها من ازرع الى الجهة الشمالية اما الغوطة كذلك سيعترضون على الخط وكل ذلك يجب ان يكون بعلم جميع قواد المناطق لكي يكون العمل في يوم بل في ساعة واحدة هذا رأيي ادليه لكم ومع هذا فان

وإليك عزيزي القارئ الجواب الذي كتبه هذا المجاهد البطل لزعماء الثورة وهو بخط يده.

الذي يراه الحاضر لا يراه الغائب وجميع ما ذكرته لكم هو الذي تم اتفاقنا عليه

انه اري ايضاً ان ترسلوا خبراً لمحمد افندي المفلح شيخ البادودة حيث تقابلت معه باسم مشايخ الزعبية واعطاني عهداً وميثاقاً ان يكون طريقه هو طريق الثوار وهذا الذي تفارقنا عليه بعدما كنت وايانا بدار صالح المانع فيما ذهب من عندنا تاريخ اول الشهر ٧ ليلاً عربي

اذا لم يرد عليكم خبر من قبل مشايخ الحريرة واهالي اللجاة اخبرونا بأسرع واسطة وكذلك اذا ما وردكم اخبار من مشايخ الزعبية اخبرونا لاتخاذ ما يجب اتخاذه ويكون الجواب يصل لسعد عادل بك وعثمان الشرابات وارسال ذلك يكون بواسطة عبد الهادي بك الصلح بازرع

احضروا ولدنا فلاح واجمعوا عزام طرفكم واستصحبوهم بالمساعدة لطرف ما يلزم

هذا ما لزم اخبرناكم به والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تاريخ ٢٢/٩/٢٦

فواز بك

((نصّ الرسالة الموجهة من))

قائد عام الثورة وعلي المحتاوي و فضل الله عزام وتوفيق هنيدي

إلى فواز بركات ورفاقه محمد الأشمر - صادق بك.

عقلة بك القطاني - مصطفى الخليلي.

جميل شاكر - خلف العقيل.

حضرات الإخوان المجاهدين الكرام فواز باشا بركات والعمري بك وصادق بك وعقلة بك القطاني والشيخ محمد الأشمر والشيخ مصطفى الخليلي والسيد. جميل شاكر والشيخ خلف العقيل وسائر المجاهدين المحترمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد اليوم اجتمعنا بعطوفة القائد العام فقرأ لنا مكتوبكم فشكرنا همتكم العالمية ولكن أسفنا لعدم وجودنا في اللجاة لنوافيكم إلى حوران إلى قرايا الحريرية لأننا كنا مشغولين في تعقيب الحملة التي رجعت من خلخلة بطريق المقرن الشرقي ولم نتركها تقطع مرحلة إلاّ هجمنا عليها حتى قال أحد المغاربة أنّ خسائرها بلغت ٦٠٠ والآن نقترح عليكم ان تدخلوا اللجاة وتجعلوها وكراً لكم ففي ذلك فوائد كثرة:

أولاً: قطع الخط

ثانياً: اشتراك عرب اللجاة في الثورة

ثالثاً: إمكانية إيجادنا هناك واشتراكنا في جميع الوقائع التي تحصل معكم في حوران وقوتنا التي في اللجاة كافية لكلّ عمل وسنكون جميعنا هناك بعد يومين ويوجد عدا ثوارنا عصابة المجاهدين الشوفانية وإقامة الذين هم بمعية الأمير عادل وقد اجتمعنا اليوم كتلة واحدة تحت إدارة عطوفته فنرجو منكم قبول اقتراحنا لأجل نجاح القضية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم علي المحتاوي

أخوكم فضل الله عزام

أخوكم توفيق هنيدي

إننا نضم صوتنا لما ذكر أعلاه فهذا ما نراه الأوفق للمصلحة العامة

التوقيع سلطان باشا الأطرش

والآن عزيزي القارئ:

إليك نص هذه الرسالة بخط اليد كما وردت وهي وثيقة هامة.

حضرات الإخوان المجاهدين الكرام فؤاد باشا البركات والعمري
وصادق بك وعقله القطامي والشيخ محمد الأكش والشيخ مصطفى
الحنبلي والسيد جميل شاتي والشيخ خلف العقيل وسائر المجاهدين
المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد اليوم اجتمعنا بعطوفة القائد
العام نقرأ لنا مكتوبكم فشكرنا همتكم العالية ولكن أسفنا
لعدم وجودنا في اللجاه لنوافيكم الى حوران الى قرايا الحريرة لأننا
كنا مشغولين في تعقيب الحملة التي زحفت من طريق المقرن
الشرقي ولم نترك نقطع مرحلة إلا هجمنا عليها حتى قال
الحد انفارية ان خسائرها بلغت [illegible] والآن نقترح عليكم
ان تدخلوا اللجاه وتجعلوها مركزاً لكم ففي ذلك فوائد كثيرة
أولاً قطع الخط ثانياً اشتراك حرب اللجاه في السويدة ثالثاً ابطاء
إخواننا هناك واشتراكنا في جميع الوقائع التي تحصل معكم في حوران
وقوتنا التي في اللجاه كافية لكل عمل وستكون جميعنا هناك
بعد يومين ويوجد عند ثوارنا عصابة المجاهدين الشوافنة
واتحادهم الذين هم بمعية الأمير عادل وقد أصبحنا اليوم كتلة
واحدة تحت إدارة عطوفته فنرجو منكم قبول اقتراحنا
لأجل نجاح القضية والسلام عليكم ورحمة الله ربيع الأول

اخوكم ... اخوكم ... اخوكم عبد الله عزام ... اخوكم ...

[illegible] المصلحة العامة اخوانك

لقاء تاريخي بين الأستاذ حسين سعد الدين المقداد
والمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي



الأستاذ المؤرخ حسين سعد الدين المقداد
والمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

في لحظة سعيدة من لحظات الزمن كان لي الشرف أن ألتقي مع شخصية مرموقة وهو الأستاذ حسين سعد الدين المقداد وذلك في منزل الأستاذ تركي صالح فرحان الزعبي من المسيفرة في مناسبة زواج أبنه وهو من أحباب الأستاذ تركي صالح الفرحان وتلاميذه. وهو الذي عمره الزمني أقل بكثير من عمره العقلي وعمره العقلي سبق عمره الزمني بكثير، الأستاذ حسين المقداد وجه تاريخي وفكري وثقافي لحوران بأكملها وجبل العرب، إنه مرآةٌ صادقة لوجه الأمة الحي والأصيل، إنّه شخصية تمتاز بفرادة التفكير والتحليل وتمتاز بقوة الحضور والبديهة وهو واجهة فكرية تعتز فيه عقول الفكر الأدب في السهل والجبل والأستاذ حسين المقداد رحمه اللّه كان مشهوراً للقاصي والداني بأبحاثه التاريخية والفكرية القيمة، فقد قدّم

للساحة الفكرية والأدبية الكثير من الأبحاث القيمة والهامة والتي ما زالت تعتبر مرجعاً هاماً لكلّ باحث ولكلِّ طالب علم، وقد شهد له بذلك كبار المفكرين والأدباء والمثقفين في هذا القطر من أقصاه إلى أقصاه، رحمه اللّه كان يعشق هذا الوطن ويقّدس ترابه، وكان يحبّ أبناء هذه الأمة العربية دون أنِ يميّز بين أحدٍ منهم، كان متواضعاً يقدّم خدماته الفكرية والتاريخية للجميع دون مللٍ أو كلل، قدّم خدمات ومنجزات كثيرة لقطّاع التربية والتعليم كان مربياً قديراً وذو فكرٍ ثاقب وبصيرة متألقة وحضورٍ شفاف جميل وتشهد له بذلك مناقبه الخيرّة والنيرّة التي أنارت وما زالت تنير الآفاق المظلمة في طريق الباحثين عن الحقيقة والثقافة والتاريخ.

وقد قدّم الأستاذ حسين المقداد للمؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي الكثير من الوثائق التاريخية والفكرية والمعلومات القيمة التي ساعدته في تأليف كتبه الثلاثة، فقد قدّم رحمه اللّه لكتب المؤلف أحمد محمد عطا اللّه فكراً قيماً ووثائق ما تزال شاهدةً على التاريخ، وشدّ على يد المؤلف وشجعه أن يستمر في تأليف ما هو خير لهذه الأمة ولحوران والمؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي يحمل بين ضلوعه وفي ثنايا قلبه وروحه العرفان بالجميل لهذا الوجه التاريخي المشرق حسين المقداد، ولن ينسى أبدا اليد البيضاء التي مدها الأستاذ حسين المقداد ليصافح بها مؤلفاته التي تشهد وثائقها التاريخية الهامة بما قدّمه الأستاذ حسين المقداد لها.

فكيف ينسى المفكرون والمبدعون في سورية وفي حوران الأستاذ حسين المقداد، وهل تنسى الأشجار ثمارها، وهل تنسى النجوم قمرها، كان رحمه اللّه قمراً ينير سماء الظلمة في عقول الباحثين عن التاريخ وعن جذور هذه الأمة.. إنّ أجيال الحاضر والماضي والمستقبل لم ولن تنسى قمرها الفكري والتاريخي حسين المقداد إنّه ساكنٌ في قلوبنا وهو حيٌّ في وجداننا وضمائرنا، وهو باقٍ في كتبنا وفي أفكارنا، إنّه مربي الماضي ومربي المستقبل بما تركه من معلومات ووثائق هامة ونادرة، والمثل العربي يقول: ((لولا المربي ما عرفت ربي)) ونحن نقول لولا أياديك البيضاء وفكرك الثاقب وأخلاقك العالية يا أستاذ حسين لكنّا أضعنا الكثير الكثير من الحقيقة التاريخية التي نبحث عنها لنكتبها لأجيال المستقبل ليعرفوا عظمة تاريخهم وعظمة أجدادهم. لن ننساك أيها المربي والباحث المفكر الذي نحبه، أنت تعيش في قلوبنا وفي قلوب أجيال المستقبل.

أخي القارئ: أُخذت هذه الصورة المشتركة للمؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي مع الأستاذ حسين سعد الدين المقداد بتاريخ ١٩٩١/٨/٢٣م في إحدى الإلتزامات الاجتماعية وذلك خلال حفلة عرس شعبي لنجل الأستاذ تركي صالح فرحان الزعبي من قرية المسيفرة التي عبرت على أبواب تاريخ النضال في معاركها البطوليه عام ١٩٢٠وتكلمت الأقلام على الدوام النضالي لتاريخ هذه القريه.

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي في جولة يبحث عن جذور تاريخية للثورة والثوّار في مدينة السويداء والجبل



صورة المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي مع سيادة محافظ السويداء

ابراهيم هنيدي وصورة المؤلف على يمين المحافظ

الاستاذ ابراهيم هنيدي ينتمي إلى عشيرة ضاربة جذورها بعمق التاريخ العربي وعشيرة الهنيدي عشيرة عريقة ومنتشرة في جميع محافظات القطر وهو من مدينة الرقة درة الفرات.

وعائلة السيد المحافظ عائلة النضال والأحرار وإني لا أنسى مواقفه الكريمة والشعلة المضيئة في حسه الوطني. وإنه فتح مكتبه حتى يكون أداة خيرة لخدمة الوطن والمواطن وإن أول محافظ للسويداء هو نسيب البكري وآخر محافظ في السويداء حتى عام ١٩٩٧م هو إبراهيم هنيدي (وأطيب نكهة الثمر آواخره)، ونسيب بك البكري عّين عام ١٩٣٧ وهو أوّل محافظ سوري تم تعيينه في جبل العرب.

الشهيد فضل الله باشا هنيدي



عن حياة الشهيد البطل فضل الله باشا الهنيدي

من مواليد عام ١٨٧٦ في قرية المجدل، والده هزيمة الهنيدي عمل في الحزب الوطني ضد الاحتلال التركي، وشارك في استقبال الأمير فيصل بن الشريف حسين في العقبه عام ١٩١٦م. منح لقب أمير لواء من قبل قيادة الجيوش العربية الشمالية برقم: ١٨٣٠ تاريخ ١٨/١٢/١٩١٩م

عينه اجتماع أركان قيادة الثورة المنعقد في ريمة اللحف عام ١٩٢٥م نائباً ثانياً للقائد العام، عينه مجلس قيادة الثورة قائداً للثوار في المنطقة الشمالية الغربية عام ١٩٢٦ وشارك في جميع معارك الثورة السورية رساس تل الحديد تل الخروف- المزرعة- المسيفرة -أصيب في معارك قلاع الجف في السجن ونجران واخلي إلى قرية صميد حيث استشهد ودفن هناك عام ١٩٢٦.

استشهد المجاهد الكبير فضل الله هنيدي أحد أركان الثورة السورية البارزين في موقع قلاع الجف بين السجن ونجران وفقدنا باستشهاده أعز صديق وأوفى رفيق على طريق النضال منذ أيام الثورة العربية الكبرى، هذا ما قاله عنه المرحوم سلطان باشا الأطرش ويقول عنه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر: باستشهاد فضل الله باشا هنيدي فقدت الثورة العقل المدبر كما ويقول عنه الجنرال اندريا في مذكراته.

((وفي المقرن الشمالي كان من الصعب الوقوف في وجه الشيخين: فضل الله باشا هنيدي من المجدل ومحمد عز الدين الحلبي من وادي اللوا فهما يحركان المقرن متى يريدان لانهما يقومان بالمقاومة النشطة ضد الانتداب الفرنسي يسندهما الوطنيون الدمشقيون وأنصار فكرة (الإمبراطورية العربية) وهكذا شباب بني معروف تراهم نجوماً ساطعة في سماء الوطن يقاتلون بشجاعة وقد قال الجنرال اندريا (بموت هذا البطل انتهت الثورة في جنوبي سورية) لقد سقط شهيداً لكنه كان شامخ الرأس وبقيت أطلال دياره العَامرة تحمل جليل أفعاله والتي مازال يحافظ عليها احفاده من بعده لانها قلاعٌ متينة من القيم والمروءة ولأنها تحمل الطابع العربي وثبات هذا الطابع كثبات جدرانها البازلتية لان هذه الجارة كانت وما زالت صرخة وطنية في وجه البربرية الفرنسية وأي عدوان تساوره نفسه بالاقتراب من حمى الوطن نعم هذا هو فضل الله باشا هنيدي شهيد الحق والعدالة والإنسانية وقد ورد في مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر عن المرحوم الشهيد فضل الله باشا الهنيدي ما يلي:

((وممن اشترك في تلك المعارك ايضاً والمقصود معارك المجمير ورساس وعرى، - وكان قائد الحملة الجنرال غاملان - فضل الله باشا هنيدي الوطني الصميم الشجاع الباسل ويقول عنه أيضا في مذكراته: ((لكننا فقدنا رجلاً لا تعادله الرجال هو المرحوم حمد بك عامر وجرح أيضا فضل الله باشا هنيدي)) زعيم، ويقول سمعت في دار الوطني الكبير البطل الشهير المرحوم فضل الله باشا هنيدي زعيم قرية المجدل خبراً قضت له المضاجع وهو خبر مصرع المجاهد الممتاز المرحوم فؤاد سليم وإن اسم فؤاد سليم دائماً مقرون بالفحول أمثال حمد البربور وفوزي القاوقجي وفضل الله هنيدي ويقول: أرسلت الشيخ اسماعيل عبد الدين الذي حمل ردكوستلير اسله إلى الدروز المجتمعين في شقا ليطلعهم على هذا الرد فبلغت الحماسة في رؤوسهم ذرى المفارق حتى إن فضل الله باشا هنيدي حلف يميناً غموساً ألّا يسمح لأحد من الهنيدات بالبقاء في الجبل.

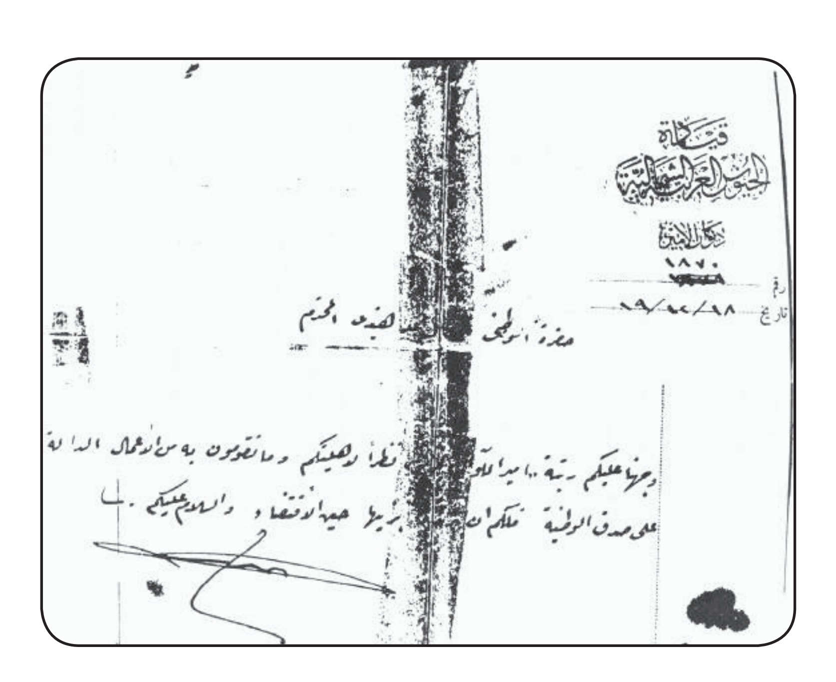
عائلة هنيدي عائلة أصيلة

جذورها ضاربة بعمق التاريخ العربي منذ القدم

إن عائلة هنيدي عريقة النسب أصيلة النسب سليلة الرجال العظماء الذين قدموا تضحياتهم الجسام وجبلوا دماءهم بتربة هذا الوطن، ان عائلة هنيدي توارثت البطولة ومشق الحسام كابراً عن كابر، بعد معركة عين دارة عام ١٩١١ في لبنان انحدرت عائلة هنيدي من لبنان وسكنت بقرية مجدل الهنيدات في السويداء وأول من سكن هذه القرية هزيمة إسماعيل هنيدي حيث سكن منزلاً رومانياً وأنجب محمود هزيمة هنيدي الذي استشهد في معركة غباغب إلى شمالي درعا عام ١٨٢٠ وكان يقود الحملة التركية ساري باشا ودفن الشهيد محمود هزيمة هنيدي بقرية غباغب عام ١٨٢٠م أنجب هذا الشهيد هزيمة محمود هنيدي الذي اشتهر ببطولته ضد الأتراك واكرامه للضيوف وبنى مضافه ضمن المنزل الروماني عام ١٨٢٠ وما تزال هذه المضافة شامخة حتى الآن مبنية بحجارة بازلتيه متراصة ومتناسقة بفن معماري رائع. ان الأتراك غدروا بالشهيد هزيمة محمود هنيدي حيث وضعوا له السم بالقهوة ودفن في اشرفية صحنايا بدمشق.

ان عائلة هنيدي انجبت الرجال الأبطال الذين نسجوا بيديهم رايات الاستقلال فكانت معاركهم ضد المستعمر التركي والفرنسي متممه لحركة النضال الوطني حيث برز الشهيد فضل اللّه باشا هنيدي وكما وصفه الجنرال أندريا بأنه (يحرك المقرن كما يريد)

وثيقة هامة ومشرّفة للامة العربية ولآل هنيدي تستحق أن تكون وسام شرف


قيادة الجيوش العربية الشمالية
ديوان الأمير
رقم ١٨٧٠
تاريخ

حضرة الوطني [illegible] المحترم

[illegible] عليكم رتبة [illegible] نظراً لوطنيتكم وما تقومون به من الأعمال الدالة على صدق الوطنية [illegible] والسلام عليكم

هذه الوثيقة هي رسالة تاريخية تستحق أن تكون وسام شرف على مر الأجيال والعصور.

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي يشرح الوثيقة ويقرأ رسالة الشرف

هذه الوثيقة هي عبارة عن رسالة شرف وإخلاص موجهة من قيادة الجيوش العربية الشمالية إلى المجاهد البطل فضل الله باشا هنيدي وذلك بمثابة تقدير وعرفان لما يقوم به هذا البطل من مواقف مشرفة في خدمة الثورة العربية وفي خدمة الأمة العربية كاملة وهذا١ الوسام هو عبارة عن رتبة أمير لواء وله الحق بارتدائها عندما تقتضي ضرورة ذلك فهذا هو الصدق وهذا هو الشرف وهذه هي الامانة وهذه هي الوطنية وهذا هو المجاهد الكبير فضل الله باشا الهنيدي ((ويضيف المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي)):

في السابع عشر من نيسان عام ١٩٩٤ وبينما كانت جماهير شعبنا تحتفل بأعياد الجلاء وأعياد التحرير حيث كانت الرؤوس شامخة تطاول السماء والعيون مليئة بالحب والأمل والطمأنينة وكانت قمم جبل العرب جبل الصمود مشاعل ضياء تشارك الربيع أعياده، قمت بزيارة إلى منزل سلطان باشا الأطرش بمناسبة عيد الجلاء هذه الذكرى العطرة إحياءً وتعظيماً لعظماء الأمة آبائنا الذين حملوا السلاح بقيادة سلطان باشا الأطرش حيث جاءت رسل السيد الرئيس حافظ الأسد ومن ضمن الحاضرين لهذا الاحتفال الرائع كان الرفيق رشراش فلحوط أمين فرع الحزب في السويداء والسيد إبراهيم هنيدي محافظ السويداء والسيد اللواء محمد جابر النصاري قائد شرطة المحافظة حيث كانت الهتافات تتصاعد مع هذا الجبل الذي ينعم بدفء الجلاء في ١٧ نيسان اليوم تعود إلي تضحيات مجاهدي الأمس الذين بزغت شمس الحرية من فوهات بنادقهم مع زخات الرصاص رصاص الماضي والحاضر والمستقبل رصاص الثوار الذين تركوا لنا أطيب ذكرى وأطيب ثمر من ثمار الحرية، حيث شدني الشوق فألقيت كلمة طيبة كلمة أدبية ضمن هذا الاحتفال البهيج في منزل سلطان باشا الأطرش ضمن الأصوات المجلجلة والقصائد الشعرية المعطرة وهناك تقدم مني عقيد من بيت الأطرش يتحلى بأخلاق عربية أصيلة وأصالة بيت الأطرش العريقة وطرح علي سؤالاً ذو شجنٍ وعفةٍ عن معركة المزرعة وعن الجنرال ميشو فقلت أن الجواب يا سيدي تخزنه جعبة مقاتلي الماضي وتخزنه وتحكيه سهول وجبال ووديان هذا الوطن هي صفحات تاريخية ونبض روحي وهي من الماضي الأصيل وكان جوابي أن الاستعمار الفرنسي قد دخل الى سورية ولبنان في خطٍ مزدوج والخط المزدوج هو خط عسكري وخط إعلامي أما مهمة الخط الإعلامي فهو تغطية الخسائر العسكرية حيث كانت معركة المزرعة الضربة القوية التي أوجعت القدرة العسكرية الفرنسية وكانت نسبة الخسائر ٣٨٠٠ قتيلاً ووضح دور الخط الاعلامي من خلال الصحف الفرنسية التي

نشرت مقالاتها البارعة بشكل مضلل حيث قالت: إن الجنرال الأرعن ميشو قد زج قواته في أرض صعبة ووعرة ومقطوعة من المياه حتى يتوهم القارئ في العالم أن القوات الفرنسية هزمت وهلكت بسبب وعورة الأرض وقلة المياه فيها وأؤكد بأني عندما التقيت مع أحد سكان المنطقة ضحك وقال لي أن سواقي المياه كانت تمر بأرض المزرعة محملة بأمعاء القتلى الفرنسيين وما كان تضليل الصحف الفرنسية إلا تغطية الهزائم العسكرية الفرنسية وكما قال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر: لقد سكتت المدافع الفرنسية بعد أن تم حشو فوهات المدافع بحجارة الثوار وشهد العالم بأجمعه أن الروح الفدائية للبطل الكبير سليمان العقباني الذي قتل ١٨ قتيلاً بسيفه فمثل هذه المعجزات ومثل هذه الأساطير لم تكن لتتوفر عند الفرنسيين على الإطلاق.

(ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي مؤلف هذا الكتاب):

بعد أن اطلع السادة الرفاق: إبراهيم هنيدي محافظ السويداء والسيد اللواء محمد النصاري قائد شرطة السويداء بعد أن اطلعا على كتابي (صور مشرقة من نضال حوران) سألني السيد المحافظ ابن مدينة الرقة درة الفرات ومنبع الأصالة والاخلاق السامية واللواء محمد النصاري ابن حوران بلد العزة والإباء والكرامة والبطولة والفداء قالا لي وبعتب جميل رقيق: إنك لم تعط محافظة السويداء هذه المحافظة الشامخة وهذا الجبل الاشم حقهما كاملاً في كتابك صور مشرقة من نضال حوران من خلال بحثك الميداني عن السير النضالية التي عشقها ويعشقها كل مواطن في هذه المحافظة العريقة التي أصبحت الجزء الرئيسي في نفسية وهموم أبنائها حيث نبع الأخلاق الأصيلة التي تحتضن الشهامة والنخوة العربية وأن تاريخ الآباء في هذا الوطن والسويداء جزء من هذا الوطن وهذا التاريخ مزيج من النسمات المباركة والعطرة التي ترافق غيوم الندى الغيوم التي تحمل هطول الثلج على قمة الجبل الشامخ الأشم الذي يطل على سهل حوران الأخضر الواسع بوجهه الأبيض الذي زرع فيه أبناؤه زهرات حمراء من دماء الشهداء الأبرار وظل هذا اللون الأبيض أبيض وهو مزيج الثلج ودماء الشهداء الأحمر إنها أزهار في بساتين الشهداء وبقي اللون الأحمر هو اللون المفضل عند شباب بني معروف والاستعمار الفرنسي رغم جبروته لم يستطع أن يشوه هذا اللون وبقي غيث السماء الأبيض ودماء الشهداء الأحمر هما الابتسامة المشرقة المضيئة في وجه كل زائر إلى الجبل الأشم.

والجدير بالذكر أن الحنان الأبوي والدرر الثمينة التي تلفظ بها محافظ السويداء

وقائد شرطة المحافظة وسمعتها منهم لا يمكن أن تلفظ إلا من رب أسرة حنون عطوف وأعتقد أن هذا ليس بكثير من هذه القيادات المسؤولة التي رضعت الحنان الأبوي ودرست وتعلمت من الأب القائد في مدرسته مدرسة حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية وبمشيئة الله ورعايته وبرعاية الأب القائد حافظ الأسد وحافظ الأمة سيظل هؤلاء صفحات مشرقة ورياحين معطرة في صفحات الحاضر والمستقبل وينبوع عطاء دفاق على مر الأجيال والعصور.

وثيقة خطية

إلى فخامة القائد العام للثورة السورية من

محمد الاشمر إلى اللواء سلطان باشا المعظم

الى فخامة القائد العام للثوره السوريه اللواء سلطان باشا المعظم

المعروض اننا نبلغكما ابعازكم من قبل ابو علي سليم الجرماني بخصوص تخريب الخط ونسف الجسور فسررنا ان هذا العمل من اعظم الخدمات وهي وان جميع همنا واهتمامنا تلك الخدمة المقدسة تجاه الوطن المحبوب ونحن الحمد لله نعلم به عن التوفيق ونطلب من الله ان يديم توفيقكم ونجاح جيوشكم الظافره على الدوام وان المصيبه على قمع العدو وانقاذ الوطن من القلق والظلم

والسلام عليكم ١ . شوال سنة ٤٤

محمد الاشمر

المجاهد الحوراني

قصيدة شعريّة حبّ وإكبار للبطل فضل الله باشا الهنيدي

تحية اكبار فضل الله باشا الهنيدي وآل الهنيدي

فضل الله باشا للطوابير نطّاح
حي الشهادة يوم جاها بطلها

يوم المفزع جاه بالرّدن شواح
سوق المنايا بالهنيدي نزلها

سيفه رهيف الحدّ خطاف الارواح
لهاجت الفرسان يدني اجلها

والروح ما هي من طيب وجرّاح
روحه رهينة للشهادة حملها

يومن ثوى في ساحة المعركة صاح
سلطان أخو سميّة همومه

نقلهاناداه يلي للمعيلين ذبّاح
يا سيّد الثوار فيكم أملها

مرحوم يا حامل ثخينات الاجراح
بوجه الصقر يا ما جروحاً دملها

يوم اللجاجة يوم كزات الارماح
والخيل بالميدان تسمع صهلها

سيد المعارك مروّين السلاح
بالمزرعة يا ما فوراس جدلها

الصيت يلباشا كما العطر فواح
مرحوم من راد الشهادة ونهلها

يا خادم الاوطان تفديك الارواح
والشور عندك ما يلاقي زللها

نبغاك للتخطيط والسر ما باح
لا تاهت الشوّار انتم مثلها

كم قايداً منك على صابره طاح
والمرجلة يمك تنوخ جملها

مضيمنا بالكون ما نال الارباح
وربعك بني معروف تهزم دولها

يعدو عليهم كنّهم غنم برماح
مثل الذيابة يوم لاقت سفلها

والذيب هلّي بالمشاعيب سرّاح
ما راد عن لحم العساكر بدلها

اندريه وغورو اللي تغيب عن الساح
وقوادهم كسبت هزايم فشلها

ال الهنيدي فحول لا صار الصياح
لاجت كرام القوم ترمي ثقلها

ترعب مواضيهم دخيلاً وسفاح
ربعاً نشامى كلهم من اهلها

هذا جيل حوران للغيم نطاح
والما يعاني بالصقول جهلها

لو زاح ستر الكون القليب ما زاح
يرسي على قلوب الأعادي عللها

شامخ ولا تطوله شديدات الارياح
حامي وطنّا ولفرنسا هبلها

واختتم بذكر المصطفى زين الملاح
يشفع لنفسي من مساوي عملها

((قصيدة للشاعر عازر غنيم بشارة))

عائلة هنيدي شجرة النضال وزهرة الأحرار

لا تزال عائلة هنيدي شجرةً باسقةً شامخةً للنضال والأحرار وقطف الثمار الوطنية على أرض سورية العربية.

وها هو البطل سلمان حمدان هنيدي ما زال يتنقل على ساحات النضال بمعاركه ضد الأتراك في الجنوب من قرية ناحتة ومعارك فلسطين وهذا البطل حضر معركة المسيفرة ووقف في هذه المعركة شهيدين من أبنا عمومته، وقد أقسم يميناً أنّه سيكون فوهة البندقية بوجه الفرنسيين والشهيدان اللذان استشهدا في معركة المسيفرة هم:

الشهيد هاني الهنيدي والشهيد برجس الهنيدي وبالرغم من مدرسة الغربة التي احتضنتهم وهم بعيدين عن أرض الوطن إلاّ أنهم لم يكونوا غرباء عن عقيدتنا الإسلامية، وبقيت العقيدة الإسلامية لديهم من أهم المشاعل المضيئة في النباتات الطيبة التي هم ثمرها الطيب وهم عائلة هنيدي والأستاذ وليد عقاب هنيدي فخورٌ بأن أولاده يمارسون الشعائر الدينية الإسلامية فهم يصومون رمضان كاملاً ويصلون للّه إنّهم نموذج حي منّ زهرات نبتت على سفوح هذا الجبل الأشم، والمعروف عن عائلة هنيدي أنها عائلة النضال والأحرار فهي ملتصقة التصاقاً عضوياً بعقيدتها الإسلامية والنضالية والأستاذ جمال الهنيدي عضو مجلس الشعب سابقا درع للكرامة العربية الأصيلة في محافظتي السويداء ودرعا وهو رائدٌ من روّاد الصلح والإصلاح عبر محافظتي السويداء ودرعا وصمة والهنيدات مثالٌ مشرّف للوطنية الصادقة.. إنهم عائلة النضال والأحرار والشهيد البطل فضل اللّه باشا هنيدي قائد الثورة والثوّار في السهل والجبل.

رسائل من أحفاد البطل عقلة القطامي إلى المؤلف
أحمد محمد عطا الله الزعبي يباركون كتابه الجديد

هذه الرسالة من سلطان موسى عقلة القطامي تبارك جهود المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم احمد محمد عطا الله الزعبي حفظكم الله وأمدكم بروح من عنده. بإهتمام كبير لقد اطّلعت على كتابكم الذي يتضمن صفحات مشرقة من بطولات وتضحيات حوران الأبية والعدية وأحمد ربي أنّه وفقكم في جمع هذه الوثائق التاريخية والصور الكبيرة التي يتمثل فيها المروءة والشجاعة والبطولة والوطنية، وهذا عمل كبير جداً ومشكور عليه وليس بغريب عن رجل هو الأستاذ أحمد محمد عطا الله الزعبي، والمعروف لدينا أنّ عائلة الزعبي في حوارن هي عائلة كبيرة في درعا وضواحيها ومهمة جداً ونحن نكنّ لها كلّ احترام وتقدير وأسأل الله تعالى أن يوفقكم في هذه المهمة التاريخية في إنجاز بقية الحلقات التي تتضمن الشهادة في سبيل تحرير سورية من الاستعمار العثماني والفرنسي وهذا ليس بغريب عن رجل من آل الزعبي الكرام وأنتم تقدمون الوثائق الصحيحة عن نضال حوران وأبنائها الأماجد وبإمكانكم إلقاء الضوء على رجالات لم يسلط عليهم الضوء سابقاً فهذا بالنسبة لنا عمل مشكور لكم وأنكم في هذا الكتاب تكرمون شخصيات بذلت الغالي والنفيس من أجل تحرير وطننا العزيز عليكم وعلينا.

وعلى كلٍّ حال نتمنى جميعاً من صميم قلوبنا أن يوفقكم الله في هذه المهمة الوطنية التاريخية العظمية النادرة، وكما تعلمون أن النادر لا يقاس عليه واستميحكم عذراً لظروفي الصحية من أن أتشرف وأزوركم في بيتكم العامر، وأسديكم جزيل الشكر ووافر الامتنان، وكما أنني على أتم الاستعداد لتقديم المعلومات التاريخية في هذه المهمة الهامة.

وختاماً أرجو من الأخ المحترم الأستاذ أحمد محمد عطا الله الزعبي أن يتقبل مني فائق التحيات والاحترام وربنا يحفظكم في أتم الصحة والعافية كما أتمنى لكم العمر الطويل.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجوكم غاية الرجاء أن تزورونا في دمشق على العنوان التالي:
دمشق ـ المزرعة ـ خلف جامع الكويتي ـ مقابل مكتبة الحريري بناء حسن البظنا رقم /٢٤/
أخوكم سلطان موسى عقلة القطامي دمشق في ١٥ ذي القعدة ١٤١٦ هـ
الموافق لـ٣ نيسان ١٩٩٦ م

رسالة من حسن محارب. اللجاة
تبارك الجهود التي بذلها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي في تأليف كتبه وتقديم الوثائق الهامة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

تحية عربية إلى المؤلف السيّد أحمد محمد عطا اللّه الزعبي المحترم.

مؤلف كتاب صور مشرقة من نضال حوران ضد الاستعمار التركي الأسود وخلفة الاستعمار الفرنسي البغيض وكلاهما يمثلان العدو اللدود للعرب وكلاهما حسب فترة سيطرته ساهم في السيطرة على الشعب العربي وأرضه وثقافته وكرامته حتى أوشك هذا الشعب الأبي أن يصغر ويذبل ويذوب في بحور الاستعمار، وعندها يحل على أرض العرب الجفاف ويموت الإنسان العربي، لكن أمة استطاعت أن تنهض من الصحراء ومن شظف الحياة تصول وتجول بشجاعة وإيمان بوحدة شاملة وقلوب متألفة روت بسهمها فأصابت أهدافها ثغور العالم فبثت فيها النور والحضارة والحرية حتى سجّل لها التاريخ انتصاراتها الحربية وفتوحاتها الواسعة وعلمها الخارق مما جعل الاستعمار التركي والأوروبي يحسب لها ألف حساب ويغزوها وهكذا التاريخ يومٌ لك ويومٌ عليك مثله مثل الأيام. ومن طبيعة العرب ألّا يناموا على ضيم ولم تصغر نفوسهم ولم يذلّوا أبداً على مدى التاريخ فنارهم دوماً حامية وإن خمدت فترة، فمن يطأها أو يلمسها لا بّد وأن يحترق ولو برمادها فجبس فيها كثيراً وأوقدوا منها نيرانهم الهامدة.

والتاريخ يشهد للذين أضرموا نار العرب فارتفع سناها عالياً عالياً حتى بدت ومن بعيد جداً أنها منارة يهتدي بنورها كلّ من ضل من لفح الشعوب المختلفة والمهاجرة من لفح ظلم الاستعمار عدد الشعوب وعدد الإنسانية.

السيّد الكاتب أحمد محمد عطا اللّه الزعبي المحترم:

بعد هذه المقدمة التي كتبتها إليكم على عجلةٍ من أمري وعملي أعلل أنّي قرأت كتابك صور مشرقة من نضال حوران وبما أنني قد سمعت عن هذا الكتاب الكثير فرب من قال أنه حديث ومعلوماته غير صحيحة وهناك قسمٌ قال مختصر، وحديث الناس كثيراً ما يكون ردة فعلٍ مضادة ومفادها العجز وعدم المقدرة على الاطّلاع والوقوف على الحقائق بصحتها وعاميتها.

الأخ الكاتب أحمد محمد عطا اللّه الزعبي: أقسم لك بشرفي أنني قرأت هذا الكتاب كلمة كلمة وفهمت جميع مراحل الأحداث السياسية والعسكرية وجميع مراحل النضال الشعبي للشعب العربي في حوران دون تمييز أو تقريب أو غير ذلك ووجدت في هذا الكتاب ضالتي التي كنت أبحث عنها كثيراً وطويلاً حيث قرأت الكثير عن النضال العربي ضد الغزوات المغولية

وضد الشعوبية وضد الغزوات الصليبية وضد تركيا وإسرائيل وضد التخلف والبرجوازية والقطاع والعشائرية. ورغم ذلك لم أجد إلاّ الذكر القليل لنضال شعب حوران حضره وبواديه مع العلم أنّ حوران بأرضها الطيبة وربوعها الجميلة ونقرتها الواسعة هي ميدان الحرب والمعارك لجميع الجيوش والدول المتصارعة عبر التاريخ وهي بالإضافة لموقعها الاستراتيجي هي الأرض التي بارك الله فيها فوهبها السهل والخصوبة والتربة والشعب العربي صافي القلوب وغمور الجذور، فكم كان شعوري عظيماً عندما وجدت تاريخاً نضالياً يضمه مؤلف واحد يحوي الجانب البسيط من نضال شعب حوران العريق، وإني فخورٌ جداً بالجهد العظيم والصبر على مشقة البحث والتجديف في بحر الأحداث الماضية وفي مجتمع فيه من ينكر على نفسه نضال آبائه وأجداده كذلك لا يريد أن يترك غيره يوضح حقيقة ضوء الشمس الساطع، لعل من أعماهم الزمن عن البحث والعثور على درة الحقيقة عندها أرفع رأسي عالياً وأحمل بيدي كتاباً وفي بيتي أيضاً ما يدلُ على أنّ أرضنا هذه في حوران بلاد الشام لها تاريخ وماضي نضالي طويل وصراع دامي مرير مع الاستعمار التركي والفرنسي ذهبت ضحيته خيرة رجالنا و شبابنا وأطفالنا ونسائنا شهداء على طريق التحرير والكرامة العربية وما المعارك التي وردت بهذا الكتاب منذ عام ١٩١٦ وحتى عام ١٩٤٦ إلاّ نضال مستمر على دروب الحرية.

فتحية عربية إلى شهداء الأمة العربية وحوران الصامدة في وجه الهمجية الصهيونية. وتحية شوق وحنين لسهول الحولة والجولان الرئة الحيّة لسهل حوران وتحية إلى اللجاة التي كانت وما زالت قلعة الله على الأرض كما وصفها ثوّار حوران وجبل العرب.

وتحية حبّ وتقدير للأخ الكاتب أحمد محمد عطا الله الزعبي وللبلد الذي نشأ فيه وتحية حبّ وتقدير للشاعر الشعبي شاعر حوران أبو عيد.

وأرجو المعذرة لسرعة الكتابة والاختصار حيث كان بودي التعليق على جميع أقسام وفصول الكتاب لكنها كلّها شاملة وصحيحة ومليئة بالوقائع الأكيدة لأنني قارنتها مع بعض الكتب وكذلك المعمرين في اللجاة وقد أشادوا بشهامة ومواقف حوران ورجالاتها واليوم حوران تسعد وتستقر وتنعم بالخير والعطاءات الخيّرة من دولة البعث ورئيسها حافظ الأسد في ظل البعث العظيم فأرجو أن يتذكروا مكانة اللجاة عندما كانت ملاذاً للثوّار لوعورتها وعدم وجود طرقات وماء فيها، ويعلموا أنها اليوم تنعم بالرخاء والتقدّم والمدنية حيث الطرقات والمدارس والكهرباء والماء النقي والتنظيم السياسي والشعبي والحرية والكرامة في عهد البعث ورجالاته المخلصين للشعب وبقيادة بطل الصمود والتصدي أبا باسل الرئيس العربي الأصيل حافظ الأسد.

والسلام

حسن محارب ـ اللجاة

١٩٩٧/٤/٢٧م

الفصل الثالث

الباب الرابع

أماكن في حوران لها تاريخ نضالي
((تل عرار))

تل عرار يقع إلى الشمال من مدينة درعا على بعد ٦ كم وهو من أهم مراكز الاستطلاع لجيش الثورة العربية الكبرى.

كتب عنه المؤرخ البريطاني لورنس والضابط الدمشقي صبحي العمري والمؤرخ العربي فايز الغصين والمستشار السياسي للملك فيصل. وسبب التسمية كان هناك فريق من البدو الرحّل يقيمون في الوادي المجاور لتلك التلة..

وكان أحد كبار الفريق يدعى عرار فأشار عليهم بمغادرة الوادي والصعود إلى أعلى التلّة خوفاً من مياه الأمطار فسخر منه القوم وقالوا دعنا في مكاننا واذهب أنت إن شئت وفي المساء اسوّدت وجه السماء وانهمرت الأمطار بغزارة وذهب القوم ضحية السيول بينما نجا عرار الذي أخذ من قمة الجبل مأوى له ومن هنا انطلقت التسمية بتل عرار. وبعد مرور ثمانين سنة وفي عهد الحركة التصحيحية امتدت إلى هذا التل البلد زورات العملاقة وحولته إلى خطة إصلاحية لمد الطرق وعبر محافظتي حوران والسويداء.

وتل عرار يظل في الذاكرة العربية نقطة مضيئة تضفي نورها لتضيء ذكريات الأبطال المجاهدين من أجدادنا وآبائنا.

الماسونية العالميّة أخطبوط صهيوني أميركي

إنّ الماسونية العالمية تمّ نسيجها الأقوى من خيوط الصهيونية وهذا وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو من أجل تمزيق الوطن العربي منافذ ومناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا. جاءت هذا الاتفاقيات خدمة مجانية للمشروع الصهيوني وتقاسمت الأدوار الدول الغربية في هذا التآمر.. استعمار الأمس بريطانية وجاءت سيدة التجبر العالمي أميركا اليوم متممة للاستعمار البريطاني بالأمس والدولتان هما وجهان لعملة استعمارية واحدة.

والصهيونية العالمية نبتت في أحضان سياسة استعمارية وفي الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٢ استخدمت بريطانيا وفرنسا الصهيونية عكازاً للتجسس على القوات

الألمانية. وكان في أوليات التجسس بث العنصر النسائي من الفتيات الصهيونيات على المؤسسات الصناعية وعلى مواقع أصحاب القرار السياسي في الحكومة الألمانية. هؤلاء الفتيات كنّ وسيلة متعة في أحضان الرذيلة الجنسية المعروف عنها عبر التاريخ الصهيوني بأنّه أرخص مادة لديها هنّ الفتيات.

وقامت حكومة ألمانية بعقوبة جماعية بحق اليهود وهذا حق طبيعي لكلّ شعب يحمي نفسه ووطنه من معاول الهدم الصهيوني على الجنس البشري وعلى رسالات السماء وهم نباتات خبيثة في الوسط العربي.

نرجو اللّه أن يقتلع جذورهم من فلسطين على سواعد رجال الانتفاضة حتى تعود القدس حضانة للرحمة والإسلام والمسيحية.

وسلاح البترول العربي تحوّل إلى قوة اقتصادية للدول الغربية وآلة رعب من الأسلحة النووية ولو تمّ توظيف البترول العربي في وسائل التصنيع الحربي فإنه سوف يكون إنقلاباً بخط المعادلة من العدو الصهيوني إلى الصديق العربي. إنّ التاريخ هو نبض حي للشعوب والشعب العربي هو شعب حر أشرقت هويته التاريخية بنور الإسلام تحت مظلة القرآن وإن كانت المحن هي مدرسة لتصفية معادن الشعوب والشعب العربي زادته المحن مع إسرائيل أصالة جهادية وقوة اتحادية.

المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي.

كتاب صور مشرقة من نضال حوران

للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

مُتَرْجَماً للغة الإنكليزية في جامعة اكسفورد في بريطانيا

إنّه لأمرٌ يدعو للفخر والاعتزاز أن يرى الإنسان العربي كيف يتهافت الغرب على ترجمة الكتب الهامة التي تصدر في شرقنا العربي، وذلك ليطّلع هذا الغرب على تراثنا وحضارتنا وتاريخنا ويأخذ منها كلَّ ما من شأنه أن يزيده علماً ومعرفةً بهذه الأرض التي شهدت نزول الرسالات السماوية الثلاث وأرض الأنبياء والمرسلين ومهبط الوحي بالقرآن الكريم.. لذلك نرى أن الغرب يهتم اهتماماً كبيراً بكل ما يتعلق بتراث وحضارة وتاريخ هذه المنطقة العربية التي هي أهم مناطق العالم استراتيجيةً.. فقد لجأ الغرب منذ القدم إلى ترجمة الكتب العربية الهامة ليضعها في متناول شعوبه لتنهل منها المعرفة بالتاريخ والعلوم والتراث ومن ثم يضعوا هذه الكتب المترجمة في مكتباتهم العامة وفي جامعاتهم تقديراً لهذه الكتب ولمؤلفيها ليطّلع عليها القاصي والداني من سوّاح الكرة الأرضية ومن طلبة المعرفة فيها.

والذي يدعو للفخر والاعتزاز أكثر عزيز القارئ أن كتاب:

((صور مشرقة من نضال حوران)) للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي من سورية، قد وُجد مترجماً إلى اللغة الإنكليزية في بريطانيا بمكتبة جامعة إكسفورد، إنّه لفخر حقيقي يستحق أن نقف بإجلالٍ أمام هذا الإنجاز الذي يعتبر بحق مفخرة حقيقية لسورية بلد الحضارات ومولد التاريخ.. نعم عزيزي القارئ وُجد هذا الكتاب الهام مترجماً هناك في بريطانيا وهو موجود بنسخته الإنكليزية المترجمة في المكتبة العامة لجامعة إكسفورد هناك، وقد أكّد ذلك واطّلع عليه الباحث العربي المعروف الدكتور إسماعيل السلامات يقول الدكتور الباحث اسماعيل السلامات أنه خلال مرافقته للأمير السعودي سعود آل سعود برحلة علمية إلى جامعة إكسفورد ببريطانيا وخلال استعراضه للكتب العربية المترجمة في المكتبة العامة هناك وجد كتاب: ((صور من نضال حوران)) للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي من سورية، وجد هذا الكتاب مترجماً إلى اللغة الإنكليزية ومعروضاً في مكتبة الجامعة ببريطانيا.

والجدير بالذكر عزيزي القارئ أن السيّد معاون وزير الثقافة الدكتور علي القيم قام بتوزيع هذا الكتاب على جميع سفارات العالم عبر سفرائهم بسورية، والدكتور علي القيّم معاون وزير الثقافة عندما قام بتوزيع هذا الكتاب على سفارات العالم كان يهدف من ذلك نشر الصورة المشرقة من نضالنا العربي ضد المستعمر بكافة أشكاله وتعريف العالم بأصالتنا وحضارتنا وتراثنا. وكان لهذا الدور الأكبر في جعل كتاب: صور مشرقة من نضال حوران يصبح مترجماً إلى اللغة الإنكليزية في مكتبة أكبر وأهم جامعة في العالم هي جامعة إكسفورد ببريطانيا. والكتاب الآن وثيقة تاريخية هامة جداً في مكتبات الغرب لكلّ من يريد أن يتعرف على حضارتنا وتاريخنا المشرّق والمشرف.

قصيدة شعرية للشاعر قاسم صياصنة الرشدان مهداة للطفلة الشهيدة إيمان الحجو



بالعطرِ كتبتُ دواويني ... بالبلح الأحمر بالزعترْ
بستان التين لنا مجدٌ ... وتفوح جدائله عنبرْ
فاللؤلؤ بيننا موجودٌ ... لو سقط الأول والأخرْ
فالقدس لنا والأقصى لنا ... وحمام الأموي الأسمرْ
قد مدّ جناحاً لبلالٍ ... ليؤذن بالصوتِ الأكبرْ
من رملِ خليجٍ أنطلقت ... للمشرقِ للبحرِ الأحمرْ
من تونس من مغرب أهلي ... وأعود لمصيرٍ أتمصَّرْ
يا مكة يا أم الدنيا ... يا أم الأبيض والأسمرْ
يكفينا غياباً يكفينا ... أقمار الدرّة فلتظهرْ
فتعالوا نجمع أمتنا ... فالوحدةُ أبداً لا تقهرْ
إيمان الحجو قد حجّت ... للحجر الأسودِ للمحجرْ
والطفلةُ ترضع من دمنا ... دمعاً أهاً ودماً أحمرْ
فضفائرها في أضفارٍ ... بالحق الأبيض لا تظفرْ
فيموتُ الطفلُ على دمه ... ويعيش الصّبار الأكبرْ
مزق أثواب سما سرةٍ ... مزّق وافضحهم لا تسترْ
أشعلْ في الحقلِ سنابلنا ... لم يبق للسنبلِ بيدرْ
يا دهر سكت بنا دهراً ... قد آن أوانك أن تجهرْ
سيظل الحق لنا أبداً ... والحقُّ أميرٌ يتأمّرْ
وعيون الأطفال خمورٌ ... فبها الأرض العطشى شكرْ

قصائد من السويداء من الشاعر فواز مزهر تكريماً للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

سار القلم أبو فؤاد تسمع صديره
فوق طليحة بدا ينثر نباه

أبديت أنظم لرضا الضمير
واليراع عا الكاغد كلة يراه

وأطرش القوافي عا لكا غد وسير
هاج بحر الفن وسالت قناه

فاض تيار القوافي تسمع هديره
مثل رعد لا قصف تسمع دواه

في الليالي يا ربع عيني سهر
أخاف الأيام تذهب هباه

المديح صنعتي وفيها خبير
تتطرب الحضار وكل من قراه

أسألك يا الله الخلق يا مجير
يا الله العرش يا رب السماه

يا معين يا جابر العظم الكسير
أنت رب الخلق ما غيرك حداه

يا كريم تفرج للأمر العسير
يا منبت الأعشاب يا راعي نماه

يا معبود بالسر أنت الخبير
ما لنا من دون بابك ملتجاه

يا راكباً عند ناجد المسير
دريك طويل وتحمل شقاه

عامتن سحوان تسمع شخير
وانشد ديار أحمد الزعبي عامر بناه

يا راعي الشور وإنت المشير
يا بيرق العالي يا نجم بسماه

أبو فؤاد دعا الكرامة إنت المغير
وليطلب الجود من يدك بغاه

أحمد الزعبي من رؤوس المشاهير
يا بلسم العليل يا شافي علاه

أحمد الزعبي مؤلف قدير
حديثك على الرأس ونعم من هداه

فيكم عاليات المراتب والسرير
جر المناسف بسنين الجفاه

تسقوا العدو مر المرير
أبطال حوران ما تعطي قفاه

حماة العذاري لو اشتد السعير
أيام الكرب وكز القناه

لو بغيت أحكي عندي الكثير
من قوافي ومعاني وبناء

لكن اكتفيت بالقدر اليسير
أبو فؤاد منوة لمن تمناه

يستريح الفؤاد مني والضمير
كلام الصدق أزكا من عطر شذاه

ألف صلى عا قادر قدير
باسط الأرض ورافع سماه

وصلت هذه القصيدة عام ١٩٩٥

قصيدة ثانية
من الشاعر فواز مزهر من السويداء
تكريماً للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

يا راكباً من عندنا فوق حيران ... حراً زعاعي يقطع الدو حايل
اشقح شراري من سلايل شعلان ... يرعى عشب البر أيضاً والنغايل
لو زويم البر بالنظر ما يبان ... يطرد عللي راكبين السلايل
خرج العقيلي فوقها واضحاً بان ... مثل العنود ياللي تقود الجمايل
اقطع سهلها ووديانها وكثبان ... وانحر دياراً واسعات المنازل
تلفي درعا قبل الفجر ما يبان ... تنشد دار أحمد الزعبي حر الشمايل
هي يا فتى بأفصح لسان ... حي ربوع يعزون النزايل
أهل المراجل بالحروب عقبان ... دم الأعادي بالمواطي سايل
فرنسا تشهد لأهل الجبل وحوران ... يوم الكوان فوق ضمّر أصايل
العدو ببلادنا دوم خسران ... بفعل النشامى صانعين الهوايل
نشر البيارقص فوق راس سلطان ... يوم المعارك حوران تشفي الغلايل
أهل الطيب والكرم والحسان ... يا أهل الكتاب يا تابعين الرسايل
تاليفك للكتاب يطرب كلّ إنسان ... مثل العطر وأشهى من التوابل
سلم على صانع الفن وقصدان ... نعم القصيد ناظم القوافي قايل
قصيد عازر موزون علميزن ... اشعل نار الحرب بالفتايل
واجب عليّ أزور أرض حوران ... أرض الشهامة والكرامة والأصايل
سلامي علّي بالحرب شجعان ... شيوخاً يروون السيوف الصقايل
ناظم القوافي أبو أركان ... كنيتي بنوار بروس النفايل
أختم كلامي بذكر الرحمان ... والنبي المصطفى خاتم الرسايل

هذه القصيدة وصلت عام ١٩٩٤م

القصيدة الثالثة
من الشاعر فواز مزهر من السويداء
تكريماً للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

بالأمس يا ربوع جانا مكاتيب ... مسجلة بكاسيت ساعة زماني
صوت الفاطر زارها لواهيب ... يطرب الحضار بقيفان ومعاني
يا دمع الشوق مثل المزاريب ... من فوق خدي دايم الدوم قاني
من بعد ذا لأبدع معاني بترتيب ... وأحرق المكتوب عا الأربع قراني
يا غلام شدوا سرع كما الذيب ... وانحر عشيرة تتصف بالأماني
وشد من فوق صافنات المطاليب ... تسبق برق الدجا بعدة ثواني
سرجها مزين بالشراشيب ... وشدادها مصنوع بالدوزاني
مسلسلة وخالية من كلّ عيب ... عامتنها غلام حافظ للأماني
عيناك أحمد الزعبي أنت تطلب وأنا جيب ... والدهر من بحر جودك سقاني
من السويداء يا فتى غربٍ وتغريب ... ويم حوران العذبة لا تواني
تلفي درعا عند المغاريب ... حيّ يا فتى بأفصح لسانِ
حيي شيوخاً اللي عليها المحاسيب ... أهل الشهامة صادقاتِ اللساني
اللي هرجهم دوم بالتراحيب ... ذبّاحة للضيفان حيلاً سماني
بيدهم تلمع سيوف المحاديب ... حماة العذارى يوم الكواني
هرجهم مثل عد الزواهيب ... جر المناسف سبعة ثماني
سلم عليهم كل مطلع فجر ومغيب ... وعاقد ما القرن سجل ثواني
يا عيال زعبي طيب على طيب ... يا مرسال قبل لحاهم أول وثاني
ما في مثالهم بكل المذاهيب ... لا ببلاد العجم والتركماني
ياخالق طيور السماء والدباديب ... يا محي العظام وهي رمامي
يلي لدعا الخلق تسمع وتجيب ... بجاه الرسول حامل الأماني
يشفع لنا يوم حر اللواهيب ... ويكفينا شر غادرات الزماني

وصلت هذه القصيدة عام ١٩٩٦م

قصيدة مهداة من الشاعر محمد علي الكناكري
إلى المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

الشاعر محمد علي كناكري من داعل الثورة رحمه الله كتب هذه القصيدة رداً على قصيدة للشاعر فواز مزهر من السويداء إلى المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي :

جاني كتاباً وكاتب القاف فهمان ... من يد قرماً وافياً للشمايل
أحي كلّ من خط عالورق فيفان ... أهل العقول النيرة والدلايل
هييت من خاص الركايب وضيحان ... حراً زعاع وأصلاً من سلايل
مرباعها النقرة بسهلها وديسان ... ترعاً زهر نوار وروس الفضايل
فوقه غلاماً من مواريث قحطان ... قرماً مجرب يصدراً كل عايل
عالهون يا مرسال تاخط قصدان ... واذكر شياً مضى لو كان زايل
جتنا فرنسا تقود جيشاً من لبنان ... في ميسلون صاخن الدم سايل
قامت ارجال الوطن شيباً وشبان ... من فوق قبات الرمك والأصايل
بالجبل قاد الجمع المرحوم سلطان ... بالمزرعه عن فعلهم لا تسايل
الخليلي بذرعات ما بيه نكران ... وابن مريود عمل فيهم هوايل
ثارت ارجالٌ من جبلنا وحوران ... بفعالهم بلعون اروو الغلايل
بالمذخر حامو على الجيش عقبان ... اكم وليده فوق سرجه تمايل
يا أبو فؤاد أقولها سرٍ وعلان ... حوران أهلها كاسبين النفايل
فيها من صعول الرجاجيل شجعان ... فيها رجال تصدراً كلّ عايل
ذباحتاً للضيف حيل من الضان ... وجر المناسف في سنين المحايل
ما مثل أهل حوران بطيب والشان ... عندي على ما قلت أكبر دلايل
حوران وأهل الجبل أهلاً وجيران ... ورثوا الشهامة من السلف والأوايل
ليا عتلوا من فوق طوعات الرسان ... يدعوا خصمهم بعد عزه ذلايل
هذا عصير القول من فكر ولسان ... تحية مني لرجال القبايل
وسلام للزعبي عدد عشب نيسان ... وعدا ما هلت مزن من سحايل
تمت وصلى الله على ولد عدنان ... محمد رسول الله جانا بالدلايل
أبو علي صاغ القوافي من الذهان ... هدية مني لجميع الحمايل

جولة هامة قام بها المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي على القرى الحدودية في الجولان عام ١٩٩٦م

جولة ميدانية في مدينة القنيطرة المحررة، بعد أن تلقيت الإذن من سيادة محافظ القنيطرة الدكتور وليد البوز وقائد شرطة القنيطرة، وذلك من أجل جمع معلومات ووثائق عن حرب تشرين التحريرية وعن قيادة تشرين، وقد قمت بجولة ميدانية على القرى الحدودية الصامدة في وجه الصهيونية وكان برفقتي ولدي فؤاد الزعبي الذي كان يقود سيارتي وكان يساعدني في عملية تأليف كتبي فكان ذراعي الأيمن في إنجاز جميع أعمالي ومؤلفاتي التاريخية، وأيضاً كان بصحبتي ابن عمي زعل هلال الزعبي من قرية الطيبة، وعند وصولنا إلى القنيطرة التي تعتبر درّة الجولان وكلّ الأوطان وعندما شاهد ابن عمي زعل هلال الزعبي هذه الوحشية البربرية أصابته الدهشة وقال هذه إسرائيل وهذه أحقادها، ولا بدّ أن تصل يوماً إلى حافة الهاوية وسيكون ذلك يوم ميعادها، وعلى الفور قلت لإبن عمي إنّ إسرائيل بعد الهزيمة التي أُلحقت بقواتها في حرب تشرين التحريرية ولولا دخول رأس الأفعى الأميركية في مشاركة قواته إلى جانب إسرائيل على الجبهة الشمالية وكانت هذه القوات هي قارب النجاة للقوات الصهيونية والسلاح الجوي الإسرائيلي كان صاحب الذراع الأطول في الوسط العربي وهذا الذراع الجوى قُطع على الجبهة الشمالية والجنوبية ولولا نزول القوات الأميركية في ساحات المعارك لما استطاعت إعادة الأنفاس الضائعة والمعنويات المنهارة إلى القوات الإسرائيلية، والشعب السوري لا زال يختزن في أعماقه الكلمة التي ألقاها الرئيس الدكتور بشار الأسد وحينها كان في أحضان الجامعات وقنواتها الثقافية ونشر أزهار الكلمات في أجمل ما قال الدكتور بشار الأسد:

أجيالُ تبني وأجيال تحافظ على البناء، وإن القائد الخالد بنى المدرسة والمسجد والمصنع للعلم والمعرفة، عبر المدرسة والجامعة صروحاً شامخة خرّجت أجيالاً مثقفة، وأما جيل الشباب في عهد قائد الشباب الدكتور بشار الأسد يحافظ على البناء، وإسرائيل عندما دمرت مدينة القنيطرة لم تستطع أن تدمر القلوب العامرة بالإيمان بحبّ الأوطان، وهذه هي الجولان وكلّ ذرة تراب في أرض الجولان تساوي محراباً مقدّساً والتركيبة العضوية في داخل الجسد ويأتي العضو الرئيسي الذي هو القلب داخل التركيبة العضوية والجولان في تركيبته العضوية هو القلب في أجمل حبّ حينما قال القائد الخالد حافظ الأسد: إنّ الجولان مكانته القلب.

رحلة المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي إلى تلفزيون المنار عام ٢٠٠٠م

عندما ألقى سماحة السيد حسين فضل الله محاضرةً في المركز الثقافي بدرعا كان قد تمّ الاتفاق مع سماحته أن أذهب إلى تلفزيون المنار لاقدم محاضرة أمام شاشة التلفزيون، وبعد وصولي إلى بيروت توجهت إلى قنوات تلفزيون المنار وسألت مكتب الاستعلامات عن مدير إدارة التلفزيون وكان حينها ينطلق آذان المغرب، وقال لي المسؤول عن الاستعلامات لا تتكلم والآذان قائم، ولم أجد غرابة في هذا الكلام، والأمة المهزومة هي التي لا يدخل السرور بأعماق نفوسها بذكر الله، وذاكر الله بين الغافلين خير من المجاهد بين المقاتلين، لقد انتصر حزب الله تحت مظلة ذكر الله، ومن هذا السلاح العظيم دخل حزب الله من أوسع أبواب النصر واخترق جدار معادلة التسليح بين أميركا وإسرائيل التي لا تملك السلاح الذي تملكه المقاومة، المقاومة تملك سلاح الاستشهاد والأمة التي لا تملك سلاح حب الاستشهاد أمة تلد ميته ولا تنتصر وأميركا وإسرائيل تكرهان الموت وتحبان الحياة والمقاومة تحب الموت لأن فيه الشهادة ولقاء الله والأنبياء والصالحين حيث جنّة الله أُعدت للمتقين.

ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي أيضاً:

حزب الله انطلق على طريق الجهاد تحت حماية رب العباد ورست أقدامه على حبّ الاستشهاد وزرعه على كلّ خطوة نبتة من الصبر وحصد من كلّ خطوة نبتة من النصر وحمى غلة البيدر العربي بشرف نور الاستشهاد وخلع رداء العربدة الصهيونية وطغيان الفساد حتى أصبح حزب الله درع الكرامة العربية في كلّ ناد، والقدس هي أنشودة النصر وسرت أخبارها على يوم الميعاد ومهد المسيح ومسرى طه أزهر لهم الربيع الأخضر على مشارف القدس وكلّ واد.

ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي أيضاً:

هل خبئت الكلمة في غيوم التفكير إلى يوم التحرير، هل وقفت الدمعة على شواطئ الغدير إلى تحرير الأسير، هل فوهة البندقية هزمت باراك وشامير، هل الشيطان الأكبر أخذ عبرة عن ذنبه الحقير، لم يحم العدو سلاح الذرة الذي أوقعه في سوء التفكير، إنّ الفكر والقلم عاجز عن نسيج نشوة الفخر وأريحية الضمير، وإنّ وقوف سورية جاء لنصرة لبنان على الدرب الطويل سورية ولبنان مولودان توءمان هما النسيج الأقوى مربوط في حبال نصرة العلي القدير، وحزب الله هو إشرافة الفرح لأنه للنصر سفير، فإلى المزيد من بشائر النصر للمقاومة في جنوب لبنان وجاء نصر الله والفتح وهو القوي النصير.

بلدة بير عجم درّة الجولان الأحلى

بلدة بير عجم.. زهرة الجولان ودرّته ببيوتها القرميدية الجميلة وقد اصطبغت بلون دم الشهادة ولون الجلّنار.. مثالٌ حي لمقاومة وتصدّي أبطال هذه البلدة الجميلة لغطرسة الاستعمار الصهيوني بلدة بير عجم شامة على خد الجولان الأسمّر.

فمن المعروف أخي القارئ في الإرادة الوطنية الشركسية وخاصةً في الجولان الحبيب أنها فئة مؤمنة بالنضال الوطني وتمتلك روح النضال والنظام وشرف الإلتزام لتقديم التضحيات في سبيل الأوطان.. وهناك مقولة هامة قالها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر:



((إنّ الشعب المنظم دائماً جدير بالحياة..)) والوطنية الشركسية فعلاً جديرة بهذه الحياة عندما تنتظم حبات اللؤلؤ في عقد شرف الشهادة، والإستشهاد في سبيل الجهاد المقدس بكلّ البلاد.

وقد كان ليّ شرف اللقاء بالأستاذ أحمد الحاج رئيس بلدية بير عجم الذي يختزن معلومات مشرّفة عن الأبطال من إخوتنا الشراكس، وقد رأيت في بلدة بير عجم



الشوارع المنظمة والأناقة العالية فيها، إضافةً إلى طيب وكرم أهلها الأبرار وشبابها الشجعان، ودقة النظام المعماري الحضاري من القرميد الأحمر الذي يصطبغ لونه بلون دم الشهداء.

فرنسية تدخل الإسلام بعد أن سمعت القرآن

من مشارف حوران أحيي هذه العقول المنفتحة التي عادت إلى صحوة الضمير لأنها انغمست في إشاعات رسالة المسيح ومحمد عليهما السلام، وسيدنا المسيح مسح اللّه من قلبه كلّ الحقد والكره على الجنس البشري، وفي قلبه يختزن الحبّ والرحمة وكان يبشر بأنه سوف يأتي من بعده رسولٌ اسمه أحمد وسيدنا محمد هو من قال اللهم اِهد قومي فإنّهم لا يعلمون، وهكذا التقت قنوات المحبة والرحمة على رسالة المسيح ومحمد عليهما السلام.

ومن أين انحدرت إلى لبنان هذه المعاول من الهدم وبعثت سموم الأفاعي لبث الفتن الطائفية بين الإسلام والمسيحية والجواب على هذه التساؤلات إني أسوق مثالاً حيًّا والعالم شاهد على الشعب اللبناني الذي له التصاق عضوي في قنوات الحبّ والمحبّة بين الإسلام والمسيحية على امتداد مئات السنين ولكن بعد أن دخلت الصهيونية على أرض فلسطين كنبتة خبيثة بثت سمومها سموم الأفاعي على بعض الضعفاء من الإخوة المسيحيين والمسلمين وبعض المسيحيين أصبحوا ورقة رخيصة في أيدي الصهيونية حينما وجهوا فوهات بنادقهم في مجزرة صبرا وشاتيلا بإيعاز من قائد الإجرام الصهيوني شارون والمطلوب من كلّ مواطن لبناني بأن يوجه فوهة البندقية إلى الصهيونية ولكن تفاجأ العالم الإسلامي والمسيحي من الذين وجهوا فوهة البندقية على إخوتهم في الجلدة اللبنانية وعندما كانت بيروت تحترق من الحقد الصهيوني وبعض العملاء جاءت من فرنسا الراقصة الفرنسية والمشهورة في وقوعها في حضن الرذيلة ولكن حينما قدمت إلى بيروت وشاهدت الجثث المحترقة والمبعثرة في الشوارع والتي مزقتها حرب الطائفية، لم تتحمل هذا المشهد وغادرت إلى أفغانستان وتطوعت هناك في بعثة صحية عالمية في إنقاذ الجرحى ومن خلال الجولات التي قامت بها في أفغانستان سمعت شيخاً يرتل القرآن واجتذب قلبها هذا الترتيل وطلبت تفسير الآيات ونص الآية التي تقول على لسان المسيح سوف يأتي من بعدي رسولٌ اسمه أحمد ونص الآية:

بسم الله الرحمن الرحيم

((إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين)) **صدق الله العظيم**

وهذا الكلام الذي ورد على لسان السيد المسيح ونقله القرآن إلى سيدنا محمد بأن العالم يفهم أن رسالة المسيح وسيدنا محمد متممة إلى بعضها البعض بالإيمان بقدسية رسالات السماء ورب السماء والأرض وهكذا أعلنت إسلامها وبث أجهزة الإعلام العربي عن إسلام هذه الفرنسية.

الفصل الرابع

الباب الأول

البطل العائد إلى الجولان
علي اليونس

حينما تنعقد الكلمة على اللسان وتتوقف حركة الفكر بالأذهان وينطلق الحس الوطني من الوجدان لا بّد أن نحيي البطل العائد إلى الجولان علي اليونس ها نحن نقف أمام بطل من الجولان. نقف مع نشوة العز العائد إلى الأوطان بتاريخ ٢٤/١١/ ١٩٩٧م.قمت بزيارة إلى محافظة القنيطرة وبصحبتي الأستاذ أبو سالم خالد الحشيش سلامه حيث قابلت ابن الجولان مفخرة الأوطان الأستاذ أحمد الحلبي الذي يختزن في قلبه الحنين الى وطنه ويختزن في عقله الواجب الوطني والحس الأدبي حيث قال لي: إن المؤرخين لا يمكن أن ينسوا الواجب الوطني أمام أبطال انطلقوا إلى ساحات النضال الوطني ورسموا خريطة من الورود الحمراء بدم الشهادة والشهداء. وإني اقدّم نموذجاً فذّاً من أبطال الجولان إنّه البطل علي اليونس رئيس بلدية كوم الويسية في القنيطرة وقابلت هذا البطل في منزله وبدأت أنصت إلى نبرات كلماته وهو يتحدث عن بطولاته الفدائية حيث قال:

لقد نفذت عدة عمليات حربية خلف خطوط العدو على أرض الجولان في عمق العدو وحتى مدينة صفد وكنت أختفي في أعماق الوديان السحيقة في النهار وأنطلق لتنفيذ عملياتي ليلاً وأنا أرتدي عباءة الليل المنسوج خيوطها من الظلام الأسود وكان هذا التاريخ في عام حرب الاستنزاف عام ١٩٧٤ وكان عمري لا يتجاوز ١٦ عاماً، وفي إحدى العمليات وقعت أسيراً في أيدي القوات الإسرائيلية ووضعوني في زنزانة مكبلاً بالسلاسل الحديدية لمدة ثمانية أشهر ولم أرَ نور الشمس ولم أنعم برائحة نسيم الهواء. ولكن حينما كنت أسمع عن الهمجية الإسرائيلية بتعذيب الأسرى كنت أقول هو مكر إسرائيل وعندما وقعت في الأسر ورأيت أصناف العذاب شعرت بأن إسرائيل انسلخت من جلدة الإنسان والتصقت في جلدة الوحوش من الحيوان وجِنَّة الشيطان عدو الإنسان، لقد شعرت بأني لم أعش في مملكة الإنسان ولكني أعيش في عالم آخر الذي فقد الرحمة والحسّ الإنساني حيث أدوات التعذيب الموجودة في إسرائيل لاً تنتمي إلى مملكة الإنسان خليفة الرحمن على هذه الأرض لقد كنت أتناول الطعام ويدي مكبلة بالحديد بعد التعذيب الجسدي بدأ الضغط المعنوي لانتزاع الثقة من نفسي ومن وطني وقائدي الرئيس الفذّ حافظ الأسد وبعد التعذيب الذي استمر ثماني سنوات صدر بحقي الحكم بالسجن لمدة مائة وعشرين عاماً، وهنا تنبعث صحوة

الفكر كصحوة الفجر وحين تسطع شمس الضحى وخيوط إشعاعاتها تزين العباءة العربية والتي تحتضن بدفئها البطولة العربية لكن هذا البطل لم يصل إلى كبوة اليأس وبقي شديد العزيمة المعنوية بالرغم من عجزه الصحي والجسدي حيث قدّر عجزه بـ٨٠٪ولكن قائد البطولة والأبطال القائد الخالد حافظ الأسد أكرم هذا البطل وسمح له بدخول الجامعة السورية لمتابعة دراسته في كلية الحقوق حتى حصل على إجازة في الحقوق.

أخي القارئ إني عاجز أن أنسج قصة عذاب هذا البطل في سجون إسرائيل وإنني كمواطن من هذا الشرق شرق الرسالات ومنبت الرحمات وإني أنظر إلى زعيمة الاستعمار العالمي أميركا لعلي أرى أقلاماً حرّة تنتمي إلى الحس الإنساني هي موجودة تحت شعار الألوان الوهمية المرعية لخدمة الإنسان ولكنها من المنظور الاستعماري المسخّر لخدمة إسرائيل وجرائمها التي تغطيها عزف سطور الصحف الأمريكية.

وأما إذا كان الإنسان العربي يدافع عن حرمة أرضه وكرامة عرضة فهذا يكون إجراماً بنظر الصحف الأمريكية وأما إذا كان هناك أحد من العرب يؤمن بالصداقة المخلصة للقضايا العربية من جانب أميركا كالذي يبدل ضوء النهار بسواد الليل فأمريكا هي السواد الظالم في حياة الشعوب وذنبها إسرائيل سوف يبعثان العدو الموحد للإنسان العربي. لقد رافقني إلى القنيطرة الأستاذ أبو سالم خالد الحشيش سلامة من أبناء الجولان من قرية العال وهو ينتمي إلى عشيرة السلامات الضاربة جذورها بعمق التاريخ العربي، ورافقني بهذه الرحلة ولدي محمد وعرجنا في طريقنا إلى مكتب العميد عبد الهادي الكفري معاون قائد شرطة محافظة القنيطرة الذي يختزن في قلبه الحس الوطني وفي عقله الحس الأدبي، لقد قدم لي صفحات مشرقة عن تاريخ الجولان وامتداده الجغرافي وكثافته السكانية وتوزيع هذه الكثافة التي نزحت عن أرضها على أربع محافظات وليس غريباً على عائلة الكفري العميقة الجذور في التاريخ العربي، وقد قدم لي العميد عبد الهادي التسهيلات إلى القنيطرة المحررة وكلف أحد رجال الأمن بصحبتي، لقد قمت بزيارتي إلى مدينة القنيطرة بتاريخ ١٩٩٧/٨/٢٥م وبصحبتي ولدي محمد و زعل هلال الزعبي من الطيبة الذي تفاعل بأحاسيسه الوطنية بعدما شاهد البشاعة الصهيونية التي دمرت مدينة بكاملها بما فيها دور العبادة والمستشفيات والمصحات وهذه أحاسيس وطنية معجونة بالحب والحنين على هذه المدينة .

وبعد عودتي إلى دار المحافظة قابلت الشهم أبن الجولان مفخرة الأوطان الأستاذ

أحمد الحلبي أمين سر المحافظة وشرحت له عن المشاهد البشعة عن تدمير القنيطرة وقلت له إنّ إسرائيل تستطيع أن تدمر ما تشاء من البيوت ولكنها لا تستطيع أن تدمر القلوب التي أحبت هذه البيوت وأن الدوافع الحقيقة المبنية على خلفية الأحقاد الصهيونية جاءت وليدة الأحقاد بعد نزول الزلازل التشرينية التي دمرت العدو والعربدة الإسرائيلية وأفقدت القوات الإسرائيلية توازنها العسكري في أول عبور لقواتنا المسلحة على الجبهة الشمالية والجنوبية في الجولان والقنال بعد الساعة الثانية من السادس من تشرين، ولولا رأس الأفعى أميركا التي أنقذت ذنبها إسرائيل لبقيت إسرائيل غارقة في بحر الذهول من الضربات القاتلة التي تلقتها على ساحات تشرين الجولان وسيناء للجنرالات الإسرائيلية ولم تتخلى الأفعى عن أطلاق سمومها من وكرها أمريكا حتى تغطي حقدها وهي تدمير عاصمة الجولان والمعروف بنضال الشعوب ولم يجر قط تدمير مدينة بكاملها خالية من القوات العسكرية وأن هذه المفاهيم العسكرية الغير منضبطة بنظم القتال العالمي وإسرائيل لا يهمها سخط العالم أو إرضائه طالما هي ضامنة لرضا أمريكا سيدة الاستعمار البغيض وبقيت القوات الإسرائيلية ضمن دائرة الهزيمة المعنوية والعسكرية ولكن أمتدت إليها الأذرع العسكرية الأميركية حتى تنقذها من حالة التخبط التي أصابت قواتها العسكرية وحينما جرى فصل القوات بعد حرب الاستنزاف حينها وجهت قواتنا المسلحة الباسلة ضربات قاتلة للقوات الإسرائيلية وطلبت إسرائيل يومها فصل القوات عندها وجهت إسرائيل معاول الهدم من البلدوزرات المصحوبة بالأحقاد الإسرائيلية على عاصمة الجولان حيث أفرغت عليها سموم الأفاعي والمعروف في قاموس الشعوب والنظام العالمي بأن إسرائيل لا تختزن في أعماقها الحس الإنساني حيث جاءت المخاطبة القرآنية حتى تضع إسرائيل عند حجمها حيث قال الله تعالى: ((وجعلنا منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت)) وليس من المعقول أن القردة والخنازير لها موطن في فلسطين ولكن موطنهم الحقيقي هو الغابات الأمريكية التي خرجت الشراسة الوحشية للعناصر الصهيونية إذا كانت إسرائيل تختبئ وراء جلدة الإنسان فإنها مشحونة بشراسة الشيطان.

وأخيراً أن الشعب العربي حي لن يموت طالما أبرز ويبرز أبطال أمثال علي يونس.. إن المحن التي تهاجم الشعوب هي بمثابة تسليط الأضواء على أصالة المعدن الوطني إلى شعبنا العربي الذي لم تصبه قط كبوة اليأس من المطالبة في حقه وأسترجاع أرضه وكما قال الشاعر العربي محمود درويش وطني ليس حقيبة وأنا لست مسافر وراحل ولكنه ثابت فوق أرضه وهو راسي كرسو جبل الشيخ وجبل الجليل، لن يضيع حق وراءه مطالب وفي سبيل الجهاد المقدس في كل البلاد ومن قبيل الصدف أن زوجت

هذا البطل علي يونس هي حفيدت عبد العزيز أحمد الزعبي شقيق فارس بك أحمد الزعبي من دير البخت ها هي تمضي الأيام والسنين ويعود البطل إلى أحضان الحب والحنين يعود إلى وطنه شامخ الرأس وندي الجبين عاد إلى مربض الأسود وصلابة العرين عاد حتى يهدي وطنه قصة عذابه في سجون المعتدين.

أخي القارئ: إني عاجز أن أنسج الكلمات من الغيوم الفكرية وأصبحت غارقاً في طوفان الأحزان وتمنيت لو كان هناك قارب نجاة حتى ينقذني من أعماق بحر الهموم التي غصت بها وأن أستمع لكلام هذا البطل العائد إلى وطنه من سجون إسرائيل. أخي القارئ أني أضع هذا البطل أمام حبّك لأمثاله وحتى تهطل من غيوم أفكاره قطرات الندى التي زينت نبات الربيع الأخضر على أرض الجولان الأحمر ولا بّد أنك مشغوف للاستماع إلى نبرات صوته.. ها نحن أمام قصة البطولة والفداء وحديث هذا البطل عن قصة عذابه في سجون العدو الصهيوني هذه قصة البطل علي اليونس وقد تركتك تعيش وجهاً لوجه معه. أخي القارئ كانت مفاجأةً بالنسبة لي حينما سألته عن وضعه... العائلي فأجاب أن زوجته حفيدة لعبد العزيز الأحمد الزعبي شقيق فارس الزعبي من دير البخت ولابد أن أقف بإجلال لعبد العزيز الزعبي وفارس الزعبي هذا الاسم الذي يعيد لذاكرتي أول لقاء نسبي مع محمد عيسى الشوخ من دير البخت وقد كلف عبد العزيز الشوخ بعقد قراني عام ١٩٦٠ على زوجتي صبحة التي أنجبت أربعة ذكور وأربع إناث وإني لا أنسى هذه الأيادي الطاهرة أيادي عبد العزيز الشوخ الذي ربط مصيري بزوجتي وعبد العزيز نبت في أحضانه ثمرة طيبة من البنين والبنات.

سيوف حطين رمز البقاء والخلود

١ - موقعة حطين واسترداد بيت المقدس ٥٨٣هـ-١١٨٧م:

كان افتتاح الفرنج الصليبيين لبيت المقدس في الثالث عشر من شعبان سنة ٤٩٢هـ١٥يولية سنة ١١٠٩م حدثاً من أخطر الأحداث التي هزت أركان العالم الاسلامي وكان قيام المملكة اللاتينية في هذا الركن من العالم العربي الاسلامي أسطع رمز لعدوان الغرب على الشرق، وأسطع دليل على ما كانت تبيته أمم الغرب من العدوان المنظم على أمم الشرق وبالرغم من أن هذا العدوان كان يتشح بثوب الدين وحجة إنقاذ قبر المسيح فإن قيام المملكة اللاتينية الصليبية في بيت المقدس وقيام الإمارات الصليبية الأخرى في مختلف أنحاء الشام، كان في ذاته أسطع دليل على أن الغايات الدنيوية وما تنطوي عليه من استلاب الاراضي والمغانم والثروات كانت هي المقصد الأول الذي يسعى لتحقيقه أولئك الغزاة المعتدون ولبثت المملكة الصليبية في بيت المقدس زهاء تسعين عاما شوكة مؤلمة في قلب العالم الاسلامي، وقاعدة لحماية عدوان الغرب المنظم على بلاد الشرق وفي ظلها وأمل رعايتها قدمت الحملة الصليبية الثانية إلى الشام سنة ٥٤٢هـ -١١٤٧ م تحت إمرة لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، وحاول الصليبيون في هذه المرة الاستيلاء على دمشق عاصمة الشام الأولى ولكنهم باءوا بالفشل المطبق وتحطمت هذه المحاولة العدوانية في المهد ومضت أربعون عاما أخرى قبل أن تحين الفرصة المنشودة ليرد الاسلام ضربة المعتدين وليسحق المملكة الغاصبة وليسترد المدينة المقدسة إلى حظيرته، وشاء القدر أن يكون تحقيق هذه الأمنية الكبيرة في عصر الملك الناصر صلاح الدين، وأن يكون هذا البطل العظيم هو محطم الجهة الصليبية وهو قاهر المملكة اللاتينية الصليبية وهو محرر بيت المقدس ومعيدها إلى حظيرة الإسلام، قضى الملك الناصر صلاح الدين منذ ولي الوزارة للخلفية العاضد بالله أخر الخلفاء الفاطميين في سنة ٥٦٤ هـ-١١٦٩ م بضعة أعوام في تصفية شؤون الخلافة الفاطمية والقضاء على معالمها ورسومها وتوطيد سلطانه بمصر وتنظيم شؤونها ثم أخذ يدبر العدة لتحقيق مهمته الكبرى وكان قد أدرك بتفكيره الثاقب ونظره البعيد أن الظروف التي كانت تجوزها مصر والشام يومئذ لم تكن ظروفاً طبيعية وأن هذه الإمارات التي انتثرت إليها الكتلة الإسلامية في تلك المنطقة في ظل الأمراء السلاجقة وغيرهم لم تكن سوى دويلات ضعيفة متخاذلة لايمكن أن تصمد في وجه العدو المغير المقتطع لبعض أطرافها المتغلغل بين أرجائها ونعني الفرنجة الصليبيين ولكي يمكن القضاء على عدوان الصليبيين وعدوان الغرب يجب أن يتحقق أمران أن تجمع كلمة هذه الإمارات الإسلامية المتنافسة

المتنابذة من آسيا الصغرى والجزيرة وحتى مصر في جبهة قوية موحدة تقودها إلى الكفاح والجهاد بنجاح والثاني القضاء على المملكة الصليبية في بيت المقدس وهي التي تعد رمز العدوان وقاعدته الدائمة ثم القضاء على بعد ذلك على سائر معاقل الصليبيين ولم يكن صلاح الدين يصدر في ذلك أية فكرة مستحدثة أو مشروع مبتكر وإنما كانت تحدده في ذلك بالأخص فكرة عملية وسابقة تاريخية مؤثلة ذلك أنه يعرف أن الدولة المصرية كانت منذ القرن التاسع الميلادي أي منذ عهد الدولة الطولونية تشتمل على رقعة إقليمية موحدة تشمل مصر والشام وفلسطين وأن الدولة الفاطمية المنقضية كانت تسيطر على هذه الرقعة كلها وتمتد حدودها حتى آسيا الصغرى وأن قيام هذه الكتلة الموحدة واجتماع قواها ومواردها كان وحده كفيلاً برد أطماع جاراتها القوية من الشمال ونعني الدولة البيزنطية، فلما ضعفت الخلافة الفاطمية واقتصت أطرافها الإقليمية في آواخر القرن الحادي عشر الميلادي استطاع الفرنجة الصليبيون أن يغزوا أراضيها بنجاح وأن يحتلّوا بيت المقدس وثغور الشام واستطاع الغرب أن يدبر مشاريعه العدوانية الكبرى ومن ثم فإنه كان من الضروري أن يُقضى على هذا التمزق الذي ساد رقعة الوطن الموحد بتغلب بعض الإمارات الجديدة على أطرافه وأن تعود هذه الكتلة القوية القديمة إلى سابق تماسكها ووحدتها لكي تستطيع أن تصمد في وجه الفرنجة الصليبيين وأن تقوم بتحرير ما انتزعوه من القواعد والأراضي وهذا ما اعتزم صلاح الدين أن يعمل لتحقيقه بكل ما وسع.

٢ - وفاة الملك العادل نور الدين الزنكي عام ٥٦٩هـ -١١٧٤ م واستيلاء صلاح الدين على الشام وحمص وحماة:

كانت وفاة الملك العادل نور الدين الزنكي عاهل الشام في سنة ٥٦٩هـ أكبر عامل في تسيير هذه المهمة العظيمة وذلك أن هذا الملك العظيم سيد صلاح الدين القديم كان أعظم قوة يخشى بأسها وقد فتح اختفاؤه من الميدان أمام صلاح الدين أفق العمل المثمر فسار إلى الشام في أوائل سنة ٥٧٠هـ واستولى على دمشق دون مقاومة وضبط النظام وفرق الأموال ثم سار إلى حمص وعقد الصلح مع صاحب حلب ولم يمض سوى عامين حتى استتب له الأمر في الشام كما استتب في مصر وكانت هذه هي المرحلة الأولى في قيام الجبهة الموحدة التي سعى صلاح الدين إلى إنشائها ثم كانت المرحلة الثانية حينما خرج صلاح الدين من القاهرة كرة أخرى في قواته وعدده سنة ٥٧٨هـ واخترق الشام واتجه نحو الشمال الشرقي.

٣ - ضم الإمارات في الجزيرة - إمارات الجزيرة - وقيام الكتلة الإسلامية الموحدة الكبرى:

ولم يمض ثلاثة أعوام حتى استطاع صلاح الدين أن يحقق مشروعه في ضم إمارات الجزيرة كلها إلى صفه وتمّ بذلك تعزيز الجبهة الشمالية وقيام الكتلة الإسلامية الموحدة الكبرى من ديار بكر وحدود آسيا الصغرى إلى القاهرة وفي خلال ذلك كان صلاح الدين يقوم بحملات متوالية ضد الصليبيين ويشتبك معهم في معارك مستمرة ففي أوائل سنة ٥٧٣ هـ - ١١٧٧ م سار صلاح الدين إلى عسقلان فعاث في أحوازها ثم سار إلى الرملة واشتبك على مقربة منها بالصليبيين بقيادة بلدوين ملك بيت المقدس فوقع بين الفريقين قتالٌ شديد هزم فيها السلطان وقُتل وأُسر كثير من المسلمين وارتد صلاح الدين إلى القاهرة وقد حزت في نفسه الهزيمة وأخذ يحشد الجند ويعد العدة لحملة جديدة ثم غادر القاهرة في قواته إلى دمشق وأمضى في الشام زهاء ثلاثة أعوام واشتبك مع الصليبيين في عدة معارك ناجحة وموفقة جداً.

٤ - معارك جديدة خاضها صلاح الدين مع الصليبيين:

واشتبك مع الصليبيين في عدة معارك ناجحة في طبرية وصور وبيروت وهزمهم في حمص هزيمة شديدة وأسر عدة من كبرائهم واضطر بلدوين ملك بيت المقدس إلى طلب الهدنة فعقدت بين الفريقين لمدة عامين وعاد صلاح الدين إلى مصر في منتصف سنة ٥٧٦ هـ وأمضى صلاح الدين في مصر عاماً كاملاً ونصف العام يرسم الخطط للمعارك القادمة ويعد معداته وكتب إلى نوابه في الشام للتأهب ثم خرج في قواته وعدده من القاهرة في الخامس من محرم سنة ٧٨ هـ سنة ١١٨٢م وقد شاء القدر أن تكون هذه آخر مرة يغادر فيها الديار المصرية فلم يعد إليها بعد ذلك قط.

وأنفق صلاح الدين في الشام زهاء أربعة أعوام أخرى وتم له في تلك الفترة إخضاع الإمارات والقواعد الباقية في الجزيرة واستولى على الموصل وديار بكر كما استولى على حلب من صاحبها عز الدين مسعود وبذلك تم له تحقيق مشروعه في إخضاع الجزيرة كلها وتعزيز الجبهة الدفاعية الشمالية وتأمينها بصورة مطلقة.

٥ - الدعوة إلى الجهاد ومرحلة جديدة:

وكانت نذر المعركة الكبرى تبدو في الأفق شيئاً فشيئاً وكان صلاح الدين قد أرسل إلى سائر الجهات في مصر والشام والجزيرة يستنفر الناس إلى الجهاد ويحثهم على التجهيز والاستعداد وفي آواخر المحرم سنة ٥٨٣ هـ أبريل سنة ١١٨٧ م خرج في

قواته من دمشق وسار إلى بصرى ليحمي منها طريق العودة للحجاج إذا بلغه أن رينودي شايتون أمير الكرك ينوي الفتك بهم وكان هذا الأمير الفرنجي من أشد الأمراء الصليبيين تعصباً وغدراً وكان قد فتك بالحجاج في فرصة سابقة خلال حملة برية جهزها وسارت حتى عيذاب وكان لا يعقد هدنة إلا نقضها حتى أن السلطان أقسم إن ظفر بهذا الأمير الغادر فإنه سوف يقتله بيده ولما انتهت عودة الحجاج سار صلاح الدين إلى الكرك والشوبك وعاث في أنحائها ووافته عساكر مصر بقيادة أخيه العادل قادمة من طريق إيله وكانت قوات الشام والجزيرة تتلاحق في هذه الأثناء وتجتمع في دمشق تحت قيادة الملك الأفضل ولد السلطان وسارت من هذا الجيش بأمر السلطان حملة قوية إلى ثغر عكا لاقتحامه وتخريبه واشتبكت مع الفرنج وفرسان الداوية ((فرسان المعبد)) والاسبتارية في معركة طاحنة فهزم الفرنج وقتل مقدم الداوية وجماعة كبيرة من الفرسان وعاث المسلمون في أحواز عكا واستولوا على كثير من السبى والغنائم ثم اجتمعت قوات السلطان بقوات ولده الأفضل فاجتمع من ذلك جيش ضخم أي حوالي اثني عشر ألف فارس من النظامية وعدد كبير من المتطوعة وسار السلطان في قواته بعد أن أعدت للقتال جنوباً نحو طبريا واستولى عليها واعتصمت حاميتها بالقلعة وكان قصد السلطان أن يستدرج الفرنج لمقاتلته فلم يتقدموا فترك طبرية وعاد إلى عسكرة على مقربة منها وكان الفرنج قد اجتمعوا في سهل قريب مقفر بعد أن خربوا عيون الماء التي فيها توقعا لمقدم المسلمين وفي اليوم الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ تحرك المسلمون نحو المعسكر الفرنجي وكان جيش الفرنج يقرب من خمسين ألف مقاتل وعلى رأسهم دي لوسنيان ملك بيت المقدس والبرنس رينودي شايتون صاحب الكرك والكونت ريمون صاحب طرابلس وزعماء الفرسان الداوية والاسبتارية وكان مقصد الفرنج أن يمنعوا الجيش الاسلامي من السير نحو طبريا وامتلاك قلعتها فتحركوا نحو طبريا يقصدون مكاناً به الماء فوقف الجيش الإسلامي في طريقهم واشتبك الفريقان في عدة معارك طاحنة وقاتل الصليبيون قتالاً شديداً ولكن المسلمين رجحت كفتهم واستطاعوا محاصرة الفرنج فارتد الفرنج نحو تل بقرية حطين القريبة يعتصمون به فوقف المسلمون في سبيلهم واشتد القتال بين الفريقين ودافع الفرسان الفرنج الذين اعتصموا بالتل دفاعاً شديداً وردوا المسلمين مرات ولكنهم هزموا في النهاية شر هزيمة واستولى المسلمون على خيمة ملكهم وأسر سائر الأمراء والفرسان الفرنج وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس ورينودي شايتون ومقدم الاسبتارية وعدة كبيرة من الفرسان وأخذ الأمراء والأسرى إلى خيمة السلطان فقتل السلطان بيده رينودي شايتون أو البرنس أرناط وفاء لنذره وجزاء له على غدره المتكرر وجرأته المثيرة في محاولة

قطع طريق الحجاج والسير إلى قبر الرسول بقصد الاعتداء عليه وكان نصراً عظيماً لم يسمع بمثله منذ قدم الصليبيون إلى المشرق وعلى أثر هزيمة الفرنج وسحق قواتهم سار السلطان إلى طبريا واستولى على قلعتها بالأمان ودخلها المسلمون في يوم الجمعة مستهل جمادى الأول وأقيمت بها أول جمعة مذ ملكها الإفرنج وسلمها السلطان لولده الملك الأفضل واستولى المسلمون على عدة من البلاد القريبة مثل الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية وغيرها وزحف صلاح الدين بعد ذلك شمالاً فاستولى على صيدا ثم بيروت وتم هذا الزحف المظفر في أقل من شهر وبدا كالسيل يحمل من يصادره وأخذ سلطان الفرنج في سائر النواحي الباقية يضطرب ويتدعى.

٦ - استرداد بيت المقدس والجهاد المقدس:

وكان صلاح الدين يرمي من حملته قبل كل شيء إلى استرداد بيت المقدس وسحق المملكة الصليبية وإعادة الصلة بين شطري الإمبراطورية المصرية كما كانت قبل الغزو الصليبي، وكان يضطرم فوق هذه العوامل المادية بفكرة الجهاد المقدس والعمل على حماية الاسلام من أعدائه وكان يشعر أن كسرة الفرنج في حطين قد ثلمت صفوفهم وضعضعت قواهم وأنه لا بد أن يتبع نصره بالسير تواً إلى تحقيق غايته فسار في قواته إلى عسقلان لكي يتم عزل بين المقدس عن البحر وطوقها من البر وضربها بالمجانيق ضرباً شديداً حتى سلمت بالأمان في آخر جمادى الثانية سنة ١١٨٧م واستولى على معظم البلاد والحصون المجاورة ثم سار إلى بيت المقدس وكان قد أرسل للأسطول المصري بالخروج إلى مياه فلسطين فخرج بقيادة حسام الدين لؤلؤ الحاجب وكان من أشجع وأمهر أمراء البحر في ذلك العصر وسيطر على تلك المياه وقطع السبيل على سائر السفن الفرنجية التي تحاول الاقتراب من الساحل وأشرف صلاح الدين بجيشه على بيت المقدس في منتصف شهر رجب سنة ٥٨٣هـ ٢٠ سبتمبر ١١٨٧م وكانت تموج بجموع زاخرة من الفرنج الذين قصدوها من سائر البلاد التي افتتحت وقد صمموا الدفاع عنها بكل ما وسعوا وكان منظم الدفاع عن المدينة الفارس باليان دي ايلين تحت زعامة البطريق الأكبر ولم يكن بها أحد من الأمراء الفرنج وليس بها سوى الملكة سيسيل زوجة الملك الأسير جي دي لوسنيان، وضرب صلاح الدين الحصار حول المدينة المقدسة وقد شعر بحصانتها وكثرة المدافعين عنها وضربها بالمجانيق ضرباً شديداً ورد الفرنج فضربوا المسلمين بالمجانيق من فوق الأسوار وقاتلوا أشد قتال وكان الفرنج يخرجون من المدينة من آن لآخر وتنشب بينهم

وبين المسلمين معارك طاحنة ولكن المسلمين شددوا الوطأة على المدينة المحاصرة واستمروا في ضربها بشدة وتمكنوا من نقب السور فلما شعر الفرنج بخطورة الموقف بعثوا وفداً منهم يطلب الأمان إلى السلطان فرفض السلطان بالبداية وذكر الفرنج بما فعله أسلافهم عند افتتاح المدينة من الفتك بأهلها المسلمين وقتل الألوف العزل منهم وأنذرهم بأنه سيفعل بهم مثلما فعل أسلافهم فعندئذ قصد الفارس باليان بنفسه إلى السلطان وأنذره أنه إذا لم تحصل المدينة على الأمان فإنهم أي الفرنج سوف يقتلون أبناءهم ونساءهم ويحرقون متاعهم وأموالهم ويخربون الصخرة والمسجد الأقصى ويقتلون أسرى المسلمين وهم عدة آلاف ثم يرتدون بعد ذلك إلى قتال المسلمين قتال اليأس والموت فعندئذ رأى السلطان نزولاً عند نصح مستشاريه على قبول منح الأمان واتفق على أن يسلم الفرنج المدينة على أن يؤمنوا في أملاكهم وأن يعتبر أهلها أسرى يسمح لهم بالفداء خلال أربعين يوماً على أن يدفع كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسة وكل صبي أو صبية ديناراً ودخل المسلمون بيت المقدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣هـ ٢ أكتوبر ١١٨٧م في نظام وسلام وكان يوماً مشهوداً وفي الحال رفعت الأعلام الإسلامية على الأسوار وأبدى صلاح الدين في تحصيل الفداء منتهى التسامح ولم يدخل خزائنه منها سوى القليل فأذن للملكة سيسيل وغيرها من الأميرات بمغادرة المدينة في حاشيتهن دون فدية وإستوهبه الكثير من الأمراء عدداً من الفرنج واقتسم الأمناء الأموال وكان دخول المسلمين بيت المقدس على هذا النحو السلمي المنزه عن ارتكاب الإثم وإراقة الدماء صفحة مشرقة ناصعة تناقض كل المناقضة ما ارتكبه الفرنج حين دخولها سنة ١٠٩٩م من رائع السفك والإثم والقتل ويصف لنا العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين وهو شاهد عيان مجلس السلطان غداة يوم الفتح في تلك العبارة الغريبة:

((.. وجلس السلطان للهناء وللقاء الأكابر والأمراء والمتصوفة والعلماء وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار بين الفقهاء وأهل العلم جلساته الأبرار ووجهه بنور البشر سافر وبابه مفتوح والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب إلى الله تضرع))، ونستطيع أن نعتبر موقعة حطين من أهم المواقع الحاسمة في الحروب الصليبية كلها دون استثناء لمعرة المنصور ذاتها ذلك أنها مهدت الطريق لاسترداد بيت المقدس وسقوط المملكة اللاتينية الصليبية بعد أن عاشت في قلب الشرق الإسلامي زهاء تسعين عاماً تهدد كيانه ونظمه وميدنته وكانت قاعدة حصينة لحملات الغرب ومشاريعه العدوانية المتوالية وكان سقوطها ضربة للجبهة الصليبية لم تنهض من آثارها وكان مثار فورة جديدة من التعصب والعدوان في الغرب هي التي أسفرت عن تنظيم الحرب

الصليبية الثالثة بيد أن مقدم هذه الحملة الجديدة لم يحول تيار الظفر الذي ملك المسلمون ناحيته ولم تغن جيوش انجلترا وفرنسا وألمانيا التي هرعت في ركابها إلى الأراضي المقدسة شيئاً ولم تستطع أن تسترد بيت المقدس ولا أن تعيد إلى الجبهة الصليبية تفوقها القديم أما في العالم الإسلامي فقد كان لاسترداد بيت المقدس وقع عظيم مقرون بأخلص آيات الغبطة والشكر والعرفان للبطل الذي تحقق هذا النصر العظيم على يديه، وهب صلاح الدين نفسه للجهاد في سبيل الله وإنقاذ الإسلام والشرق من العدوان الغربي وكان سبيله إلى تحقيق هذه الغاية أعظم توفيق، ولم تقف جهوده عند رد الإمبراطورية المصرية إلى سابق تماسكها الإقليمي بل استطاع أن يجمع كلمة الكتلة الإسلامية من جبال كردستان ومشارف آسيا الصغرى حتى الصحراء العربية وأن يعتمد على جهودها الموحدة في رد الصليبيين ورد عدوان الغرب فكانت جيوش صلاح الدين تجمع في صعيد واحد بين المصريين والشاميين والعرب والأكراد والتركمان وغيرهم يشعرون جميعاً بشعور واحد ويعملون جميعاً لغاية واحدة هي الذود عن الإسلام وأرضه وحضارته، كان صلاح الدين بطلاً بلا مراء بل هو من أعظم أبطال الإسلام بفترته وكانت الفكرة الإسلامية تملأ نفسه ومشاعره يضطرم بها ولا يؤمن بغيرها ولم تكن تحدوه في جهاده أية فكرة قويمة أو عنصرية أو إقليمية وإذا كان عدوان الحملات الصليبية يتسم بظاهره بالصبغة الدينية ويرمي إلى مهاجمة الإسلام والقضاء على سلطانه فقد كان صلاح الدين يضطرم بفكره الدفاع عن الحق والذود عن أرضه وتراثه ولم يكن يخفي عليه أن بسحق الحملات الصليبية إنما يقضي على مطامع الغرب الاستعمارية في المشرق وكانت وفاة الملك الناصر صلاح الدين في السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ ٤ مارس سنة ١١٩٣م في السادسة والخمسين من عمره وكانت مشاق السير والحروب المستمرة التي استطالت منذ موقعة حطين زهاء خمسة أعوام قد أثرت في بنيته السقيمة واستنفذت قواه وكان المرض ينتابه خلال هذه الأعوام كرة بعد أخرى ولكنه لم يقعد قط عن متابعة جهوده فكان وقت المعركة يتنقل دائماً بين الصفوف ويتقدم جنده إلى المعمعة ويحثهم على القتال ويذكي هممهم وشجاعتهم بجرأة وإقدام وكان صلاح الدين الذي يتسم بطائفة من أجمل الصفات الملوكية والإنسانية فقد كان وافر الحلم جم التواضع والبساطة متقشفاً في ملبسه وطعامه وافر الجود وكانت الشهامة والفروسية من أبرز صفات هذا السلطان العظيم المظفر وقد رأينا كيف عفا عن الفرنج المدافعين عن بيت المقدس وحقن دماءهم وصرح لهم باقتداء أنفسهم وكان هذا التصرف الذي أملته الشهامة والفروسية من أنبل تصرفات صلاح الدين وأحلها بالمعاني الإنسانية.

وثائق تاريخية جمعها المؤلف بعد طول عناء وجهد

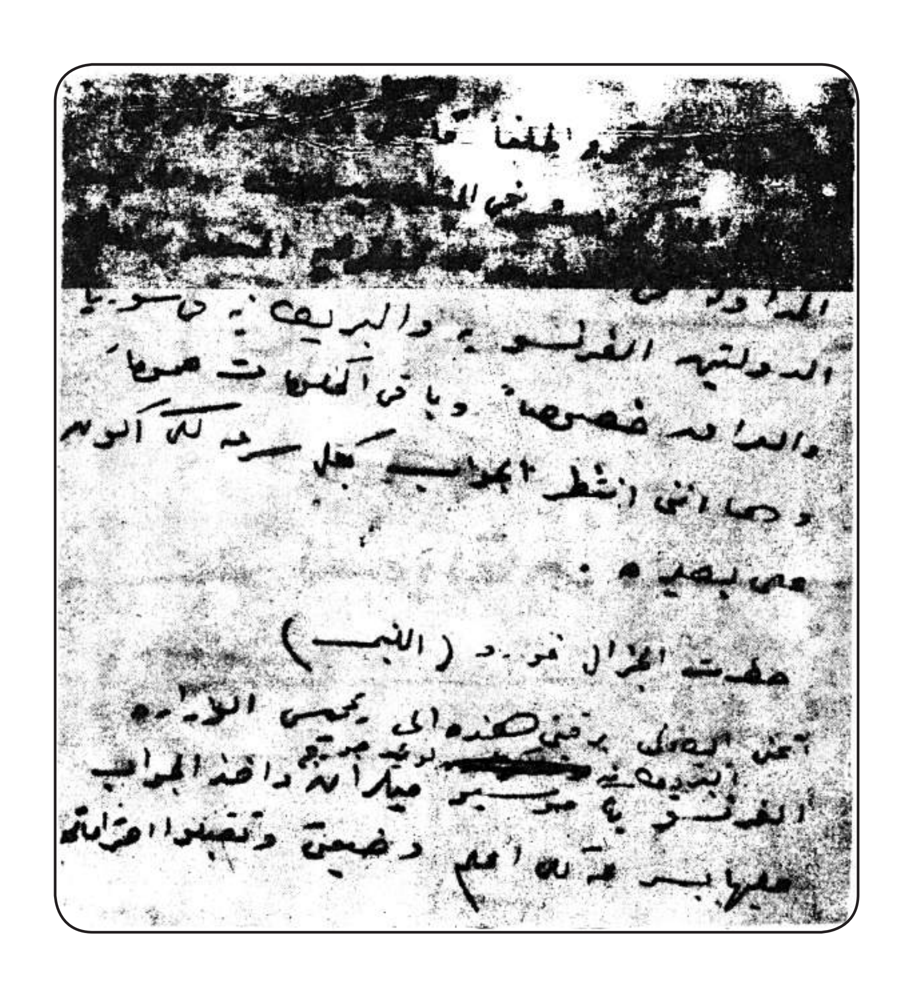
وثائق تاريخية هامة ونادرة جمعها المؤلف بعد طول عناء وجهد

قيادة
الجيوش العربية الشمالية

رقم ١٦٥ س.
تاريخ دمشق في ٢٧/١/١٩٢٠

حضرة صاحب السعادة الجنرال غورو

لقد غادرت باريس بعد ان عقدت النية على تنفيذ الاتفاق الذي جرى التفاهم السريع بشأنه بيني وبين رئيس الوزارة الافرنسية الجنرال المسيو كليمنصو . ولقد اخبرت سعادتكم عن هذه النية اثناء اجتماعاتنا المختلفة في بيروت وعن عزمي الوطيد على مقابلة ما [illegible] ان يعترضني في ذلك السبيل من المشقات التي اشرتم اليها. ورغم انها من الصعوبة بمكان ما رأيت بحمد الله عندما بلغت دمشق وشرعت في تحقيق خطتي السلمية اني بمعونة الله وتوفيقه وعلى رغم ما اعتورني من العقبات الكؤود وعدم موافقة الظروف السياسية لبقاء البلاد تحت الاحتلال العسكري وانتشار الاشاعات المتباينة بين الجماهير من الشعب تمكنت من تسكين الاضطراب في منطقة دمشق باجمعها وسأبرحها الى حلب غدا للقيام بمثل تلك المساعي المحمودة وارجو ان تسفر عن النجاح المقصود لتكون المنطقة الشرقية بأسرها تحت ظلال السكينة والسلام الا انه يعوزنا امر واحد استلفت نظر سعادتكم اليه واعتقد انكم تساعدونني على اتمامه حبا بمصلحة البلاد وعملا بالثقة التي انعقدت اواصرها بيننا منذ تبادلنا الاجتماعات والاحاديث اثناء وجودي في بيروت. واما ذلك الامر الذي اعنيه فهو ان توعزوا سعادتكم للموظفين الافرنسيين بالتفاهم فيما بينهم وبين بعض ابناء البلاد من المذاهب والاختلاف فان ذلك الحلم وسعة الصدر ادعى الى اطمئنان النفوس التي كانت ثائرة بعوامل مختلفة ولا بد من اتقاء [illegible] قبل كسب ثقتها وردها الى حظيرة الالفة والاطمئنان واني لاعتقد ان هذا الامر [illegible] بالتسامح والعطف يؤدي الى افضل ما نترقبه من النتائج الحسنة التي نسعى اليها جميعا واني بعد وصولي الى حلب سأكتب الى سعادتكم واخبركم بجميع ما يتم لي من الشؤون [illegible]
يا صاحب السعادة اذكى تحياتي وتسليماتي .



الدولتين الفرنسوية والبريطانية في سوريا

والعراق خصوصاً وباقي الجهات عموماً

وعليه انني انتظر الجواب

حضرة الجنرال لورد (اللنبي)

والفرنسوية مسيو ميلران واخذ الجواب

وتقبلوا احتراماتي

رسالة بعث بها فيصل إلى لويد جورج وميلران عن طريق اللنبي (على الأغلب في نهاية مارس ١٩٢٠) ردا على دعوة وجهت إليه للسفر إلى أوروبة يشترط فيها التعهد بالاعتراف بوحدة واستقلال سورية بما فيها فلسطين



المرسل إليه

مسودة برقية فيصل إلى ممثل الدول بعد وصول إنذار غورو

(١٤ تموز "يوليو " ١٩٢٠م) يطلب توسط الدول وعصبة الأمم وعدالة البشر



مسودة رسالة فيصل إلى اللنبي (١٨مايو "آيار" ١٩٢٠م) يحتج على الأحكام التي صدرت ضد العرب في فلسطين بعد اضطرابات نيسان "ابريل" ١٩٢٠م وعلى تعيين هربرت صمونيل مندوبا ساميا في فلسطين



التاريخ ٨ آذار سنة ١٩٢٠

إلى اعتاب صاحب الجلالة ملك سورية العربية المتحدة فيصل بن الحسين المعظم
أيده الله بالعز والتوفيق ملكه وعرشه

تذكاراً لهذا اليوم التاريخي المجيد، يوم استقلال سورية العربية المتحدة على يدي جلالتكم، أتجاسر على تقديم النماذج من الطوابع البريدية ذات الخمسة مليمات التي طبعت في دمشق عاصمة الملك وبهمة [illegible] من [illegible] البرقية [illegible] واحتفالاً، رافعاً أكف الضراعة إلى المولى القدير ان يجعل حياة هذه الأمة مقرونة بالمجد الخالد والعز الدائم تحت ظل جلالتكم الظليل، مكرراً الدعاء بتأييد ملككم الزاهي الزاهر وعرشكم الحافظ بجميع أنواع العز السرمدي الباهر يا صاحب الجلالة المعظم.

دمشق: المدير العام للبريد والبرق
المخلص
حسن الحكيم

رسالة حسن الحكيم (مدير البرق والبريد) إلى فيصل تذكارا لإعلانه
استقلال سورية ٨ آذار "مارس" ١٩٢٠ مع نموذج من الطابع البريدي التذكاري

حوادث حوران الدامية

حوادث حوران الدامية

ما كاد الحورانيون يتعالمون نبأ وصول قوى فرنسية جديدة الى بيروت حتى ثار ثائرهم وقامت جموعهم تتنادى الى التظاهر وكانهم رأوا ان التظاهر لايكفي وحده فوزموا نهائياً على الخلاص من هذه الدولة التي تريد ان تفرض نفسها على السوريين فرضا ولم يكفها ماحاق بهامن ويل ونكبات



عطوفة محافظ حوران
حيدر مردم بك

ولم تابه لما انتاب ربوعها من اسرو ارهاق وابتدات المظاهرات بادىء الامر بهدوء وسلام ولكن الفرنسيين الذين اعماهم الحقد واضاع رشدهم الخوف على المغانم التي كانوا ينالونها من هذه البلاد . نقول لكن الفرنسيين لم يستطيعوا امتلاك اعصابهم الخائرة فشرعوا يطلقون الرصاص ويتحرشون بالمتظاهرين وقد استهدفوا قتل النائب فريد بك الهاميد ولكنه لم يصب باذى، وبفضل السياسة اللبقة والقيادة الحكيمة التي اتبعها المحافظ الباسل ونجل الشم الميامين من آل مردم بك* السحب الضابط السياسي اللوتنان كورو مع الضباط والموظفين العسكريين في دوائر الامن

مجلس إدارة جبل لبنان الصادر بإجماع الآراء

من حيث أن جبل لبنان لم يزل منذ القديم وخصوصاً منذ الفتح العثماني في عهد السلطان سليم الأول متمتعاً بحكومة مستقلة تشمل جبل لبنان بحدوده الجغرافية والاقتصادية وقد امتدت في عهد أمرائها كالأمير فخر الدين المعني إلى حدود حيفا وقيصرية ومن حيث أن هذا الاستقلال الإداري ما برح مسلماً به من الجميع بدون منازعة كما يظهر من التعليمات الموجهة من الحكومة المظفرة إلى شكيب أفندي الموقر يخص لتهدئة الأحوال في سورية ١٨٤٥ وبما ١٨٦١ عقب الحوادث التي دبرتها الحكومة التركية أقرت دول أوروبا في مؤتمر بيروت على استقلال جبل لبنان ووضعت مخططاً لا يزال معمولاً به إلى الآن ووضعت تحت كفالتها ((راجع نظام ١٨٦١ و ١٩٦٤)).

وبما أن المندوب العثماني في المؤتمر المذكور وهو فؤاد باشا الشهير قد استفاد من منافسة الدول حينذاك يجعل حق الاستقلال حقاً صورياً فقط بأن فصل عنه من جهة موانئ بيروت وصيدا وطرابلس وملحقاتها وسهول البقاع وبعبدة بما فيه حاصبيا وراشيا من جهة أخرى مما اضطر اللبنانيين إلى التشتت في أطراف المعمورة حتى شكت من كثرة وفودهم واضطرت البلاد أن تسن ضدهم قوانين مخصصة لم تكن كلها ما يوافق كرامتهم ومصلحتهم وبما أن لبنان الحالي لا يقل من ما يقوم بحاجة أهله لمدة شهرين فقط بحيث إذا سُدت عليه موانيه وسهوله المظفرة كان ذلك بمثابة القضاء عليه بالمجاعة بهذه الحرب مما قضى على نصف الأهالي جوعاً وبما أن العمل الذي توخت الدولة سنة ١٨٦١ بقي ناقصاً فإن الذي أقرته الدول هو أن تضمن لجبل لبنان استقلالاً إداريًا واقتصادياً واقعياً لا صورياً ولذلك يجب اتخاذ الأسباب التي تمكن تحقيق الاستقلال المذكور تحقيقاً فعلياً فالآن بمناسبة طرح أماني الشعوب في مؤتمر الصلح العام أعظم هيئة حتى الآن فقد قرر هذا المجلس توجيه كل من داوود بك عمون أحد أعضائه مندوباً أول ومحمود بك جنبلاط الآخر وعداسة بك الخوري ترجمان حكومة لبنان وكل من الأفندية أميل اده وابراهيم بك أبو خط وعبد الحليم الحجار ومندوبين عن جبل لبنان يعرضوا في المؤتمر المشار إليه الطلبات الآتية:

أولاً – توسيع نطاق جبل لبنان إلى ما كان معروفاً به من التخوم تاريخياً وجغرافياً وما تقتضيه منافعه الاقتصادية بحيث يكون بلاداً قادرة على القيام بحياة شعوبها ومنافعهم وثروتهم وبحكومة راقية منظمة.

ثانياً– تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بوساطة رجال من أهله.

ثالثاً- يكون لهذه البلاد اللبنانية مجلس نيابة يؤلف على مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الأقلية وينتخب من الشيوخ ويكون لهذا المجلس حق التشريع ووضع القوانين الملائمة للبلاد وسائر ما للمجالس النيابية في البلدان مساعدة دولة فرنسا للحصول على التمنيات المقدم ذكرها ومعاونتها الإدارة المحلية في تسهيل نشر ذلك.

وثيقة خطية

إلى فخامة القائد العام للثورة السورية من محمد الاشمر إلى اللواء سلطان باشا المعظم

هذه الرسالة تقول:

إلى فخامة القائد العام للثورة السورية اللواء سلطان باشا الأطرش المعظم

المعروض أننا تبلغنا إيعازكم من قبل أبو علي سليم الجرماني بخصوص تخريب الخطوط الحديدية ونسف الجسور فنفرض أن هذا العمل من اعظم الخدمات وهي وأن جميع همنا واهتمامنا تلك الخدمة المقدسة تجاه الوطن المحبوب ونحن الحمد لله بغاية من التوفيق ونطلب من الله أن يديم الله توفيقكم ونجاح جيوشكم الظافرة على الدوام والله المعين على قمع العدو وإنقاذ الوطن من الكفر والظلم والسلام عليكم.

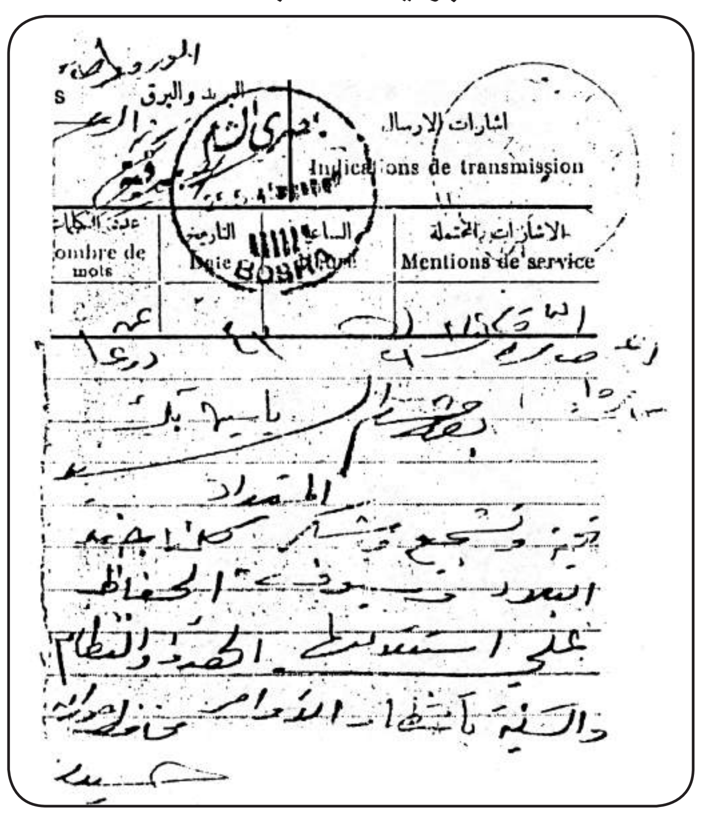
شوال ١٩٤٤

أبو صلاح العرجاوي محمد الأشمر

هذه الرسالة:

هذه الرسالة التاريخية وهذه الوثيقة الخطية القيمة كانت موجهه من المجاهد البطل محمد الأشمر إلى البطل القائد العام للثورة السورية الكبرى المجاهد سلطان باشا الأطرش يخبره فيها أن الثوار الأبطال جند العروبة الأوفياء قد قاموا بتخريب الخطوط الحديدية ونسفوا الجسور وانهم بتنفيذ أوامر سلطان باشا الأطرش بدقة وبروح وطنية عالية. والجدير بالذكر إن هذه الوثيقة محفوظة في منزل الزعيم الوطني عقلة القطامي في خربا.

برقية مستعجلة



البريد والبرق

اشارات الارسال
Indications de transmission

عدد الكلمات Nombre de mots	التاريخ Date	الساعة Heure	الاشارات الخدمية Mentions de service

BOSRA

وصلت برقية مستعجلة عالم ١٩٤٥ إلى ياسين في بصرى الشام من حيدر مردم محافظ درعا يطلب من ياسين المقداد حشد القوات الشعبية والتوجه إلى المدينة درعا من أجل نجدة دار الحكومة التي أنذرها المستشار كورو بالاحتلال حيث وصفها بأنها تحولت إلى ثكنة عسكرية بقيادة حيدر مردم محافظ درعا آنذاك الذي قاد القوى الوطنية وأدخلها في معارك حاسمة مع القوات الفرنسية. وهذه البرقية هي نبض حي من وثائق الماضي إلى جيل الحاضر وجيل المستقبل.

تعليق للمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

قالت صحف الاستعمار أن الرئيس حافظ الأسد طلق الحرب ولم يتزوج السلام ويرد المؤلف احمد محمد عطا اللّه الزعبي مؤلف كتاب ((صور مشرقة من نضال حوران)) أن هذا الكلام هو سموم أفاعي تنضحه الأقلام من العقول الاستعمارية حتى تمنح ورقة الاطمئنان إلى إسرائيل والرد على هذه الصحف المسعورة أن الأحرار لم يطلقوا الحرب قط والأرض محتلة من إسرائيل والاستعمار يعرف تماماً قائد الأحرار حافظ الأسد بأنه ما تخلى عن الجولان وليس هذا المطلب مطلب عدواني حتى يطلب احتلال الجزر البريطانية وإذا أغلقت الأبواب أمام الحل السلمي ولم يبق إلا باب الحرب فلتكن هي الحرب العادلة المقدسة وصحف الاستعمار تذكر جيداً حينما وقف الحلف الأطلسي إلى جانب إسرائيل من أجل ضم الخارطة الجغرافية والسياسية اللبنانية لها بطلب من حكومتها الشرعية أن يخوض حرباً باسلة حتى تبقى شجرة الأرز ناصعاً اخضرارها الحضاري، ثابتة جذورها في الأرض اللبنانية.

وإن اللّه أرسى الأرض بالجبال و أرسى الإنسان بالعقل وأجمل ما خلق اللّه هو العقل انه نور مكنون في علم اللّه والحركات العقلية مربوطة بهذا النور والنور الكامن في عقل القائد العربي حافظ الأسد هو منحة من اللّه من أجل خدمة الأهداف العربية حتى بلوغ النصر والتحرير بإذن اللّه وبرعاية قائد المسيرة الرئيس المناضل حافظ الأسد.

إن الرئيس الأسد منح أوسمة تكريم للمجاهدين الذين تصدّوا للاستعمار الفرنسي وخصص لهم رواتب شهرية لأن الرئيس المناضل حافظ الأسد يعتبر نضال الحاضر هو امتداد لنضال الماضي.



الفصل الرابع

الباب الثاني

الزعيم الخالد جمال عبد الناصر



أخي القارئ ها أنا أضعك وجهاً لوجه أمام الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذي عبّر عن أوسع أبواب التاريخ وعبر منها، عبر عن تاريخ الطلبة وهو طالب، وكان يؤجج الحس النضالي في وجدان الطلبة عندما كان يقود المظاهرات مطالباً برحيل القوات البريطانية عن الأراضي المصرية وعبر التاريخ عندما كان ضابطاً برتبة بكباشي وشكّل خلايا ثورية من خيرة الضباط الأحرار وقاد الثورة في عام ١٩٥٢ بالإطاحة بالملك فاروق راس الفساد والإفساد وارتفع إلى قمة أعظم قيادة عربية وهي أعظم قيادة متحدة بين سورية ومصر وبايعته الجماهير العربية قائداً للجمهورية العربية المتحدة. ولكن الاستعمار وأعوان الاستعمار كانوا معاول هدم على هذه الجمهورية الفتية، وقد غاب بجسده عام ١٩٧٠ ولكنه بقي مشعلاً مضيئاً في وجدان الجماهير العربية وأيضاً بقي بقعة الضوء القادر على تبديد الظلام في نفق العدوان والصورة التي شاهدناها تحكي لنا مراحل حياته، ولا تزال المقولة التي أطلقها جمال عبد الناصر تخترق جدار الصوت فوق سماء إسرائيل وهي: ((..ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة..))

تعليق المؤلف

أحمد محمد عطا الله الزعبي

صور تمثل مراحل حياة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر



رحيل القائد الشهيد جمال عبد الناصر

لقد سكت القلب الكبير الذي أحبته الجماهير العربية في مختلف أقطارها وأحبها وهي في أحرج الظروف التي مرت بها في تاريخها الحديث.

لقد سكت قلب الذي ثبت أمام الأحداث والأهوال بزعزعة الجبال.

سكت قلب الإنسان الكبير والقائد العظيم الذي وسع الأمة العربية كلها وحمل آلامها وآمالها وعاناها بحاضرها ومستقبلها.

أما وقد حسم القضاء ونفذت مشيئة الله لا يسعنا إلا أن نتضرع بالصبر الجميل وأن نعقد العزم على متابعة المسيرة التي بدأها فقيدنا العظيم وأن نعمل جميعاً على تحقيق الرسالة التي آمن بها ووقف عليها كل جهوده ووقته وأعصابه فتقر عينه وهو في عالم الغيب والشهادة.

فباسمي وباسم القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية أتقدم لشخصكم الكريم وللقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة بأحر التعازي لهذا المصاب الجلل، راجياً المولى العلي القدير أن يأخذ بيدنا جميعاً لتحقيق الأهداف التي كان يؤمن بها ويعمل لتحقيقها فقيدنا الكبير، والأهداف التي تصبو إليها أمتنا العربية الصامدة في وحدتها وحريتنا واشتراكيتها.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

أخوكم

الفريق الجوي حافظ الأسد

وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية

قائد عظيم
جمال عبد الناصر

ومجيء قائد عظيم
حافظ الأسد

إذا كانت الأقدار الإلهية طوت صفحة حياة قائد عظيم في عام السبعين وهو جمال عبد الناصر ولكن نفس الأقدار الإلهية وفي نفس عام السبعين فتحت الأقدار صفحة قائد يضمد جراح الأمة العربية بعد رحيل جمال عبد الناصر وتسوق رياح الانتصار من ميدان إلى ميدان وجاء القائد مع القدر.

إنه الصقر العربي الذي هبط على أرض تشرين التي أصبحت أرضاً خصبة ساحات تشرين بعالي الجبين الرئيس المناضل حافظ الأسد.

فهنيئاً لهذه الأمة بقائد المشوار العربي المغوار أبو باسل.

أخي القارئ تعال معي حتى نرى برقية التعزية من الفريق حافظ الأسد بوفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر إلى الفريق محمد فوزي وزير الحربية في الجمهورية العربية المتحدة:

نص برقية التعزية
من حافظ الأسد وزير الدفاع السوري
إلى محمد فوزي وزير الدفاع المصري

الأخ الفريق الأول محمد فوزي وزير الحربية في الجمهورية العربية السورية المتحدة:

بوجوم وذهول تلقينا النبأ المفجع بالراحل العظيم الذي عرف فيه تاريخ القرن العشرين قائداً فذاً في طليعة قادة ثورات التحرر في العالم كما عرفت فيه الأمة العربية قائداً جسوراً ورجلاً مقداماً إذ ما ادلهمت الخطوب واستعصت الأزمات، وعرفت فيه القومية العربية رائداً فذاً ودرعاً من دروعها الأمنية.

الزعيم جمال عبد الناصر تجاوب مع النبض العربي الموحد

فارتفع قائداً بارزاً في الدبلوماسية الدولية

ليس سهلاً الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر، رغم مضي أكثر من ثلاثين عاماً على وفاته ما يزال للرجل حضوره القوي بل والعاطفي لدى شرائح واسعة من العرب على امتداد الوطن العربي وله سحره ما يزال حتى لدى الذين ولدوا بعد رحيله وهم غالبية العرب، وما تزال أساليبه في الحكم والسياسة تثير النقاش الحاد ليس بين مؤيديه ومعارضيه، بل حتى بين مؤيديه أنفسهم.

ليس ثمة دراسات دقيقة للرأي العام العربي إلا أنه من شبه الثابت أن أحداً لم يحرك الشارع العربي كما حركه عبد الناصر. قيل إن تصريحاً له كان بإمكانه أن يطيح بعرش أو يزلزله، ورغم ما قد يحمل مثل هذا القول من مبالغة فهو بمجمله صحيح لا ينكر أحد عروبة مصر ولا ينكر أحد مركزية القاهرة في مجمل الوضع العربي إلا أن هذه العروبة وتلك المركزية بلغتا الأوج في فترة امتدت من منتصف الخمسينات وحتى عام ١٩٦٧ عام النكسة.

قارع عبد الناصر حلف بغداد وحجمه ثم استطاع أن يهزمه إذ قامت ثورة ١٩٥٨م في العراق وكثير من قادتها مؤيد لعبد الناصر. فقد حلف بغداد اسمه بعد ثورة بغداد وانسحابها منه.

اتخذ قراراً مصيرياً عام ١٩٥٦ حين قرر بناء السد العالي ثم حين رأى تأميم شركة قناة السويس لكي يمول بعائداتها بناء السد العالي، أطبقت على مصر جيوش ثلاثة هي جيوش بريطانيا وفرنسا ومعها الكيان الاستيطان الإسرائيلي. هزمت مصر عسكرياً لكنها قاومت ببسالة، واستطاعت تسجيل نصر دبلوماسي بارع بدا وكأنه غطى على الهزيمة العسكرية في عام ١٩٥٦-١٩٥٧، استوى عبد الناصر زعيماً للشارع العربي وكانت سورية في طليعة من قدم له المكافأة، رأى السوريون بإجماعهم أن الوحدة مع عبد الناصر غاية المنى وكان لهم ما أرادوا قامت دولة الوحدة الأولى في التاريخ العربي المعاصر، ارتدى عبد الناصر ثياب صلاح الدين وفي الذهن الشعبي نما شعور متعاظم يتوقع تجديد حطين، وكان لعبد الناصر حضوره المؤثر في الخليج وفي ذكرى عام واحد بعد الانفصال السوري عن مصر ١٩٦١/٩/٢٨ قامت بهندسة متقنة ثورة اليمن ١٩٦٢/٩/٢٦ والتي قدمت نفسها لعبد الناصر هدية ولا أحلى



رغم ما حفلت به الهدية لاحقاً من المذاق إلا أن القدر كان قد حم بثورة اليمن قامت أول جمهورية في شبه الجزيرة العربية وكتب عبد الناصر صفحات رائعة في تاريخ نضال المغرب العربي من أجل استقلاله وحين استقلت الجزائر أخر دول المغرب التي رزحت تحت الاستعمار قدمت الجزائر نفسها هي الأخرى هدية لعبد الناصر كذلك فعل القذافي حين قام بثورة الفاتح. ولعل من الإشارات الرمزية للتاريخ أن عام ١٩٦٤ شهد القاهرة عاصمة لثلاثة مؤتمرات قمة: مؤتمر القمة العربي ومن ثم القمة الإفريقي ومؤتمر دول عدم الإنحياز.. كان نسر صلاح الدين مد جناحاً غطى إفريقيا ومد جناحاً ثانياً فشمل عالم عدم الإنحياز المتغلغل في قلب أوربا عن طريق صديق المسيرة المارشال جوزيف بمروز تيتو.

تجاوب عبد الناصر مع النبض العربي الموحد فارتفع قائداً بارزاً في الدبلوماسية الدولية على نحو أقل أن عرفه قبله أو بعده زعيم من العالم الثالث.

الزعيم الراحل جمال عبد الناصر
وحققت الثورة الإستقلال وطردت الاستعمار

((.. وتم الجلاء..))

لا تولد الثورة بين يوم وليلة، ولكنها تولد أولاً في الصدور نتيجة الظلم والقهر ثم تأتي الشرارة التي تفكها من أسرها فتنطلق كالفيضان الذي يطهر النفوس بقدر ما يغرق الطغاة والجبارين وهكذا كانت ثورة يوليو وهكذا طردت الثورة الاستعمار وحققت الجلاء.. القائد الزعيم الراحل شد وكتب الوثيقة القوية التي وحدت آمال الأمة العربية فكانت العروة الوثقى التي تشد أزر الأمة العربية من محيطها إلى خليجها.. إنه رمز خالد في وجدان الأمة العربية على مر العصور والأجيال العربية.

عقدت عدة جلسات تمهيدية بين الجانب المصري برئاسة محمد نجيب

وجمال عبد الناصر والجانب البريطاني وعلى رأسه السيررالف ستيفسون السفير البريطاني في القاهرة، تبلورت خلالها أفكار كل منها ثم تلتها عدة جلسات من المفاوضات الرسمية بدأت في ٢٧ أبريل عام ١٩٥٣، لم تصل إلى نتائج محددة وتوقفت على أثرها هذه الجلسات في ٦ مايو من نفس العام... ولم يكن أمام قادة الثورة سوى إعلان الكفاح المسلح ضد الإنكليز في منطقة القناة فكانت الضربات مؤثرة أعلنت بريطانيا على أثرها استعدادها لاستئناف المفاوضات مرة أخرى في ١١ يوليو ١٩٥٤م بمساعي الولايات المتحدة الأمريكية.. وكان موقف الحكومة المصرية عظيماً إذ أصرت على ضرورة الجلاء التام رغم المحاولات البريطانية لاستغلال الأحداث الداخلية التي واجهت المسيرة الثورية في بداية عام ١٩٥٤م، وتمسكها بوجوب بقاء بعض الفنيين الإنكليز لتشغيل وصيانة القاعدة البريطانية خلال مدة تنفيذ الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بالأحرف الأولى عام ١٩٥٤ في ١٧ يوليو.

ولم يجد الجانب المصري غضاضة في بقاء هؤلاء الفنيين المدنيين تحت السيادة المصرية وتم التوقيع النهائي عليها في ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤م.

ورغم الهجوم والنقد الشديدين الذي قوبلت به في المحيطين الداخلي والخارجي فإنها أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أنها كانت خطوة حاسمة ومصيرية في تاريخ النضال الوطني المصري في العصر الحديث.

التصميم على تحقيق الجلاء وبدء المفاوضات:
جمال عبد الناصر

كان تصميم الضباط الأحرار على تحقيق الجلاء من أول أهدافهم منذ تحركهم ليلة ٢٣ يوليو لتغيير الأوضاع المتردية في البلاد وإنهاء فرض الوصاية الأجنبية على مصر ممثلاً في الاحتلال البريطاني وقواته الرابطة على أرض القناة. وقد بدأ هذا الاتجاه الوطني واضحاً منذ البداية أمام الثوار الذي آمنوا بإنهاء حتمية حل مشكلة السودان أولاً حتى يتمكنوا من توحيد جهودهم على مائدة المفاوضات مع بريطانيا لتحقيق الجلاء الكامل.

وقد ظلت مطالبهم بضرورة الجلاء تسير جنباً إلى جنب مع مفاوضات السودان ولكن بطريقة غير رسمية مع الجانب البريطاني فبعد قيام الثورة بشهرين فقط

وعندما كانت مفاوضات السودان في بدايتها أعلن جمال عبد الناصر بشكل كامل واضح موقف مصر من قضية الجلاء في حديث صحفي قائلا:

((إنّ الاِستعمار البريطاني لمصر آن له أن ينتهي ولا يمكن أن تكون له نهاية إلاّ بجلاء غير مشروط لكل القوات البريطانية.. وإنّ مصر سوف تكون على استعداد للمفاوضات بشأن الجلاء بأقصى قدر من حسن النية، ولكنها في اللحظة التي تشعر فيها أن المفاوضات لم تصل بها إلى نتيجة فإنها سوف تحمل السلاح وتقاتل مهما كان الثمن...)) وأمام هذه اللهجة الوطنية التي تحمل تأكيداً واضحاً على ضرورة الجلاء لو بالقوة قدّم السفير البريطاني رالف ستيفنسون احتجاجاً على هذه التصريحات قائلاً: إنها تفسد جو الثقة المتبادلة المطلوبة لإنجاح مفاوضات السودان وأيّ مفاوضات أخرى تليها.

وأكد جمال عبد الناصر على ((أنّ أول أهداف مصر هو الجلاء بدون أيّ قيد أو شرط على الاِستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل وأنّ مصر لن تساوم في حقها الطبيعي في الجلاء الناجز ولا بدّ لنا من تحرير أرضنا..)) لكن كان رأي جمال عبد الناصر أنّ الأمور لم تعد تحتمل جلسات تمهيدية، ومع ذلك فلا مانع من عقد جلسة أو جلستين غير رسميتين للاتفاق على أسلوب التفاوض، ثم تبدأ بعد ذلك جلسات المفاوضات الرسمية بشرط أن يتحدد قبلها موعد المفاوضات الرسمية ويعلن هذا الموعد مع إعلان تشكيل الوفدين وإعلان تفويضهما من حكومتيهما.

وركز جمال عبد الناصر على أن لا بدّ أن تكون الخطوة الأولى هي الاتفاق على المبادئ الأساسية للاتفاقية ثم تدور مفاوضات رسمية تفصيلية من خلال لجان فنية مشتركة لإتمام الاتفاق على التفصيل.. وكان رد جمال عبد الناصر أنّ موضوع الدفاع المشترك قضية أخرى منفصلة وليست بنداً من بنود الجلاء لأن مصر أوضحت أن لا ربط على الإطلاق بين الدفاع والجلاء.

وبدأت المفاوضات الرسمية بين الجانبين البريطاني والمصري في يوم الاثنين ٢٧ أبريل عام ١٩٥٣ م وكان الجانب المصري قد انتهى إلى اعتناق سياسة موحدة ونهائية تجاه الموقف المعلق بين البلدين تقوم على عدة أسس:

أولاً: الجلاء دون قيد أو شرط ضرورة حتمية لتحقيق سيادة الشعب المصري على أراضيه كمبدأ أساسي تزول مقتضاه كلّ الخلافات القائمة مع بريطانيا ولا بد من الاتفاق مبدئياً على تحقيقه كخطوة أساسية للاستمرار في المباحثات.

ثانياً: القاعدة العسكرية بالقنال يجب أن تظل مصرية، تقوم القوات المصرية بصيانتها والمحافظة عليها والدفاع عنها.

ثالثا: مصر لا تعترف أنّ خروج القوات البريطانية من القناة سوف يترتب عليه وجود فراغ في منطقة الشرق الأوسط.

رابعاً: لا يصح تعميم مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط فالذي يهم مصر هو استقلالها فقط والدفاع عن أراضيها. كما أن توقيعها لميثاق الضمان الجماعي العربي كامتداد للمواثيق الدولية يكفي لضمان أمن هذه المنطقة من العالم، وسوف تعمل على تقوية هذا الميثاق والتعاون مع الدول الشرقية بصفة عامة لصيانة وحفظ الأمن الدولي. وقد بدأ الجانب البريطاني كما هو متوقع يثير العقبات مردداً نفس النغمة القديمة في مفاوضاته السابقة عن أهمية قناة السويس الإستراتيجية لبريطانيا وكذلك أهميتها الكبيرة لمجموعة دول الكومنولث.

وأصر الجانب المصري على أن يكون بقاء الفنيين البريطانيين بالقاعدة مرهوناً بتدريب الفنيين المصريين الذين يحلون محلهم وحتى يتم تمصير القاعدة نهائياً من حيث السيادة والملكية والحيازة والإشراف وتعثرت المباحثات في الأسس التي تحقق للشعب المصري سيادته على أرضه وأعلن جمال عبد الناصر أنه: ((لا داعي لأن نغرق في تفصيلات دون هدف متفق عليه)) فقضية مصر ليست بالقناة فإننا سنواجه الموقف بقوة لحماية أنفسنا دون مساعدة الولايات المتحدة أو غيرها ونحن في انتظار بدء المفاوضات من جديد مع مصر. وخلال النصف الثاني من عام ١٩٥٣ لم يتم إحراز أيّ تقدّم يذكر نحو استئناف المفاوضات مرة أخرى وسارت الأمور عكس ما تشتهي بريطانيا إذ أعلن البكباشي جمال عبد الناصر تعليقاً على الهجوم الذي شنه بعض أعضاء حزب المحافظين على مصر ليعلم هؤلاء أن مصير مصر أصبح في يد أبنائها وأن الاثنين والعشرين مليون مصري قد قرروا بإصرار استكمال حرية بلادهم واستقلالها أو أن يموتوا عن آخر رجل فيهم دون تحقيق ذلك الهدف السامي.

وأكد عبد الناصر على أنه: ((إذا أخفقت بريطانيا في الاعتراف بحقوق مصر كاملة فإنه سيتحتم على البريطانيين الرجعيين أن يعدوا أنفسهم لمواجهة كفاح شعبي منظم يضم الملايين من المصريين الذين سيقومون قومة رجل واحد للذود عن استقلال بلادهم وحريتها))

إزاء هذا الموقف اتجهت نية حكومة الثورة إلى الضغط على بريطانيا بطريقة عملية ففي يوم ٢٩/نوفمبر ١٩٥٣أصدرت الحكومة قراراً يحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع القوات البريطانية المرابطة في منا طق القناة إلا بترخيص مسبق من وزارة التموين.

وجرت اتصالات مصرية عربية بهدف عقد اجتماع لمجلس الجامعة العربية بالقاهرة

استقر الرأي على موعده النهائي في شهر يناير ١٩٥٤م انتظاراً لما تسفر عنه الاتصالات القائمة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية التي خشيت من اتخاذ الدول العربية قرارا جماعيا بالحياد التام بين الكتلتين الغربية والشرقية يؤثر بلا شك على مستقبلها.

وبعد أن توقفت المباحثات بصفة رسمية في ٦مايو عام ١٩٥٣اتخذ قادة الثورة موقف الصلابة والقوة وتشديد الضغط على بريطانيا حتى تكف عن أساليب المماطلة كانت خطب قادة الثورة تتضمن كلها تهديدا صريحا لبريطانيا بضرورة استئنافها للمفاوضات بشروط مصر، وأعلن جمال عبد الناصر في زيارته لبور سعيد في أغسطس ١٩٥٣م إننا نكون جيشا كبيرا يضم كل سكان مصر وسوف نوزع عليهم جميعا السلاح ونقوم بتدريبهم ولن يستطيع المستعمر أن يبقى في بلادنا إلا بعد القضاء عليهم جميعا.

ومن المعلوم أن حركة الكفاح المسلح بالقناة لم تتوقف منذ ما بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في أكتوبر ١٩٥١ لكنها كانت حركة غير منظمة كما أن حكومة الوفد الأخيرة لم تتبناها بصفة رسمية حتى لا تثير عداء بريطانيا ولكنها ساندتها وتعاطفت معها بلا شك.

ومن الواضح شدة العمليات الفدائية المصرية أفقدت القيادة العسكرية والسياسية البريطانية توازنها مما جعلها تفكر في اتخاذ خطوات عملية يتمخض عنها قرار سياسي موجه ضد مصر وهذه الخطوات تتمثل في إجلاء الرعايا الإنجليز من القاهرة والإسكندرية وتخزين المواد الغذائية في منطقة القناة حتى تتجنب مغبة الحصار الذي فرضته الحكومة المصرية على توريد المواد الغذائية إلى قواتها وكانت خطة المقاومة المرسومة تعتمد على تعطيل الملاحة في قناة السويس والاشتباك مع القوات البريطانية الزاحفة إلى داخل البلاد في حرب العصابات، وخوفاً من لجوء القيادة البريطانية إلى عزل منطقة القناة عن باقي الأراضي المصرية عزلاً تاماً فقد استلزم ذلك تموين كميات كبيرة من السلاح والذخيرة في سراديب ومخازن سرية بمناطق القناة وتخومها لإمداد الفدائيين بها عند الحاجة وكان أمام الوطنيين القائمين على مهام الحرب التحريرية عن طريق الكفاح المسلح أن يحققوا أهدافهم بالوسائل التالية:

أولاً: الحصول على معلومات وذلك لمعرفة تشكيلات القوات البريطانية بمعسكرات القناة وإعدادها وتسجيلها وتنظيمها وتقرير المخابرات البريطانية وما إلى ذلك من معلومات حيوية عن الأهداف المهمة داخل القاعدة لنجاح عمليات المقاومة. وتمكنت المخابرات المصرية عن طريق هذه الشبكة من الحصول بصورة منتظمة


رجال الثورة جعلوا التحرير أهم أهدافهم

على صور من جميع تقارير المخابرات البريطانية مما ساعدها على وضع الخطط الفدائية الناجحة التي أتت بنتائج باهرة وعن طريق الحصول على تقارير المخابرات البريطانية بصورة شبه يومية إلى المخابرات المصرية تم استبعاد الفدائيين المصريين عن المنطقة الذين عرف الإنجليز أسماءهم، كما تمكنت المخابرات المصرية من معرفة أسماء الجواسيس والخونة المتعاونين مع قوات الاحتلال فقامت بتصفيتهم عن طريق اعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة. وهكذا استطاعت المخابرات المصرية أن تجمع معلومات عسكرية ذات أهمية كبيرة عن القوات البريطانية واستخدامها لجنود أفارقة من الموريشان وشرق ووسط أفريقية لتدعيم قواتها وحمايتها واستبعاد الأفارقة عن حركات التحرر الوطنية ببلادهم وقد بلغ عددهم حوالي خمسة عشر ألف جندي..

ثانياً: وكان لهذه الحرب نتائج باهرة تفوق في بعض الأحيان العمليات المسلحة لما لها من تأثير هدام على الروح المعنوية للإنجليز المحصورين بين الأسوار وسط شعب يرفض وجودهم على أرضه وقد تسببت هذه الحرب في حدوث العديد من حالات الانتحار والانهيار العصبي لانتشار روح القلق وعدم الاطمئنان بين ضباط وجنود القاعدة على أنفسهم وعلى أسرهم بوطنهم، فقد انتحر أربعة أفراد وعثر على خطاب بملابس أحدهم يعترف فيه بأنه انتحر لسوء الحالة داخل المعسكرات. وزادت حالة التمرد والعصيان ـ وهي جناية عسكرية من جانب أفراد تلك القوات برتبهم المختلفة مما استدعى تقديم أسئلة واستجوابات من أعضاء البرلمان البريطاني لوزير الحربية البريطانية الذي بادر بزيارة منطقة القناة في منتصف عام ١٩٥٢م للوقوف بنفسه على

هذه الأحوال المضطربة.

ورغم المحاكم العسكرية التي كانت تنعقد لمعاقبة هؤلاء المتمردين، فإنّ أعدادهم صارت تزداد يوماً بعد يوم نتيجة للتخطيط المحكم والمدروس من جانب الحكومة المصرية منذ بدء العمليات الفدائية حتى توقيع اتفاقية الجلاء.

كذلك كان من بين الأسباب والأساليب المؤثرة في تلك الحرب النفسية ذلك القرار الذي اتخذه فرع المخابرات المصرية بالإسماعيلية بمنع دخول الصحف اليومية إلى داخل المعسكرات مما دعا القيادة البريطانية والسفارة الإنجليزية إلى أن تبذل مساعيها لدى الحكومة المصرية بدخول الصحف لمعسكراتها في القناة.

وأنشأت محطة إذاعية سرية في فايد تذيع على الجنود والضباط الإنجليز باللغة الإنجليزية أنباء معسكراتهم وترقياتهم وإرسال التهاني إليهم في المناسبات السارة وتقوم بشرح وجهة نظر مصر في مشكلة القناة وتقارن بينها وبين وجهة النظر الاستعمارية الإنجليزية وقد تشدد القادة الإنجليز في منع الاستماع لهذه الإذاعة المصرية لما لها من تأثير واضح على أفكارهم.

الزعيم الراحل جمال عبد الناصر
عالم جديد مبني على العدالة والسلام

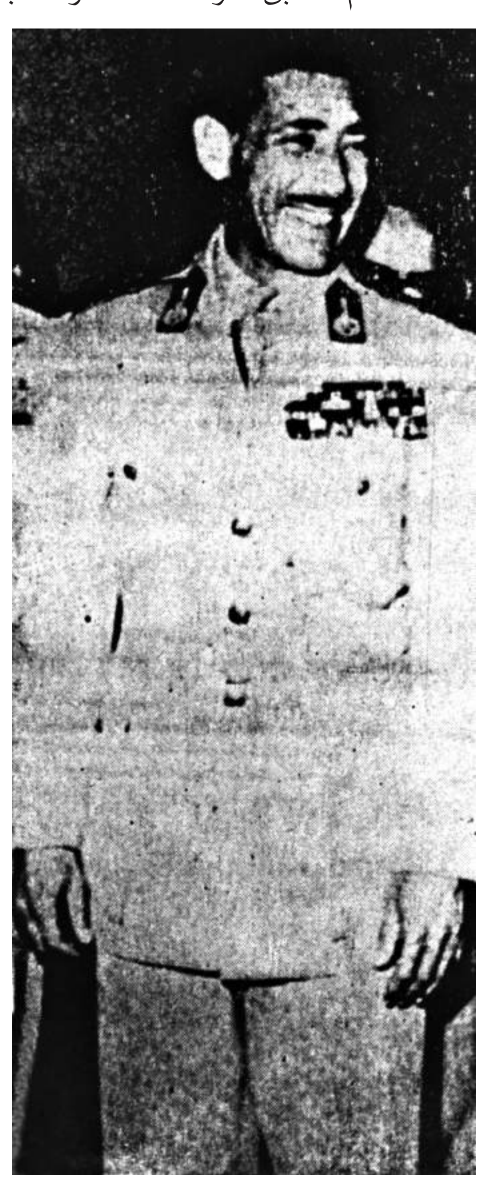
لقد تمكن جمال عبد الناصر من تنبيه الشعب المصري إلى مكانته ودوره في وسط أمته ثم قاد الأمة العربية بكل شعوبها إلى لقاء حرّ وخلاّق مع حركة الشعوب والأمم المتطلعة إلى الحرية والرافضة للسيطرة والتواقة إلى التقدم الحضاري الأصيل. ثم تمكن في النهاية - بالإسهام عن غيره من القادة المناضلين في العالم النامي من أن يجعل هؤلاء القادمين إلى الساحة الدولية طرفاً مؤثراً في تشكيل أوضاع العالم ومصائره وقيمه وإنجازاته وخططه وآماله في مرحلة بالغة الخطورة والأهمية في التاريخ الإنساني.

والأهمية التاريخية لجمال عبد الناصر تتمثل في أنّه جاء إلى المخزون المحبوس بالقهر والكبت من آمال أمته، فإذا هو يطلقها من إسارها ويحررها من عقد الخوف والتبعية، ثم إنه بعد ذلك وفي كلّ قراراته تفاعل مع النتائج المتفجرة من مخزون الآمال الحبيسة وعبر عنه وقاد انفعاله واندفاعه. إنّ نقطة البداية هي أنّ الثورة استفادت ولا شك من أجل تجديد المشروع الحضاري النهضوي العربي ومن ظروف إنسانية وعالمية خاصة هيأت المسرح لمشهد عظيم ومرحلة مشرقة!.. ثم كانت هناك جماهير عريضة متأهبة ولديها طاقات مختزنة وآمال واسعة واستعدادات نضالية متأثرة بأحداث الصراع العالمي الكبير الذي لم تشهد له نظيراً من قبل. ثم جاءت التطورات والضرورات إلى المسرح برجل تاريخي على استعداد للعطاء حتى إذا كان العطاء حياته ذاتها وفي قطر عربي له دور تاريخي وفي ظروف تحديات تاريخية على المستويات العالمية والإقليمية والقومية.

إن الحقيقة التي أدركها جمال عبد الناصر وأعطاها جهده وحياته هي نفسها الحقيقة التي تجلت في كل الرسالات الكبرى، ولدى كل الرجال الذين تصدوا لمهام التاريخ وتحدياته وجوهرها الرقي بالإنسان والعمران وتحقيق العدل والكرامة وفتح أبواب الأمل متسعة باستمرار أمام أجيال تتصاعد تطلعاتها. إن تقدير هذا الدور وإبقائه ملهماً ومحفزاً هو الذي دفع بعض الذي يشغلهم ويلح عليهم مستقبل الأمة وضروراته المادية والمعنوية والفكرية إلى جعل هذا الزعيم الراحل مثلاً يحتذى به في إنشاء عالم يسوده العدل وتسوده الإنسانية وشعاره الكرامة.

بيان في إذاعة الشرق الأوسط ـ صوت العرب

بيان في الساعة التاسعة من مساء يوم الجمعة الواقع في ١٥ أيلول ١٩٦٧ قطعت إذاعات الجمهورية العربية المتحدة (القاهرة ـ صوت العرب الشرق الأوسط) برامجها لتعلن نبأ وفاة المشير عبد الحكيم عامر، القائد العام السابق للقوات المسلحة والنائب الأول لرئيس الجمهورية سابقاً، نتيجة لتناوله مادة سامة ذات مفعول سريع.



وقد أذيع النبأ في بلاغ مفصل أعدته وزارة الإرشاد القومي وفيما يأتي نصه:

((وقع أمس حادث يدعو إلى الأسف والألم إذ أقدم المشير عبد الحكيم عامر على الانتحار بابتلاع كمية كبيرة من مواد مخدرة وسامة، رغم كل الإسعافات الطبية العاجلة فإنه أصيب أمس بانهيار مفاجئ نجمت عنه وفاته وكان المشير قد دعي بعد ظهر يوم الأربعاء لسماع أقواله في التحقيقات العسكرية التي جرت أخيراً. ولكن المشير بدلاً من أن يخرج للإدلاء بأقواله في التحقيق، دخل إلى حجرته في الجيزة وابتلع كمية من مادة سامة، وحينما بدت أعراض التسمم على المشير قام الفريق أول فوزي والفريق رياض باصطحابه إلى المشفى.

كانت نتيجة المادة التي حاول المشير الانتحار بها أنها مخدر سام خطر، وقد ابلغت جهات طبيّة بإجراء هذا التحليل كل من أخصائي السموم مقدم مكلف كيميائي صلاح عبد الغني عيد من المعامل المركزية بالقوات المسلحة وطوال يوم الخميس كانت حالة المشير تتقدم باطراد. ثم استاءت حالة المشير عبد الحكيم عامر فبدأ على الفور بنقله إلى غرفته وبدأ في اتخاذ إجراءات إسعاف سريعة كما طلب أخصائياً وعربة إسعاف من مستشفى المعادي.

ولكنه كان من الواضح هناك أن حالته تتفاقم بسرعة حتى فارقته الحياة تماماً في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم ذاته.

وقد أبلغت السلطات المختصة بما وقع فانتقل وزير العدل السيد عصام حسونة ليشرف بنفسه على التحقيق الذي كان يقوم به النائب العام السيد محمد عبد السلام وعدد من مساعديه يتقدمهم رئيس نيابة الجيزة.

كما دعي وكيل وزارة العدل لشؤون الطب الشرعي الدكتور عبد الغني سليم البشري ومعه أستاذ الطب الشرعي بجامعة القاهرة الدكتور علي عبد الغني وأستاذ الطب الشرعي بجامعة عين شمس الدكتور يحيى شريف.

وقد أظهر الكشف الأول أن المشير عبد الحكيم عامر كان يخفي أقراصاً من مادة سامة في شريط لاصق بجسمه، الأمر الذي ظهر أنه عاود محاولته الانتحار عندما قصد إلى الحمام في الساعة السادسة والربع من المساء.

ويجري الأطباء الشرعيون الآن تحليل هذه المادة لكي يقدموا تقريرهم كاملا إلى وزير العدل.

وكان المستشار عبد الجواد عامر، شقيق المشير عبد الحكيم عامر، قد دعي بوصفه أكبر أفراد الأسرة إلى الحضور كما توجه رئيس مجلس الأمة السيد أنور السادات وظل مع الجثمان حتى تمت كل الإجراءات لنقله إلى مدافن الأسرة بأسطال بمحافظة المنيا حيث جرى تشييع الجنازة.

وفاة المشير عبد الحكيم عامر



في الرابع عشر من شهر أيلول عام ١٩٦٧م، مات في أحد مستشفيات القاهرة المشير عبد الحكيـم عامر، النائب الأول لرئيس الجمهورية

❖ المشير متزوج وله أربعة أولاد. وأحد أشقاء عبد الناصر متزوج منذ بضع سنوات من أحدى بنات عامر كما أن الرئيس عبد الناصر أطلق على أحد أنجاله اسم عبد الحكيم تيمناً باسم المشير.

❖ اشتهر المشير بغرابة الأطوار. فقد غضب بسبب مستوى اللعب في مباراة بكرة القدم في كانون الأول ١٩٦٥ بين لاعبين من الهواة في النادي الأهلي.
وقيل أنه أمر اللاعبين بالتدرب في الجيش كما هددهم بخسارة وظائفهم المدنية أن هم رفضوا ذلك.

❖ نحي المشير عامر عن منصبه كنائب أول للرئيس عبد الناصر وكنائب للقائد العام للقوات المسلحة أثر نكسة ٥ حزيران الماضي، كما نحي معه عدد من الضباط باعتبار أنهم شركاؤه في المسؤولية.

❖ بقي المشير في منزله منذ ذلك الحين وحتى ٢٧ آب عندما تبين أنه تزعم حركة، التف حولها بعض الضباط، تهدف إلى إعادته إلى منصبه العسكري.

❖ ظل المشير قيد الإقامة الجبرية حتى يوم إعلان وفاته انتحاراً.

❖ لم يجرد المشير، رغم تنحيته من لقبه العسكري.

بداية الصداقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر



بداية صَداقة

لا شك في أن العالم بأسره يعرف أن أبرز ما كانت تتميز به شخصية المشير عبد الحكيم عامر صداقته العميقة للرئيس جمال عبد الناصر، كان صديق شبابه، وصديق سلاحه، وصديق كفاحه.

وعلى الرغم من كل ما أقدم عليه المشير في نهاية حياته بحق صديقه، فإن هذا الصديق، بكاه في مجلس الوزراء ورثاه بكلمات قليلة معبرة عندما قال:

((إن علاقتي بعامر كانت أكثر من علاقة الأخ، وان واحدا من اخوتي لم يكن قريباً مني بمثل ما كان عبد الحكيم عامر)). فكيف بدأت صداقة الرجلين؟ وكيف توطدت على مر السنين؟ إن أكثر الناس تقرباً من الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عامر هو السيد أنور السادات، رئيس مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة الذي يروي، هنا، القصة الكاملة لهذه الصداقة منذ بدايتها في عام ١٩٤٢:

(أشعل جمال عبد الناصر الجذوة، وان كانت هذه الجذوة لم تفتأ مشتعلة بأيدينا نلهب بها سواد الأعوام المظلمة. فقد ظل جمال مراقباً لهيبها، مسجلاً لانتصاراتها، مستفيداً من تجاربها)

(وكان في صمته، خلال نقله إلى السودان وبعد عودته من هناك، ما يعد لجذوة أخرى لا يظهرها ضوء، ولا يفرغ زيتها. جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار، لكن تضيء الطريق.)

(وفي خلال الأعوام التي كنا نظهر لنختفي، ونختفي لنظهر، كانت عينا جمال الفاحصتان تبحثان عن الرجال والأعوان. ولعل انتصاره الأول في هذا الميدان كان لقاءه لعبد الحكيم عامر. وبهذا اللقاء، يبدأ التمهيد للثورة.)

والسودان الذي يهرع اليوم شقيقاً للقاء مصر، وتهرع مصر للقائه جذلي، كان في تلك الأيام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش. ولا يسألن أحد: لماذا كان السودان منفى؟ فهكذا كان مع العريش والصحراء الغربية وكل بقعة ما خلا القاهرة والإسكندرية.

وفي الجيش كان جمال عبد الناصر ضابطاً صغيراً مغضوباً عليه. إذ من أيام طويلة قامت ثورتنا على الأوضاع وعلى البعثة الإنكليزية، وعلى اللواء عزيز المصري الذي كنا نسميه ((السلطان عبد الحميد)). ومنذ تلك الأيام المجيدة من أعوام الشباب كسب جمال كراهية القومندانات وحقدهم وتحينهم الفرصة كي يؤذوه ويكيدوا له.

وكان معروفاً أن الكتيبة الثالثة ستتحرك إلى السودان. وعندما يقترب رحيل كتيبة إلى السودان، يرسلون إلى الكتائب الأخرى في أنحاء الديار، كي تبعث إليهم بأسماء ((المغضوب عليهم)) من ضباطها الذين يساقون، من ثم، إلى المنفى عند الرحيل.

لكنه لم ينتظر أن ترسله كتيبته إلى المنفى، إنما سارع بنفسه يقدم اسمه، ليكون بين الراحلين. ودهش إخوانه لهذا التصرف. وكانوا يحبونه، ويحبون أن يبقى بينهم. لكنه كان رسم لنفسه طريق السير، كأن قوة مجهولة تدفعه دفعاً إلى زيارة شطر الوادي الحبيب، واستقراء الحقيقة فيه.

وكانت الكتيبة الثالثة التي تتهيأ للرحيل، لا تزال في المكس في الإسكندرية، وعلى جمال أن يمضي إلى الإسكندرية، ليلتحق بها، ثم يرحل معها إلى أرض الجنوب.

وفي ليلة السفر إلى الأسكندرية، تلاقى الملازم جمال عبد الناصر والصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته، ومن أصدقائه المخلصين، وسأله:

- أترحل غداً ؟..

- بأذن الله.

- هل تعرف أحداً من الضباط هناك ؟..

- أبداً.

- اسأل إذن عن الملازم عبد الحكيم عامر، وتعرف إليه. (ولعل هذا كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار، إليه، عن عبد الحكيم.)

ولم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس السطحية البسيطة، ولم يتوقع قط أن يكون عبد الحكيم، هذا، صديق عمره ورفيق جهاده الكبير.

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الأول بعبد الحكيم شيئاً، لكن عبد الحكيم هو الذي يذكر:

(يذكر أن نبأ وصول جمال إلى الإسكندرية كان قد سبقه إليها.)

(ويذكر انه قام من فوره، وذهب يستقبله كصديق أو زميل جديد.)

(ويذكر أنه قدم إليه نفسه، ثم قدم له كل التسهيلات المستطاعة.)

(ويذكر أيضاً أن جمال كان "قرفاناً" وانه قابل صنيعه شاكراً. لم يبد عليه أثر للتوصية التي كان يحملها من الصاغ نصار.)

جمال عبد الناصر شديد التحفظ:
عبد الحكيم شديد الاندفاع

وقد تسجل الأيام أن لقاء عبد الحكيم وجمال تم في ذلك النهار، في الإسكندرية.

لكن اللقاء، لم يكن ليذكر لم يكن هو الحقيقي بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك كثيراً في حياتهما واللذين ارتبطا معاً بأقوى ما يرتبط به صديقان، عقلاً وقلباً وكفاحاً مشتركاً.

أما اللقاء الحقيقي، والتعارف الكامل، فبدأ في الخرطوم حيث عاشا معاً وعرف كل منهما الأخر.

لكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف يوماً أو اثنين، ولا في أسبوع أو أسبوعين.

فقد كانا نقيضين: جمال شديد التحفظ، وعبد الحكيم شديد الاندفاع.

جمال هادئ الأعصاب دائماً، مهما حدث، ومهما رأى، وما أكثر ما كان يرى مما يشقي النفس الأبية. وعبد الحكيم سريع الانفعال، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء.

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم، في هدوئه، وصمته، واتزانه البالغ، قد لا يصدقون هذا الكلام، وينكرون هذه الصورة.

ليلة لا ينساها جمال وعامر

كان الرجل ولوعاً بالشراب، ما يكاد المساء يقبل، حتى يعد عدته لسكرة تذهب بعقله، وتريه نفسه أسداً هصوراً يملأ زئيره الفلوات.

ولم يكن يحب الشراب وحده، ولم يكن ليظفر بفرصة الشراب مع الإنكليز. فكان الحل الطبيعي عنده أن يأتي بضباطه، مأمورين، وان يكلفهم مجالسته كلما جاء المساء.

((وتصوروا، شراباً بأمر القائد، وفي مجلس الأسد الهصور.))

لقد كان الضباط جميعاً، حتى الذين يعاقرون الخمر منهم، يضيقون بهذا التكليف الثقيل.

ولكن جمال، لم يكن ليضيق فقط، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم ويفسد على القائد مجلسه

وماذا يستطيع أن يصنع، وقد امتنع عن المشاركة في الشراب، فصدر إليه الأمر بالمجالسة

وكان ليلة لا ينساها جمال، ولا عبد الحكيم، عندما حاولا أن يتركا مجلس القائد فرفض هذا وزمجر وقام إلى أبوابه فأغلقها، وتلفت جمال حوله، وانتظر حتى تناول القائد كاسين أو ثلاثة وطفق يصول في المكان ويزأر.

ثم أشار إلى عبد الحكيم وقفز من النافذة وقفز عبد الحكيم خلفه وتبعهما الضباط جميعاً.

ولا ينفع صراخه ولا زئيره. فبعد دقائق كان الضباط جميعا قد استقروا في إحدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا، ويضحكون.

والذي لم يضحك تلك الليلة هو القومندان المهيب. ومنذ الصباح التالي، بدأت حرب باردة بين القومندان وجمال وعبد الحكيم. وفهم أنهما كانا رأس الحربة التي فتحت الثغرة في نافذة دارة.

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه في هذه الحرب، حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما، لأن عبد الحكيم مضى إلى القاهرة ليلتحق ((بفرقة)) دراسية من فرق الجيش. وادرك القائد أنه لم يعد أمامه سوى جمال، وان جمال وقد أصبح وحده، لن يجد من يشاركه في معاركه، ولكنه لم يلبث أن نكب في فطنته، إذا استمرت الحرب الباردة وزادت فنونها.

وفي يوم إصدار القومندان أمره بنقل جمال إلى جبل الأولياء، ليستريح منه.واستراح فعلا ولم يره بعد ذلك قط.

وأتم عبد الحكيم فرقته وعاد إلى الخرطوم. فلم يجد جمال، بل وجد أركان حرب الكتيبة يسألونه في حذر:

_ ماذا بينك وبين القومندان ؟..

ويجيب عبد الحكيم في حذر أيضاً:

_ لماذا ؟..

(فيسر إليه أركان الحرب، أن القومندان لم يكد يعلم بنبأ عودته، حتى استشاط واصدر أمره بنقله إلى كسلا.)

خطة عامر الماهرة

وكان قد تناهى إلى عبد الحكيم أن جمال نقل قبله إلى جبل الأولياء، وأن القومندان يريد التخلص منه أيضاً.

وعبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيداً، ويعرف أن هذا النقل ليس إلا انتقاما.

وكان يرغب إن يذهب إلى جبل الأولياء بدلاً من كسلا، بأي ثمن.

وابتسم في وجه أركان الحرب وقال له:

- ان ((عفشي)) لا يزال مربوطاً، وأنا أحب أن أذهب إلى كسلا.

وتركه قليلاً ريثما يبلغ هذا القومندان. ثم طرق باب القومندان ودخل. ولم يكد ينتهي من التحية حتى سأله في لهفة:

- متى أذهب إلى كسلا؟..

ودهش القومندان، ووقع في روعه أن لعبد الحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح من أي نوع هناك ثم زمجر:

- من قال لك أنت ذاهب إلى كسلا. لن أبعث بك إليها. وستذهب غداً إلى جبل الأولياء

(ولعل هذه كانت الخطة الأولى من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة.)

وكان صباحاً مشرقاً عندما مضى عبد الحكيم إلى جبل الأولياء، إلى صديقه جمال.

صداقة حتى الموت

جمال وعامر أصدقاء حتى الموت

وفي جبل الأولياء، زادت الصداقة عمقاً بين الزميلين واكتمل التفاهم بينهما.

كانا يقضيان معاً سهراتهما يلعبان الشطرنج، ويتوجهان معاً في رحلات للصيد. وعندما يذكر أحدهما تلك الأيام وتلك الليالي، لا يكاد يذكر الشطرنج، ولا الصيد، بقدر ما يذكر المشاجرات المتعددة التي تقع بينهما.

فليس يسيراً أن تقوم صداقة حقيقية بين الرجلين دون أن يسبقها عدد وافر من المشاجرات.

ولم يكن في جبل الأولياء من الضباط سواهما. فجمال هو القومندان، وعبد الحكيم ضابطه الوحيد. ولم يكن بد إذا تشاجرا صباحاً من أن يصطلحا مساء. وإذا تشاجرا في المساء من يصطلحا في الصباح.

لكن هذه الفترة انتهت بالتفاهم التام وبالتفكير المتصل الموحد في حالة الجيش.

فهما اقتنعا بأن المشكلة ليست الكتيبة، ولا القومندان ولا الرؤساء الإنكليز. لكنها مشكلة الجيش كله، والبلد كله. (وكان الحاكم العام في السودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والأوضاع السائدة في البلاد. كان الحاكم العام في السودان هو القائد الأعلى للجيش، بما في ذلك الجيش المصري.) وكان لا يخفي احتقاره لجيش مصر. ولا كراهيته للمصريين ولا نزعته الاستعمارية العاتية التي لا تقاوم.

وما حدث في تباب الشريف، حدث في جبل الأولياء.

إنها الجذوة التي يوقدها جمال في بساطته واتزان تفكيره.

إنها القرار، والتصميم الذي تتمخض عنه المناقشات معه.

إنها الفكرة ((فكرة الحياة)) التي انبعثت وكسبت رجلاً جديداً: عبد الحكيم عامر.

- لا بد من القضاء على الاستعمار بأية صورة، وبأية وسيلة.
- لا بد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا الحصار الجاثم عليها.
- لا بد من صنع شيء عظيم.

ومثلما حدث معنا أيام تباب الشريف، حين صدرت حركة التنقلات في الجيش، فذهب كل منا إلى مكان، حدث مع جمال وعبد الحكيم.

فلم تلبث الأوامـر أن صدرت بنقل عبد الحكيم إلى منقباد وبنقل جمال إلى الصحراء الغربية

وافترقا ذلك النهار افتراقاً ظاهراً. لكن الصلة بينهما لم تزدد إلا وثوقاً وقرباً. والتقيا ثانية في القاهرة في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٣، عقب حادث ٤ فبراير (شباط) المشؤوم.

وعندما التقيا بدأت أحداث جديدة، لم تعرف القاهرة معظمها، لكن تسجلها هذه الكلمات.

كلمة السر ((تيتل))

من قصص معركة القناة، قصة اللغم البحري التي وقعت في ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥١. واذكر التاريخ جيداً لأنه كان عيد ميلادي. وكنا ثلاثتنا في رفح: عبد الحكيم عامر صلاح سالم، وأنا. وكان معنا ٢٧ ضابطاً أرادوا أن يحتفلوا بيوم مولدي، على حسابي، في سينما المدينة. وذهبنا، وبقي عبد الحكيم وصلاح في (الميس) وحدهما. إذ لا بد أن يبقى اثنان في الميس، وأن يكونا عبد الحكيم وصلاح بالذات.

ودق جرس التلفون فقام إليه عبد الحكيم. وكان المتكلم جمال عبد الناصر من القاهرة. وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة: "التيتل جاي النهار ده في الطيارة. استعد لاستلامه" وقطع الخط. وكانت كلمة (تيتل) من كلمات قاموسنا في حركة الضباط الأحرار. وكان معناها: اللغم. وقد اتفقنا من قبل على إعداد لغم بحري كبير نضعه في القناة قبل مرور باخرة إنكليزية كبيرة، فننسفها ونعطل القناة ونقدم الدليل الكافي للعالم، على أن الإنكليز لا يستطيعون حماية السويس ما دام المصريون لا يمكنونهم من ذلك.

وجلس عبد الحكيم وصلاح ينتظران (التيتل). وكانا بالطبع يعلمان شيئاً عن حجمه. وبعد قليل اتصل ضابط من العريش بعبد الحكيم وقال له: "استلمت التيتل لكني أجهل كيف أوصله إلى القنطرة، لأن إمكاناتي ضعيفة"

وأجابه عبد الحكيم بقوله: أرسله إلي في رفح، وسأتصرف أنا بالأمر. وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران (التيتل)، قادماً سعياً على الأرض، لا هابطاً من السماء. حتى وصل في حراسة ضابط كيماوي، كان هو الذي قام بإعداده، وكان أيضاً المكلف تركيبه في القناة، والساعة إذ ذاك، الثامنة مساء. و(التيتل) عبارة عن أربعة صناديق كبيرة الحجم، ثقيلة الوزن جداً.

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوي، على إنزال الصناديق. وكان جلياً أنها لا يمكن أن تدخل من الأبواب ولا أن تخفى في أحدى الغرف. والحل الوحيد هو أن توضع إلى جوار الباب. ثم يسرع عبد الحكيم وصلاح إلى السينما ليخرجاني منها، حتى آتيهم ببعض جنود سلاح الإشارة، فيساعدوا في نقل هذا (التيتل)، غير المنتظر.

ومن السينما، توجهت فوراً إلى سلاح الإشارة، فأحضرت بعض جنودي المدربين، بينما ذهبا هما إلى سلاح خدمة الجيش فاحضرا ضابطين من الأحرار، وعربة لوري كبيرة. وكان الوقت الذي أمامنا يحسب بالثواني لا بالدقائق. فقد أوشكت السينما أن تنتهي، وبانتهائها يحضر الضباط إلى الميس وينكشف أمر التيتل الذي كنا نحرص كل الحرص على إخفائه، وفي الثواني التي بقيت لنا، استطعنا أن نضع التيتل في اللوري وأن نجهز اللوري بالبنزين الذي يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلو متراً، إلى القنطرة. وأن نعد بعض السندويشات، للضابط الكيماوي ومرافقيه.

وسار اللوري بالتيتل على بركة اللّه. واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الأحرار في العريش كي يدعوه يمر، ثم بزملائنا في القنطرة كي يتسلموه. ولم نكد نفرغ من كل هذا، حتى كانت مظاهرة قوامها ٢٧ ضابطاً يقتربون في مرح عائدين من السينما.. ولعل قصة التيتل هي إحدى القصص التي تبرهن عن حكمة عبد الحكيم ولعلها من قصص معركة القناة التي لم تنته.

تطهير البلاد من رأس الفساد

ولا يعتبر الضباط الأحرار معركة القناة منتهية، بل نحن نعتبر ما مضى منها مجرد تمهيد. لكن دور الضباط الأحرار الذي ولد آنذاك ولد ليستمر، لا ليتوقف. وكنا نمر تلك الأثناء بفترة كمل فيها استعدادنا وغدونا فعلاً قادرين على التحرك من وحداتنا، لنضرب الضربة التي تطهر البلاد من رأس الفساد والإقطاع، وما يتفرع عنهما من أحزاب وسياسات قادتها طويلاً إلى الخراب.

فالسنوات التي مرت بنا بعد اكتمال تنظيمنا، وهي ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢ كانت للاستعداد والدراسة الكاملة للموقف وتحديد موعد البدء. وفي الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل في نفوس ضباطنا، وأن يعطى التراخي فرصة للقضاء على قواتنا بعوامل التثبيت المقصودة على حد سواء. لذلك قربنا الموعد الذي حددناه للحركة وجعلناه عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ بدلاً من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥.

انتخبنا ناصر رئيساً

وكنا ذلك الوقت في القاهرة، نحن جميعاً، وأنا أعيش كالحبيس في دائرة ضيقة، لم يسمح لي الأخوان بالتحرك في أية دائرة أوسع منها. إذ كان تاريخي السابق الذي لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن في آخر مرة، يجعل أية حركة أقوم بها مثار الشكوك.

ومر عام ١٩٥٠ وأقبل عام ١٩٥١. وفي هذا العام نقل بعضنا إلى سيناء، صلاح وعبد الحكيم وأنا. ونقل جمال سالم إلى العريش. أما باقي مجموعتنا فظل في القاهرة.

وكان هذا النقل وتشتيتنا في ثلاث جهات مدعاة إلى اتخاذ أجراء لا بد منه، لم نكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام. كان لا بد لنا من رئيس مسؤول، ينسق أعمالنا ويصدر الأوامر ويتصرف بما يجد من مشكلات، ثم انتخبنا بالإجماع رئيساً لنا جمال عبد الناصر، وذلك في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ في منزل الصاغ كمال الدين حسين.

سري جداً

تقرير يعده عامر

على أن هذا الاجتماع تضمن قراراً آخر اتخذناه، واتفقنا على إبقائه سراً فيما بيننا. وكان القرار اختيار اللواء أركان الحرب محمد نجيب كي يكون قائداً لحركتنا في يوم تنفيذها. وسبب اتخاذه هو أننا لا بد من أن نضع في حسابنا شخص القائد الذي نتقدم خلفه إلى الشعب، كي نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافي في صفوف الجيش.

وكان الرئيس محمد نجيب قد عرف مجموعتنا عبر عبد الحكيم عامر الذي كان أركان حربه أبان معركة فلسطين. كما كان قام بتعريف اللواء محمد نجيب بجمال عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجة.

ورغم اتخاذنا القرار، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس نجيب نفسه، لأن الوقت لم يكن حان بعد لاتخاذه هذه الخطوة.

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعاً وكنا نشعر بأن موعد الحركة قد يكون أقرب مما نتصور، ومما نقدر. وفي هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء في اتخاذ موقف

الاستعداد الكامل للعمل في أي حين، وأن تكون المهلة التي تعطى لضباطنا قبل التنفيذ شهراً على أبعد تقدير. ووافق المجلس على ذلك.

وفي الاجتماع ذاته، كلف المجلس عبد الحكيم عامر، تقدير الحالة من جميع نواحيها: الشعبية والسياسية والعسكرية وأن يقوم عبد الحكيم بعرض تقريره على المجلس في أسرع وقت.

وكنا جميعاً نشعر بوطأة الأحداث وبتحكمها الواضح بتحديد موعد معركتنا. وكان الشعب يغلي، والجيش يغلي. ولا بد من عمل، وانتهى الاجتماع في منزل حسن إبراهيم حيث عقدناه. ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين، كي ندرس التقرير الذي أعده عبد الحكيم عامر. فاستطعنا أن نطمئن تماماً. وانتهينا إلى أننا قادرون على القيام بالحركة في أول فرصة ممكنة وأن إمكاناتنا تضمن لنا النجاح.

((ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم عامر. بل سبقته جولة لجمال وعبد الحكيم داخل الجيش قاما خلالها بعملية حصر كاملة للمرة الأولى واطلعا على حقيقة القوة التي نستطيع الاعتماد عليها)).

ثورة ٢٣ يوليو ثورة نصر وتحرير

وفي آذار ١٩٤٩، عاد الرئيس جمال عبد الناصر، وإخوانه ((الضباط الأحرار)) من فلسطين، بعد رفع حصار الفالوجة. وكانت هزيمة فلسطين هي الدافع الذي حدا بهؤلاء الضباط الشبان إلى التفكير بالثورة.

وما كاد جمال عبد الناصر يصل إلى بيته حتى حضر لزيارته من طلب منه مقابلة رئيس أركان حرب الجيش الذي طلب بدوره منه مقابلة رئيس الوزراء في ذلك الوقت (إبراهيم عبد الهادي) حيث وجهت إليه تهمة العمل ضد الحكام والعهد والنظام.

ويروي جمال عبد الناصر، بقلمه، التحقيق معه ويقول: "كان أول تحقيق وأنا ضابط. ولو أنه لم يكن الأول في حياتي فقد أجروا تحقيقات عدة من قبل، وأنا طالب في المدارس الثانوية."

فحضر أحد الضباط نحو الساعة الأولى بعد ظهر يوم ٢٥ مايو (نوار)، وأخبرني أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يريدني في مكتبه. وسألني وهو مضطرب إذا كنت فعلت شيئاً يستحق المؤاخذة. فطلبت من زوجتي أن تبلغ عبد الحكيم عامر أمر استدعائي إذا لم أعد حتى الساعة الرابعة، لأنني أحسست بالخطر. وكانت التهمة ضدي تدريب المجاهدين في فلسطين.



وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه. ودام سبع ساعات بحضور الفريق عثمان المهدي رئيس هيئة أركان حرب الجيش واللواء أحمد طلعت رئيس البوليس السياسي الذي بقي بعضاً من الوقت.

وكان رئيس الوزارة ثائراً، وهو يسألني عن الضباط الذين اشتركوا معي في التدريب، ويهددني بإحالتي إلى النيابة والبوليس ليأخذا الإجراءات. وهذه تعني ما كان الشعب بأجمعه على علم به.

ذخيرة يهودية من فلسطين

ولقد كنت مالكاً أعصابي ذلك اليوم. وأعربت عن رغبتي في أن يواجهني بالمبلغين. وسألني هل عندي أسلحة في منزلي ؟ فقلت له عندي ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالي ٢٠٠٠ طلقة مدفع ستن. وفقد رئيس الوزراء الكثير من أعصابه، وكان يقول لي بعدما ضاق صدره بإصراري وصمودي: "لا أدري ماذا أعمل معك ! ضابط كبير

مثلك قد تصدر إليه الأوامر فجأة لمقاومة أية حركة ثورية. كيف يكون الوضع على هذا الحال. أنكم تقولون أنا جبان، لكني لست جباناً إلا في حالة واحدة فقط هي يوم يعتدي علي إنكليزي واحد حتى ولو كان مرتدياً بنطلوناً مقطعاً!"

وبعد سبع ساعات، كنت خرجت من مكتبه ليقوم رئيس هيئة أركان حرب الجيش بمحاولة إقناعي بالاعتراف، ثم ليدعوني إبراهيم عبد الهادي مرة أخرى ويقول: " روح يا أبني."

وطلب مني الفريق عثمان المهدي أن يتوجه معي لإحضار الذخيرة التي في منزلي، والتي ظلت محفوظة في خزانة مدير المكتب القائد مقام عبد العزيز فتحي، إلى حين استولينا يوم ٢٣ يوليو (تموز) على رئاسة الجيش، وعثر عليها عبد الحكيم عامر في خزينة مدير مكتب رئيس الأركان.

(وانتهى التحقيق في الساعة الثامنة. ومضيت إلى منزل عبد الحكيم عامر حيث لقيته قد اتصل ببعض الضباط الأحرار في القاهرة. وكانوا مجتمعين به في منزله. وكان هذا أول يوم لي في الإجازة التي أخذتها من عملي في الإسماعيلية مدة شهر).

الأيام التي سبقت الثورة

وعندما اقتربت المرحلة الفاصلة. في أول تموز ١٩٥٢ أخذ جمال عبد الناصر الإجازة الثانية بعد حرب فلسطين ومضى إلى الإسكندرية، فيما كان الجهاز السري الذي اختاره يعمل في صمت وسكون في القاهرة.

وبتاريخ ١٢ تموز عاد إلى القاهرة مطمئناً إلى قواته في الإسكندرية. وفي ١٥ تموز بدأت الأخبار السرية ترده عن عزل مجلس إدارة نادي ضباط الجيش وعن اتجاه الطرف الآخر إلى كبت الشعور القومي والتنكيل به. وكانت هذه إشارة الخطر لتفاقم الوضع. **ويتابع الرئيس جمال عبد الناصر:**

فاجتمعنا قررنا أن نتخذ إجراء مضاداً، في أقرب وقت. فكانت أمامنا خطتان:

- الأولى أن يقوم الجهاز الخاص بالعمل على اغتيال جميع الخونة المصريين.
- والثانية أن يقوم جميع الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه)).

وقررنا في ١٨ حزيران تنفيذ الخطة الأولى. بل لقد وضعت هذه الخطة فعلاً موضع التنفيذ وصدرت الأوامر بها في القاهرة والإسكندرية يوم ٢٠ يوليو. لكننا اجتمعنا يوم ١٩ يوليو، فرأينا أننا قد نقضي على حركة الضباط جميعاً إذ أن الإرهاب في

الجيش ووسط أفراد الشعب وسيكون الضرر الذي سيحل بالبلاد كبيرا.

ولهذا قررنا إلغاءها، وتنفيذ الخطة الثانية وكلف عبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين، وأنا تنفيذها.

وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بعد ترك منازلهم من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السادسة مساء يومياً، واستدعينا من هم خارج القاهرة في إجازة، للعودة إليها.

وفي (٢٢ يوليو) اجتمعت اللجنة التأسيسية لتلقي الأوامر النهائية، وتم إصدارها في الساعة الخامسة. وخرج أفراد اللجنة التأسيسية للتنفيذ.

صورة يشهد عليها التاريخ



أبطال الثورة

في الصف الأمامي من اليمين:

أنور السادات . صلاح سالم . عبد الحكيم عامر . محمد نجيب . جمال عبد الناصر . عبد اللطيف بغدادي

في الصف الثاني من اليمين:

زكريا محيي الدين . حسن إبراهيم . كمال الدين حسين . جمال سالم . خالد محيي الدين . حسين الشافعي

ليلة الثورة بلسان عبد الناصر

وسجل جمال عبد الناصر المواقف الحرجة التي صادفته ليلة ٢٣ يوليو:

ـ مرت بي مواقف حرجة كثيرة، لكن أحرجها هو ليلة الثورة. وكان موعد تحرك القوات الساعة الأولى بعد منتصف ليلة ٢٢يوليو. وموعد احتلال رئاسة الجيش في الساعة الأولى والنصف حيث تتقابل القوات كلها عندها لاحتلالها. وفي الساعة الحادية عشرة علمت أن رئاسة الجيش أحيطت خبراً بخطتنا، لأن أحد الضباط في الحركة، عندما مر زملاؤه لأخذه معهم، فطن أخوه إلى أن هناك شيئاً ما، فحاول منعه ورفض الضابط أن يستمع إليه. وذهب هذا الأخ المانع في اشتراك أخيه إلى سراي القبة وأخبر الضابط النوبتجي الذي بادر فأبلغ سراي المنتزه حيث يقيم الملك السابق.

وصدرت الأوامر إلى الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب باتخاذ الإجراءات المضادة، لمناهضة حركتنا والقضاء عليها. وذهب الفريق حسين فريد إلى رئاسة الجيش في كوبري القبة، واستدعى جميع قادة الجيش لوضع الخطة وتنفيذها فوراً ووصلتني هذه الأنباء الساعة ١١وأنا في داري، بعدما عدت وقد أعد كل شيء. وكان كل الضباط في أما كنهم استعداداً للبدء. ولم أجد، إزاء ما اتخذ لإحباط حركتنا، سوى اعتقال رئيس الأركان وجميع ضباط الجيش الذين معه قبل انفضاض مؤتمرهم وتنفيذ خططهم.

وتوجهت إلى منزل أخي عبد الحكيم عامر، حيث كنا على موعد لنتقابل قي الساعة الثانية عشرة، ونمضي معاً لأخذ قوة تعتقلهم.

وغادرنا المنزل إلى قشلاق العباسية، لكننا رأينا عدداً كبيراً من الشرطة الحربية رابضاً على باب القشلاق، مما لم يكن ضمن خطتنا، ففهمنا فوراً أن الطرف الآخر قد باشر.فتحركنا ضمن خطتنا، إلى سلاح الفرسان، ففوجئنا بالبوابة مغلقة وعليها قوات لم نستطع أن نعرف إلى أي طرف تنتسب فقررنا الإطلاق إلى الماظة لإحضار قوة من هناك.

وفي طريقنا، عند ميدان الكريه، رأينا على مدى البصر أضواء عربات كثيرة تسير نحو القاهرة، وكانت الساعة حوالي منتصف الأولى، ولم يكن هذا أيضا ضمن خطة قواتنا.

الفصل الرابع

الباب الثالث

أحرج لحظة في حياتي كلها

وكان المقرر أن تتحرك قواتنا في الساعة الأولى. وأخذنا نفكر ونقدر الموقف جيداً، ونتساءل هل هذه العربات من قواتنا أو أنها تابعة لخطة رئيس الأركان التي بدأت في التنفيذ؟! لكن تأكد لنا أن من المستحيل أن يكون رئيس الأركان قد بدأ ينفذ خطته. ورجحنا أنه لا بد أن يكون أحد زملائنا الضباط قد أخذته الحماسة فخرج قبل موعده.

وانتظرنا، عبد الحكيم عامر وأنا، على جانب الدرب، حتى تصل إلينا هذه القوات. وعند وصول أول عربة راعنا أن الفرقة الثانية تحركت لتنفيذ خطة رئيس الأركان وفي أسرع من لمح البصر، كنت وعبد الحكيم عامر محاطين بخمسة ضباط ملازمين مسلحين صارخين أن نرفع أيدينا، وأن نثبت في مكاننا.

وكانت أحرج لحظة في حياتي كلها فعلاً. لقد اعتقدت أن الخطة التي وضعناها ورتبناها باءت بالفشل الذريع.

وبعد لحظة إذ بأحد إخواننا يناديني من العربة الثالثة ويقول في فرح زائد:

- لقد أسرنا قائد الفرقة، وقائدها الثاني، وأنا مع قوتي أحضرت جميع العربات التي قابلتها في الطريق...

ونزل من العربة وجاء قائلاً أن القوة التي معه هي ٨٠ جندياً فقط لأن بقيتها في فلسطين. وعرفت إذ ذاك أنه تحرك في الساعة ١٢ بدلا من الأولى...

عامر يحتل الأركان بالقوة

ولم يكن أمامنا غير حل واحد فقط هو احتلال رئاسة الجيش بهذه القوة. وتحركنا نحو الرئاسة في كوبري القبة، وباشرنا عملياتنا بمحاصرتها في الساعة الأولى إلا عشر دقائق، أي قبل الموعد المحدد بأربعين دقيقة.

وبدئ في توزيع القوى، وقام عبد الحكيم عامر، وضباط الكتيبة الشجعان وثلاثون جندياً فقط بمهاجمة رئاسة الجيش. لكن الباب الحديدي كان مغلقاً، وعساكر رئاسة الجيش محتلة مواقعها، فأخذوا يطلقون علينا النار واستمرت المعركة ٤٠ دقيقة.

وفي هذه الأثناء كانت قوات الفرسان قد تحركت من أماكنها، وفي الساعة

الأولى والنصف، سقط في أيدينا مبنى الرئاسة، واعتقلنا كل من فيه، وكان هذا العمل أولى بوادر النجاح.

ثم أصبح ٢٣ يوليو فأذيع أول بيان للثورة، وتنفس الشعب وأحس بأن الضياء وبأن الفجر قد طلعا. وقال جمال عبد الناصر:

((إن روح الشعب في ذلك اليوم أمدتنا بالقوة والعزم، فلم نكن نتوقع هذا النجاح الغريب السريع. فمضينا أقوياء، أمناء نعرف مواضعنا من الشعب الكريم ومن قلوب أبنائه المظلومين. لقد كان أول عرض عسكري في العاصمة أحد العوامل التي دفعت حركتنا دفعاً إلى الأمام ولقد وجدنا أن ملايين المصريين جميعاً معنا. فتطورت وسائلنا لتحقيق أهدافنا، واندفعت خطواتنا سريعة مفاجئة حتى انتهت بعزل العهد الفاسد)).

ليلة الثورة بلسان عامر

ويروي عبد الحكيم عامر الساعات الفاصلة في تاريخ الثورة فيقول:

نحن في أوائل يوليو ١٩٥٢، والوزارة وزارة السيد حسين سري، وموجة السخط تجتاح النفوس، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى.

وجاءني جمال عبد الناصر، فحسبتها زيارة عادية. لكن كان لها ما بعدها. فلا شيء وراء جمال عبد الناصر إلا الحسم وسألني: هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادي الضباط؟..

وأجبت: نعم.

وصمت جمال قليلا، إلا أنه كان بادي التفكير، كمن أتخذ بينه وبين نفسه قراراً معيناً. ثم عاد وسألني:

- أية رأيك، أن حل مجلس إدارة نادي الضباط، معناه أن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم. وأتبع كلامه بقوله: ((وحسين سري عامر إذا أصر الملك على تعيينه وزيراً للحربية، فمعنى ذلك أن أي ضابط فيه رمق حيتبهدل...))

- وتكلمت وأنا أعتقد بأن كلامي سيطابق القرار الذي اتخذه بينه وبين نفسه. وقلت: ((مفيش حل إلا أن الحركة تنعمل)).

- فقال: أنا فعلاً وصلت إلى هذا القرار.

وتصافحنا، وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار، لا خارجه كما منذ دقائق. ووجدنا أنفسنا في المعمعة نجد ونكد ونسهر وننام (أن نمنا) بعين واحدة، وبالأخرى نراقب الاحتمالات والمفاجآت التي تحملها لنا الليالي.

واتفقنا على اتخاذ إجراءات واسعة للاتصال بالضباط الذين خارج القاهرة والذين فيها. وكثير منهم كانوا في الإجازات. واخذ جمال عبد الناصر على عاتقه أن يتصل بالذين في القاهرة وكان لا بد أن أتصرف بحكاية الإجازة التي إنتهت، حتى أستطيع البقاء في القاهرة، فذهبت إلى المستشفى العسكري وقلت: ((عيان)).

- فقالوا: ((لا، مش عيان. ولازم ترجع وحدتك، يلا على رفح.

لكني قلت للأطباء: ((هو العيان ينقال له (لا) كده.. مش تكشفوا عليه أولاً؟.

((فسابوني ومسألوش فيه)).

وغبت عن المستشفى أسبوعاً كاملاً بلا إجازة. قمت فيه بمهمتي من حيث الإعداد والتنظيم والاتصال.

ودخلنا في اللحظات الحرجة. ووضعت أكثر من خطة على أساس تقديرين أثنين لا ثالث لهما

- أما أن نقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة.

وأما أن يقسم الضباط أنفسهم ((٣٠ قيم)) (فريقاً) بأسلحة كاملة من الجيش. وفي ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات، وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملائهم وتنظفه تنظيفاً شاملاً.

ثم اقتربت الساعة الحاسمة. وكنا انتهينا من إحصاء قواتنا، والتعرف إلى إمكاناتنا فرأينا أن الأساس الأول: القيام بحركة كاملة، هو الأمثل.

واتخذنا هذا القرار، لأن التجبير الثاني فيه ضرر، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين، فإن أذنابهم لا ينتهون.

وهنا رأينا أيضا أن تقدير الموقف الذي حسبناه بعد عودتنا من فلسطين قد طابق الواقع تماما أنه في خلال أدنى مدة – وهي ٣ سنوات استطعنا تجهيز قواتنا. وساعدتنا الظروف السياسية القلقة وتذمر الضباط الشديد من تصرف الخونة في مصير الجيش وأنظمته وكرامته على أن تنفذ خطتنا سنة ١٩٥٢...)).

أسرار استقالة المشير

...وبعد، الثورة ونجاحها، استمر المشير عامر بصعوده حق عين نائباً أولاً لرئيس الجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة. وأصبح صاحب الكلمة الأولى بعد الرئيس عبد الناصر في الجمهورية العربية المتحدة، كما أصبح يتمتع بمكانة مرموقة في الداخل والخارج على السواء، إلى أن جاء حزيران ١٩٦٧.

وكان يوم الخامس منه، اليوم المشؤوم في تاريخ الأمة العربية وتلاحقت بعده الأحداث... ففي صباح ذلك اليوم بدأ العدوان الإسرائيلي على الدول العربية الثلاث: الجمهورية العربية المتحدة والأردن وسورية. وكان الاعتقاد السائد في ذلك الصباح أن الدول العربية لن تجد صعوبة في قهر إسرائيل وفي رد عدوانها إلى نحرها، إلا أن الآمال سرعان ما أخذت تتلاشى الواحدة، تلو الأخرى، وإذا بالعالم العربي بعد ثلاثة أيام فقط يقف أمام كارثة لم يعرفها من قبل في تاريخه.



وارتفعت في كل مكان أسئلة دامية:

كيف انهزم العرب في هذه المعركة؟

من كان المسؤول عن الهزيمة ـ ؟ ـ

أهل كان من المعقول أن تتمكن إسرائيل بمليونيها فقط، من قهر عشرات ملايين العرب بأسلحتهم ورجالهم -؟-

وظلت هذه الأسئلة المحروقة تتردد على كل شفة ولسان.

وبكى عرب كثيرون وهم يستمعون إلى أنباء الكارثة. بكوا وهم يستمعون إلى الرئيس جمال عبد الناصر وهو يعلن استقالته مساء التاسع من حزيران التي رفضها الشعب العربي بالإجماع واحترقت قلوب العرب وهم ما زالوا مشدوهين بالصدمة. وبدأت الصحف تنشر أنباء ما يحدث بالقاهرة:

(المشير استقال – المشير – يريد العودة إلى القيادة – المشير – هيأ خطة انقلاب – المشير – أمر بالإغارة على القاهرة – الخ...) واستغلت أجهزة الدعاية الصهيونية

وعملاءها هذه الفرصة لمصالحها فراحت تضم - الانشقاقات العسكرية - وتحول سيرها في اتجاهات معينة وسوف تنقضي سنوات طويلة قبل أن يقف العالم على الحقيقة الكاملة لما حدث بين الخامس من حزيران والرابع عشر من أيلول ١٩٦٧. وهذا ما قاله الرئيس عبد الناصر في خطاب ٩ حزيران المشهور.

أما الآن وبعد انقضاء حوالي ثمانية شهور على الكارثة نستطيع أن نلقي الأضواء إن لم يكن على كل ما حدث فعلى الأقل على بعض ما تردد في الهمس والعلانية.

نعود أولاً إلى ذلك البلاغ المقتضب الذي أذاعه راديو القاهرة في الساعة السابعة والنصف في مساء - ٩ حزيران - معلناً أن المشير عامر قد تنحى عن مركزه كنائب أول لرئيس الجمهورية وكقائد عام للقوات المسلحة.

وفي اليوم الثاني أي صباح ١٠ حزيران قرأ الناس في الصحف نبأ استقالة المشير. لكن هذا النبأ لم يتضمن ما إذا كان الرئيس جمال قد قبل الاستقالة أم لا. وانقطعت أخبار عامر فترة وجيزة لترسم ألف علامة استفهام وتعجب - ؟ - ! -

وانطلقت الشائعات تطوق نبأ الاستقالة في جميع أنحاء العالم العربي وانتشرت الهمسات والهمهمات في القاهرة تتحدث عن تحركات المشير ورغبته في العودة إلى مناصبه السابقة. ومنها أن منزله أصبح كخلية النحل، يعج بالعشرات من الضباط، وأنه يشهد اجتماعات سرية خطيرة.

وكانت المعلومات تصل أولاً بأول إلى عبد الناصر عن الداخلين والخارجين إلى منزل المشير. وعندما ازداد عدد هؤلاء أرسل إليه مرة الفريق مدكور أبو العز ومرة عبد المنعم رياض لا بلاغه بخطورة الاجتماعات التي تتم في منزله.

ويبدو أن المشير لم يقتنع بوجهة نظر مبعوثي الرئيس عبد الناصر، وتشعبت الاجتماعات. وأبرز هذه الوجوه نواب ((المنيا)) في مجلس الأمة ومحافظ الجيزة السيد محمد البلتاجي ومحافظ القلوبيه السيد كمال أبو الفتوح ومحافظ الدقهلية السابق إسماعيل فريد ومحافظ مرسى مطروح السيد فؤاد المهدوي. أما مدير المخابرات العامة، صلاح نصر ووزير الداخلية السابق عباس رضوان ووزير الحربية السابق شمس الدين بدران فكانوا يتواجدون يومياً في المنزل.

وعندما اتسع نطاق الوافدين بدأ عامر يفيض في شرح أفكاره وآرائه التي ضمن بعضها كتاب استقالته إلى الرئيس. وكان يقول أنه عام ١٩٦٢ قدم استقالته بسبب بعض هذه الأفكار والآراء.

ومما كان المشير يقوله للوافدين ((أن المطلوب في هذه المرحلة هو التكتل الداخلي وتوحيد شمل البلد وعدم وجود أية جيوب خلفية يستفيد منها المستعمر. وهذا يأتي

بالإفراج عن المعتقلين وإيقاف الحراسات ومجابهة الشعب بالحقيقة كاملة واعطائه جزءاً من الحرية ليتمكن من البدء في النضال والاستمرار فيه وتحمل المسؤولية مع الرئيس فلا ينفرد الرئيس بتحمل المسؤولية. وبعد ذلك يتم البدء بإدخال الفدائيين إلى سيناء للقيام بالأعمال الفدائية خاصة وأن الإسرائيليين ليست لهم قوات كثيرة هناك)).

وكان المشير يرى أيضاً ((عدم الاعتماد على الروس وطردهم من المنطقة لأنهم لم يتجاوبوا مع مصر)) وقال المشير لمجالسيه أنه قال هذا الكلام لعبد الناصر في إحدى مقابلاتهما التي تمت بعد تاريخ ـ ٩ ـ حزيران.

ورغم كل ذلك استمر عبد الناصر في تطويق أية مغامرة قد تنتهي إليها الاجتماعات التي تتم في منزل المشير. وتم لقاء بين عبد الناصر وشمس الدين بدران عن طريق السيد عبد المحسن أبو النور ويوم ٢٩ تموز تم اجتماع بين عبد الناصر وعامر. وفي الاجتماع طلب المشير من الرئيس إصدار أمر بالإفراج عن اللواءات المعتقلين في سجن القلعة ووعد الرئيس بإصدار الأمر وأصدره فعلاً، وبدلاً من أن ينتقل اللواءات بعد الأفراج عنهم إلى منازلهم جاؤوا إلى منزل المشير وكان بعضهم ينام هناك.

وكان الاجتماع مناسبة للتبساط والعتاب. فأثار المشير موضوع وجود الأسطول السوفياتي في الإسكندرية وبور سعيد وعاتب عبد الناصر المشير على الطريقة التي يوزع بها كتاب استقالته على نواب مجلس الأمة وغيرهم. وقبل أن ينتهي الاجتماع عرض عبد الناصر على المشير كحل لإنهاء الإشكال القائم الذي يتفاعل باستمرار، منصب نائب أول لرئيس الجمهورية ومنصب أمين عام للاتحاد الاشتراكي على أن يتساهل المشير في موضوع المنصب العسكري، ورفض المشير في بادئ الأمر ثم اشترط للقبول مبادئ معينة. وظهرت بارقة أمل بعد ذلك بأن كل شيء سيسوئ فقد طلب المشير من أعضاء مجلس الأمة الذين يؤيدونه التوقف عن توزيع كتاب الاستقالة أو التحدث بالاستقالة نفسها.

ولكن بارقة الأمل هذه كانت قصيرة المدى. فقد عادت الاجتماعات إلى ما كانت عليه وبدأت وجوه جديدة تطل على منزل المشير، منها الملازم أول علي شوقي الذي ينتمي إلى إحدى كتائب الصاعقة وكان يأتي دائماً بالأخبار. كذلك كان يأتي

بالأخبار النقيب يحيى من كتيبة الصواريخ. أما المقدم سعد الجندي فكان يأتي سراً إلى المنزل. وقبل اجتماع الرئيس والمشير في ٢٩ تموز اقترح اللواء عبد الرحمن فهمي واللواء عبد الحليم عبد العال واللواء عثمان نصار (وهم من الذين كانوا يجتمعون في منزل المشير) على الحاضرين في إحدى الجلسات القيام بزيارات شخصية للسيدين زكريا محيي الدين وأنور السادات طالبين تدخلهما أملاً في إيجاد تسوية للأزمة ووافق الجميع على الاقتراح. وتمت الزيارات ولم تؤد إلى نتيجة.

فأعدت الجماعة التي التفت حول المشير بعد استقالته قائمة بمطالبها ووزعتها على بعض الضباط والمدنيين وهذه المطالب هي:

١ - حل الاتحاد الاشتراكي.

٢ - انتخاب مجلس نيابي جديد

٣ - الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين لتتوحد الأمة في مجابهة العدو.

٤ - إقامة حزب معارض للحكومة.

٥ - إقامة حياة ديمقراطية يعبر فيها الشعب عن رأيه ويشارك الجميع في حل الموقف الحالي.

٦ - إعطاء الصحافة الحرية الكاملة.

- ((ولكن هل كان هذا فقط كل ما يريده المشير وجماعته المتآمرون)) ؟!.

خطة المؤامرة

... باختصار كان هدف المشير وجماعته تتلخص بكلمتين فقط: ((الاستيلاء على السلطة))

أما كيف، ومتى، ولماذا - ؟ - فهذا ما تكشف النقاب عن كل تفاصيله خطة المؤامرة التي وضعت لقلب نظام الحكم.

ما هي الخطة - ؟ - ومن وضعها - ؟ - وما الذي كان المشير سيفعله للعودة إلى الحكم - ؟ - من هم الأشخاص الذين التفوا حوله لمساعدته - ؟ - وأسئلة كثيرة أخرى، كان لا بد للإجابة عنها من الدخول إلى قاعة محكمة الثورة التي شكلت فيما بعد، لمحاكمة أبطال المؤامرة الرجعية حيث الوثائق والقرائن والقرارات وكل ما يتعلق بالخطة. وقبل أن نتوجه إلى محكمة الثورة في القاهرة ((سأحدثكم قليلاً عما قيل، ونشر، في الأندية السياسية المعروفة والصحف ذات الاتجاهات المختلفة، عن ((مؤامرة المشير)):

في أوائل شهر أيلول ضجت المحافل الدبلوماسية - الغربية - والمجالس السياسية العربية في بيروت وغيرها من العواصم العربية بتفاصيل غير رسمية، عن خطة المؤامرة التي وضعها المشير وكانت بعض هذه التفاصيل تقول:

أنه بتاريخ الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧ (يوم أعلان وقف القتال) عقد في مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية الذي يقع في مصر الجديدة على مسافة قليلة من منزل الرئيس جمال عبد الناصر اجتماع هو في الحقيقة بداية ما جرى بعد ذلك من تطورات.

وقد حضر هذا الاجتماع المشير عبد الحكيم عامر ومعظم القادة ووزير الحربية شمس الدين بدران.

وصباح يوم الجمعة ذهب عبد الناصر إلى مبنى القيادة بعدما بلغه أن المجتمعين هناك يريدون التحدث إليه في أمور كثيرة وبعدما جلس فوجيء ببدران يقول لعبد الناصر: رأيك آيه في اللي حصل؟..

ورد عبد الناصر: أنها نكسة مؤلمة جداً.

وعاد بدران يسأل: ولكن من يتحمل مسؤوليتها؟...

هنا أحس عبد الناصر أن شيئاً ما قد طرح بين المجتمعين على بساط البحث. وأنهم طرحوه قبل أن يأتي، ولكنه أجاب عن سؤال بدران بقوله: تفتكروا الوقت وقت تحديد المسؤولية - ؟ - وقال بدران: طبعاً. وأيده الفريق هلال عبد الله هلال الذي زار الاتحاد السوفياتي مع بدران قبل الحرب بأيام قليلة. وتدخل زكريا محيي الدين وقال: كلنا نتحمل المسؤولية ويجب أن نكون على قدر كاف من الشجاعة لمواجهة الجماهير وألّا نقع فريسة النكسة.

وقال بدران: لكن الريس هو اللي خطط للمعركة وهو اللي بيأمر مش إحنا.

ثم كشف بدران صراحة عن رأيه فقال ما معناه أن على عبد الناصر أن يفسح المجال لغيره.

وتدخل زكريا محيي الدين ثانية وقال: إذا كان كده فيجب أن نقدم استقالة جماعية.

وأنهى عبد الناصر النقاش بأن قال: أنا كنت مقرر أخطب بعد صلاة الجمعة لكن قررت الآن تأجيل خطابي إلى المساء وسأتصرف.

وفهم بدران أن عبد الناصر سيعلن استقالته، ولذا بقي في مبنى القيادة مع عدد من القادة المؤيدين لاتجاه التغيير.

وبعد ظهر الجمعة بدأت الاستعدادات في منزل عبد الناصر بمنشية البكري لنقل

رسالة موجهة إلى الشعب المصري والشعوب العربية. وفي السابعة والنصف بدأ الرئيس في قراءة الرسالة.

وبين الذين كانوا يستمعون إليها، المجتمعون في مبنى القيادة. وقد صعق هؤلاء عندما قال عبد الناصر في كلمته أنه أختار صديقه زكريا محيي الدين ليكون رئيساً للجمهورية.

وصعق المجتمعون في مبنى القيادة لدى سماعهم ذلك لسببين: الأول أن الرئيس لم يلمح إليهم بذلك بل أفهمهم موارية أنه سيتصرف، والثاني أنهم اتفقوا بعد أن يعلن الرئيس استقالته أن يتسلم الرئاسة بشكل طبيعي المشير عبد الحكيم عامر.

ولقد حصل شيء يدعو إلى التعمق كثيراً في الأمر. ففي اللحظة التي قال عبد الناصر أنه اختار زكريا محيي الدين خلفاً له أطفأت الأنوار في جميع أنحاء القاهرة وأطلقت صفارات الإنذار التي اعتاد أبناء القاهرة والمدن المصرية سماعها قبل أن تتعرض هذه المدن للغارات الإسرائيلية، ثم بدأت تسمع أصوات قنابل مدافع لم يتحدد مكانها بالضبط.

وظن كثيرون من الذين خرجوا إلى ساحات وميادين القاهرة للتعبير عن استنكارهم لتنحي الرئيس إن غارة حقيقية قد حصلت ولم يأبهوا وراحوا يشعلون صحفاً قديمة يلتقطونها من الشوارع ويلوحون بها.

وازداد تدفق الناس من ميدان التحرير إلى ميدان رمسيس إلى مصر الجديدة، حيث منزل الرئيس مكتظاً بالرجال والنساء والأطفال. بعضهم كان يبكي وبعضهم الآخر كان يهتف.

ووصل إلى منشية البكري عدد من الضباط وقالوا للرئيس أنهم علموا بما جرى في مبنى القيادة ويرجونه أن يحاكم محاكمة سريعة المطالبين باستقالته.

إلا أنه قبل وصول الضباط كان الحرس الجمهوري، وعدد أفراده مئة فقط، بعدما اضطرت ظروف الحرب أن يذهب الألف والمئة الآخرون إلى ميادين أخرى غير حراسة منزل الرئيس يتوجه إلى مبنى القيادة ومعه أمر من الرئيس باعتقال جميع من فيه.

وبعد دقائق أعلن أن المشير عبد الحكيم عامر وشمس الدين بدران قد قدما استقالتيهما. وقد نقل بدران إلى السجن الحربي في مصر الجديدة مع الضباط الكبار الذين اجتمعوا وخططوا لفترة ما بعد استقالة عبد الناصر أما المشير عامر فاختفى من القاهرة وتبين أنه ذهب إلى مسقط رأسه ((إسطال)) في مديرية المنيا وسط الصعيد.

إلا أن جريدة ((الأهرام)) الرسمية قطعت الطريق على هذه المحافل الدبلوماسية

و((تقويلاتها)) فأذاعت فيما بعد مباشرة كل شيء عن ((خطة المشير)) للعودة إلى الحكم فحددت وقائعها استناداً إلى مصادر التحقيق على الشكل الآتي:

١ - كان هدف العملية فرض عودة المشير عبد الحكيم عامر بأي ثمن إلى القيادة الفعلية للقوات المسلحة. وكان الرئيس عبد الناصر، بعد قبوله للتفويض الشعبي الذي ألح عليه بالعودة عن قرار التنحي، قد وجد لصالح الجيش والشعب ألّا يعود المشير عامر إلى القيادة العليا للقوات المسلحة وأن عناصر عسكرية مقتدرة ومؤهلة لهذه القيادة يجب أن تتولى المسؤولية العسكرية.

٢ - بدأ التفكير في العمل بصورة مبدئية بعد أيام قليلة من تعيين قيادات جديدة للقوات المسلحة ومن صدور أوامر بالتحقيق في أسباب النكسة العسكرية. وقد حاول وزير الحربية السابق شمس الدين بدران أن يتصل في ذلك الوقت بمجموعة من المتصلين به والذين كانوا ضمن دفعته التي تخرج فيها من الكلية الحربية، وهي دفعة عام ١٩٤٨، ولكن هذه المحاولات لم تصل إلى نتيجة واتجهت المحاولات إلى عملية أخرى.

٣ - كانت الفكرة الأساسية في هذه العملية هي أن يظهر المشير عامر في مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ آب، أي إن قرار تحديد إقامته واعتقال كبار المشتركين في تدبير العملية سبق الموعد لها بأربع وعشرين ساعة. وكان المفروض أن يتحرك المشير عامر من مدرسة الصاعقة إلى مركز القيادة في القصاصين في حراسة قوة مدرسة الصاعقة وعددهم أربعمائة. ولم يكن يعرف بينهم بالسر غير عدد قليل جداً من الأفراد. وكان المقرر أن يقال للباقين أن أمراً قد صدر من الرئيس عبد الناصر بإعادة تعيين المشير عامر إلى القيادة العليا للقوات المسلحة. وبهذه القوة معه، فإنه كان يقدر أن يستطيع السيطرة على مركز القيادة الشرقية ويتولى قيادة قوات الجبهة العاملة تحت أوامرها، وهي القوة الأساسية للجيش. ومن هناك يبدأ في التفاوض وإملاء شروطه على الرئيس عبد الناصر وأولها أن يعلن الأمر بتعيين المشير عامر للقيادة العليا للقوات المسلحة وأن يفرج عن الذين استدعت ظروف التحقيق في أسباب النكسة ضرورة التحقيق معهم.

٤ - وفي سبيل تحقيق ذلك كان هنالك عدد قليل من الأشخاص يعلمون بالخطة في مرحلة إعدادها المبدئي، وبينهم إلى جانب المشير عامر شمس الدين بدران وستة أفراد أساسيون هم القائد السابق لقوات الصاعقة جلال هر يدي ووكيل القائد السابق لقوات الصاعقة المقدم أحمد عبد الله. وكذلك اللواء عثمان نصار الذي كان قائداً للفرقة الرابعة وعزل من قيادتها وقدم للتحقيق لأنه ترك فرقته بعد بدء العمليات في

سيناء وغادر منطقة ((بير لحفن)) وعاد إلى القاهرة بلا أوامر، وكان مقدماً للتحقيق في أسباب النكسة العسكرية ولكن المشير عامر دعاه إلى الإقامة في بيته ليحميه من التحقيق.ثم المقدم حسين مظار من قوات الصاعقة والعقيد الطيار محمد تحسين زكي وكان قائد مجموعة جوية في مطار انشاص ثم وزير الداخلية السابق عباس رضوان الذي حضر عدداً من الاجتماعات الخاصة بأعداد تفاصيل العملية.

٥ - كان هناك تفكير في إنشاء مجلس للثورة يتكون من هؤلاء الستة إلى جانب المشير عامر والسيد بدران الذي كان يعامل بوصفه الرجل الثاني في العملية، والذي كان من المقرر أن يتولى رئاسة حكومة جديدة بعد نجاحها.

٦ - لم تكن العملية، وفق ما جاء في شهادات عدد من الذين جرى التحقيق معهم، موجهة ضد الرئيس عبد الناصر ولكنها كانت موجهة لفرض العملية عليه وإرغامه على قبولها. وقد دار في إحدى الجلسات نقاش حول عدد من النقاط بينها ما إذا كان الرئيس عبد الناصر يقبل بأن يفرض هذا الوضع عليه.

وكان الرد بأنه سوف يقبل في الغالب على أساسين:

الأول أنه لايريد إراقة الدماء وأنه في تاريخه كله قد تحاشى أي موقف من شأنه حدوث مثل ذلك.والثاني أن وجود القوات الإسرائيلية في سيناء سوف يفرض عليه أن يقبل أي شيء لكي يحول دون فرقعة تؤثر على الجبهة الداخلية في الجيش.

موقف عبد الناصر

وحدث تساؤل بما عسى أن يحدث إذا ما رفض الرئيس عبد الناصر أن يقبل هذه العملية. وكانت الترتيبات التي وضعت لمثل هذه الحال كما يلي: يقود المشير عامر بنفسه مجموعة لواء مدرع ويزحف بها على القاهرة لفرض العملية.

ويكون عباس رضوان ومعه اللواء السابق عثمان نصار مسؤولين عن عملية تأمين القاهرة بواسطة الشرطة العسكرية وبواسطة جماعة أمن من المخابرات العامة. وكان وزير الحربية السابق بدران هو المسؤول عن إجراء اتصالات لهذا الغرض بالشرطة العسكرية. وقد قال اللواء عثمان نصار، طبقاً لاعتراف كتبه جلال هريدي بخط يده انه عندما يذهب للسيطرة على قوات الشرطة العسكرية فسوف يجد كرسي القيادة جاهزاً في انتظاره. ويتولى هو تحت إشراف عباس رضوان إجراء مجموعة من الاعتقالات والسيطرة على بعض المراكز الهامة في العاصمة ريثما يصل

المشير عامر على رأس القوة المدرعة التي قدر أن وصولها إلى القاهرة سوف يستغرق ٦ ساعات.

٧ - إذا أصدر الرئيس عبد الناصر أمراً إلى الطيران بوقف تقدم المدرعات الزاحفة على القاهرة، فقد كان الترتيب أن يكون العقيد الطيار محمد تحسين زكي مسؤولاً عن العمل على عدم تنفيذ الأوامر. وفي أحد الاجتماعات قال المشير عامر للعقيد طيار محمد تحسين زكي: هل لو صدرت لكم أوامر بضرب قوات متحركة تضربونها؟..

ورد عليه: هل من المعقول إن مصرياً يضرب مصرياً ؟.. والغريب أن موقفاً آخر فرض نفسه بعد ذلك وهو احتمال أن تتصدى الجماهير الشعبية للقوات الزاحفة على القاهرة. وهكذا عاد المشير يسأل العقيد الطيار نفسه عن احتمالات قيام الطيران بضرب أية تظاهرات معاديه للعملية. وكان الرأي انه يجوز ضربها في ظروف معنية.

٨ - كان المشير عامر يقوم باتصالاته مع من يريد الاتصال بهم في عدد من الأماكن: البيت الذي يسكن فيه بالجيزة ثم مشتل بجوار البيت كان له مدخل على شارع جانبي آخر ثم فيلا بجوار مستشفى "مورو" في الدقي ثم شقة في عمارة الشربتلي في العجوزة.

٩ - وقد أملى المشير عامر تفاصيل الخطة على جلال هريدي بحضور بدران ورضوان واللواء السابق عثمان نصار. وقد أملاها يوم ٢٣ آب في اجتماع عقده في غرفة نومه في بيته بالجيزة وقد قام جلال هريدي بإحراق الورقة التي كتبت فيها الخطة عندما حوصر بيت المشير عامر للقبض على مجموعة الضباط التي كان مطلوباً أن يقبض عليهم للتحقيق.

الاسم الرمزي: ((نصر))

وقد حدد الموعد النهائي للعملية ليلة ٢٧ آب وكان المشير قد أخطر بموعد له مع الرئيس يوم ٢٥آب وقال للحاضرين معه طبقاً لشهادة جلال هريدي ((إذا حدث تفاهم بين الرئيس وبيني وعدت إلى قيادة القوات المسلحة فإننا لن نكون في حاجة إلى هذه الخطة.

وقد اختار المشير اسماً رمزياً للخطة هو ((نصر)) وهو الاسم الرمزي نفسه الذي اختاره الرئيس عبد الناصر لعملية ثورة ٢٣يوليو تموز ١٩٥٢

١٠ - كان من تفاصيل الخطة أن يخرج المشير من بيته عند منتصف ليلة ٢٧ آب ومعه جلال هريدي ويتوجهان بطريق فرعية لتجاوز نقاط المرور إلى انشاص حيث مدرسة الصاعقة وهناك يكون في انتظارهما المقدم أحمد عبد الله. وفكر المشير في طريقة أخرى هي أن يخرج من بيته إلى مطار ((امبابة)) إذا استطاع العقيد الطيار تحسين زكي إعداد طائرة هليو كوبتر له هناك. ولكن بعض الذين حضروا عملية وضع الخطة في شكلها النهائي أشاروا إلى مخاطر الطيران الليلي بالهليوكوبتر وسأل المشير ما إذا كان يستطيع استعمال أية طائرة من طراز اليوشن أو حتى من طراز جمهورية ولكن الرأي استقر أخيراً على الذهاب بالسيارات.

١١ - درست محاولة للاستيلاء على الإذاعة ولم يصل فيها رأي إلى قرار نهائي.

١٢ - كان بعض من جرت الاتصالات معهم من الضباط متورطين في العملية وكان الضغط عليهم يجري بما للمشير عليهم من جميل وقد أثار أكثر من واحد بينهم عدداً من الاعتراضات.

وكان بين الاعتراضات مرة، ضرورة التأجيل لأن حوادث تجدد إطلاق رفعت درجة الاستعداد في القوات المسلحة ولأن تنفيذ الخطة في هذه الظروف قد يؤثر على درجة الاستعداد.

كذلك كانت هناك بعض الاعتراضات على عدد من المحيطين بالمشير عامر وبينهم شمس بدران واللواء السابق عثمان نصار واللواء السابق علوي واللواء السابق عبد الرحمن فهمي واللواء السابق حمزة البسيوني والعقيد السابق علي شفيق.

وقد قال أحد الضباط للمقدم أحمد عبد الله، وكان يقوم بدور رئيس في الاتصالات: ((أليس هؤلاء جميعاً من بطانة المشير وكانوا من أول المسؤولين على النكسة))؟..

ورد عليه أحمد عبد الله بأنه تحدث إلى المشير في شأنهم وأن المشير قال له: أن الظروف قد جعلته يكتشف الطيب من الخبيث ولكنه الآن في حاجة إلى هؤلاء جميعاً. ثم أن معظمهم لجأوا إلى بيته ولا يستطيع إخراجهم منه ولكنه يعد بالتخلص منهم بعد نجاح العملية.

وقال الضابط السائل للمقدم أحمد عبد الله: ((وإذا لم يستطع المشير أن يخلص نفسه من هؤلاء جميعاً وهم سبب المصيبة))؟.. فرد عليه المقدم أحمد عبد الله: ((في هذه الساعة نحن نخلص عليهم وعليه هو الآخر)).

١٣ - قبل الموعد المحدد للعملية بثلاثة أيام ذهب المقدم أحمد عبد الله إلى مقابلة مع المشير عامر يطلب إليه تقديم موعد العملية لأنه يشعر أن المخابرات العسكرية وراءه،

ولكن جميع الترتيبات كانت قد اتخذت للتنفيذ ليلة ٢٧ آب. وبتاريخ ١٤ أيلول. أي في يوم انتحار المشير بالذات نشرت بعض الصحف في بيروت وغيرها خبراً غير رسمي جاء فيه ((أن المشير عامر يصر على أن تجرى له ولزملائه الموقوفين أو الموضوعين تحت الإقامة الجبرية محاكمة علنية حتى يتفهم الرأي العام حقيقة الوضع. كما أن المشير يصر على القول أن القيادة السياسية في مصر هي المسؤولة عن النكسة الحربية)).

إلا أن جريدة ((الأهـرام)) الرسمية عادت وسارعت إلى نشر اعترافات المتآمرين بخط أيديهم لقطع الطريق أيضاً على أي ملابسات أخرى.

وكان كل شيء في ذلك الوقت قد انكشفت... وبات المشير في وضع لا يحسد عليه.

سر اكتشاف المؤامرة

ظل سر اكتشاف مؤامرة المشير سراً، حتى كشفته المخابرات العربية، بقيادة اللواء محمد أحمد صادق، قبل بدء المحاكمات بأيام قليلة.

وقد انكشفت أولى خيوط المؤامرة لرجال المخابرات الحربية في شهر آب الماضي، بعد ظهور منشورات وزعت على الضباط تلقي بتبعة الهزيمة على القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة وتطالب بعودة المشير إلى منصبه السابق.



كما وصل لعلم المخابرات نفسها أن بعض الضباط من رجال القوات المسلحة يدلون في مجالسهم الخاصة بأحاديث يفهم منها أنها تمهيد ذهني لتشويه الحقائق عن أسباب الهزيمة العسكرية.

مراقبة جلال هريدي

وقد تضمن أحد التقارير التي رفعت للمخابرات الحربية، أن هناك نفراً من الضباط يقومون باتصالات مشبوهة مع بعض الضباط في الأسلحة المختلفة.. وقد ذكر اسم جلال الهريدي في التقرير، وقيامه بالفعل باتصالات سرية ببعض ضباط الصاعقة. وأعطيت الأوامر بمراقبة جلال الهريدي، واتضح أنه يقيم بصفة دائمة بمنزل المشير كما جاء في التقارير أن من بين الضباط الذين يتوافدون على منزل المشير، شمس بدران، واللواء عثمان نصار وعدداً من الضباط منهم حلمي عبد الخالد، وأحمد عبد الله مدير مدرسة الصاعقة، وإبراهيم رشيد ويحيى زكي والعقيد طيار علوي الجمل. وأكثر من هذا، فإن هؤلاء الضباط كانوا يعقدون اجتماعات سرية في الليل تتم في مشتل مجاور لمنزل المثير.

ولدى مراقبه شمس بدر أن اتضح أنه يجري اتصالات بضباط دفعته وإفهامهم أن هناك تعليمات صدرت باعتقالهم وطلب إليهم اللجوء إلى منزل المشير لحمايتهم. وقد استجاب بعض هؤلاء الضباط وتحصنوا داخل منزل المشير، ورفض الآخرون. وقد عاد العض الذي استجاب إلى منازلهم في اليوم التالي بعد أن تبين لهم عدم صحة هذا الإدعاء

من كشف صلاح نصر؟

وقامت المخابرات الحربية بطلب معاونة جهاز الأمن القومي (المخابرات العالم) برئاسة صلاح نصر في عملية القبض على جلال الهريدي، وكان ما زال دور صلاح نصر في المؤامرة مجهولاً.. ولم يصل لعلم المخابرات الحربية ضمن التقارير التي وصلتها أي ذكر لصلاح نصر.

ورفض نصر طلب المخابرات الحربية مدعياً أن جلال الهريدي قام بضرب بعض رجال المخابرات وحجزهم في منزل المشير أثناء قيامهم بمراقبة بعض الأجانب القاطنين بالقرب المنزل.

ثم اتضح للمخابرات الحربية بعد التحريات التي أجرتها، أنه قد جرى اتصال من منزل المشير مع صلاح نصر بعد الحادث مباشرة.

وفي نفس الوقت تجمعت لدى المخابرات عدة تقارير عن القوة المكلفة بمراقبة منزل المشير تفيد أن عدداً كبيراً من المدنيين يصلون بعربات أميرية من إسطال بلدة المشير عبد الحكيم عامر ويقيمون في منزله.

كما يتردد على منزل المشير، أعضاء مجلس الأمة من محافظة المنيا، وأعضاء آخرون من دوائر أخرى ثم اتضح فيما بعد أنه كانت تجري هناك مناقشات لبلبلة

الأفكار وإثارة الفتنة بين المجتمعين. وفي يوم ٢١-٧-١٩٦٧ تصدت قوات من الشرطة والمخابرات الحربية لإحدى هذه السيارات وتم ضبط عدد كبير من الأسلحة والمعدات وصناديق الذخيرة. وإن هذه الأسلحة يقوم بالتدريب عليها بعض المدنيين المتحصنين في منزل المشير بعرفة اللواء عثمان نصار جلال الهريدي وحسين مختار.

مراقبة الجاسوسة ((جيجي))

وكان بعض التقارير التي تجمعت لدى المخابرات أن هناك سيدة مجهولة على علاقة بجلال الهريدي، وتشيع في مجالسها الخاصة أنها زوجته واسمها ((جيجي)) وتقيم بالمنزل رقم ٥٠ شارع رمسيس بمصر الجديدة، وان جلال يلتقي بها أحياناً في منزلها وأحياناً أخرى في الشوارع الخلفية بالمنطقة التي يقع فيها منزل المشير.. وصدر الأوامر بمراقبة هذه السيدة.

وفي ٥ آب خرجت ((جيجي)) من منزلها واستقلت سيارة رقم ٢٨٦٦٧ ملاكي القاهرة ((ماركة رينو)) تضع على عينيها نظارة سوداء، واتجهت إلى عين شمس ثم عادة إلى منزلها واصطبحت شقيقها ويدعى حمادة. ثم توجهت إلى شارع ((المرعشلي)) بالزمالك حيث كانت تنتظرها سيدة أخرى فاصطحبتها معها بالسيارة واتجهت إلى ((كوبري الجلاء)) واصطحبت سيدة ثالثة إلى شارع النيل الجيزة ودخلت السيارة إلى الشارع المجاور لعمارة أبو الفتوح. وكان طول هذه الفترة في ظل رقابة سيارة المخابرات الحربية.

إطلاق الرصاص على سيارة المخابرات

ونـزل قائد القـوة ليتبين موقف السـيـارة، فشاهد جـلال هـريـدي يتحدث مع السيدة ((جيجي)). فتقدم منه شاهراً سلاحه، وكان بقية أفراد القوة قد لحقوا به وطلبوا منه تسليم نفسه.. فصرخ جلال الهريدي مستغيثاً بأعلى صوته: ((إلحقوني.. إلحقوني)). فاندفعت طلقات الرصاص من خلف كشك سجاير موجودة بالمنطقة بواسطة أشخاص مدنيين يلبسون الجلاليب، وسارعت السيارة بالاتصال لاسلكياً بالقيادة، فطلب منها الانسحاب والمحافظة على سلامة أفراد القوة.

وفي هذه الأثناء ركض جلال ناحية شارع الجيزة، وحاصر الخمسة الذين كانوا يطلقون الرصاص على سيارة المخابرات، وكانت الساعة تشير على الخامسة مساءاً.. كان إطلاق الرصاص من داخل منزل المشير لا يزال مستمراً، فاتصلت السيارة بقيادتها مرة ثانية، فطلب منها الانسحاب مجدداً. ولكن الرصاص ظل يطاردها فأصيب الرقيب أول عبد الستار عبد القوي في ذراعه.

تقرير المخابرات العسكرية

ورفعت المخابرات العسكرية تقريراً خطيراً إلى المسؤولين ضمنته كافة التفاصيل التي توصل رجال المخابرات على جمعها عن الضباط وعن مراقبتهم لمنزل المشير.. وفي نهاية التقرير جاءت هذه العبارة:

((لقد أصبحت المنطقة التي يقع فيها منزل المشير دولة داخل الدولة لا يستطيع أحد الإقتراب منها وان الأمر يكشف عن وجود شيء خطير ولا بد من التحرك.))

محاصرة منزل المشير

وتحركت قوات كافية من رجال الشرطة العسكرية وقامت بحصار منزل المشير أثناء وجود المشير خارج المنزل. وطلب من المتحصنين تسليم أنفسهم.. فنزل شمس بدران وجلال الهريدي محاولين استمالة أفراد القوة على جانب المشير.

وتم القبض على جميع الضباط الموجدين بمنزل المشير من رؤوس المؤامرة ما عدا المقدم حسين مختار الذي تم إلقاء القبض عليه بعد ثلاثة أيام في منزل اللواء عثمان نصار. وقد تبين أنه كان قد أعد خطة لاختطاف المشير بمعاونة بعض ضباط الصاعقة والعقيد تحسين زكي واصطحابه إلى المنطقة الشرقية للقيام بعملية الإنقلاب.

ثم بدأت حلقات المؤامرة الكبرى تتكشف، ومنها أن العقيد محمود طنطاوي مدير مكتب المشير قد أبلغ أنه قام بتسليم ٥ آلاف جنيه ذهب إلى عباس رضوان داخل خمسة أكياس. وهذا المبلغ هو غير المبلغ الذي ذكر عنه في مطالعات الإدعاء العالم والبالغ ٦٠ ألف جنيه.

وباشتراك وجيه عبد الله مدير مكتب صلاح نصر بحمل المبلغ والأسلحة مع عباس رضوان، بدأ يتكشف دور صلاح نصر في المؤامرة وتواطؤه مع المتآمرين وحمايتهم. ثم بالتالي تقديم كل المساعدات الممكنة سواء من معلومات أو اتصالات، والمشاركة الفعلية في المؤامرة.

كيف انتحر المشير ؟

في مساء يوم الجمعة ١٥ أيلول، أذيع نبأ انتحار المشير عبد الحكيم عامر على النحو الذي أورده بلاغ وزارة الإرشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة.

وكان المشير عام، بعد ظهر يوم الأربعاء ١٣ أيلول مدعواً لسماع أقواله في التحقيقات العسكرية التي جرت حينئذ والتي بدأت بالتحقيق مع بعض المسؤولين عن أسباب النكسة العسكرية، ثم تفرعت منها وقائع العملية التي استهدفت إعادة

فرضه على القيادة العليا للقوات المسلحة على أساس ذهابه مع بعض المحيطين به إلى مقر القيادة الشرقية والاستيلاء عليها وفرض عودته بالقوة.



ونظراً لرتبة المشير الرفيعة ولمكانته الخاصة فقد رؤي أن تتم دعوته للتحقيق على مستوى عسكري. وكان قد توجه إلى بيته كل من القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول محمد فوزي ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الفريق عبد المنعم رياض الذي دخل إلى مقابلة المشير في قاعة استقبال بيته، بينما وقف القائد العام ينتظر المشير في الخارج، ودعاه إلى مرافقتهما لسماع أقواله في التحقيق. ولكن المشير رفض. وخلال الحديث الذي كان المشير أثناءه عصبياً إلى درجة بالغة، ذهب المشير إلى غرفة نومه ثم عاد إلى الفريق رياض، الذي لاحظ أن المشير يمضغ شيئاً في فمه. واستمر الحديث وكان المشير ينظر في ساعته بين دقيقة وأخرى، ثم بدت عليه فجأة أعراض غير طبيعية ارتاب معها رياض في الأمر، فسأل المشير عن الأمر فأجابه بأنه تناول مادة سامة سوف ينتهي بها كل شيء.

وتحرك الفريق رياض بسرعة ليناشد المشير أن يقذف من فمه هذه المادة، التي كان مازال يمضغها، وحاول أن يستخرج بيده ما تبقى منها ثم دعا بعض مرافقي المشير إلى مساعدته على حمله إلى سيارة القائد العام للقوات المسلحة الذي كان قد سارع هو الآخر إلى الاشتراك في حمل المشير. وانطلقت السيارة بهم جميعاً إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادي حيث بدأت عملية إسعاف المشير بسرعة تحت إشراف مدير المستشفى اللواء الطبيب محمد عبد الحميد مرتجي ومجموعة من الأطباء العسكريين بالمستشفى.

وكان المشير يقاوم في البداية محاولة إسعافه ولكن الإلحاح عليه دفعه في النهاية على أن يحاول بنفسه إدخال خرطوم غسيل المعدة في فمه.

وبعد ساعة كان الموقف قد بدأ يتحسن، وكانت عملية غسل المعدة قد أدت مفعولها، كما أن حقن ((الكورامين)) المقوية للقلب بدأت تساعد على أعادة المشير إلى حاله الطبيعية. واستمر التحسن مطرداً حتى نام في الساعة ١،٣٠ صباحاً، بعدما نقل إلى أحد بيوت الضيافة الرسمية في الجيزة.



-صورة بالتلفزيون من ي. ب-

(مستشفى القوات المصرية المسلحة في المعادي حيث نقل المشير عبد الحكيم عامر بعد محاولته الانتحار يوم الأربعاء وأجريت له عملية غسل معدته)

المحاولة الثانية

وفي اليوم الثاني، الخميس، استيقظ المشير في الساعة ١ وأجريت له عملية من الأطباء الذين كلفوا مراقبته. وكان التنفس طبيعياً ولم يكن المشير يشكو من أي شيء بالذات غير بعض آثار الأرهاق من حوادث اليوم السابق وعند الظهر تماماً قدم الطبيب إلى المشير كوباً من عصير الجوافة المجففة المثلجة، وأعطاه قرصاً من (البلادونال) وقرصاً من (الأنترستين)

ورجاه أن يحاول النوم مرة أخرى. وبالفعل نام المشير بعد الظهر. وحتى الساعة ٦ مساء كان لا يزال نائماً.

وفي الساعة ٦،١٥ عرف الطبيب المقيم، أن المشير استيقظ ودخل الحمام. وكان كل شيء يبدو طبيعياً. وفجأة جاء أحد مرافقي المشير يخبر الطبيب بأن المشير وقع على ارض الحمام وفي حال سيئة.

وأسرع الطبيب إلى الحمام فوجد المشير في حالة إغماء، ولونه ممتقع، ونفسه متقطع. وكان واضحاً أن شيئاً قد حدث. وأسرع الطبيب يحقن المشير (بالكورامين) في الوريد لتقوية القلب، ثم بدأ يساعده على التنفس باسطوانة أوكسجين. وكلف الممرضة المقيمة معه أن تتصل بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي لطلب عربة إسعاف. ولكن كل شيء انتهى بسرعة. وفي الساعة ٦،٣٠ أسلم المشير الروح وفارقته الحياة تماماً.

سم من مادة (الأكونتين)

وقد كشف التحقيق الأول عن وجود مسحوق بالكبسولات الصغيرة التي كان يخفيها المشير بجسمه وكان من الراجح بالمعاينة أنه من مادة (الاكونتين) السامة السريعة التأثير. ويبدو انه تناول شيئاً منها، خاصة لأن أعراض الانهيار المفاجئ والسريع الذي وقع له تشير إلى تأثير مادة (السيانور).

وقد أوردت هذه المعلومات الصحف المصرية.. إلا أن مصادر أخرى تحدثت عن رواية ذكرت أن منزل المشير شهدها مساء الأربعاء ١٣ أيلول في الساعة السادسة والنصف مساء وكانت هذه الرواية تقول:

.. سمع جيران المشير عبد الحكيم عامر، ومنهم بعض موظفي السفارة السوفياتية، طلقات نارية. فذعروا وخرجوا إلى الشرفات وبعضهم اقترب من الدار التي يسكنها المشير يحاولون استطلاع ما جرى واستطاعوا أن يروا في حديقة الدار نجل المشير، وهو في الثامنة عشرة من العمر واسمه جمال، ممسكاً بيديه بندقية سريعة الطلقات وأمام الدار سيارة رسمية وسيارة حرس، وكان راكب السيارة الرسمية هو القائد العام للجيش المصري الفريق أول محمد فوزي. أما الفريق عبد المنعم رياض، وهو رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة، فكان قد غادر السيارة ودخل المنزل ليدعو المشير لمرافقته والفريق أول فوزي إلى مبنى القيادة لسماع أقواله في التحقيقات العسكرية. وكان رد فعل نجل المشير انفعالاً حمله إلى الإمساك بالبندقية السريعة الطلقات التي كان منزل والده يحوي المئات منها ويطلق الرصاص في الهواء، إلا أن أحد رجال الحرس الذين جاؤوا مع القائدين الكبيرين انتزع البندقية منه.

ورفض المشير أن يرافق رياض. وبعد نقاش دام حوالي (١٠) دقائق ترك المشير عامر الفريق رياض في الصالون وعندما عاد كان يمضغ شيئاً في فمه. واستؤنف النقاش لكن الفريق رياض الذي لاحظ أن المشير ينظر في ساعته وهو يتحدث ثم الأعراض التي بدأت تظهر عليه، سأل المشير عما إذا كان يشكو من شيء فأجابه أنه ابتلع مادة سامة (سوف ينتهي بها كل شيء).

وعندما رفض المشير عامر، رغم إلحاح الفريق رياض أن يبصق المادة التي يمضغها وكان حاله قد ازدادت سوءاً، نقل الفريق رياض المشير عامر إلى سيارة الفريق أول فوزي، وبدلاً من أن تتوجه السيارة كما كان مفروضاً إلى مبنى القيادة انطلقت نحو ضاحية المعادي التي تبعد ربع ساعة بالسيارة عن شارع النيل في الجيزة وأدخل المشير إلى مستشفى القوات المسلحة الذي يعتبر من أحدث المستشفيات في الشرق الأوسط.

وعلى الفور أجريت للمشير إسعافات سريعة شارك فيها (٧) من الأطباء العسكريين في المستشفى تحت إشراف مدير المستشفى اللواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجى. وقد قاوم المشير في بادئ الأمر عملية إسعافه ولكنه اضطر في النهاية على الاستسلام وأدخل خرطوم غسيل المعدة في فمه.

وبعد حوالي (٤) ساعات قضاها المشير في المستشفى حقن خلالها بالكورامين لتقوية قلبه، نقل في الساعة الأولى من صباح الخميس ١٥ أيلول على أحد بيوت الضيافة في الجيزة، وتولى طبيبان بالتناوب الإشراف عليه. وبعد نصف ساعة نام المشير.

واستمر نائماً حوالي عشر ساعات وبعدما استيقظ بدأت عملية الكشف الطبي عليه ثم أعطي كوباً من عصير الجوافة المثلجة وحبة منوم.

ونام المشير ثانية وعندما أستيقظ، وكانت الساعة السادسة والربع من مساء الخميس، دخل إلى الحمام. وعلى الأثر سمع أحد مرافقي عامر صوت سقطة شديدة فأسرع ليجد المشير في حالة إغماء وكان لونه ممتقعاً ونفسه متقطعاً ونقل الطبيب المناوب المشير إلى غرفة نومه ثم قام بحقنه بالكورامين في الوريد وأخذ يساعده على التنفس مستعيناً بأسطوانة أوكسجين، وكلف الممرضة المقيمة معه الاتصال بالمستشفى العسكري بالمعادي لطلب عربة إسعاف. إلا أن المشير بعد ربع ساعة وقبل أن تصل عربة الإسعاف، كان قد أسلم الروح.

عبد الناصر أمام الجثمان

وكان الرئيس جمال عبد الناصر في الإسكندرية يوم انتحار المشير. فلما أبلغ بالنبأ طلب أن تجهز سيارته لأنه يريد العودة فوراً إلى القاهرة.

وفي الساعة العاشرة ليلاً وصل الرئيس إلى بيت الضيافة المسجى فيه جثمان المشير وكان في غاية الحزن. ثم طلب أن يأتي السيد محمد حسنين هيكل. ووصل هيكل ثم وصل أنور السادات وزكريا محيي الدين. وبقي الجميع حتى الفجر في بيت الضيافة وقد شق بطن المشير واقتطع جزء من معدته وتولى الطبيب الشرعي معاينته.

نعي الأهرام
(البشر) بين الضوء والظل

وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة الأهرام وفيها النعي الآتي:

"لا يمكن للظروف الأخيرة التي أحاطت بدور عبد الحكيم عامر أن تطمس سنوات من الخدمة العامة، كان عبد الحكيم عامر فيها رفيق كفاح لجمال عبد لناصر وصديقاً وأخاً."

ولقد كان يوم أمس، برغم أية ظروف، يوم حزن عميق بالنسبة لجمال عبد الناصر، الذي ربطته بعبد الحكيم عامر صلة تعود بجذورها إلى أكثر من ٣٠ سنة، عاشا فيها معاً أيام الشباب وأحلامه وأيام الكفاح ومصاعبه.

وكان عبد الحكيم عامر قبل أي شيء (بشراً) بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ومما تشير إليه من إيماءات. ولقد كان صميم المأساة التي عاش فيها عبد الحكيم عامر في الظروف الأخيرة من حياته، ثم انتهت بها حياته نفسها، أنه كان خيراً ألف مرة من معظم الذين أحاطوا أنفسهم به وكان بعضهم ممن فرضتهم المقادير عليه.

حكم التاريخ

وللتاريخ أن يحكم على هذه الظروف وأن يقوم بتقييمها، كما أن له أن يبدي رأيه في الطريقة التي اختار بها عبد الحكيم عامر أن يصنع المشهد الأخير الذي يخرج به من الظروف التي أحاطت به ومن الحياة كلها.

وليس سراً أن فكرة الانتحار كانت تعاود عبد الحكيم عامر في الفترة الأخيرة وتطارده. ولقد حاولها يوم ٨ حزيران حين وصلت المعركة في سيناء أمام عينيه إلى النكسة التي وصلت إليها. وفي تلك الليلة، كما يذكر الذين عاشوا وقائعها، اتصل وزير الحربية السابق شمس بدران والذي كان يعاون عبد الحكيم عامر في قيادة المعركة، بالرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه، ودعاه إلى الحضور فوراً إلى مقر القيادات العليا للقوات المسلحة.

وقال له على الهاتف أنه يخشى أن يكون في نية المشير كما يبدو من جميع تصرفاته أن يفعل بنفسه شيئاً. ولقد كان سير المعركة قبل هذه الحادثة واضحاً إلى حد شعر معه جمال عبد الناصر أن عبد الحكيم عامر قد يقدم فعلاً على عمل يدفع به حياته ثمناً لمسؤوليته. وهكذا غادر مكتبه إلى مقر القيادة العليا وقضى الليل كله حتى ساعات الصباح الأولى ممزقاً بين محنة الصديق ومحنة الوطن.

(وفي مساء ٢٥ آب حين صورح عبد الحكيم عامر باكتشاف وقائع العملية التي كانت تجري لإعادته فرضاً إلى قيادة القوات المسلحة، حاول الانتحار فعلاً وأسعفه أطباء رئاسة الجمهورية. ولقد يجد بعض علماء النفس في مغارة هذه العملية نفسها مظهراً آخر من مظاهر الحاح فكرة الانتحار).

(ثم كان ذلك الموقف الذي أحس فيه عبد الحكيم عامر "البشر" أن الضوء يشحب من حوله، وأن الظلام يقترب منه. وهكذا حاول مرة أخرى وأعطى نفسه للموت فعلاً في لحظة لا بد أنها كانت بالنسبة له عنيفة إلى قرار درجات العنف وإلى ذروتها أيضاً. وبعد فليرحمه الله وليتقبله في رحابه غفراناً ورضواناً رجلا قام بدوره ومضى. " بشراً" عاش تجربة البشر مأساة البشر، أحفل ما تكون. وفوق ذلك كله ابنا من أبناء مصر الخالدة وقطعة من تاريخها بكل ما فيه من الضوء والظل).

السمّ القاتل

نبتة سم (الأكونتين)

مات المشير عبد الحكيم عامر بسم قاتل، مستخرج من نبتة صغيرة تدعى (الأكونتين) تم اكتشافها صدفة إذ أماتت ذئباً فأطلق عليها (خانقة الذئب). وتتميز (خانقة الذئب) بجمال لونها وقوة مفعولها وندرة وجودها.

و(خانقة الذئب) تنتمي إلى الفصيلة الحوذانية.

انهيار البرجوازية العسكرية في مصر

فيما كانت الدول العربية مشغولة بتتبع أنباء المؤامرة وانتحار المشير، كانت الصحافة العالمية وبينها الصحف السوفياتية تواصل تحقيقاتها عن الخفايا التي أدت إلى نكسة الخامس من حزيران وما تبعها.

وكان أبرز ما طلعت به هذه الصحف المقال الذي كتبه الصحفيان السوفياتيان ايغور بلياميف ويفغيني بريما كوف والذي نشر في وكالة (نوفوستي) السوفياتية الرسمية تحت عنوان (عندما تقف الحرب على الأبواب)، بعد زيارة قاما بها للقاهرة في أعقاب اكتشاف المؤامرة وقد تناولت الصحف العربية وبينها الأنوار هذا المقال، وأشار الكاتبان في مقالهما إلى المرارة التي يقابل بها المصريون احتلال الإسرائيليين للضفة الغربية من قناة السويس.

وقالا: أن تأميم قناة السويس قبل ما يقارب من أحدى عشرة سنة، كان أقوى ضربة للنفوذ الأجنبي في مصر، وكذلك في كل الشرق الأوسط. ومنذ ذلك الحين اعتدت إسرائيل مرات عديدة على العرب. والآن يطرح ملايين المصريين عدداً لا يحصى من الأسئلة مضمونها النهائي كم من الوقت سيدوم احتلال إسرائيل للأراضي العربية وهل ستحاول القوى الاستعمارية المهتمة بالوضع الناشيء في الشرق الأوسط الاستفادة منه وإرجاع الأنظمة الاستعمارية القديمة إليه.

إن الحديث لا يدور حول ما إذا كان المصريون قد مروا بمأساة حقيقية فقط عندما تعرضوا لاعتداء إسرائيلي، وإنما سيبدأ الملايين من العرب نتيجة لغضبتهم من جراء الفشل العسكري التحدث في الكثير من الأمور، وذلك من منطلقات جديدة. إن الأيام الستة، وحلت مكانها نظرات جديدة حول: كيف يجب أن تتطور الجمهورية العربية المتحدة في المستقبل، وكذلك نظرات جديدة نحو أولئك الذين يجب عليهم تأمين الدفاع الحقيقي عن مكتسبات الشعب.

وأنتقل الكاتبان إلى الحديث عن إنجازات الثورة.. ثم عن استغلال بعضهم لنفوذه لتحقيق مكاسب معينة، فقالا:

وتغيرت كلياً علاقة الكثير.. من الضباط بالخدمة في القوات المسلحة نفسها، وكانوا يستغلون نفوذهم من أجل تحسين أوضاعهم الخاصة فكثير من الجنرالات والضباط الكبار الذين يخرجون من الجيش بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا يتسلمون مراكز رفيعة في جهاز الدولة والصناعة. وما أكثر ما كانت الحكومة تتوجه إلى الجيش بنداء لمساعدتها في إعادة النظام في هذه المؤسسة الحكومية أو تلك. وتحول

انتقال الملاكات العسكرية من الجيش إلى جهاز الدولة الاقتصادي بمرور الزمن، إلى تقليد دائم.. لقد كانوا في المراكز الجديدة يتمتعون بإمكانيات كبيرة لتحسين أوضاعهم الخاصة. إن هؤلاء الجنرالات والضباط أصبحوا يملكون دفاتر شيكات وحسابات في البنوك، وهناك حوادث ت شير إلى أنه فتحت حسابات في البنوك الأجنبية حيث كانت توضع عملة أجنبية. وظهر نوع من الضباط المالكين الذين كانوا يعملون في التجارة عوضاً عن تحضير الجنود والضباط عسكرياً ومنذ سنتين بدأت بعض الصحف المصرية بالكتابة عن (بير وقراطية جديدة) وكان المقصود هنا أولئك الضباط الذين استلموا مراكز رفيعة ورواتب في جهاز الدولة. وتكلم أحد محدثينا بمرارة عن هذه الطبقة الخاصة ووصفها بأنها من جنس خاص من الناس وضعت مصالحها الشخصية فوق مصالح الدولة.

لقد انتشر في هذه الأيام، في الجمهورية العربية المتحدة اصطلاح (البورجوازية العسكرية) وقد سبق أن كتبت عنها الصحف القاهرية، ولكن مثل هؤلاء الصحفيين الذين كانوا يتكلمون بصراحة عن رأيهم كانوا (عرضة للفصل) وحتى أن بعضهم قد جردوا من منصبهم أو هددوا بأشياء غير سارة أخرى. ذلك لأن الجيش هو قائد الثورة ولا يجوز في أي حال من الأحوال التشهير به. ولقد لفت الرئيس عبد الناصر أكثر من مرة الانتباه إلى ظهور مثل هذه الاتجاهات. الخطرة حتى قبل العدوان الإسرائيلي. وأكد أيضاً خطر محاولة (البرجوازية العسكرية) من أن تسير سياستها الخاصة.

ومن الطبيعي أن (البرجوازية العسكرية) لم تكن قوية إلى درجة التكلم بصراحة ضد النظام القائم. فهل يجوز أن يكون هؤلاء الجنرالات والضباط قد قرروا أن يستغلوا الوضع الحاد الناشئ في الشرق الأدنى وعدوان إسرائيل؟..

من المستحيل إعطاء جواب قصير على هذا السؤال. ويجري الآن هنا تحقيق دقيق لعمليات أولئك الجنرالات والضباط المسرحين من مناصبهم في القوات الجوية العسكرية والبرية والقطعات الأخرى من القوات المسلحة. الأرقام التي تشير إلى التطهير الذي بدئ به في الجيش والمذكورة في الصحف مثيرة جداً. فقد عزل من الجيش ٣٤ جنرالاً من ٦٥٠ ضابطاً، هذا ولا يزال العزل وتغيير المناصب مستمراً.

دور الشعب

لقد تغير موقف الشعب من الجيش نتيجة الحوادث الأخيرة، فكثير من المصريين من مختلف العقائد السياسية يعتبرون أن الشعب وحده فقط يقدر أن يلعب الدور التوجيهي في حياة الدولة. هذا أهم كل الدروس المستقاة من عدوان إسرائيل. لقد خرج العمال والفلاحون مساء ٩ حزيران إلى شوارع القاهرة وذلك لتأييد عبد الناصر والثورة بحد ذاتها التي أراد المعتدي إنزال الضربة الساحقة بها.

وفي اعتقادنا أن هذا حادث عظيم في الجمهورية العربية المتحدة ومن المستحيل وأنت تراقب الحوادث أن تستنتج بأن الشعب قد أخذ على نفسه في تلك الساعات كامل المسؤولية عن مصير البلاد.. ولم تستطع أية قوة أخرى أن تحسب لنفسها نجاحاً ما.

لقد حاولت الشرطة المصرية إقناع المتظاهرين الذين ملؤوا شوارع القاهرة، أن يتفرقوا إلى بيوتهم. ولكن لم تتمكن من فعل شيء واستمر الشعب على تنفيذ إرادته وحصل على ما يريد.

لقد عنى هذا عملياً بأنه قد توطد في وعي أوسع جماهير الشغيلة في الجمهورية العربية المتحدة الشعور بالمسؤولية عن مصير الجمهورية والإيمان بقواها. والأمر الأخير ذو أهمية خاصة فيما لو أخذنا بعين الاعتبار بأن الكثير من ممثلي القاهرة الرسميين لم يكونوا سابقاً من أنصار الملكات الجماهيرية مهما كانت القضية المعروضة على بساط البحث. وحتى بعد مقتل عضو الاتحاد الاشتراكي العربي النشيط أحمد حسين في قرية (كمشيش) عندما جاء (٥) آلاف فلاح إلى القاهرة للسير في شوارعها وهم يحملون شعارات معادية للإقطاعية، حاولوا (تهدئتهم) وإعادتهم إلى حيث أتوا بأسرع ما يمكن.

وليس من جديد في هذا. فإن قيادة الجمهورية العربية المتحدة كانت تفضل قراراً من فوق على قرارات من تحت وتكلم الرئيس عبد الناصر وذكر أن الشعارات التقدمية التي ترفعها قيادة الجمهورية العربية المتحدة لا تجد دائماً تطبيقاً منظماً من الجماهير. وهنا يكمن ضعف القيادة. ومما يلفت الانتباه أن (قراراً من تحت) في حزيران عام ١٩٦٧ في تأييد الرئيس عبد الناصر، وعملياً الخط التقدمي لتطور البلد، كان أهم عنصر أمن للدفاع عن مصالح الشعب والاستمرار في النضال ضد الاستعمار. وأصبح الشغيلة أهم ركيزة للنظام القائم، الذي لم يتمكنوا من قلبه في الجمهورية العربية المتحدة وذلك فقط بفضل الشعب الذي قال كلمته الحاسمة وأظهر تأييده الواسع لقضية الثورة.

التحقيقات السرية

عندما انتحر المشير، كان جميع الذين اشتركوا في مؤامرته معتقلين. وقد استمر معهم التحقيق السري الذي تم بإشراف كبار المسؤولين المصريين والذي استهدف في مقدمة ما استهدف، جلاء الحقيقة كاملة لإطلاع الرأي العام عليها.

وكان الناس يلتقفون كل ما ينشر عن التحقيق وأسرار المؤامرة بلهفة غريبة، بينما راح بعض المعلقين والمراقبين ينشرون التفسيرات المختلفة لمجرى التحقيق. وهذا ما دعا المحققين إلى نشر اعترافات المتآمرين بخط أيديهم في الصحافة العربية واستمرت التحقيقات السرية حوالي ثلاثة شهور ونصف صدر في أعقابها قرار الاتهام الذي حدد الأدوار التي لعبها المتآمرون، وقد بلغ عددهم ٥٥ متهماً.

وقد اعترف المتهم الرئيسي في التحقيقات السرية بخط يده:

- فوجئت في إحدى الأمسيات بحضور المقدم أحمد عبد الله، الذي فوجئ بوجودي فعلاً وطلب مقابلة المشير وفعلاً قابله وحده. وتكرر حضوره عدة مرات وأعتقد أنه كان يحضر المعلومات عن الموقف في القوات المسلحة في منطقة القنال وماذا هو شعور الضباط وماذا يقولون وأني أكرر هنا أن طلب هذه المعلومات والتأكد منها كان يقوي الأمل في أن الرئيس سيطلب من المشير العودة، حتى أن شمس بدران قال في إحدى المرات أنه لن ينتهي هذا الأسبوع إلا ويكون الرئيس قد طلب من المشير العودة ثم انقطع حضور أحمد عبد الله فترة طويلة.

- اتصل أحمد عبد الله فجأة وطلب مقابلة المشير وقال أن معه العقيد تحسين زكي فأعطاني المشير مفتاح شقة في عمارة الشربتلي أمام المتحف الزراعي لكي أعطيه لحسين مختار فيأخذهم إلى هناك حيث سيقابلهم المشير وفعلاً تمت المقابلة هناك ولا أدري نتيجتها.

- حضر عثمان نصار كما قلت يوم ٢٣ على غير موعد وكان المشير بالخارج وحضر حوالي الساعة ١ ١/٢ صباحاً ثم حضر شمس بدران وراءه مباشرة وجلسنا مع المشير وفوجئنا بالمشير يقول (لقد حددنا يوم ٢٧ لكي أذهب إلى القنال ولو أن هذا الميعاد ليس نهائياً فيجوز أن يلغى تماماً ويتوقف هذا على نتيجة مقابلة يوم الجمعة ٢٥ مع الرئيس لأنه يجوز تحل الأمور كلها ونتفق على كل شيء ويعلن كل شيء وأن دعى الأمر أسافر معه إلى الخرطوم) وطلب مني إحضار ورقة وقلم وقال تتلخص الخطة في أن يذهب شمس بدران وسعد عثمان وبعض الضباط إلى الخطة في أن يذهب شمس بدران وسعد عثمان وبعض الضباط إلى الفرقة المدرعة ومعهم خطاب

مني لعبد وأصل في حالة عدم الاتصال. وأذهب أنا (المشير) ومعه بعض الضباط إلى القصاصين، وسيكون أحمد عبد الله مؤمن نقطة العباسية حيث ينضم إلى المشير هناك أو في مكان آخر ثم يتوجه إلى القصاصين أو أبو صوير (مش متذكر) حيث قيادة الجيش وتتم محاصرة القيادة ويجمع الضباط ويفهموا الموقف، ثم يتحرك هو إلى الفرقة المدرعة حيث يكون شمس بدران قد وصلها في نفس التوقيت ويتكلم مع الضباط أيضاً أو يذهب إلى الفرقة المدرعة ويكتفي بتحريك اللواء الثالث.

وفي يوم الأربعاء ٨/٢٣ قمت بزيارة السيد المشير الساعة ٢ تقريباً فلم أجده وعندما أردت العودة لمنزلي قال جلال هريدي لأنتظر لأن سيادة المشير عايزك ضروري وكنت متعباً جداً فنمت على سرير بمنزل المشير حتى يصل وفعلاً حوالي الساعة ٢ أيقظني ساعي المشير ودخلت وجدت السيد المشير هو ومعه شمس بدران والمقدم جلال هريدي وقال السيد المشير موجهاً كلامه لي: نقوم بالعملية يوم ٢٧ ولما استفهمت قال نتحرك يوم ٢٧ وجلال يعمل ترتيب التحرك. وسألت سيادة المشير: هل عمل ترتيب السيطرة على الفرقة المدرعة. قال: لسه. عدت فسألت: هل القاهرة مؤمّنة. فرد أن تعذر تؤمن دهشور، وقال شمس بدران: الشرطة العسكرية يمكنها أن تؤمن القاهرة، أما دهشور هنعمل أيه. فقلت: ممكن الاتصال بدهشور بس يوم ٢٧ دى قريب جداً والمهم المدرعات. فقال السيد المشير: طيب بلاش ٢٧ وأنا أفكر وأقول لكم تاني.

ويوم الخميس ٨/٢٤ دخلت منزل سيادة المشير وكان أمامي عباس رضوان ودخلنا وجدنا سيادة المشير يلاعب جلال هريدي شطرنج.

ثم حدث بعد ذلك الحديث التالي موجهاً الكلام إلى عباس رضوان: أنت يا عباس تمسك البوليس الحربي وتقدر به تؤمن القاهرة. فبدا على عباس رضوان الدهشة، وقال هل البوليس الحربي مسيطر عليه. ورد جلال هريدي قال يا أفندم شمس بدران عامل ترتيبه. فرد عباس: برضه معلش لي سؤال بعدين. ويقصد لسيادة المشير ويعني انه لا يريد أن يذكر حالياً شيئاً إلا بعد خروجنا ولم يأخذ عباس رضوان الوضوح الكافي لأنه كما بدا لي أن السيد المشير لم يكن على علم بمدى السيطرة على الشرطة وإنما كان شمس هو الذي يعلم وعاد السيد المشير وقال لعباس رضوان تشوف مين مطلوب اعتقاله وتقدر تستخدم أطقم صلاح والله أعلم إذا يقصد بذلك أطقم المخابرات العامة أم أطقم من صلاح نصر.

الفصل الخامس

الباب الأول

قرار الاتّهام في المؤامرة



في

السيد علي نور الدين

رئيس مكتب التحقيق والإدعاء

في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ صدر قرار الاتهام في مؤامرة المشير عن رئيس مكتب التحقيق والادعاء محكمة الثورة!. وقد طلب القرار الإعدام لـ ٣٥ رجلاً فيما يأتي نص القرار:

نص القرار

بعد الإطلاع على القانون رقم ٤٨ لعام ١٩٦٧ بإنشاء محكمة الثورة وعلى قرارا رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم / ٢٢٠٩ / لعام ١٩٦٧ بتشكيل المحكمة

وبعد الإطلاع على آمر السيد رئيس الجمهورية بأن تحال الوقائع الخاصة بقضية الثورة على التحقيقات التي تمت في هذه القضية. يتهم مكتب التحقيق والادعاء كلا من:



١ - شمس الدين علي بدران وزير الحربية سابقاً.

٢ - عباس عبد الوهاب رضوان أمين مساعد بالاتحاد الاشتراكي.

٣ - صلاح محمد نصر رئيس المخابرات العامة سابقاً.

٤ - مقدم متقاعد جلال محمود الهريدي ضابط سابق بقوات الصاعقة.

٥ - لواء متقاعد عثمان محمود نصار ضابط سابق بالقوات المسلحة.

٦ - مقدم أحمد عبد الله علي إسماعيل ضابط بقوات الصاعقة.

٧ - عقيد طيار محمد تحسين عبد الحليم زكي قائد قاعدة جوية.

٨ - رائد متقاعد حسين عبد الله مختار ضابط سابق بقوات الصاعقة.

٩ - عقيد محمد حلمي عبد الخالق ضابط بالقوات المسلحة.

١٠ - رائد طيار محمد منيب عبد العزيز الحسامي (سوري الأصل) ضابط بالقوات الجوية.

١١ - رائد محلي سعيد عثمان مصطفى ضابط بقوات الصاعقة.

١٢ - نقيب محمود مدحت فتحي الريس ضابط بقوات الصاعقة.

١٣ - لواء أحمد فؤاد عبد اللطيف علوي ضابط سابق بالقوات المسلحة.

١٤ - عميد طيار متقاعد محمد أمين السيد ضابط سابق بالقوات المسلحة.

١٥ -عقيد متعاقد أمين عبد العال يوسف ضابط سابق بالقوات المسلحة.

١٦ - عقيد متقاعد جمال الدين محمود حسن فاروق ضابط سابق بالقوات المسلحة.

١٧ - لواء سعد محمد عثمان ضابط بالقوات المسلحة.

١٨ - مقدم أحمد حلمي إبراهيم ضابط بالقوات المسلحة.
١٩ - مقدم مسعد محمد جاب الله الجنيدي ضابط بالقوات المسلحة.
٢٠ - مقدم كمال الدين محمد حجاب جعفر ضابط بالقوات المسلحة.
٢١ - نقيب اسماعيل محمود حمدي ضابط بالقوات المسلحة.
٢٢ - عقيد طيار علوي عبد العظيم الغمري ضابط بالقوات الجوية.
٢٣ - رائد طيار عبد الكافي صبحي احمد حسن ضابط بالقوات الجوية.
٢٤ - رائد طيار حشمت محمد فريد صدقي ضابط بالقوات الجوية.
٢٥ - رائد طيار احمد عبد الرحمن نصر ضابط بالقوات الجوية.
٢٦ - رائد عبد السلام فهمي محمود ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٢٧ - نقيب فاروق إبراهيم يحيى ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٢٨ - رائد أحمد محمد أبو نار ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٢٩ - رائد أحمد محمد جاب الله الجنيدي ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٣٠ - نقيب محمد فتح الله سيد احمد ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٣١ - نقيب مختار حسين احمد الفار ضابط بقوات الصاعقة.
٣٢ - رائد محمد عبد اللطيف البسيوني ضابط بقوات الصاعقة
٣٣ - رائد سمير حسين علي يوسف ضابط بقوات الصاعقة.
٣٤ - نقيب محلي اسماعيل حسين مبارز ضابط بقوات الصاعقة.
٣٥ - رائد فاروق شكري عبد السلام ضابط بقوات الصاعقة.
٣٦ - رائد محمد سمير محمود فهمي ضابط بقوات الصاعقة.
٣٧ - نقيب علي عثمان علي سليمان ضابط بقوات الصاعقة.
٣٨ - ملازم أول شرف أمام حسين محمد حسين ضابط بقوات الصاعقة.
٣٩ - نقيب عبد الله محمد شرقاوي ضابط بقوات الصاعقة.
٤٠ - نقيب علي محمد شرقاوي علي محمد شحاته ضابط بقوات الصاعقة.
٤١ - نقيب فاروق محمد عبد الحميد علي ضابط بالقوات الصاعقة.
٤٢ - ملازم السيد محمود بدر محمد عباس ضابط بالقوات المسلحة.
٤٣ - عقفيد محمود أحمد طنطاوي ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٤٤ - رائد طيار عمر حلمي ضابط بالقوات الجوية
٤٥ - رائد طيار نبيل فريد شكري ضابط بالقوات الجوية.
٤٦ - نقيب مصطفى إبراهيم شحاته ضابط بقوات الصاعقة.
٤٧ - رائد محمد محمد شحاته غراب ضابط بالقوات المسلحة.

٤٨ - نقيب حسن محمد عزت السرجاني ضابط بالقوات المسلحة
٤٩ - رائد شرف حسن إبراهيم محفوظ ضابط بالقوات المسلحة وملحق بمكتب المشير.
٥٠ - مساعد سيد مطاوع أحمد من أفراد القوات المسلحة.
٥١ - عميد متقاعد يحيى محمد زكي صالح ضابط سابق بالقوات المسلحة.
٥٢ - نقيب محمد إبراهيم علي النشوقاتي ضابط بالقوات المسلحة.
٥٣ - ملازم أول محمود محمد الإسكندراني ضابط بالقوات المسلحة.
٥٤ - رائد محمود حسن ربيع ضابط بالقوات المسلحة.
٥٥ - رقيب أول حسن يوسف حسن من أفراد القوات المسلحة.

لانهم في خلال المدة من ١١ حزيران عام ١٩٦٧ إلى ٢٨ آب ١٩٦٧ بالجمهورية العربية المتحدة.

أولاً: المتهمون من الأول إلى الثاني عشر.

حاولوا تغيير نظام الحكم القائم في الدولة مستخدمين القوة العسكرية بواسطة جماعات عسكرية مسلحة، وذلك بأن شكلوا تنظيما عسكريا ضموا إليه بعض ضباط القوات المسلحة العاملين والمتقاعدين بهدف الاستيلاء على السلطة وتغيير نظام الحكم القائم بالقوة ووضعوا لذلك خطة عسكرية متكاملة للاستيلاء على قيادة القوات المسلحة بالقوة وإعلان تنصيب المرحوم المشير عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وتحريك وحدات من القوات البرية إلى مدينة القاهرة في حماية من وحدات القوات الجوية والسيطرة على أجهزة الأمن بالدولة. بعد إعتقال كبار المسؤولين فيها وفرض تغيير النظام القائم بالقوة.

وقد بدأ المتهمون هذه المحاولة بتحديد الواجبات والمهام المكلفة إياها كل منهم على النحو الموضح بالتحقيقات وحددوا لتنفيذ الخطة مساء يوم ٢٧-٨-١٩٦٧ وكان المتهمون السبعة الأول هم المتولون زعامة هذا التنظيم العسكري.

ثانياً: المتهمون من الثالث عشر إلى الثاني والأربعين.

اشتركوا بطريق الاتفاق مع المتهمين الاثني عشر الأولين في إرتكاب جناية محاولة قلب نظام الحكم القائم بالقوة بواسطة جماعات عسكرية مسلحة المنصوص عليها في المادة ٨٧ من قانون العقوبات وذلك بأن دخلوا معهم في اتفاق بغرض إرتكاب هذه الجناية فوقعت الجريمة نتيجة لهذا الاتفاق.

ثالثاً: المتهمون من الأول إلى الثاني والأربعين.

اشتركوا في اتفاق جنائي الغرض منه ارتكاب جناية محاولة قلب نظام الحكم

القائم بالقوة بواسطة جماعات عسكرية مسلحة المعاقب عليها بالمادة ٨٧ من قانون العقوبات وذلك بأن اتفقوا فيما بينهم على تشكيل تنظيم عسكري يهدف إلى الاستيلاء على السلطة بالقوة وتغيير نظام الحكم القائم. انضموا إلى هذا التنظيم مع علمهم بذلك. وكان المتهمون الاثنا عشر أول من حرض على هذا الأتفاق ولهم شأن في إدارة حركته.

رابعا: المتهمان السادس والسابع والمتهمون من التاسع إلى الثاني عشر ومن السابع عشر إلى الثاني والأربعين.

بصفتهم من ضباط القوات المسلحة الخاضعين لقانون الأحكام العسكرية تآمروا على إحداث فتنة بين أفراد القوات المسلحة بأن أتحدت إرادتهم على مقاومة السلطات العسكرية بصورة جماعية. وذلك بأن ألفوا فيما بينهم وآخرين تنظيماً عسكرياً للاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة بفرض قلب نظام الحكم بالقوة وذلك تنفيذاً لخطة موضوعة تستخدم فيها القوات العسكرية المسلحة لتنفيذ هذه المؤامرة.

خامساً: المتهمون من الثالث والأربعين إلى الخمسين.

بصفتهم من ضباط وأفراد القوات المسلحة الخاضعين لقانون الأحكام العسكرية علموا بوجوب تصميم على أحداث فتنة بالقوات المسلحة يهدف إلى الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة ومقاومة السلطات العسكرية بصورة جماعية بفرض قلب نظام الحكم القائم بالقوة ولم يبلغوا السلطات المختصة بذلك.

سادساً: المتهمون التاسع عشر والعشرون والحادي والعشرون والأربعون والحادي والخمسون.

بصفتهم من ضباط القوات المسلحة أفشوا أسراراً خاصة بالدفاع عن البلاد وذلك بأن أفشى كل منهم معلومات حربية متعلقة بالقوات المسلحة لا يعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صفة في ذلك ولم يكن صدر إذن كتابي من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشرها أو اذاعتها وقد تم إفشاء هذه الأسرار لبعض المتهمين في المؤامرة على الوجه الموضح بالتحقيقات.

سابعاً: المتهمون من السادس والعشرين إلى الثلاثين والمتهمون التاسع والأربعون ومن الثاني والخمسين إلى الخامس والخمسين.

بصفتهم من ضباط وأفراد القوات المسلحة أحدثوا فتنة بين أفراد القوات المسلحة بأن أسهموا في تظاهرة عسكرية مسلحة توجهت بسيارات مدرعة إلى مقر القيادة العامة وهم مسلحون بأسلحتهم احتجاجاً على تغيير القيادة العسكرية مخالفين بذلك النظام العسكري بعدم انقيادهم للقوانين العسكرية وإثارة الفتنة بين أفراد القوات المسلحة.

بناء عليه:

يكون المتهمون من الأول إلى السابع قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمادة ٨٧ فقرة ١ و ٢ من قانون العقوبات والجناية المنصوص عليها في المادتين ٩٥ و ٩٦ فقرة ١ من قانون العقوبات ويكون المتهمون من الثامن إلى الثاني عشر قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمادة ٨٧ فقرة ١ من قانون العقوبات والجناية المعاقب عليها بالمادتين ٩٥ و ٩٦ فقرة ١ من قانون العقوبات.

ويكون المتهمون من الثالث إلى الثاني والأربعين قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمواد ٤٠ فقرة ٢، و ٤١ و ٨٧ فقرة ١ من قانون العقوبات والجناية المعاقب عليها بالمواد ٩٥ و ٩٦ فقرة ١ من قانون العقوبات.

ويكون المتهمون السادس والسابع والمتهمون من التاسع إلى الثاني عشر ومن التاسع عشر إلى الثاني والأربعين قد ارتكبوا أيضاً الجناية المعاقب عليها بالمادة ١٨٣ فقرة ١ من قانون الأحكام العسكرية الصادر بالقانون الرقم ٢٥ لعام ١٩٦٦.

ويكون المتهمون من الثالث والأربعين إلى الخمسين قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمادة ١٣٨ فقرة ٥ من قانون الأحكام العسكرية الصادر بالقانون رقم ٢٥ لعام ١٩٦٦.

ويكون المتهمون التاسع عشر والعشرون والحادي والعشرون والأربعون والحادي والخمسون قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمادتين ٨٠ ب و ٨٥ من قانون العقوبات.

ويكون المتهمون من السادس والعشرين إلى الثلاثين والمتهمون التاسع والأربعون ومن الثاني والخمسين إلى الخامس والخمسين قد ارتكبوا الجناية المعاقب عليها بالمادة ١٣٨ فقرة ١ من قانون الأحكام العسكرية الصادر بالقانون الرقم ٢٥ لعام ١٩٦٦.



لذلك:

يحال المتهمون إلى محكمة الثورة. وتعرض الأوراق على السيد رئيس المحكمة لتحديد جلسة للنظر في الدعوى.



آخر صورة للمشير الراحل عبد الحكيم عامر
مع الرئيس جمال عبد الناصر

السيد حسين الشافعي رئيس محكمة الثورة



وتألفت في القاهرة، محكمة خاصة لمحاكمة المتهمين بمؤامرة المشير. وقد عهد إلى السيد حسين الشافعي برئاستها، وإلى الفريق أركان حرب محمد علي عبد الكريم واللواء سليمان مظهر بعضويتها.

أما مكتب التحقيق والإدعاء التابع للمحكمة فقد عهد برئاسته إلى السيد علي نور الدين. وكانت تضم ثمانية من وكلاء النائب العام.

وقبل أن تبدأ المحاكمات يوم الإثنين الواقع في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٨، أعلن السيد علي نور الدين بأن التحقيق في القضية شمل ١٢٥ متهماً لم يقدم مكتبه منهم إلى المحاكمة سوى ٥٥ شخصاً ثبت بالدليل اشتراكهم في المؤامرة، أو العلم بها، وعدم الإبلاغ عنها. وقد نقص هؤلاء متهماً عندما توفي المتهم الرابع عشر عميد طيار محمد أمين السيد.

وفي صباح يوم الإثنين ٢٢ كانون الثاني (يناير) بدأ النظر في القضية، في مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة.

ومثل أمام المحكمة ١٢ متهماُ هم: شمس بدران، عباس رضوان، صلاح نصر، جلال هريدي، عثمان نصار. أحمد عبد الله، محمد تحسين زكي، حسين مختار، محمد الخالق، محمد منيب الحسامي، سعيد عثمان ومحمود فتحي الريب.

وكانت هيئة الدفاع عنهم تضم المحامين: محمد علي رشدي، محمود عبد اللطيف، علي الرحال، عبدو مراد، علي منصور، محمد أحمد عيسى، عبد المنعم جلال، علي صالح نور، ماهر محمد علي، وصفي سالم وصالح نور الدين. وسمحت المحكمة بأن يشهد جلسات القضية واحد من أقرباء كل منهم.

وأجمع المتهمون في مستهل المحاكمات على القول أنهم غير مذنبين فيما وجه إليهم من إتهامات وأوضح السيد علي نور الدين في بيانه الأول كممثل للادعاء مراحل المؤامرة، ودور كل واحد منهم فيها. وقال أن هيئة الإدعاء ستواصل تقديم المزيد من التفاصيل أثناء نظر القضية. ورأت المحكمة أن تقسم القضية على دفعات بالنسبة لهذا العدد الكبير من المتهمين.

ووقف المتهمون الواحد تلو الآخر، يدلون باعترافات مثيرة كشفت النقاب عن الكثير من الملابسات والخفايا التي رافقت المؤامرة.

واعترف كل من المتهمين بصراحة متناهية بالدور الذي كان سيقوم به لتنفيذ المؤامرة.

وبدأت الجلسات تتميز بالخطورة عندما أدلى سبعة متهمون باعترافات تفصيلية طوال ٧ ساعات تناولت خطة لاختطاف المشير بعد تحديد إقامته، وتنفيذ مؤامرة الاستيلاء على القوات المسلحة.

وكان أخطر هذه الاعترافات مناقشة المتهم حسين مختار ((رسول الاجتماعات السرية)) للمؤامرة فأدلى بمعلومات مهمة جداً، ومما قاله أنه التقى في منزل المشير بحمزة بسيوني بعد إحالته إلى المعاش، بعد أن كان يشغل عمل مدير السجن الحربي. وقال عن حمزة بسيوني صرح له بأنه كان يعذب المعتقلين في السجن الحربي بأمر مباشر من شمس بدران.

شمس بدران
الدماغ المخطط للمؤامرة


شمس بدران خلف قفص الاتهام

يتضح من أقوال المتهمين في التحقيق أو أثناء المحاكمة أن ثمة رجلاً لعب دوراً كبيراً في المؤامرة مخطط لها، وعمل على تنفيذها، وأمسك بكل خيط من خيوطها.

هذا الرجل هو شمس بدران المتهم الأول في المؤامرة الكبرى ووزير الحربية السابق.

والواقع أن اعترافات شمس بدران، بحد ذاتها تتطلب مجلدات كاملة إذا أردت أن أعرضها مع ذيولها وما سبقها وما رافقها. وقد بذل رئيس محكمة الثورة السيد حسين الشافعي جهوداً كبيرة من أجل انتزاع كل شيء من هذا المتهم الذي قام إجماع على أنه أخطر زعماء المؤامرة

وأهم ما في اعترافات بدران كشفه النقاب عن خطة اعتقال الرئيس جمال عبد الناصر بعد دعوته إلى منزل المشير عامر ولقد حاول المتهم طوال مدة تزيد على ثلاث

ساعات التهرب والدخول في موضوعات خارج المؤامرة، وإلقاء التهم على كل من جلال هريدي وعثمان نصار، ثم تبرير اشتراكه في المؤامرة، وإنكار دوره فيها، ثم عاد واعترف بكل تفاصيل المؤامرة بعد حصار المحكمة له بالأسئلة ومواجهته بأقوال باقي المتهمين التي تؤكد أن المتهم كان أول من فكر واقترح استخدام القوة والجيش لعودة المشير إلى الأوضاع التي كان عليها

وقال المتهم شمس بدران انه بعد وصولهم إلى إسطال يوم ١١ حزيران بيومين أو ثلاثة أيام، وصل صلاح نصر بتكليف من الرئيس عبد الناصر وعرض على المشير أن يرجع إلى القاهرة ويبقى نائباً أول ونائب قائد أعلى بدون تدخل في القوات المسلحة، ولكن المشير رفض ذلك وانه، أي بدران كان يؤيد عدم رجوع المشير على أي منصب. وانه عقب رجوعه إلى القاهرة من إسطال بعد مدة غير رأيه أي بدران، واقترح على المشير أن يرجع إلى أي منصب.

مواجهة بدران بأقوال نصر

وقد واجه رئيس المحكمة المتهم عند هذه النقطة بأقوال صلاح نصر التي قرر فيها أن المشير كان يطالب بعودة الأوضاع على ما كانت عليها وعودة جميع الضباط الذين أحيلوا إلى المعاش. فقال المتهم: أن المشير قال: أنه لا يستطيع العودة بدون هؤلاء الضباط.

ومرة أخرى، واجه رئيس المحكمة المتهم شمس بدران بأقوال صلاح نصر التي قال فيها أن شمس بدران بذل جهوداً معه في إسطال لإعادة المشير، وسأله رئيس المحكمة كيف يحدث ذلك وتقول أمام المحكمة أنه كان من رأيك إلا يعود المشير إلى أي منصب وأنك لم تغير رأيك في هذا الموضوع إلى بعد عودتك إلى القاهرة. فقال المتهم أنه كان يقصد إعادة المشير إلى القاهرة، وليس إلى أي منصب.

الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ومواقف خالدة

الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كان يواجه عدواً أمامه وهي إسرائيل وعدواً داخل مصر وهو عبد الحكيم عامر وشمس بدران وصلاح نصر بعد قيام الثورة في عام ١٩٥٢ وبدأ الخط الثوري يأخذ بعداً عربياً داخل مصر وخارج مصر العالم العربي وكان عبد الحكيم عامر وصلاح نصر وشمس بدران معاول هدم على ثورة الضباط الأحرار وعبد الحكيم عامر نشأ نشأة غير أخلاقية في تعاطيه للمسكرات، وكان عبد الناصر على خط خلاف مع عبد الحكيم عامر من أجل ردعه عن تعاطي المسكرات وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية كان عبد الحكيم عامر داخلاً في صراع مع عبد الحميد السراج وكان يخلق صراعاً إقليمياً بين الضباط المصريين والسوريين وجاءت استقالة صلاح البيطار وبعض الوزراء خدمة مجانية إلى عناصر الانفصال ويومها كان وزير الأمس وأديب اليوم الأستاذ أحمد عبد الكريم عندما طلب منه الوزراء تقديم الاستقالة لكنه رفض هذه المطالب وقال إني وزير في دولة الوحدة التي ارتضاها الشعب المصري والسوري وارتضاها عبد الناصر ورفض أن يكون ورقة رخيصة بيد الانفصاليين وارتضى أن يكون تحت مظلة الوحدة و قائدها عبد الناصر الذي طلب الأستاذ أحمد عبد الكريم إلى القاهرة حتى يستطلع منه على مجريات الأمور بالأخبار المثيرة التي تسربت عن الإقليم الشمالي وشرح الأستاذ أحمد عبد الكريم إلى عبد الناصر عن الصراع بين عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج وهذا الصراع أعطى الضوء الأخضر إلى عناصر الفساد والإفساد وعلى أعراس الوحدة وجماهيرها في الإقليم الشمالي والجنوبي.

أخي القارئ إني أضع أمامك بعض التفاصيل التي مرت معنا من خلال الكتاب الذي يحتوي على تفاصيل مؤامرة عبد الحكيم عامر وشمس بدران وصلاح نصر والضباط السائرين في ركابهم وهذا الكتاب الذي استعرضنا مجرياته أمامك عزيزي القارئ يروي تفاصيل عن الضابط عبد الحكيم عامر حينما دعاه عبد الناصر إلى مؤتمر طارئ للقيادات المسلحة جوية وبرية وبحرية وأبلغهم أنه وفي خطة لدى إسرائيل بضرب المطارات المصرية وأعطى أوامره في بداية الهجوم وقبل الهجوم الإسرائيلي بأربع ساعات ولكن عبد الحكيم عامر بعد خروجه أعطى إجازات مفتوحة للضباط

الطيارين وكانت فرصة ثمينة لليهودي التركي بدعوة الضباط الطيارين لحفلة رقص وسكر وهؤلاء الضباط على شاكلة عبد الحكيم عامر والسكر غيبهم عن الأرض المصرية وعن العالم وكان الطيران الإسرائيلي يدمر المطارات المصرية وكانت مسببات النكسة هو عبد الحكيم عامر ولكن دخلت على خط المعادلة ثورة شعب بأكمله ولم يدخلها المشير عبد الحكيم عامر في حساباته، والشعب سحب ورقة التآمر من يد المشير عامر، هذه الثورة من الملايين من الشعب المصري بدأ الشعب بزحف مقدس حتى غطى شوارع القاهرة وأسطح البنايات وهكذا ولدت مؤامرة عامر ميتة، هذه الثورة الشعبية جددت شباب الثورة والثوار شباب قائد الحرية والأحرار جمال عبد الناصر وهذه الثورة ليس لها مثيل في تاريخ الشعوب إلا الثورة الإيرانية الشعبية التي أطاحت برأس الفساد والإفساد العكازة الاستعمارية ورأس الأفعى الأميركية وهو شاه إيران وقاد هذه الثورة الشعبية المسلمة الإمام الخميني رضوان الله عليه وكما جاء في كتاب الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر ورواها محمود الجيار وسجلها ضياء الدين بيبرس وكان محمود الجيار يرافقهُ كأنّه ظله الشخصي وفي أحد رحلاته إلى الاتحاد السوفياتي وكان مرافقه الشخصي محمود الجيار وتم استقبال الرئيس عبد الناصر في قصر الكرملن واستقبله خوتشوف وأيضاً كان في الاستقبال طفلاً حفيداً لخرتشوف من ابنته فهرب الطفل راكضاً إلى جده وهو يصرخ جدي هناك زنوج على الباب وعندما طلب عبد الناصر الاستفسار من خرتشوف لماذا هذا الصراخ من الطفل قال له خوروشوف إن الطفل يعتبر جمال عبد الناصر من الزنوج لأنه أسمر اللون وكان الرد من عبد الناصر أنتم في الاتحاد السوفياتي تنادون بالتفرقة العنصرية، وبعد انعقاد المؤتمر داخل الكر ملن حكم وقت صلاة الجمعة اتصل خرتشوف بإمام مسجد موسكو وقال له أخّر صلاة الجمعة ساعتين وهذه الحسابات لا تخضع لحسابات سياسية لقادة الاتحاد السوفياتي ودخل محمود الجيار المرافق لعبد الناصر وقال للرئيس عبد الناصر إن وقت صلاة الجمعة قد حان وقال عبد الناصر يجب أن نذهب إلى المسجد لحضور صلاة الجمعة وقال لخرتشوف إذا تأخرنا عن الصلاة فإنّ هناك تعليقات عالمية تنتظرنا بالمرصاد وستقول بأنّ عبد الناصر كفر مثل الشيوعية.

خرشوف يصدر أمراً بتأجيل صلاة الجمعة ساعتين
وجمال عبد الناصر في موسكو

حملق مدير المخابرات السوفيتية مندهشاً في وجه الضابط المصري الشاب... وتبادل مع سيدة سمينة مبتسمة كلمات سريعة باللغة الروسية، خرجت من فمه كأنها طلقات مدفع رشاش، كانت السيدة السمينة المبتسمة هي السيدة قرينة الزعيم السوفيتي خوروشوف، وكان باب الصالون مغلقاً على عبد الناصر وخرتشوف والزمان أول مايو ١٩٥٨ م في أول زيارة رسمية لعبد الناصر لموسكو.. وقد عاد الاثنان من الاستعراض العسكري السوفييتي الشامخ بمناسبة عيد العمال لم يعودا سوياً بل عاد كلّ بمفرده وبطبيعة الحال فقد سبق خرتشوف ضيفه بدقائق حتى يكون في استقباله عند وصوله، وكان هناك طفلٌ صغير أشقر ما كاد يرى عبد الناصر ورفاقه حتى أجفل صارخاً وأسرع يعدو نحو باب الفيلا وهو يجهش ببكاء ينم عن ذعر، وخرج خرتشوف على الفور ضاحكاً وتقدم نحو عبد الناصر مصافحاً وقال له عن طريق المترجم الذي كان يتبع عبد الناصر كظله:

هذا حفيدي أبن ابنتي.. هل تعلم بماذا كان يصرخ وهو داخل: ؟

ولم ينتظر خرتشوف رداً من عبد الناصر وإنما ستطرد قائلاً: كان يقول: جدي جدي.. هناك زنوج على الباب.

وابتسم عبد الناصر ورد على الفور: يعني عندكم تفرقة عنصرية كما في أمريكا..

واقتاد خرتشوف ضيفه على الفور إلى الصالون، ودخل معهما المترجم وبقيت في الخارج قرينة الرئيس السوفييتي، ومدير المخابرات السوفييتي وكانت مسؤوليته الإشراف الشخصي المباشر على أمن الزيارة، ثم الضابط الأسمر الشاب محمود عبد اللطيف الجيار، الذي كان ألصق لعبد الناصر من ظله، لا بحكم منصبه كمدير لمكتبه فحسب بل بصفته صديق عبد الناصر شخصياً وعائلياً ويده اليمنى في المهمات التي تتطلب إخلاص أخ شقيق وتواضع سكرتير. وامتد انتظار الثلاثة بعض الوقت وبدأ محمود الجيار ينظر إلى ساعة معصمه بقلق ثم قال لمدير المخابرات السوفيتي، أرجوك أن تدخل قاعة الاجتماع وتقول لرئيس جمهوريتنا أن موعد صلاة الجمعة قد حان ليتمكن من تأدية الصلاة، وقال مدير المخابرات في أدب: إن تعليمات الفريق نيكيتا (يقصد خرتشوف واضحة حين يكون منهمكاً في مباحثات مع أحد الضيوف ففي مثل هذه الظروف ليس لأي إنسان أن يدخل المباحثات، فقال الضابط الأسمر الشاب: في هذه الحالة فإنني سأضطر إلى دخول الصالون بنفسي دون انتظار لإذن

أحد وارتسمت دهشة بالغة في عيني مدير المخابرات السوفييتي، فمثل هذا التحدي للأوامر لا يحدث في بلاده ولم يلبث أن اعتبر ما قاله الضابط المصري مجرد كلام وعاد يبتسم من جديد.

تعليمات بتأجيل صلاة الجمعة:

فوجئ مدير المخابرات السوفياتي بأن الضابط المصري جاد في تهديده وأحس بأن في الأمر شيء لا يفهمه فقام متردداً إلى باب صالون الاجتماع الرسمي وطرق بخفة ثم دلف إلى حيث يجلس خرتشوف وهمس بإذنه بكلمات ثم تلقى منه رده وقفل خارجاً دون أن يقول شيئًا لعبد الناصر. وفي الخارج حيث كان محمود الجيار منتظراً على نار راح مدير المخابرات يقول له هامساً: إن الرفيق خرتشوف احتراماً لشعور الضيوف الديني قد فوضه أن يتصل تليفونياً بمستر أمام مسجد موسكو ليؤجل صلاة الجمعة ساعتين فقط، حتى لا تضيع فرصة الصلاة على عبد الناصر وصحبه، ولأن الجيار لم يكن يتمتع بمواهب الدبلوماسيين في إخفاء مشاعرهم فإنه لم يتردد في إعطاء محاضرة لمدير المخابرات السوفياتي عن شعائر صلاة الجمعة وتوقيتها ثم استطرد قائلاً: شوف يا مستر إن الرئيس خرتشوف يقدر يعلن الحرب، يقدر يطلق الصواريخ، يقدر يهدد العالم، لكن مايقدرش يؤخر صلاة الجمعة!

ثم اندفع الجيار غير مكترث باعتراض مدير المخابرات السوفياتي إلى صالون الاجتماع وفتح الباب ووقف حائراً أمام نظرة الدهشة التي بدت في عيون الجميع لظهوره المفاجئ وكان أكثرهم دهشة وانزعاجاً الرفيق خرتشوف نفسه، وهتف الرئيس الراحل عبد الناصر في منتصف المسافة بين الدهشة والزجر: فيه إيه يا جي، وقال الجيار إنني رجوت الرفيق مدير المخابرات السوفييتي أن يلفت نظر سيادتك إلى حلول موعد صلاة الجمعة وخاصة أننا أمام رحلة طولها ٤٥ دقيقة إلى المسجد، وكان الرد تأجيل صلاة الجمعة ساعتين وسيادتك تعلم أن تأدية صلاة الجمعة ضمن برنامجك الرسمي وإذا حدث فعلا أن نفذ الإمام التعليمات وأجل الصلاة أو أقام الصلاة دون حضورك فإن الناس وبخاصة الجالية المصرية المقيمة في موسكو ستقول أن عبد الناصر جاء إلى موسكو وكفر، وإذا بعبد الناصر ينفجر في موجة ضحك عارمة ونظر إليه خوروشوف وقال له: نريد أن نضحك معك، فقال عبد الناصر إن صديقي الجيار يقول لي أنه يعترض على تأجيل الصلاة ساعتين فالصلاة لا يمكن تأجيلها وهو يخشى أن تستغل الدعاية المضادة في أرجاء المنطقة العربية هذا الموقف وتقول أن الروس أقنعوا عبد الناصر بأن يكفر ! ! فلوح خرتشوف بذعر بكلتا يديه وصاح وكأنه يدفع مصيبة: إذن قم يا صاحب السعادة الرئيس. قم ولا تجلب لنفسك ولنا المشاكل.

الفصل الخامس

الباب الثاني

صورة مشتركة للزعيمين الخالدين
جمال عبد الناصر وسلطان باشا الأطرش



حين يكون الوطن وحده هو الهدف الأسمى والأغلى تلتقي العقول النيرة والقيادات الحكيمة لتجعل من هذا الوطن علما في سماء الكرامة والحرية وهذه الصورة تمثل لقاء القادة حين يكون الوطن هو القاسم المشترك بينهما في سبيل رفعة الشعوب.

تلازم المسارين السوري واللبناني ضرورة وطنية
وإعادة الانتشار ضرورية واستراتيجية

إن العالم الحديث في السياسة والاقتصاد والفكر والديبلوماسية هو ذلك العالم الذي يقوم على قاعدة الأخذ والعطاء. ولعل هذه القاعدة لم يعرفها بشر في التاريخ كما عرفها السوريون واللبنانيون منذ أقدم الأزمنة. وكما مارسها الآراميون والفينيقيون


الرئيس لحود


الرئيس نبيه بري

وكل الشعوب والسلالات التي خرجت من الجزيرة العربية لتؤسس عادات التعامل وآداب التواصل وسنن الحق والعدل والرحمة. واصلة عن طريق الرسالات الأرض بالسماء.

إن اليهودية لا تفكر حاليا إلا بالأخذ ، وخاصة بعد أن تماهت مع الصهيونية. وهذا ما جعلت نفسها به عدوة لشعوب الشرق الأوسط بشكل عام ن وربما لشعوب العالم كله أيضا.

وعلى الرغم مما حققته اليهودية حتى الآن من نجاحات، فإنها كهوية وكمشروع كانت وما زالت وستبقى تعيش أزمة من النوع الذي يصعب تصور نهايته، اللهم الا إذا عادت هذه اليهودية لتدين بنفس قيم رسالات المنطقة وحضاراتها ومشاريعها للأرض والسماء.

إن قرار إعادة الانتشار في لبنان، بما يحفظ سيادة لبنان واستقلاله ودوره أخا شقيقا لسورية الكبيرة هو أحد القرارات التي يفتخر بها العصر العربي. وهو ليس قراراً عادياً يأخذه رئيس يملك صلاحيات، وإنما هو طريق يشقه رئيس عربي يفهم العروبة بأسمى معانيها الحضارية والإنسانية، رئيس يتصف بالحلم والحكمة والمراهنة على ما في العالم العصري من قيم ومبادئ

إن ذكاء سورية الكامن في القرار الذي اتخذه بشار الأسد كذكائها في القرار الذي اتخذه حافظ الأسد، يتجلى أكثر وأكثر كلما استعرضنا أسباب الدخول والخروج.

بالعودة إلى الماضي نجد أن سورية لم تدخل لبنان إلا عندما لم تبق فيه طائفة أو مذهب أو جماعة أو منطقة إلا وطالبتها بالدخول. فمن يتذكر تلك الأيام التي دخلت فيها سورية إلى لبنان يجد كم كان المسلمون والمسيحيون وأبناء العاصمة والبلدان والقرى مجمعين على دخولها. فهي لم تدخل ضد أحد ولا مع أحد. وهذا علامة ذكائها في الماضي.

وإذا نظرنا إلى الواقع الحالي نجد أن سورية لم تقرر إعادة إنتشار جيشها في لبنان عاملة بذلك لسيادته واستقلاله علاقاته الأخوية بها، الا وهي متأكدة من أن أحدا في لبنان لا يفكر إلا بخير سورية ورسالتها على الصعيد السوري – اللبناني وعلى الصعيد العربي وعلى الصعيد العالمي.

إننا نعيش في زمن ترى فيه سورية ولبنان والبلاد العربية كافة أن ريح الشر تهب عليها جميعا من جهة واحدة فقط هي إسرائيل.

وسواء للحرب أو السلم، فلا ضرورة تتقدم عند العرب على جمع الصف وتنسيق المواقف وضم العقول والقلوب و الأيدي باتجاه واحد هو إتجاه الحذر من إسرائيل التي تعطي كل عربي بأعمالها داخل فلسطين صورة عن نياتها تجاه كل من هو خارجها من العرب. فهي تعامل الفلسطينيين بمثل ما تحضر له من طرق التعامل مع كل عربي إذا هي استطاعت.

وإذا كان هناك في البلاد العربية وفي العالم من يفكر بالسلم كقاعدة لعلاقات الدول في كل مكان. فلا بد من أن يكون مفهوما أن لا سلام ممكناً لإسرائيل أو غيرها في هذه المنطقة الآ بتوحيد كلمة الدول العربية وشعوبها في سياسات أخوية تضامنية وحرة سيدة في الوقت نفسه تستطيع وحدها أن تفرض على إسرائيل السلام العادل والحرب العادلة إذا إقتضى الأمر.

حرب الإرادات
و العلامة حسين فضل الله

كانت مشاركة العلّامة حسين فضل اللّه في المناسبات الجنوبية تتم عبر رسائل أو نداءات أو بيانات تتلى في الإعتصامات وخلال التظاهرات فضلاً عن تأمين مستلزمات الدعم المالي الذي يتجمع من أموال الخمس والصدقات أو من تبرعات المتمولين، وهي مشاركة صارت أكثر اتّساعاً مع الانسحاب الإسرائيلي الأول إلى حدود مدينة صيدا وحرية الحركة التي صار يتمتع بها العلماء المقيمون في الضاحية الجنوبية، خاصةً العلامة حسين فضل اللّه إذ بات أكثر صلة علانية بالتجمعات العلمائية في الجنوب أو في بيروت أو في البقاع، وهكذا تحول الجنوب إلى الساحة الوحيدة للانتفاضة بوجه الاحتلال التي كانت تشتد مع اشتداد حملاته ضد القرى أو محاولاته عزل الجنوب، كما باشر ذلك في أواخر العام ١٩٨٣ عندما أقام نقاط عبور ومراقبة على خط الأولي قرب صيدا وبدأ يمارس تضييقاً وحصاراً بشرياً وتموينياً، فضلاً عن هجماته على القرى واعتقال شبانها، وكما لعبت النبطية من جبشيت دوراً بارزاً في الحركة العلمائية، انتقل الجهد إلى صيدا لما لها من موقع سياسي وإعلامي لقيادة التحرك الشعبي، فأعلن منها اليوم الوطني للجنوب، ثم تداعى علماؤها وفاعلياتها في لقاء جماعي في ذكرى أربعين الإمام ليطلقوا دعوة للاعتصام، فأجتمع في مسجد الزعتري ٤٥ رجل دين انضمت إليهم فاعليات لرفض الاحتلال وإجراءاته وكان أن بدأ الجيش الإسرائيلي حملة اعتقالات في المدينة طالت أحد مشايخها الشيخ محرم العارفي، وكان يوم اعتقال الشيخ راغب حرب فجر الانتفاضة الكبرى في الجنوب، فإن اغتياله كان المحطة الثانية الكبرى من محطات الثورة الجنوبية التي مهدت لطرد الاحتلال الإسرائيلي، حين تحوَل يوم الاغتيال إلى مناسبة لتصعيد الاعتصامات والتظاهرات والالتفاف الشعبي حول قيادة علماء الدين الذين جعلوا من ذكرى أسبوعيته مناسبة لحشد عشرات الآلاف من الجنوبيين الثائرين المتلمسين طريق الشيخ الشهيد أو شيخ شهداء المقاومة الإسلامية كما التسمية التي أطلقت عليه فإذا بدمه الذي أراقه الإسرائيليون وصوته الذي أرادوا إسكاته يتحول إلى شعلة ثورية يتناقلها زملاء الشيخ من أئمة القرى ورفاق دربه الذين انطووا في المقاومة المسلحة وصاروا أكثر جرأة على منازلة الإسرائيليين مستلهمين شهادة الشيخ راغب التي تحوّلت إلى مناسبة لإحياء أسبوع المقاومة الإسلامية لما لها من علاقة بين الشيخ حرب

والمقاومة بأبعادها العسكرية والسياسية والشعبية طوّرت المقاومة الإسلامية من رسائل قتالها واعتمدت أسلوب الاختراقات العسكرية والأمنية للخطوط الدفاعية التي أقامها الجيش الإسرائيلي على طول الخط الفاصل بين المناطق المحتلة والمحررة، وأدت هذه السياسة إلى إصابة البنية الأمنية للعناصر المحلية المتعاملة مع الاحتلال بأضرار بالغة دفعت بالجيش الإسرائيلي إلى تسلم تلك الخطوط مباشرة للعمل على سد الثغرات التي ينفذ منها عناصر المقاومة الإسلامية إلى الداخل، أو يتحركون من خلالها للسيطرة على مواقع الميليشيات ومهاجمة الدوريات الإسرائيلية بزرع العبوات ونصب الكمائن استندت المقاومة إلى رصد مباشر لمراقبة تحركات القوات الإسرائيلية الخاصة وتغلغلها في المناطق الجنوبية، بينما أخذ الجانب الإسرائيلي يعتمد على جنوده في تنفيذ العمليات أو حتى في جمع المعلومات عن المناطق المستهدفة بإغارته وهو ما لجأ إليه حين تسلل إلى المناطق المتاخمة للمنطقة الحدودية سواء عن طريق البر أو البحر أو الجو وهو لجوء حتمي نتيجة تضعضع البنية الأمنية للشبكات المحلية التي زرعها على مدى سنوات.

وصلت القوة الإسرائيلية من حيث لا تحتسب إلى فخ منصوب با تقان ودقة، ووقف عناصرها في المكان الذي ينتظرهم فيه رجال المقاومة الإسلامية... وعلى العبوات المزروعة لهم، بحيث جاء انفجارها وسط القوة ليمزق أشلاء الجنود قبل أن تجهز عليهم رصاصات المقاومين وتنتهي المواجهة بمقتل جميع أفراد الوحدة.. لم يستوعب الجيش الإسرائيلي أسباب ما حلَ برأس حربة المجتمع الإسرائيلي، إذا هي المرة الأولى في تاريخ العمل العسكري تصاب الدولة العبرية بمثل هذه الهزيمة النفسية والمعنوية والعسكرية خاصة مع انفلات الأقلام على تحليلات ومعلومات عن كيفية اقتياد عناصر الكومندوس إلى مصيدة، فشاعت على ألسنة المسؤولين الإسرائيلين عبارة الفخ وانتظار حزب الله للجنود الإسرائيلين وفي المقابل قدمت المقاومة الإسلامية جزءاً من الرواية حين كشفت عن تطوير حراساتها للقرى بزرع ألغام وعبوات من قبل المجموعات التي تتولى حماية المناطق الجنوبية ورفضت الإفصاح عن المزيد رغم ظهور معطيات عديدة تشير إلى وجود تكملة للرواية، فضلت المقاومة إبقاءها طي الكتمان حتى لا تقدمَ للإسرائيلين أدلة عن سبب فشل عمليتهم.

كتاب حرب الإرادات للعلامة حسين فضل الله كتاب جدير بالقراءة والتمحيص لذلك رأى المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي أن يقوم بتثبيت بعض أبحاث هذا الكتاب القيَم ليضعها بين أيدي وأنظار القارىء العربي في كلَ مكان ليفهم العالم كيف انتصرت المقاومة الإسلامية بقدرة القادر الذي لا يغفل ولا ينام وكيف استطاع رجالاتها أن يلقوا الذعر في صدور الصهاينة، وكيف تم التحرير...

ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي:

قرأت كتاباً من تأليف العلامة حسين فضل الله عن المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله، لقد أدخلني هذا الكتاب على نفق الأحزان من ذنب الشيطان عدو الإنسان إسرائيل التي تفننت في تعذيب الأسرى، ولكن متى كانت الحرية تقدمها إسرائيل هدية مجانية ولكن بزغت شمس الحرية من فوهة البندقية للمقاومة الإسلامية التي بددت الظلم في جنوب لبنان.. إنها بقعة الضوء التي نبتت على الورود الحمراء من دماء الشهداء الزكية.. إنها نسمات الحرية.. إن المقاومة اللبنانية قادت سفينة العزة للكرامة العربية على شواطئ النصر هذا النصر الذي سلخ كبوة اليأس من الأمة العربية.. ويقول المؤلف الزعبي:

لقد ألفت كتابي صور مشرقة من نضال حواران وكتابي سيوف تشرين تعانق سيوف حطين جزء أول وجزء ثانٍ، ونذرت نفسي لتأليف كتاب رابع عن المقاومة اللبنانية وعنوان هذا الكتاب الشعب السوري اللبناني مولود توءم بنت على أغصان شجرة الأرز اللبنانية وعلى أغصان شجرة الزيتون السورية، ومن المعروف والمألوف بذاكرة التاريخ العربي والأجنبي بأن الشعب السوري اللبناني هو النسيج الأقوى في خارطة النضال العربي، ويقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي:

إنها من أثمن وأغلى أحلامي الجميلة التي أتمناها وأرجوها من الله ومن سماحة السيَد حسن نصر الله أن يوفر لي الإمكانات حتى أتمكن من تأليف كتاب عن المقاومة اللبنانية، ورجائي هذا أضعه بين يدي سماحة السيَد حسن نصر الله وأرجو أن يحققه لي وسيكون هذا شرف لي على مر الزمان والله الموفق، وإني بانتظار لفتة كريمة من سماحته وإعطائي الضوء الأخضر حتى أنفذ هذه المهمة الرائدة إن الدماء من الشهداء هي التي تضع الكلمة على حبر الأقلام.

وإليك عزيزي القارئ:

هذه الباقة الملونة من حرب الإرادات وبطولات المقاومة
حرب الإرادات والعلامة حسين فضل الله

كان التاسع من حزيران العام ١٩٨٢ يوماً محموداً حين تقدم الجيش الإسرائيلي من البر والبحر نحو بيروت، في الوقت الذي كانت تتقدم فيه وحدات أخرى في الجبل والجنوب، ففي ذلك التاريخ أطبقت على بيروت سحابة سوداء غطت أبنيتها وشوارعها وألقت بثقلها على تفكير سكانها الذين لا ملجأ لهم سوى انتظار قنابل الطائرات والبوارج، بينما القيادات السياسية مشغولة في كيفية لملمة آثار الهجمات، بعدما سيطرت عليها حالة من الضياع فقدت فيها القدرة على إدارة الوضع.

بات المشهدان السياسي والعسكري متلازمين ويبعثان على اليأس من إمكانية إحداث أي تغيير في صورة الوضع الذي أخذ ينشئه الجيش الإسرائيلي المتقدم بسرعة مذهلة، إذ وصل إلى تخوم العاصمة، بينما وحداته تتصرف براحة وهي تقطع أوصال المتفرقة مع القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة.

اقتربت البوارج الحربية من شواطىء خلدة، وتقدم الإسرائيليون إلى الأمام دافعين الجميع نحو بيروت، باستثناء ثلاث سيارات اتجهت جنوباً انطلاقاً من الاوزاعي بعدما انتشر فيها خبر نزول الإسرائيلين عند خلدة، وكانت هذه السيارات محمَلة بمجموعتين من المقاتلين اتخذتا مواقع لها عند المثلث وقرب مدينة الزهراء للتصدي لأي تقدم محتمل بأسلحة متواضعة أضيفت إليها شاحنة محملة بمدفع رشاش صودرت وهي في طريق تراجعها إلى بيروت.

والجنود الإسرائيليون عن قرب، فإذا هم جنود مذعورون خائفون حاولوا الهرب نحو البحر فوقعوا في مصيدة النير أن، قُتل ثلاثة على الفور، ثم تقدم مقاتلان إلى الملالة كل من جهة، واحد من الباب وآخر من القمرة، وتعاركا في الداخل وكل واحد يظن أنه يعارك جندياً إسرائيلياً قبل أن يتأكدا أنهما رفيقان.

انتهت المعركة بتدمير رتل من الدبابات وباستقدام ملالة مع جثث لجنود إسرائيلين عبر عليها المقاتلون إلى الاوزاعي، ومن ثم إلى أحياء الضاحية على دوي صرخات ((الله أكبر)) بعدما حدد المقاتلون لصحافيين جاؤوا لاستطلاع الموقف عن هويتهم بأنهم أتباع الإمام الخميني فيما كانت المنظمات الفلسطينية وأحزاب لبنانية في جدل حول من أسر الملالة وقاد المعركة.

استعادت بيروت أنفاسها على هدير صوت الملالة المأسورة وهتافات المقاتلين الذين

عادوا أدراجهم إلى خلدة لمواجهة الإسرائيلين،وأخذ اسم خلدة يتردد بعد الهجمات المضادة التي شُنت على القوات المتقدمة من مجموعات لا تنتمي إلى أي من التنظيمات الموجودة آنذاك، فهي تنتسب إلى الجماعات التي نشأت في المساجد أو إلى حزب الدعوة

اتخذت من خلدة وكلية العلوم مجالاً للتعبير عن رؤيتها في القتال، ما أمكن لها تحويل النقاش الفقهي حول موجبات خوض القتال إلى تثبيت لرؤية القائلين بضرورة الاستمرار به، وعدم انتظار توفر الامكانيات الممهدة للانتصار، لأن ظروف المعركة آنذاك كانت محكومة للتفوق الإسرائيلي، ولا متسع من الوقت للتفكير في كيفية تهيئة ظروف مغايرة، ما دام الإسرائيليون لا يفسحون في المجال أمام أي انتظار، لذلك خاضت تلك الجماعات معارك عنيفة مع الاحتلال ترجمت فيها هذه الرؤية التي ظلت تتفاعل بين اتجاهاتها الفقهية حول حدود المواجهة، وجاءت تعبيراتها من خلال آراء علماء الدين المتواجدين في الضاحية الجنوبية لبيروت، فمنهم من بنى رؤيته على قاعدة ضرورة تأمين طرق الإمداد للمقاتلين المتوجهين إلى خطوط المواجهة،كما فعل العلامة السيد محمد حسين فضل الله، فاتخذ بعض المقاتلين من هذه الرؤيا منهجاً في حركتهم العسكرية ومشاركتهم في القتال عند كلية العلوم والمحاور الأخرى، وكان شبان آخرون يتوجهون للقتال دون إقامة اعتبار لما يترتب عن المواجهة وفقاً لما رأوه من ضرورة الاندفاع نحو التصدي للاحتلال لأن المهم أن يبدؤوا في العمل. وبنى علماء آخرون موقفهم على أساس تأمين مستلزمات الدعم من المسلمين وفي طليعتهم إيران لتحقيق التوازن مع الاحتلال، ونحا بعض العلماء منحى مغايراً عندما فضَل السكوت وعدم التصدي لأن ذلك يؤدي إلى الحفاظ على الوجود واستنفاذ ما يمكن استنفاذه

بينما القتال محتدم في خلدة والهجمات المعاكسة تشن على الجيش الإسرائيلي، كان وفد عسكري ايراني برئاسة وزير الدفاع ومشاركة قائد الحرس الثوري يزور العاصمة السورية ويجتمع إلى الرئيس السوري حافظ الأسد لتنسيق المواقف والجهود بهدف التصدي للغزو الإسرائيلي. وبعد عودته إلى طهران ((أعلن الوفد الإيراني أن سورية وإيران أبرمتا اتفاقاً يقضي بإرسال قوات إيرانية إلى لبنان للتصدي للهجوم الإسرائيلي))

وبالفعل باشر الإيرانيون إرسال مجموعات من الحرس الثوري إلى لبنان تمركز بعضها في البقاع وانتقل قسم منها إلى منطقة الجبل للمشاركة في القتال ضد الجيش الإسرائيلي، وهو ما لقي ترحيباً وابتهاجاً من قوى اليسار اللبناني ومن التنظيمات

الاسلامية والفصائل الفلسطينية، ورأت في ذلك عامل مساعدة للصمود أمام الضغط الإسرائيلي، فضلاً عن التأثيرات المعنوية التي خلفها الحضور الإيراني على المستوى الشيعي، فكانت حركة أمل - على لسان رئيس مجلس قيادتها آنذاك نبيه بري - أول المبتهجين لأن ((الثورة تعلن الجهاد المقدس لتحرير أرض لبنان وجبل عامل والزحف نحو القدس))

كانت الدعوة الإيرانية بضرورة البدء فوراً ((بتوجيه الضربات لإسرائيل حتى القضاء على قواتها في جنوب لبنان))

وعدم ترك الجيش الإسرائيلي في راحة وأمان في المناطق التي يسيطر عليها، فضلاً عن منعه من مواصلة تقدمه، وهو ما بدأ ينعكس اتهامات إسرائيلية للمتطوعين الإيرانيين بالمسؤولية عن الاشتباكات في مناطق الجبل.

انتهج الحرس الثوري سلوكاً مغايراً لما رغب فيه الكثيرون، ومنهم بعض القادة الميدانيين الذين فضلوا المباشرة الفورية في القتال بالاعتماد على الروحانية المعنوية والقوة العددية، لكن تعليمات الإمام الخميني فرضت حصر مهمة الحرس بتدريب اللبنانيين ومساعدتهم، إذ لم تكن ظروف المرحلة السياسية والعسكرية تسمح بتحويل القتال إلى حرب بين القوات الإيرانية والجيش الإسرائيلي، فالعامل الجغرافي واستمرار الحرب العراقية الإيرانية وتعقيدات الوضع في المنطقة وفهم الأمام الخميني لطبيعة الحرب وأدواتها، دفعت إلى اعتماد خيار جديد لا يقوم على أساليب الحرب الكلاسيكية ولا يلجأ إلى الخيارات السياسية، وللإيرانيين تجربة طويلة في هذا المجال خبروها في الحرب مع العراق، ويقوم هذا الخيار على تقويض استقرار الاحتلال وعدم السماح له بتثبيت أمنه في المناطق التي يسيطر عليها وهو ما يستلزم وجود بيئة شعبية تتقبل ذلك، وعناصر محلية تشكل رأس الحربة في تنفيذ العمليات العسكرية، وهو ما باشرت القيادات المحلية العمل على تأمينه بالتعاون مع الحرس.

كان على المجموعات الإسلامية السياسية و العسكرية التجاوب مع الحرس حتى لا تبق مشتتة الجهد، ومحكومة لامكانياتها ذاتية ولا احادية السلوك، فهي وإن انتمت إلى مدارس فقهية وفكرية عديدة تلتقي أو تفترق بحسب كل مدرسة، فإنها كانت معنية بوضع حدٍ لأي التباسات في فهمها الفقهي أو السياسي بالاندماج في منهج واحد يشكل غطاءً لكل حركتها ومشروعها، فكان اتفاقها على ((الالتزام بولاية الفقيه)) أي بالانتماء إلى فكر وثقافة الإمام الخميني والانقياد إلى قيادته، وهو ما سهَل مهمة الحرس وأمكنه البدء بتصعيد الخطوات الأولى في تشكيل المجموعات وتدريبها.

يمكن القول هنا أن طبيعة المرحلة حكمت على كل المجموعات الاسلامية بالتخلي عن فهمها الخاص لكيفية التعاطي مع المجتمع أو الأحداث، فهي بالنسبة إلى ما يدور حولها لا تشكل عنصراً فاعلاً إنما جزء صغير من القوى الموجودة آنذاك، لذلك لم يكن أمامها خيار سوى الاندماج والتوحيد، إذ لا تستطيع أي مجموعة بمفردها قيادة مشروع الاستنهاض للناس والتصدي للاحتلال.

غلبت العفوية طابع تلك المرحلة، فالعلماء وبعضهم تحول فيما بعد إلى موقع القيادة باشروا مهمة حث الناس على الصمود والتحلل من عقدة الخوف واليأس، والاستجابة لدعوات الانخراط في معسكرات التدريب، والقيادات الشابة بدأت التحضير لصياغة ورقة تنظيمية تحكم عمل الجسم الجديد، ولكل من هؤلاء خطابه ولغته، لكن الجميع متفقون على مسلَمتين ((ولاية الفقيه))، و((الصراع مع إسرائيل)) أما المقاتلون فلم يعبؤوا بالتحضيرات فانتقل بعضهم إلى بيروت للانضمام إلى المجموعات المتمركزة في الضاحية، وآخرون عادوا إلى قراهم، ليبدأوا تنظيم صفوف المجموعات التي انتمت إلى لجان المساجد أو حزب الدعوة وأقامت روابطها داخل القرى والبلدات الجنوبية.

تزامنت هذه الاستعدادات مع تصاعد القتال في لبنان الذي اتخذه الجيش الإسرائيلي سبيلاً لاستكمال سيطرته على المناطق الجبلية والساحلية، إلى أن تمكن من حصار بيروت والتحكم بطرق المواصلات إليها من البقاع محفوفاً بالمخاطر، فالمنفذ الوحيد إلى العاصمة هو الخط الساحلي والمحطة الأصعب هي حاجز ((القوات اللبنانية)) المعروف بالبربارة، وازدادت المخاطر بعد اختطاف عناصر الحاجز الدبلوماسيين الإيرانيين الأربعة، وهو ما جعل التواصل مقنناً ويتم عبر الرسائل الشفهية، وحركة المقاتلين بطيئة ومخفية تعتمد على التمويه ومدى انتباه العناصر. تسربت العناصر الجديدة إلى بيروت والجنوب، وأخذت تشارك في القتال على محاور الضاحية، ليكون ذلك احتكاكها المباشر بالجيش الإسرائيلي وأساليبه الحربية، ما ساعد على تفكيك الصورة المطبوعة في الذهن عن قدراته واستحالة مجابهته، فاثنين وأربعين يوماً من القتال

كانت كفيلة باختبار القوات الإسرائيلية، وباعتبار المقاتلين على أساليب المواجهة، وتوطين أنفسهم على مخاطرها، إذ كانت المواجهات تحمل كل خصائص الحرب، ففيها أسلحة الجو والبحر والبر وعمليات الكر والفر وسقوط الضحايا والجرحى، وتوزيع المجموعات والمهمات وتلقي التعليمات من القادة الميدانيين ووضع الخطط في الهجوم والتراجع.

انتهى القتال في بيروت بالهجوم الإسرائيلي الواسع الذي اسقط العاصمة وأقام فيها

حكومة تضمن تحقيق الشق السياسي من أهداف الغزو، فكانت أولى خطواتها نزع سلاح المسلمين وتفكيك بنية قواهم العسكرية والسياسية وممارسة سياسة التمييز والتفرقة، وهو ما كانت تشهده أحياء بيروت الغربية، وقد أصابها الإحباط والخوف جراء ما شاهدته من وحشية في مجزرتي صبرا وشاتيلا، وما كانت تتعرض له من حملات دهم واعتقال.

كانت الضاحية الجنوبية البقعة الجغرافية الوحيدة التي لم يدخلها الجيش الإسرائيلي، فظلت أحياؤها الداخلية معزولة عن حركة الإسرائيلين حين اكتفوا بالمرور على الخط الرئيسي المؤدي إلى غاليري سمعان، وتجنبوا الدخول إلى عمق الضاحية بعدما خاضوا معركة الغبيري التي شكلت نقطة الاصطدام الثالثة مع الاسلاميين بعد خلدة وكلية العلوم، وهو ما أمن للمجموعات الإسلامية فرصة الإحتفاظ بأسلحتها وعناصرها الذين بقوا بعيداً عن الملاحقة الإسرائيلية.

بات كل شيء مهيأً في بيروت لترسيخ السلطة الموالية للإسرائيليين، فالجيش أمسك بالآمن، والقوات المتعددة الجنسيات بسطت سلطتها على المناطق الإسلامية، والميليشيات المسلحة في المناطق المسيحية سيطرت على المفاصل الرئيسية في الدولة، بينما قوى اليسار اللبناني وادواتها العسكرية انكفأت، و مخازن السلاح انتقلت إلى ثكنات الجيش اللبناني، أما القوى السياسية الإسلامية ففي حالة تشتت وفقدان القدرة على إيجاد توازن ولو تحت مظلة السلطة الجديدة.

بدأت الأصوات ترتفع من أحياء الضاحية ومساجدها، وتنبه إلى ما يحيط من أخطار، بعدما تزايدت حملات الدهم والاعتقال، والحجة الدائمة البحث عن مطلوبين ومخازن سلاح، وترافق ذلك مع ممارسة الإسرائيليين لسياسة التمدد في كل المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية.

سباق مشروعين

ما إن فرض الجيش الإسرائيلي سيطرته على الجنوب، حتى باشر تعميم قوانينه وسياساته وإشاعة مناخ من التطبيع والعلاقات الاقتصادية المباشرة، وبدأ الإعلام الإسرائيلي يتحدث عن زيارات متبادلة، ((فبعثة من التجار اللبنانيين وصلت إلى إسرائيل تلبية لدعوة من مدير عام وزارة الصناعة والتجارة)) وبعدها بأيام أعلن عن ((عقد أول صفقة تجارية بقيمة ألف دولار وأعلن الجانب الإسرائيلي عن تأمين خدمات بريدية لسكان الجنوب ثم أنشأت شركة العال للطيران مكتباً لها في مدينة صيدا لنقل المسافرين عبر المطارات الإسرائيلية، ورفع العلم الإسرائيلي فوق سراي

صيدا، وأقيم سوق للخضار قرب الحدود لتجار صيدا وصور والنبطية لنقل البضائع إلى السوق اللبنانية. وعلى المستوى المالي، بدأ الإسرائيليون يتصرفون و كأنهم المرجع المالي للمصارف في الجنوب، فزار وزير المالية الإسرائيلية مصرف لبنان في صيدا وتبعه مسؤلون آخرون بهدف التنسيق، ثم بدأت المصارف الإسرائيلية إنشاء فروع لها في الجنوب لتمويل الصفقات التجارية، مع الاحتلال شرطة سير، بينما مهندسوهم يقومون بالأعمال الكهربائية مع مصلحة الكهرباء المحلية، والحاكم العسكري لكل منطقة يتحول إلى مرجع قضائي لفض النزاعات، أو تحديد مهام مسؤولي الحكومة في الوزارات الخدماتية، بينما السياح يتجولون في المناطق الجنوبية.

باشر الإسرائيليون كل ذلك قبل اقتحام بيروت، في وقت كانت علاقاتهم تتوطد مع الجانب الشرقي للعاصمة، فلا يجدون حرجاً في الإشارة إلى المفاجأة بمعاملة السكان المحليين لجنودهم وزوارهم إلي تلك المناطق، هذه الحركة الإسرائيلية كانت تتم عن اتجاه واضح في إلحاق لبنان بالدورة السياسية والاقتصادية والعسكرية الإسرائيلية، وفرض الوصاية عليه في بيروت، مع إعطاء امتيازات خاصة ل ((إسرائيل)) في جنوب لبنان بحيث بدت هذه المنطقة وكأنها خارج إطار البحث السياسي، تمهيدا لتحقيق الحلم القديم، أي الوصول إلى شاطئ البحر وتحويل جنوب لبنان تدريجياً إلى جزء من الوضع القائم في المناطق العربية المحتلة الخاضعة للقانون الإسرائيلي، والمفروض على أرضها مستوطنات كانت طلائعها في الجنوب إقامة معسكرات للجيش مع بيوت جاهزة أخذت تجد أمكنتها على المساحات الخالية.

كانت المرحلة الأولى من الاجتياح تتمثل بإشاعة مناخ طبيعي في العلاقة مع السكان أو إيجاد نوع من الثقة بالاحتلال ما دامت النية قائمة للتأسيس لحياة جديدة في المناطق المحتلة.وبالتحديد الجنوبية منها، وهو ما تبينه مجموع السياسات الاقتصادية والإعلامية والأمنية التي إتبعها جيش الاحتلال في الأشهر الثلاثة الأولى من الاجتياح، وقبل أن يقدم على اقتحام بيروت وإنشاء واقع سياسي يرضاه ويؤمن مصالحه وأهداف مشروعه السياسي والأمني والاِقتصادي.

فقد أمن الإسرائيليون وجود حكومة مالية لهم في بيروت، وسيطرة عسكرية أميركية مباشرة من خلال القوات المتعددة الجنسيات، فتراجعوا عن الأحياء الداخلية للعاصمة خاصة بعد افتضاح دورهم في مجازر صبرا وشاتيلا والضجة العالمية التي أثيرت حولها، لكنهم ظلوا يطرقون أبوابها، فكانوا يتسللون إلى مداخلها أو المناطق المجاورة لتمركزهم خاصة في الضاحية الجنوبية فتطلق باتجاههم النيران من الأحياء الداخلية، وهو ما كان يضطرهم إلى الانكفاء، أو التلويح باجتياح العاصمة.

وبموازاة هذا المشروع الإسرائيلي وتعبيراته في الميادين السياسية والاقتصادية و الأمنية كان ثمة انعدام توازن للقوى السياسية الإسلامية التي باتت محكومة لغلبة الآمر الواقع، لكن اتجاها آخر كان ينشأ على وقع التأثيرات التي خلفتها المواجهات في خلدة وكلية العلوم والغبيري، إذ تفرق الذين قاتلو ا في هذه المحاور في الأحياء الداخلية للضاحية، بعدما غادر الجرحى إلى الخارج للعلاج، وأخذوا يلتقون بين الحين والآخر، وينسقون الخطوات، فانبعثت عن ذلك حركة سرية ترقب ما يجري في البقاع، وتقيم صلات مباشرة معها لتنضوي في سلكها، ثم عمد قادة هذه الحركة غير المنتظمة في جهاز موحد إلى تقسيم المناطق إلى عدة محاور يتولى فيها كل فريق – وهو عبارة عن مجموعة من عدة شبان – أمر أحد المحاور – مع الاستفادة قدر الإمكان من السرية وهو ما يستلزم عدم الإفصاح عن الهوية السياسية لمنفذي العمليات ضد القوات الإسرائيلية على تخوم الضاحية بعدما بدأت باكراً ومن إعلان للنتائج أو حتى معرفة المجموعات الأخرى بها، إذ كانت بعض الهجمات تتم بمبادرة فردية أو جماعية، ولكن من دون إشاعة الخبر بين بقية المجموعات خشية تسربه إلى السلطة اللبنانية أو إلى الجانب الإسرائيلي.

كانت هذه التحضيرات في بيروت والضاحية تترافق مع تقدم مستوى التدريب في البقاع والإفصاح عن المعاني السياسية والفكرية للقوى الناشئة.

(إزالة إسرائيل من الوجود) أحد الشعارات التي أطلقها الإمام الخميني، ووجدت صداها سريعاً على ألسنة المشاركين في دورات التدريب، وعلى جدران مدينة بعلبك التي أقام فيها الحرس الثوري مقراته، وأخذ من هناك يبث تعاليم الإمام في كيفية المواجهة مع ((إسرائيل)) حتى حدودها القصوى في معانيها السياسية والدينية، بحيث تصبح القدس هدفاً، وبذلك يمكن نقل الحرب على بعدها الأكبر، بما يؤدي وظيفة مزدوجة ؛ استنهاض الناس في عملية تعبئة عامة، وإبقاء القضية الأولى، أي فلسطين حية، فلا تموت أمام حجم الهجوم الإسرائيلي وإفرازاته، وفي ذلك إعطاء دفع معنوي يستلهم فيه المشاركون في النشاط العسكري المعاني الدينية ورؤاها المستقبلية في الحرب ضد الاحتلال الإسرائيلي.

كان هذا المناخ التعبوي يترافق مع استمرار التجاذب في المناطق الإسلامية، وبين قواها السياسية، ومحوره كيفية التعامل مع المرحلة ومقتضياتها وظروفها، وهو تجاذب يرقى إلى الانقسام الذي احدثه الاجتياح ليس على المستوى اللبناني فحسب وإنما داخل الطوائف والمذاهب والكتل السياسية والقوى العسكرية، بحيث ظهرت اتجاهات مختلفة، منها ما انكفأ عن ممارسة النشاط السياسي والتجأ إلى سلوك

سبل العمل الاجتماعي أو الثقافي وحتى الغياب الكلي، ومنها من عمل على التكيف مع الوضع المستجد مع محافظة على الثوابت الرئيسية في رفض التعامل مع الاحتلال أو الإقرار بشرعية نتائجه، ومنها من أصر على متابعة القتال ورفض أي صيغة تتم في ظل الاحتلال، أو الإقرار له بأي نتائج سياسية وأمنية تكون ناجمة عن شروطه وفرض إرادته، وكانت الطائفة الشيعية تمتلك أرضية خصبة لمثل هذا التنوع والتعدد في الاتجاه، ففيها من القوى السياسية والشخصيات الرسمية ما يؤهلها لتكون الأكثر حرارة في التأثر بالمناخ السائد، خاصة أنها تنتشر في البقعة الجغرافية الرئيسية المعنية بالاجتياح أي جنوب لبنان ومناطق في البقاع، وقد بدأ التجاذب فيها بعد شهر واحد على الاجتياح ومناطق في البقاع، وقد بدأ التجاذب فيها بعد شهر واحد على الاجتياح عندما انقسمت قوتها العسكرية الرئيسة (حركة أمل) على نفسها بين موافق ورافض للاشتراك في هيئة الإنقاذ التي تشكت برئاسة رئيس الجمهورية آنذاك إلياس سركيس وعضوية قادة الميليشيات الرئيسية الثلاث في البلاد (وليد جنبلاط، بشير الجميل، ونبيه بري.)

تركت مشاركة بري في الهيئة تأثيراتها السريعة على الحركة فظهر انشقاق في القيادة.إذ صدر بيان أعلن أن ((مشاورات تمت بين أعضاء قيادة مناطق بيروت وكوادرها العسكرية في حركة أمل وتقرر بنتيجتها الاستمرار في مواجهة الغدة السرطانية في صميم الأمة الإسلامية المتمثلة بإسرائيل وعملائها حتى آخر قطرة دم، وبكل ما أوتينا من قوة، وذلك انطلاقاً من الموقف الشرعي الذي أكده أمام الأمة الإسلامية الإمام الخميني والذي أكده مراراً سماحة الإمام السيد موسى الصدر في كلمته التاريخية ((التعامل مع إسرائيل حرام)) والتأكيد على وحدة الحركة، ورفض كل المخططات الصهيونية الأميركية المتمثلة بالخيمة الأميركية (هيئة الإنقاذ) التي تمثل الهيمنة الاستعمارية المباشرة، وإدانة السلطة اللبنانية لتواطئها مع العدو الصهيوني، وعدم اتخاذها الموقف الجريء ضد إسرائيل، وإدانة خطف الدبلوماسيين الإيرانيين.

مثل هذا البيان الإعلان الرسمي عن الانقسام في صفوف ((أمل)) بعد مخاضات عسيرة شهدت فيها الحركة تجاذباً بين تيارين رئيسيين، جرت محاولة لتسويته في المؤتمر الأخير قبل الاجتياح، حين تم انتخاب بري رئيساً لمجلس القيادة، وحسين الموسوي نائباً للرئيس، بينما المراكز القيادية الرئيسية شغلها أشخاص ينتمون إلى التيار الإسلامي الذي باشر خروجه من الهيئات التنظيمية تباعاً فبدأت تظهر في الصحف بيانات يعلن أصحابها الاستقالة من المسؤوليات في الحركة وفيها اتهامات

للحركة وفيها اتهامات ((بالانحراف عن الهدف الأساسي وهو رفض إسرائيل ومقاومتها وتحريم التعامل معها وكان المستقيلون يلجؤون إلى التشكيلات التي أخذت تظهر في الضاحية والبقاع، بينما عمل نائب الرئيس حسين الموسوي على إعلان ((حركة أمل الإسلامية)) في إشارة إلى الانتماء الديني للحركة، ورد بري بالقول: ((إن حسين الموسوي مطرود من القيادة لأنه عارض تعييني في هيئة الإنقاذ الوطنية)) كانت الاستقالات من ((أمل)) تتم على المستوى القيادي ويتبعها شرخ في القاعدة التنظيمية والشعبية، وأخذ الانضمام إلى التشكيل الجديد وتيرته المتسارعة عندما تحول العمل العسكري العفوي للمجموعات المستقلة إلى عمل منظم يخضع لضوابط عامة ويلتزم بالتوجيهات السياسية والدينية للإمام الخميني، بينما القياديون المستقيلون من ((أمل)) ينضمون إلى هذه المجموعات لتصبح كلها ضمن رابطة واحدة تبحث عن الإطار السياسي للتنظيم العسكري.

ظهرت الصورة الشيعية الجديدة والإسرائيليون على أبواب بيروت، واتضحت أكثر بعد جلائهم عن العاصمة وفق خريطة سياسية وعسكرية تشكلت تحت ضغط توالي الإحداث والمواقف، فكانت على الشكل التالي:

حركة أمل بقيادة نبيه بري، وقد خرج منها المحسوبون على التيار الإسلامي، وقفزت إلى الواجهة فيها عناصر جديدة تبوأت مراكز قيادية ارتباطها الرئيسي بالرئيس المباشر الذي كان بديلاً من رئيس مجلس القيادة.

- القوى الإسلامية الشيعية التي بدأت تتجمع قياداتها في البقاع وتضم رجال دين ورموزاً عسكرية لمجموعات إسلامية، والمستقيلين من أمل.

- المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بقيادة الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي نأى بنفسه عن التزام موقف أمل، وتعاطف مع المستقيلين منها.

- علماء مستقلون لهم تأثيرهم شيعياً وفي مقدمتهم العلامة السيد محمد حسين فضل الله، الذي كان مؤثراً عند القوى الإسلامية وأكثر انسجاماً مع توجهاتها ومواقفها السياسية والعسكرية.

- السياسيون الرسميون الذين التزموا تأييد الحكم القائم آنذاك.

العفوية والتنظيم

ارتسمت الصورة الشيعية على خلفية الموقف من الاجتياح ونتائجه، فكان المحتجون على اللجوء إلى الخيارات السياسية في مواجهة الموقف يترجمون احتجاجهم نشاطاً عسكرياً ضد الاحتلال، بعدما فضل العديد من كوادر العمل العسكري المباشرة بالعمل حتى قبل اكتمال دورات التدريب في البقاع، واتخذ هؤلاء من قراهم الجنوبية مراكز الإعداد والتنظيم، بعدما تم نقل السلاح وتخزينه في تلك القرى استعداداً للمرحلة المقبلة. ومما ساهم في تسريع خطوات العمل المباشر في الجنوب، الصورة التي كان ينقلها القادمون إلى البقاع للمشاركة في دورات التدريب عن حالة الإسرائيليين وتجمعاتهم، وفقدان الحذر والاحتياطات الأمنية بما يسهل أي عمل عسكري مباشر بدأت إرهاصاته الأولى تظهر على شكل هجمات على القوافل والحافلات، يتوارى بعدها المنفذون من دون أن تكون للإسرائيليين القدرة على اكتشافهم، وكانت هذه المبادرات الفردية، أو الهجمات غير المنظمة، تتم في وقت تتوالى فيه الاستعدادات على المستوى القيادي لتنظيم الصفوف، وإنشاء الهيكليات القيادية، وتأمين عمليات الدعم والتخزين، تمهيداً لتنفيذ الخطوات الكبيرة. وكانت الاتصالات تتم مع الشبان الذين سبق لهم أن خاضوا تجربة العمل العسكري، فيتم إيصال السلاح إليهم لتوزيعه على رفاق دربهم القدامى بهدف المشاركة في المهمات الجديدة. واختيار هؤلاء كان يخضع لمواصفات محددة تمليها الطبيعة السرية لمثل هذا العمل.

كان بالإمكان الحفاظ على السرية، ما دامت الهجمات تنفذ من دون إعلان المسؤولية، ويختفي المنفذون خلف أعمالهم المهنية، أو في مدارسهم وحقولهم ومحالهم التجارية، إضافة إلى بقاء بعضهم منضوياً في صفوف حركة أمل التي كانت تمثل غطاء تنظيمياً يستطيع المنتسبون إليه أن يمارسوا أعمالهم من دون اكتشاف أمرهم، خاصة أن الحركة لم تتبن علانية أية عمليات عسكرية طيلة الفترة التأسيسية الأولى، وهو ما استفادت منه تلك العناصر التي حافظت على سرية نشاطها، وعلى فاعلية مشاركتها في الحياة السياسية المدنية تحت شعار المقاومة السلبية الذي رفعته حركة أمل كأحد أشكال العمل المقاوم ضد الإحتلال.

اختلط العمل المباشر بالتحضيرات السياسية العسكرية، فظهر مزيج من العفوية والتنظيم، إذ كثيراً ما كانت المجموعات تنفذ عملياتها من دون تنسيق، وأحياناً تكون إحدى هذه العمليات موجهة ضد الهدف نفسه، تنصب إحداها كميناً بينما الأخرى تزرع العبوات، فيأتي وقع العملية قوياً، أو يؤدي أحياناً إلى إخفاقها، وهذا

ما استلزم إعادة النظر في توزيع المجموعات والمحاور، وربطها بصلاة تنظيمية مباشرة تساعد على تفعيل أنشطتها.

كان التحرك في الجنوب يتم بموازاة تحرك مماثل في الضاحية الجنوبية وبيروت، إذ أعيد تنظيم العمل العسكري، وتم إيجاد قناة اتصال مباشرة بالقيادة العسكرية في البقاع، بعد تأمين الأرضية اللازمة لبناء التنظيم العسكري ولبنته الأولى بضع مجموعات أخذت تستقطب العائدين من دورات التدريب، وتوزع عليهم السلاح، أو تنقل المخازن إلى الجنوب، إذ اعتبرت الضاحية مركز الإمداد التسليحي، يتم فيها بداية تجميع الذخائر ثم تنقل إلى الجنوب لتفرغ حمولتها هناك نتيجة صعوبة نقلها عبر الطريق الجبلي، وسهولة الحركة على الخط الساحلي الذي شكل الشريان الحيوي للانتقال نحو الجنوب، ما ساعد على القيام بأكبر عملية تخزين للسلاح، تكفي مجموعات المقاومة لفترات طويلة.

بدأت العمليات الخفيفة تؤتي ثمارها تبدلاً في المناخ الشعبي والسياسي، فصارت الدعوات أكثر جرأة لتحدي الاحتلال، خاصة في الجنوب باعتباره المساحة الجغرافية التي يرسي فيها الإسرائيليون بناءهم المستقبلي وشبكة العلاقات الاقتصادية والامنية، ويدخل في إطار استراتيجيتهم التوسعية. ولئن كان مسرح القتال هو الجنوب فإن المجموعات المتمركزة في بيروت والضاحية لم توفر جهدها لمواجهة جنود الاحتلال، إذ ناوشتهم عند السفارة الكويتية وفي برج أبي حيدر، والمزرعة، وعلى أطراف الضاحية، من خلال عمليات إغارة على الدوريات والقوافل أو إلقاء قنابل يدوية على السيارات العسكرية. وما لبث أن اتخذت هذه المناوشات شكل الاشتباك المحدود في مواقع عدة قبل أن يتراجع الجيش الإسرائيلي عن الأحياء الداخلية للعاصمة، ويتمركز على مداخلها، ويصبح على تماس دائم مع الضاحية الجنوبية.

وفي موازاة عمليات التخزين للأسلحة، وإعداد المجموعات العسكرية، وتنفيذ الهجمات المحدودة، كان هناك إعداد من نوع آخر، وهو تنظيم خلايا المقاومة، وإنشاء الهيكليات التي تدير العمليات العسكرية وتواكب تنظيم الجسم السياسي والمدني للحركة الجديدة الناشئة.

فعلى المستوى التنظيمي، تم تقسيم الجنوب إلى سبعة قطاعات، وتم تعيين مسؤول لكل قطاع مع نائب له إضافة إلى مسؤول عن الأمن، مع حوالي ثمانين عنصراً معظمهم مسؤولو القطاعات، يتوزعون على مجموعات منفصلة لا يعرف بعضها بعضاً حتى داخل المجموعة الواحدة أحيانا، ولم تكن هذه العناصر تتقاضى بدلاً مالياً، إذ كانت تؤمن مصروفها من أعمال حرة، وبعضها كان لا يزال يتابع دراسته، أو

يمارس مهنة ما.

وكان على مسؤولي المجموعات - وهم أنفسهم مسؤولو القطاعات - استقبال العناصر القادمة إلى قراها بعدما أنهت مرحلة التدريب في البقاع لتأمين مقر الإقامة، حتى يتسنى لها مباشرة العمل، وكان يفضل اختيار العناصر من أبناء القرى لسهولة تأمين مكان السكن، والمشاركة في الحراسات الليلية والنهارية فضلاً عن تغطية كل المناطق الجنوبية بالمجموعات القتالية مما يضمن عدم السماح بوجود أماكن آمنة للاحتلال.

لم يكن عناصر المقاومة داخل القرية الواحدة يعرفون بعضهم باستثناء المسؤول ونائبه، اللذين كانا يوزعان المهمات قبل أن يعود كل فرد إلى عمله الطبيعي. أما العناصر التي كانت تأتي من خارج هذه القرى، فإنها كانت تكيف ظروفها إما بتأمين عمل أو بالزواج من القرية أو بالسكن عند أقارب بحيث لا تثير أي اشتباه.

أما مسؤولو القطاعات فيرتبطون بشخص واحد هو المسؤول العسكري لمنطقة الجنوب الذي يعتبر صلة الوصل بين المجموعات ومركز القيادة، فضلاً عن مهمته في إرسال المجموعات وتأمين مستلزماتها وأسلحتها، وإشرافه على العمليات الخاصة وفي مقدمتها العمليات الاستشهادية.

وصار يتم نقل العناصر على دفعات، فبعضها يتخذ بيروت محطة أولى للانتقال عن طريق الساحل إلى الجنوب، وبعضها الآخر عن طريق الجبل وجزين على الرغم من كونهما يشكلان حاجزا أمام حركة الانتقال، فالساحل يخضع لسيطرة ميليشيا القوات المتعاملة مع الجيش الإسرائيلي، والجبل يعتبر حاجزا طبيعيا، تضاف إليه جزين التي أدت دور الكمين الأول في مواجهة المقاومين، وهو ما دفع هذه العناصر إلى قطع مسافات طويلة لتلا في الوقوع بيد الإسرائيليين وأعوانهم، ولو إضطرهم الأمر إلى المسير لعدة أيام. ولصعوبة التواصل بين القيادة والمجموعات المنتشرة في مناطق الإحتلال لوجود هذه الموانع، أقرت صيغة اللامركزية القيادية، وقد استمرت لمدة ثلاث سنوات (١٩٨٢-١٩٨٥) كانت خلالها الحركة اليومية خاضعة للظروف الميدانية، فتنفيذ العمليات وتوقيتها وأمكنتها، تخضع للوضع الميداني، باستثناء العمليات الاستشهادية، فإن قرارها يحتاج إلى إذن شرعي مسبق. واقتضت هذه الاوضاع تشكيل لجنة قيادية كانت تجتمع في ظل الاحتلال وتتخذ القرارات بشأن المواجهة مع الجيش الإسرائيلي، وإن كان هناك تمايز في هذه القرارات بين ما له شأن عسكري وتتولاه قيادة ميدانية، وما له شأن شعبي ويخضع لشورى منطقة الجنوب التي كانت توجه الاعتصامات والنشاطات الشعبية المعادية للاحتلال، وتنظم العلاقة

مع علماء الدين الذين كانوا يقودون المعارضة الشعبية. لم تكن القيادة العسكرية منفصلة عن الشورى، وإنما كانت ممثلة بمسؤولها، لكنها كانت تتصرف وفق ما تمليه الاوضاع الميدانية، فالقرار المركزي في هذا الشأن كان واضحا، لا مركزية في القرارات لحاجة الجنوب تحت الاحتلال إلى قرارات سريعة، وهو ما كان يحصل فعلياً.

لم تعتمد منطقة واحدة للعمليات، وإنما جرت تغطية قرى الجنوب بأكملها، لكن الضغط العسكري تركز على منطقة شمالي نهر الليطاني، بينما اختيرت منطقة جنوب النهر لتنظيم الاوضاع وتخزين السلاح، وكانت بعض القرى مقراً للاجتماعات ولمراكز القيادة، فحوفظ على الهدوء فيها لكي لا تفتح عيون الإسرائيليين عليها.

الهوية ودلالاتها

أصل التسمية

اتخذت المقومة ضد الاحتلال تسميات عدة مستمدة من العناوين والأسماء التي زخر بها العمل الحزبي والعسكري في لبنان قبل الاجتياح، وكثير منها كان ردة فعل اعلامية استخدمت اسلوب البيان العسكري للإشارة إلى عدم الركون لما يريد الاحتلال فرضه، أو للإيحاء بأن لا استقرار له على الأرض اللبنانية، إذ أن البيان كان يصدر أحيانا ليعدد اعمالا مر عليها الزمن أو ليقدم إحصاء عن مجموع عمليات نفذت خلال إسبوع من دون أن تكون هناك إمكانية للتحقق من مسؤولية هذه الجهة أو تلك عن هذه العمليات.

أول الأسماء المنظمة التي أستخدمت كان جبهة المقاومة الوطنية، التي صارت مع الوقت عنوانا لكل العمليات العسكرية التي تنفذ ضد الاحتلال، مع أن الاسم مصدره أحزاب اليسار اللبناني التي دعت في أيلول ١٩٨٢ إلى تشكيل جبهة وطنية لمقاومة الاحتلال، وصار هذا الاسم يأخذ طريقه إلى الإعلام بشكل منظم مع بداية العام ١٩٨٣، عندما كانت الجبهة تحصي العمليات وتصدر بيانا أسبوعيا بإسمها، من دون أن تحدد أي جهة تنظيمية مسؤولة عن هذه العملية أو تلك، فأحيانا كثيرة يتم إيراد العمليات في البيان الرسمي بعد وقوعها بأيام، وقد تستقصى من وسائل الإعلام أو من الاعترافات الإسرائيلية. وعلى الرغم من اتصاف التسمية بصفة يسارية، لكن قوى أخرى استخدمت هذا الاسم وأصدرت بيانات باسم الجبهة أو باسم المقاومة

الوطنية، ومنها حركة أمل، حتى أن أحد بيانات الجبهة بدأ بـ ((بسم الله الرحمن الرحيم)). وهذا ما تبدأه عادة بيانات القوى الاسلامية، وظهرت أسماء أخرى كثيرة تتبنى العمليات منها الكفاح المسلح، جبهة التحرير اللبنانية – قوات حزيران، جبهة قوة الاستمرار، لكنها لم تعمر طويلاً، إذ صارت التسمية الملازمة للعمليات ((المقاومة الوطنية)) بحيث تشمل كل أنواع المقاومة المسلحة وجهاتها والقوى المسؤولة عنها. فضلا عن تلك الأسماء كانت تصدر بيانات باسم قوات الفجر وهي أحد فصائل المقاومة الاسلامية التي نفذت عملياتها في صيدا.

وفي المقابل كان لدى القوى الاسلامية إتجاه للإبقاء على سرية الاسم وعدم الافصاح عنه، وإن بدأت تصدر آراء تدعو إلى تبني العمليات ولاعلان عن الهوية السياسية للمقاومة، مادام الجيش الإسرائيلي أخذ يشن الغارات على القرى ويعتقل الشبان، ويلاحق علماء الدين. وفي المقابل هناك من يجير العمل المقاوم لحسابه السياسي، فحتى عملية احمد قصير الإستشهادية لم يتم الإعلان عنها وبقيت لغزاً يحير الإسرائيليين ويثير شهية قوى اخرى للانتساب إلى العملية وإصدار بيانات تتحدث عن طرق مختلفة ومتناقضة حول كيفية تنفيذها.

ظل قرار الكتمان سائدا على المستوى الرسمي على الرغم من استهداف الغارات الجوية الإسرائيلية لقواعد المقاومة في البقاع في أواخر العام ١٩٨٣، لكن المواقف والبيانات والخطابات التي يطلقها حزب الله كانت تتحدث صراحة عن مقاومة الاحتلال والاستمرار في التصدي له، وهو ما فتح الطريق للإعلان الرسمي التفصيلي عن العمليات العسكرية تحت اسم المقاومة الإسلامية كان هذا الإعلان يتم تدريجاً مع الاستهدافات المباشرة لقواعد حزب الله التي بدت بالسيارات المفخخة في بعلبك واستكملت بالغارات الإسرائيلية، فكان الهجوم على جنتا ((باعتبارها قاعدة تستخدم للتدريب والانطلاق في العمليات ضد الجيش الإسرائيلي، وتتحمل مسؤولية قتل الجنود في صور ثم جاءت الغارة الأكبر على سيار الدرك ومدينة الأمام الصدر في مطلع العام ١٩٨٤، وكان موقف الحزب أن ((الجريمة للالتفاف على تصاعد المقاومة، ونتيجة الرعب الذي تعيشه إسرائيل، فالموقف السياسي واضح التعبير والدلالة على هوية المقاومة وانتمائها، فضلاً عن تبني عملياتها بعدما صارت المواجهة مكشوفة وعلينة ولا مجال لإخفائها كما يبين رد حزب الله على الغارة، إذ ((تتصاعد المقاومة الإسلامية الشاملة على أرض جبل عامل على شكل اعتصامات وتظاهرات، وصرخات تكبير احياناً وأحياناً كثيرة بالرصاص والدماء والحجارة والسكاكين، وأمام الهجمات الكربلائية لمجاهدي الإسلام في جبل عامل بدأت

إسرائيل تهزم معنوياً ونفسياً ومادياً، أيضاً فجنودها المهزومون يفضلون السجن على الذهاب إلى جنوب لبنان، وجنائز الصهاينة تساق يومياً إلى أهلهم، والحالة الداخلية متأزمة جداً، وأمام الهزائم والخسائر الفادحة جاءت الطائرات الحربية الإسرائيلية لتزرع الموت على الطرقات العامة. إن خيارنا الوحيد هو أن نصبر ونستمر في المواجهة مع الطواغيت، وإن أملنا بنصر الله كبير وإحساسنا بالفخر عظيم عندما نقضي صادقين ونقتل، بينما يلوذ غيرنا بأحضان أميركا وإسرائيل يستجدي الحلول.

لقد عرفت الهوية السياسية للمقاومة الإسلامية (أطواراً ثلاثة) ساهمت في الوصول بها إلى الحضور القوي والفاعل الذي امتلك زمام المبادرة العسكرية والسياسية، وتحول إلى إحدى المعادلات الرئيسية ليس في لبنان فحسب وإنما في المنطقة العربية أيضاً، (للرابط ما بين هذا الحضور وبين الصراع العربي الإسرائيلي والمعالجات السياسية الدولية لجذوره ومشكلاته).

يبدأ (الطور الأول) من النشأة الأولى، عندما تفرق المجموعات التي قاتلت الجيش الإسرائيلي أثناء تقدمه إلى مشارف الضاحية الجنوبية، ثم محاولتها الإلتقاء مجدداً للتأسيس لعمل مضاد للغزو، بدأت إرهاصاته الأولى تظهر متفرقة بعمليات بسيطة كزرع العبوات أو إلقاء القنابل على الدوريات الإسرائيلية، من دون أن يتأطر منفذوها بإطار تنظيمي، أو تجمعهم قيادة أو سلطة واحدة، وإنما كانت تنفذ أعمالهم بعفوية كرد فعل، له احياناً طابعه العاطفي، على رؤية الجنود الإسرائيليين داخل الأحياء الشعبية أو على أطرافها.

واستمر هذا الطور في المرحلة التأسيسية الأولى مواكباً لبدء إنشاء المجموعات العسكرية الصغيرة التي كونتها الحاجة إلى إعادة تنظيم صفوف المجموعات الإسلامية التي نشأت قبل الاجتياح، من دون أن تعرف مرحلة التأسيس حاجة إلى بناء هوية سياسية خاصة. فالاجتياح أفرغ المناطق التي احتلها من كل الهويات السياسية، محاولاً إنتاج قوى سياسية جديدة، شريان حياتها وجود الاحتلال وصلتها به، وهذا ما باشر به الجيش الإسرائيلي في القرى والبلدات التي سيطر عليها، خاصة في منطقة الجنوب.

تكونت العناصر الأولى للمقاومة من مجموعات متفرقة ترتبط برباط عقائدي، وتجتمع على أهداف مشتركة رأت فيها سبيلاً للتوحد والانصهار في إطار عسكري، جاءت بداياته غير منتظمة وغير معترف بوجودها أو باستقلاليتها. فهي في نظر القوى الحزبية والسياسية غير مكتملة البناء، أو صاحبة مشروع سياسي يتطلب الأخذ برأيها أو بما تراه صالحاً لأوضاع المناطق التي توجد فيها.

لم يكن لتلك العناصر في بدايات انطلاقها إطار سياسي جامع له مشروع واضح أو أهداف يسعى إلى تحقيقها، ولم ينظر إلى دورها إلا من مشروع واضح أو أهداف يسعى إلى تحقيقها، ولم ينظر إلى دورها إلا من الوجهة الأمنية باعتبارها تشكل مجموعات عسكرية كتلك التي أفرزتها الأحداث، أو شكلتها الأوضاع التي استجدت بعد الاجتياح الإسرائيلي، فلم تتمظهر على شكل تنظيم سياسي له جناحه العسكري كبقية التنظيمات التي ظهرت في الحرب أو قبلها، وكان لها ولادات طبيعية كالبرنامج السياسي أو الهيئات القيادية، والاطر التنظيمية المعروفة، أو المنظمات الشبابية والجماهيرية التي تمثل الإطار الجامع لهيئات الحزب أو التنظيم.

كانت الولادة عسكرية أمنية بدون هيئات قيادية أو تشكيلات حزبية سياسية، فهي لا تماثل المنظمات الحزبية الموجودة ولا الميليشيات العسكرية التي خرجت إلى العلن في الحرب، ثم ساهم بعضها في الأعمال العسكرية المضادة للاجتياح وأدى دوراً في المقاومة المسلحة قبل أن ينكفئ كنتيجة طبيعية لانكفاء الحزب الذي يمثله، فالأحزاب التي شاركت في المقاومة لم تتشكل في الأصل لمقاومة الاحتلال، وإنما هي أحزاب سياسية لبنانية اتخذت ميليشيا مسلحة خلال الحرب الأهلية، وتحمل رؤيا سياسية للصراع مع ((إسرائيل))، ترجمتها في مواجهتها بأعمال المقاومة ثم انكفأت سياسياً لينعكس ذلك انكفاءً عسكرياً أيضاً.

وهنا ما يظهر التمايز بين تلك الأحزاب وبين التجربة العسكرية - السياسية للمقاومة الإسلامية وإطارها السياسي حزب اللّه، فالبنى التنظيمية الغالبة هي تلك التي تمارس دور المقاومة، فلا انفصال عن إطارها السياسي لأن منشأه وجود أنشطتها العسكرية والشعبية. فهو عندما اكتمل بناؤه التنظيمي، كان هدفه رفد المقاومة بالمشروع السياسي، الذي يستمد مجمل عناصره من حركتها في مواجهة الاحتلال، فالخطاب السياسي للمقاومة الذي ترجمه الحزب في الداخل اللبناني مستمد من أصولها المبنية على الاستمرارية في الجهاد، فالنواب في المجلس النيابي لحمل صوتها، والتحالفات والخصومات لا تقوم إلا على كيفية التعاطي معها، وحفظ الوجود هو حفظ لها، والتراجع أو التقدم داخلياً أو خارجياً إنما لتوظيفه لحسابها.

ابتدأت المقاومة كمقاومة لا كتنظيم سياسي له جناح عسكري، وإنما كانت قوة مقاتلة تشكل لها تنظيم سياسي، وهذا ما جعلها تتكيف مع كل الظروف والأوضاع، فلا تتراجع عند المحطات التي يكون فيها الإطار السياسي منكفئاً في الداخل أو محاصراً، فهي تنفصل في أدائها العسكري عن السياسة، توظف السياسة لمصلحة هذا الأداء، وهي في بنائها العسكري لا تتمايز عن الإطار السياسي، وبذلك

تكونت عناصر الاستمرارية والبقاء في أكثر الظروف السياسية صعوبة وأولها عند النشأة الأولى حين لم يكن لديها تنظيم سياسي يوظف نشاطها لحسابها، وإنما كانت توظف حسابات أخرى لأن القائمين عليها لم تكن لديهم القدرة الكافية على التحرك سياسياً، ولا هم حملوا ذلك كجزء من نشاطهم، بل تركوا الأمر لسواهم من قوى وأحزاب تأطرت في مقاومات عدة، وكانت لها أجهزتها الإعلامية والسياسية التي تشارك بفاعلية في إظهار النشاط العسكري بمظهره الإعلامي والسياسي، حتى لو كان في حدود ضيقة أو بسيطة.

إن أحدى الدلالات الواضحة على عدم انتهاج المقاومة الإسلامية للمسلك الإعلامي والسياسي، هو ما جرى بعد خمسة أشهر على الاجتياح التي شكلت فتحاً عسكرياً كان يمكن لأي طرف أن يؤسس عليه لانطلاقة سياسية وإعلامية وشعبية واسعة، فحينها لم تبادر المقاومة إلى الإعلان عن هوية منفذ العملية، ولا هي تبنت المسؤولية عنها، أو وظفتها بوسائط الإعلام العام، بل أنها لم تستخدم ذلك في الاستقطاب الشعبي، وتركت الإسرائيليين في حيرة من أمرهم فلم يجدوا تفسيراً لانهيار مبنى الحاكم العسكري وسقوط هذا العدد الكبير من القتلى والجرحى في صفوفهم.

لا شك في أن عملية بهذه الدقة والروحية تحتاج إلى إعداد وتنظيم دقيقين وإلى متابعة ورصد، وجهاز عمل متفرغ يتابع كل التفاصيل، وهذا يعني وجود جهاز متخصص، يأخذ بالحسبان المسألتين الإعلامية والسياسية، فلا يكون تجاهلهما عبثياً، وإنما لاتجاه سلكه القيمون على بدايات العمل الذين فضلوا إبقاء الأمر سراً حتى لا يلفتوا أنظار الجيش الإسرائيلي، فتأخير الإعلان عن هوية المقاومة كان له دور رئيسي في منع اكتشاف مجموعاتها العسكرية وحولها إلى تنظيم سري اكتمل بناؤه قبل أن يتمكن الجانب الإسرائيلي من اكتشاف هويته أو الجهات المسؤولة عنه.

كان الإسرائيليون عند اجتياحهم يشنون غاراتهم على القرى بحثاً عن عناصر منتمية إلى أحزاب يسارية أو منظمات فلسطينية قبل أن يباشروا تفتيشهم عن العناصر الإسلامية لأنهم لم يدركوا حينها أن ما يتعرضون له ليس من مخلفات حقبة ما قبل الاجتياح وإنما هناك قوى جديدة قد أسست بنى تنظيمية سرية تقود أعمال المقاومة المسلحة، وتحرك أهالي القرى للتصدي للاحتلال.

إخفاء الهوية السياسية للمقاومة كان سلاحاً ذا حدين، فهو وإن حماها من الهجوم الإسرائيلي المباشر في فترة الانطلاقة والتأسيس، فإنه أقصاها لفترة من الزمن عن قيادة الحركة السياسية المناهضة للاحتلال، وأبقاها في أيدي قوى وأحزاب أخرى لم يكن حجمها العسكري بوزن توظيفها السياسي للمقاومة، وهو ما أحوج المقاومة

الإسلامية لخوض صراعات سياسية وإعلامية كي تخفف من ضغطه المباشر على أنشطتها ودورها، أو على الأقل تثبيت الهوية السياسية لمقاومتها حتى لا تبقى عرضة للتوظيف من قوى أخرى. ومن هنا بدأ الطور الثاني، أي تثبيت الهوية السياسية إلى جانب الهويات الأخرى الموجودة.

صحيح أن المقاومة الإسلامية استفادت من سريتها الإعلامية والسياسية في الفترة الأولى حيث لم يستطع الجيش الإسرائيلي تفكيك خلاياها لتركيزه على قوى أخرى، أو لعدم قدرته على الوصول إلى بناها التنظيمية، لكنها دفعت ثمن ذلك تهميشاً لإطارها السياسي، وإخراجها من المعادلات الداخلية التي تم تركيبها وفق موازين القوى التي نشأت بفعل المقاومة نفسها التي أقصت الاحتلال الإسرائيلي عن الساحة الداخلية، وبقي هذا الثمن يدفع لسنوات طويلة قبل أن تتمكن المقاومة الإسلامية من استعادة زمام المبادرة ليبدأ(الطور الثالث.)

شهد الطور الثاني تنافساً، وأحياناً تصارعاً، للهويات المختلفة للمقاومة، ففيه كانت الانسحابات الإسرائيلية الكبيرة من الجبل والجنوب، وحققت خلاله المقاومة قفزات نوعية في عملها العسكري الذي أنتج انتصارات على الجيش الإسرائيلي آتت ثمارها تراجعاً للمشروع السياسي الإسرائيلي وتقدماً للمشروع المناهض الذي كان من استثماراته تبدل على مستوى السلطة السياسية والأمنية خاصة في المناطق التي أجلي عنها الاحتلال.

وفي المقابل، كانت المقاومة الإسلامية تحاول- إضافة إلى الحفاظ على إستمراريتها وتطوير أدائها القتالي – إيجاد موطئ قدم سياسي حتى لا تبقى مشروعا أمنيا، بحيث تنحصر وظيفتها في القتال في المناطق المحتلة من دون أن يكون لها أي عمق سياسي في الداخل. وبينما كان هذا الطور يشهد محاولة تثبيت الهوية السياسية للمقاومة، وبالتالي لقيادة مشروعها في الداخل، فإن الطور الثالث بدا بمحاولة إعادة إشراك الجميع في المقاومة كيلا تبقى محصورة بفئة أو جهة محددة يسهل استهدافها أو النيل منها من جهة، وتتحمل العبء وحدها من جهة اخرى

خرجت المقاومة الاسلامية في مرحلتها الثالثة من دائرة الحصار أو الاستثناء، وتحولت إلى حالة استقطاب، ليس على المستوى اللبناني فحسب وإنما على المستوى العربي والاسلامي أيضاً، لذلك بدأت تتبع سياسة جديدة تقوم على تجميع القوى والهيئات السياسية على اختلاف انتماءاتها الفكرية والعقائدية لقيادتها في مشروع مواجهة سياسية وثقافية واقتصادية، لما أنتجته التسوية من علاقات مستجدة مع ((إسرائيل))، من دون أن تحتاج هذه المقاومة لإثبات أسبقيتها أو قيادتها للمقاومة،

فهي على الأرض وفي الإعلام وبنظر حلفائها وأعدائها، رأس الحربة ؛ بل تحولت إلى العنوان الأول وحتى الوحيد للمقاومة. وبذلك انتفت ضرورات تأكيد الهوية السياسية، أو لأي جهة أو حالة تنتمي المقاومة.

هذه الأطوار الثلاثة كانت كفيلة بإعطاء المقاومة الاسلامية صورتها التي رست عليها كحركة سياسية وشعبية وعسكرية، تتوحد في عنوان واحد هو ((المقاومة))، ويجاور هذا العنوان ((الإسلام)) بما عناه من هوية دينية لها عمق وجذور فكرية وتاريخية، وهي الهوية ذاتها التي يتصف بها حزب الله كإطار سياسي للمقاومة، فيصبح التلازم بين الهوية و الممارسة قائما في كل وجوه العمل العسكري والتعبوي، إذ تخرج منه كل المعاني. التي واكبت أطوار المقاومة الثلاثة ولم تتبدل بتبدل الظروف والاوضاع وحركة الاتساع والشمول.

وتبدأ هذه المعاني باستلهام الشهادة من مخزونها التاريخي المستمد من كربلاء، بما فيها من تضحية وتفان وإيثار، وارتباط عميق بالفهم الحسيني للإسلام ورسالته فالمعنى الجديد في المقاومة الإسلامية في الجنوب ((إنما نشأ من العقيدة التي تحث على الجهاد والاستشهاد وكما تسمية ((حزب الله)) مستمدة من القرآن الكريم فإن اتصاف المقاومة بصفة إسلامية له صلة بما أراده المؤسسون من اتحاد الفكر بالممارسة بحيث تتحول المعاني الاسلامية إلى واقع حي، وأفضل ترجمة لها هي في قتال اليهود باعتبارهم عدواً تاريخياً للإسلام تحث آيات القرآن على جهادهم ومواجهة أساليبهم الفكرية والاقتصادية الخطرة على الإنسان عموما والمسلم خصوصاً.

كانت الهوية مكونة على أساس الانتماء الديني كما هي الهويات الأخرى للقوى التي انخرطت في المقاومة وأعطت تسمياتها السياسية أو الحزبية لها، بحيث تشكل المقاومة الإسلامية بذلك فصيلا من فصائل المقاومة الاخرى ولا تفرض تسميتها أو تعبيراتها الدينية والسياسية على بقية الفصائل التي كان واضحاً أنها لا تلتقي في فهمها الفكري أو في إرثها التاريخي مع الشريحة الشعبية الأكبر المعنية بمواجهة الاحتلال وهي سكان الجنوب وأغلبهم من المسلمين الذين تنسجم ثقافتهم الشعبية وموروثهم التاريخي مع مصطلحات المقاومة الإسلامية وتعبيراتها.

واتصاف المقاومة التي قادها حزب الله بالإسلامية، لا يلغي مضمونها الوطني باعتبار أن الدين، وخاصة الإسلامي، يحمل بعدا وطنيا.

ولكون الدين أوسع اطارا من حدود الوطن، إذ يشمله ويشمل غيره، فإن إعتماد العنصر الديني دافعاً ومحرضاً على المقاومة، عنصر من عناصر الإستمرار والتعبئة، وأكثر قابلية للفرد المسلم في تحريك مشاعره من خلال استلهام الروح الدينية، وما

سلكه المسلمون الأوائل في حالات مماثلة. ولهذا العنصر خاصية وطنية إذ يجتمع الدين والوطن معا. ففي حالة المقاومة في الجنوب هناك الباعث الديني، والدافع الوطني، أي الدفاع عن الأرض بما تعنيه من مساحة جغرافية يمتلكها صاحبها، والعرض بما يشمله من كرامة وعزة وشرف، والمال الذي يتضمن كل الوضع الاقتصادي المشتملة عليه المساحة الجغرافية أو ممتلكات المدافع، وإن كانت عاقبة هذا الدفاع القتل فإن الصفة تصبح الشهادة هي كإحدى الميزات التي يختص بهذا النوع من القتل. والشهادة هي جزء من عقيدة الإسلام، فيها دلالات عميقة عن النهاية المنشودة لمن يلتزمها ويسلك الطريق إليها.

لا تنتفي الوطنية في الهوية الإسلامية لمقاومة، من دون أن تلغي التسمية أسماء المقاومة الاخرى أو هوياتها ودلالاتها، ولا هي حجب لمشاركة غير المسلمين فيها بأسمائهم وهوياتهم السياسية، لتجتمع الهويات كلها تحت عنصر واحد متجرد من الأوصاف أو الخصوصيات الدينية والسياسية أي المقاومة، لكن الذي أنتجته التطورات السياسية والعسكرية هو انكفاء بقية الأسماء، وبقاء المقاومة الإسلامية وحدها، فغلب في طورها الأخير انتماؤها، وهو انتماء السكان الديني، على بقية الانتماءات، واتخذ الأسم صفتها السياسية والدينية من دون أن يكون ذلك مؤثراً على التعاطف أو التأييد لها، باعتباره تأييداً سياسياً لدور صارت الحاجة إليه أكبر من الوقوف عند المسميات اللفظية أو الدلالات الفكرية. تقلص الفارق بين المعنيين الوطني والديني، وصارا أكثر التصاقاً، ولذلك علاقة بخطاب المقاومة نفسه وبالنظرة اللبنانية إليها. ومع تفكيك الميليشيات وأدوات الحرب الداخلية، وزوال التنافس بين فصائل المقاومة المختلفة، وملامسة اللبنانيين في مناطقهم لحرارة الوضع الجنوبي، تحول التعاطي الداخلي من التفرج أو اللامبالاة إلى تحسس ما يجري، وبالتالي الالتفات إلى دور المقاومة وأهميته، وهو ما ساعد عليه أكثر قدرة المقاومة على مخاطبة شرائح المجتمع كافة بعدما صار بالإمكان التلاقي والقفز فوق الحواجز والحساسيات والطائفية، إضافة إلى وعي المقاومة لأهمية أن تصبح في وجدان اللبنانيين، يحملون همَها وتبعاتها ونتائجها، وبذلك تحقق أبرز أهدافها، وهو إعادة تشكيل مجتمع الحرب والنهوض به لمواجهة الاحتلال وتحصين الساحة الداخلية أمام أي اختراق محتمل.

الإطار السياسي (حزب الله)

بموازة النشاط العسكري الذي باشرته المجموعات العسكرية في المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي في لبنان، كانت التحركات ناشطة لإيجاد إطار سياسي

يجمع تلك المجموعات بعدما انجز علماء دين وشخصيات مدنية صيغة، إذ كانت تلك القوى الصغيرة خارجة من صراعات محلية، فهناك مجموعة انشقت عن حركة أمل، وأخرى منضوية في الفرع اللبناني لحزب الدعوة وآخرون مستقلون، إضافة إلى لجان المساجد والتجمعات العلمائية.

عينت كل مجموعة من يمثلها في الاجتماع التحضيري الأول، فالتقى تسعة مندوبين يمثلون ثلاث مجموعات أطلق عليهم اسم لجنة التسعة وضعت وثيقة تشتمل على مبادىء اساسية قاعدتها الالتزام بولاية الفقيه وقتال ((إسرائيل))، وتشكَل من تلك اللجنة وفد برئاسة السيد عباس الموسوي ليقابل الامام الخميني ويضع بين يديه خلاصة ما توصلت إليه المجموعات الاسلامية اللبنانية. استمع حينها الامام الخميني إلى خطاب للسيد الموسوي، وردعلى الوفد بالقول ((إن المهم هو العمل)) لافتاً إلى خطورة المرحلة

كان هذا هو الاتصال الرسمي المباشر بين القيادة التي انتدبتها تلك المجموعات وبين الإمام الخميني، لتنسج بعدها علاقات متينة وتتحول روابط العلماء من حوزة النجف المصابة بفقد أحد رموزها (السيد محمد باقر الصدر) إلى الحوزات الإيرانية، وليصبح الامام الخميني قائداً وولياُ اجتمعت كلمة القوى على مبايعته والالتزام بطاعته، مجددة الصلة التاريخية بين شيعة لبنان وبين علماء إيران، بعدما انتقلت ولاية الأمر إلى مراجعها في عملية تبادل محكومة للظروف السياسية التي استعاد فيها الأمام الخميني مركز المرجعيات الدينية، وحوَل (ولاية الفقيه) إلى سلطة دينية وسياسية تمد ظلالها ليس على إيران فقط بل إلى حيث يمكن أن يصل تأثيرها، ولبنان هو المكان المؤهل لهذا التأثير، ففيه مخزون تاريخي وأرضية مناسبة (وتيار علمائي) يؤمن بالفكرة ويؤيدها.

انتهت مهمة اللجنة التي انبثقت عن المجموعات الإسلامية الرئيسية والمؤلفة من تسعة أعضاء، عندما انتخبت عدداً من اعضائها لتشكيل أول شورى لحزب الله، وأخذت البيانات تصدر باسم حزب الله وعلماء البقاع كعنوان واحد، بينما في بيروت كان الاسم المتداول تجمع العلماء المسلمين، دون أن يكون هناك تمايز في الجهة التي ينتمي إليها المنضوون تحت تلك الأسماء، فبعض العلماء هم أعضاء في الشورى، لكن الرأي لم يستقر حينها على التسمية، فحتى بداية العام ١٩٨٤ ظلت البيانات تصدر بالاسمين معا لأن هناك من طرح اتخاذ اسم علمائي، وآخرين فضلوا تسمية سياسية، وظلت تلك النقاشات قائمة إلى أن تم اعتماد اسم حزب الله.

كان البناء السياسي يتشكل بسرية تامة. فلا عناوين رسمية أو مسؤوليات

مشخصة، وأعضاء الشورى غير معروفين إلا لقلة قليلة، والنشاط السياسي يحاط بالكتمان، واللقاءات تعقد بعيدة عن الأضواء، والاجتماعات لا تنشر أخبارها في وسائل الأعلام، وذلك خشية استهداف الحركة الوليدة قبل اكتمال عناصر بنائها. فالمؤسسات المدنية كانت تستظل بالنجاح العسكري المتصل بعلاقة وثيقة مع الحرس الثوري الإيراني في البقاع باعتباره المشرف على أعمال التدريب والتجهيز. لذلك كان التعاطي الإعلامي مع ما يحدث في البقاع يتم على اعتباره جزءاً من نشاط الحرس الذي تتصدره لبنانيا مجموعة شخصيات علمائية وسياسية حصلت الشورى على تأييد الولي الفقيه، وأخذت تعيد تنظيم المجموعات، وتقيم روابط فيما بينها، ومن ثم تأسيس البنى الداخلية من الخلايا الصغيرة إلى القطاعات فالمناطق، وكلها مرتبطة برباط عسكري لاتصال ذلك بالعنوان الرئيسي أي مقاومة الاحتلال.

بات على الشورى بعد تنظيم الوضع العسكري البدء بتنظيم الهيكلات الداخلية، وهو ما استتبع نقاشا حول مفهوم العمل الحزبي، فهل حزب الله حركة شعبية تنتظم فيها كل الأمة أم هو إطار سياسي له هيكليته وجمهوره الشعبي، أم حركة جهادية وظيفتها فقط مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ولم يستقر هذا النقاش على وضعية ثابتة إلا بعد سنوات، حين اعتمد مبدأ التنظيم الداخلي كهيكل يقوم الحزب على دعامته وتحيط به الحالة الشعبية المؤلفة من تجمعات ومؤسسات مدنية ودينية، وترتبط كلها برابط الولاية للفقيه، وتلتزم بقرارات الشورى بما هي ممثلة لهذه الولاية.

ومن الهيكل تتفرع الأجهزة المدنية و العسكرية التي يستند الحزب إليها في تنفيذ أ٠هدافه وفي مقدمتها مقاومة الاحتلال، إذ تتحول كل تلك الأجهزة في الحالات العادية ومنها المساهمة في المقاومة و الترويج لها وتأمين مستلزمات دعمها.

لكن التشكيل السياسي لم يبق بمنأى عن تحديات متلاحقة فرضت التمهل في الوصول به إلى صيغة ثابتة، فالنشأة الأولى جاءت في ظروف معقدة وصعبة، وأوضاع أمنية شائكة تتداخل فيها القوى المحلية بالإقليمية والدولية، فحتى في مهد الحركة ومقرها الأول، أي البقاع كان على حزب الله تدعيم ركائزه الأمنية، بينما خلاياه في الضاحية الجنوبية، حيث المعقل الثاني، تهتم بتنظيم المواجهة مع السلطة آنذاك لتجنب المنطقة حملات تضييق وحصار بدأت باكراً في العام ١٩٨٢ عندما كانت القوى العسكرية الرسمية تنفذ حملات اعتقال في الضاحية بعد كل عملية ضد القوات الإسرائيلية عند اطراف المنطقة، ثم حاولت البدء بهدم مسجد الرسول الأعظم على طريق المطار، فجاءت ((تظاهرات الضاحية لتواجه السلطة))، وأعقبها

((اقتحام سراي بعلبك وإذاعة بيان يندد بالإحتلال)) وحصول أول تصادم عسكري مع الجيش اللبناني قرب بريتال، ودعوته إلى ((التزام ثكناته لأنه لايقاتل إسرائيل)). ولم تمض أشهر حتى كانت منطقة بعبك خالية من السيطرة الأمنية لسلطة امين الجميل آنذاك، بعدما دخلت مسيرة سلمية إلى ثكنة الشيخ عبدالله في بعلبك، وكان الموقف ((أن السلطة تريد ان تحول جنودنا في مؤسسة الجيش إلى خدمة الأمريكيين، ونحن أتينا بلا رصاص ولا سلاح لأننا لانريد أن نقتل اخوتنا)). ثم أقيمت الصلاة بمشاركة قائد الثكنة، قبل أن يخليها الجنود وتصبح تحت السيطرة الكاملة للحزب.

سبق ذلك بدء الظهور العسكري المنظم في ((عرض أقيم لمناسبة يوم القدس)) وتأكيد ((إستمرار الصراع مع العدو ورفض كل محاولات الإعتراف الصريح والمبطن وكل معاهدة أو ا تفاق)) والإعتماد بدلاً من ذلك على ((سواعد تحمل البندقية لتطفئ النار بالدم، ولتحطم الحديد بالإرادة المؤمنة))

صار على الشورى أن تواجه المعضلات المتداخلة مجتمعة ؛ التنظيم الداخلي، تصعيد العمل العسكري ضد الإحتلال، مواجهة السلطة المدعومة دولياً بوجود القوات المتعددة الجنسيات إلى جانبها، فضلاً عن تعميم الأفكار الإسلامية بتفعيل النشاط الثقافي والتعبئة الإعلامية.

اتخذ الخطاب السياسي لحزب الله أبعاده التعبوية في المرحلة الأولى بين العامين ١٩٨٥ـ١٩٨٢ بوتيرة تصاعدية تنهج الإسلوب الثوري الرافض لكل أشكال التعاطي السياسي المستقل عن القتال، وبرغم المتغيرات العديدة التي أحدثها هذا القتال من انحسار الإحتلال إلى مساحة ضيقة في المنطقة الحدودية المحتلة، ومساهمة ذلك في التحوّلات الداخلية اللبنانية، فإن حزب الله بقي يمارس نهجه الثوري بالوتيرة نفسها حتى غدا في نظر الكثيرين أنه لا يمثل إلا حالة قتالية، وأحد النماذج على تلك الوتيرة المتصاعدة اضطرار الحزب إلى خوض معارك سياسية وإعلامية حول القوات الدولية، مشاريع التسوية للأزمة اللبنانية، واستمرار المقاومة حتى تحرير القدس، من دون الالتفات إلى تبدل الأولويات لدى جمهور المقاومة زمن الاحتلال عن جمهورها بعد انسحابه، لأن ما كان يبغيه الحزب هو دفع الحالة التعبوية إلى أقصاها للإبقاء على الوهج الثوري للمقاومة كيلا يحال الجمهور إلى الاسترخاء، والاطمئنان أمام الطروحات السياسية الداخلية أو تلك المتعلقة بالجنوب.

لم يضع حزب الله مشروعه السياسي الداخلي في مرحلة تصاعد العمل العسكري، في وقت كانت مشاريع الحلول تعد وتأخذطريقها إلى النضوج، فغلبة الطابع القتالي على مشروع الحزب باعتباره يمثل حزباً مقاوماً ألقت بالقضايا السياسية الداخلية في

الأدراج، وأبقت على طرح استمرار المقاومة، لذلك كان من السهل استنفار طاقات الحزب وإمكانياته إذا ما كان الأمر يتصل بشأن من شؤون المقاومة، بينما القضايا الداخلية تصبح بنظره ملهاة، أو تضييع للوقت، فالقناعة الراسخة لدى الحزب حينها أن التغيير يأتي بالدرجة الأولى من طرد الاحتلال، فذلك هو الطريق المؤدي مباشرة إلى تقويض السلطة آنذاك.

ارتفع عدد أعضاء الشورى إلى تسعة وانتقلت بعض أنشطة القيادة إلى الضاحية الجنوبية التي أخذت تستقطب المراكز القيادية بدلاً من البقاع، باعتبارها أكثر قرباً من مركز القرار السياسي في العاصمة، ويسهل من خلالها إدراة الشؤون السياسية والإعلامية، بما يتيح الإطلالة على أوضاع المناطق المحتلة من قرب، وليساعد ذلك في التواصل مع الحدث السياسي والعسكري بصورة مباشرة.

باشرت الشورى صياغة مبادئ عامة في صيغة وثيقة سياسية لإعلانها على الملأ، تضع فيها تصوراتها وآراءها، والخطوط العريضة لمشروعها السياسي في لبنان، وأذاعتها في((احتفال حاشد في حسينية الشياح في الذكرى السنوية الأولى للشيخ راغب حرب))

وحددت الوثيقة ثوابت حزب الله وأهدافه، وفي مقدمتها ((محاربة إسرائيل وطردها من لبنان مقدمة لإزالتها من الوجود، وضرورة تواصل المقاومة الإسلامية التي سطرت الملاحم والبطولات، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، كما استطاعت أن ترغم العدو لأول مرة في تاريخ الصراع ضده على اتخاذ قرار بالتراجع والانسحاب من لبنان بدون أي تأثير أمريكي أو غيره.. والمقاومة شاركت فيها النساء والأطفال والشيوخ والشباب فأثبتت أن الأمة إذا ما تركت تدبر أمرها بحريتها قادرة على صنع المعجزات)).

رسمت الوثيقة السياسية الخطوط العامة لحزب الله على مدى أربع سنوات كانت حافلة بالاحداث والتطورات، والحزب محور أساس من محاورها، سواء على الصعيد الداخلي، أو على مستوى المواجهة مع الاحتلال. وعمد الحزب إلى ترجمة رؤاه وأفكاره الواردة في الوثيقة سلوكاً سياسياً وعسكرياً، لكنه اصطدم بمجموعة موانع وعقبات حالت بينه وبين استكمال بناء هيكليته، أو المضي في مقاومته للاحتلال بعدما خطا خطوات مهمة في المجابهة العسكرية أدخل فيها أساليب جديدة في العمل العسكري المقاوم، وأهم تلك الموانع حربه مع (حركة أمل) التي بدأت في نيسان في العام ١٩٨٨ حتى أواخر العام ١٩٩٠ فتعطل جزء كبير من نشاط المقاومة، وتحوَل الجهد العسكري والسياسي إلى حماية المقاومة ومنع القضاء عليها، إلى حين توفرت

الظروف السياسية المؤاتية التي أنهت الحرب وفتحت الباب واسعاً أمام انتقال الحزب إلى مرحلة جديدة كانت نواتها بدأت في المؤتمر الأول الذي حمل شورى ضمت تسعة أعضاء انتخبت بدورها أميناً عاماً، وعيَنت الهيئات القيادية، وبدأت تنظيم الهيكليات في مختلف القطاعات الشعبية والسياسية والعسكرية والإعلامية والاقتصادية.

كان إلى جانب الأمين العام رئيس لشورى التنفيذ وآخر للمكتب السياسي ورئيس للقضاء وآخر للمجلس الجهادي الذي يعنى بشؤون المقاومة، وجميع هؤلاء يشكلون الشورى، وفي كل جهاز هيئات تتفرع حتى الخلايا الصغيرة التي تتشكل في القرى والأحياء. وفي النصف الأول من العام ١٩٩١ عُقد المؤتمر الثاني وصار عدد أعضاء الشورى سبعة وفيه أيضاً وُضعت سياسات مرحلية وأخرى استراتيجية في عملية تعديل للوثيقة الاساسية بحيث لم تعد برامج العمل كلها متصلة بالشأن الاستراتيجي، وإنما هناك الخطة التي تعنى بالمشروع المرحلي بتضمينها الثوابت وهي:

- تحرير الجنوب من الاحتلال.
- إلغاء الطائفية السياسية وإقامة نظام على اساس الاختيار الشعبي.
- العمل على تمتين الوحدة الإسلامية، والتماسك الشيعي.

ولحظت الخطة العلاقة مع الدولة بكل تفصيلاتها، فأقرت مشروعية الدخول في وظائف الدولة، والمشاركة في الانتخابات النيابية، وأبقت على المشاركة في الحكومة للنقاش حسب الظروف.

أُرسي هذا الاطار السياسي بشكله التنظيمي المستقر وبلغ مداه السياسي والشعبي عندما تمكنت الشورى بسرعة من اختيار خلف للسيد عباس الموسوي في شباط ١٩٩٢، فأكمل السيد حسن نصر الله ولاية سلفه في منصب الأمانة العامة ثم تولى المنصب نفسه بعد مؤتمرين في خمس سنوات.

الفصل الخامس

الباب الثالث

عمائم في المقدمة

خطأ في التقويم:

لم يول الإسرائيليون في دراستهم للبنان أهمية كبيرة للشيعة، إذ ارتكزت رؤاهم الاستراتيجية على العامل الفلسطيني، والعلاقة المستقبلية مع المسيحيين،لذلك لم تكن تلك الأنشطة الدينية في الجنوب تعني لهم الشيء الكثير. فما أقاموا عليه خططهم أن شيعة الجنوب سيكونون أكثر طواعية للحكومة الموالية لهم في بيروت، وبالإمكان التعايش معهم ما داموا قوة مهمشة في المجتمع اللبناني، ولديهم من أسباب النفور من سلطة منظمة التحرير ما يكفي لتقبل التعايش مع الجيش الإسرائيلي، ((ولم يكن هناك تقويم صحيح لمدى الوطنية اللبنانية عند الشيعة ولدرجة معارضتهم أي احتلال غريب)).

كانت المعاني الدينية تمتزج بدلالاتها الوطنية، فصلاة الجمعة في جبشيت صارت لقاءً جامعاً لأبناء القرى يتحادثون فيها عما آلت إليه أوضاعهم ويستمعون إلى خطبة الشيخ راغب حرب فيطرح مفاهيم الإسلام وكيفية مواجهة أعداء الله ورفض التعاون معهم، وفي ذلك إحياء لفكرة الرفض والاحتجاج ومواجهة الاحتلال، كما هي التعبيرات التي يطورها الخطيب من مزج الفكرة الدينية بمعانيها الوطنية إلى التصريح علانية بالمراد، أي ضرورة مواجهة المحتل.

وتصبح لهذه المواعظ والمواقف وقائع في الممارسة فتبدأ حملات تضامن مع الأهالي المعرضين لمضايقات الميليشيات التي أنشأها الاحتلال،ثم تصبح مواجهة مباشرة مع جنود الاحتلال فتنطلق بذلك انتفاضة الجنوب العارمة، وهذه المرة بترجمة الأفكار الدينية التي عممها العلماء في القرى إلى حركة احتجاج ورفض شعبي.

فقد جاءت مباشرة علماء الدين الشيعة لحركة الاحتجاج على الاحتلال مبكرة وفي ذروة الانتصار العسكري الإسرائيلي، مستندين إلى حض مباشر من الإمام الخميني، إذ كانت دعوته إبان الاجتياح إلى ((الصمود والمقاومة)) وهي دعوة صريحة إلى عدم الخضوع للإملاءات الإسرائيلية ورفض أي شكل من الإقرار بما يفرضه الاحتلال بالصمود في مواجهته وعدم اللين أو الركون إلى ما يفرزه من نتائج، ومن ثم مقاومته أي عدم الاكتفاء بالرفض لوجوده بل القيام بالمبادرة عبر أشكال العمل المقاوم المختلفة الذي اتخذه العلماء بداية عن طريق التحريض الشعبي والتشكل في هيئة جامعة عرفت باسم ((هيئة علماء جبل عامل)) تمثل القيادة المحركة للاحتجاجات وحالات الرفض الجماهيري للاحتلال.

فبعد السيطرة العسكرية الإسرائيلية اختفت القيادات السياسية والزعامات المحلية الحاكمة في الجنوب عن مسرح التأثير على اتجاهات الرأي العام الجنوبي، وصارت الحركة الشعبية المبعثرة متجهة إلى ترتيب أوضاعها المستجدة ولملمة الجراحات والآلام التي خلفها الاجتياح، وكان الهم الشاغل للقرويين العمل على إطلاق سراح المعتقلين الذين أخذوا عنوة من منازلهم، أو ترميم المنازل المتضررة بفعل الأعمال العسكرية الإسرائيلية، بينما الإسرائيليون يقيمون أنظمتهم الخاصة في القرى والمدن الجنوبية في وقت يطرق فيه جنودهم أبوب العاصمة بيروت

كانت احتجاجات القرى في بدايتها مسالمة، وأغلبها متعلقة بالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين بتظاهرات نسائية إلى مقر الحاكم العسكري لتسليمه مذكرة بالمطالب، أو برفض الممارسات التي تقوم بها الميليشيات المحلية التي أخذ الجيش الإسرائيلي ببنائها، وإقامة مراكز ثابتة لها في القرى والبلدات الجنوبية. وأتخذت بعض الاحتجاجات شكلاً مغايراً، بالاعتصام أمام مقر الصليب الأحمر الدولي في صور وإرسال برقية إلى أرييل شارون للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين، أو بمحاولة منع الاعتقال والتظاهر عليه احتجاجاً كما في عربصاليم والزرارية.

وإذ لم تخل هذه الاحتجاجات من قطع طرق أو إحراق دواليب كما كان يفعل سكان مخيم عين الحلوة قرب صيدا، فإن الصورة العامة التي بدا عليها الجنوب من حزيران حتى بداية أيلول، هي الترقب وانتظار مجريات المعركة على تخوم بيروت، فالحرب كانت لا تزال قائمة، والتحركات في مهدها، بينما العلماء في قراهم يحاولون بداية مساعدة المتضررين أو تثبيت الأهالي بلقاءات فردية وجماعية، كان من أبرز المتحركين فيها الشيخ راغب حرب حين أخذ يؤكد بعد عودته من إيران في أواخر تموز ١٩٨٢ ضرورة المواجهة ورفض كل أشكال التعامل مع ((إسرائيل)) باعتباره أمراً محرماً يتعاطى معه أهل الجنوب كفتوى مصدرها العلماء، مستحضرين قولاً للإمام السيد موسى الصدر ((التعامل مع إسرائيل حرام)) وهو ما صار شعاراً يردده الخطباء في كلماتهم، ويرتفع على اللافتات المعلقة على جدران المساجد والحسينيات.

بدأ شهر أيلول حامياً ؛ فالشيخ حرب صار جوالاً على القرى المحيطة بجبشيت، وكلماته تصل مسامع الإسرائيليين الذين أخذوا يقيمون صلة بين تزايد الهجمات على قواتهم وحالات الرفض الشعبي للتعامل معهم أو مع ميليشياتهم المحلية، وبين مواقف الشيخ وأقرانه من أئمة القرى في خطبهم وصلواتهم ومشاركاتهم في المناسبات، إذ لا تخلو مناسبة خطابية جنوبية إلا ولشيخ كلمة وموعظة يستخدمها في تعميم آرائه

وأفكاره، والشيخ حرب واضح فيها ؛ بدأها بحض أهالي بلدته على التصدي لجنود الإحتلال فكانت أول حجارة ترمى على جنود إسرائيليين في جبشيت، كما يروي الشيخ نفسه في مذكراته.

استشعر الإسرائيليون خطراً، فكانت محاولتهم الأولى ((جس نبض)) الشيخ بإمكانية الركون، ولما لم يصافحهم وطردهم من منزله استعجلوا اعتقاله فداهموا منزله في جبشيت ليلاً، ((وبعد أن حاصرت القوة المنزل أبلغ قائدها زوجته بضرورة تسليم نفسه وإلا فإن القوات الإسرائيلية ستلاحقه وتعتقله)).

سبق للإسرائيليين أن داهموا جبشيت وأعتقلوا عدداً من أبنائها، فهي من القرى الأولى التي باشرت التصدي للاحتلال. فقد اقتحمها الإسرائيليون مرة ثانية وأعتقلوا أربعة أشخاص ليصبح عدد المعتقلين من أبنائها ١١، ثم عاودوا اقتحام جبشيت واعتقلوا ثلاثة من أبنائها وهم مقربون من الشيخ حرب.

أئمة وانتفاضات

في آذار ١٩٨٣، تمكن الجيش الإسرائيلي من اعتقال الشيخ راغب حرب، واقتياده إلى معتقلاته في الجنوب. تداعى أهالي القرية إلى الحسينية للتداول في الأمر، فظهرت آراء مختلفة بين دعاة لتوسيط لجنة محليةكانت على صلة بالإسرائيلين، وبين دعاة للتحرك الشعبي. ذهبت اللجنة وقابلت ضباطاً إسرائيليين وحصلت على وعود ما لبث انكشاف زيفها، حيث لم يُطلق سراح الشيخ. وبقي الاهالي في حيرة من أمرهم، قبل أن تأتي الفكرة من الذين وجدوا الفرصة مؤاتية لمزاوجة عملهم العسكري المقاوم بالعمل الشعبي، وهي الاعتصام في النادي الحسيني حتى إطلاق سراح الشيخ. هكذا تبادر إلى أذهانهم، ردد الجميع كلمة الاعتصام وقرروا المباشرة به. تم إحضار ((العدة)) اللازمة من طعام وأغطية، واجتمع الأهالي في الحسينية، حيث أعلنوا اعتصاماً مفتوحاً ووزعوا بياناً مكتوباً يتضمن مطلبهم. لقيت هذه الخطوة اهتمام وسائل الإعلام المحلية، وحتى الأجنبية، وأخذ الصحافيون يتوافدون إلى القرية، بينما صعَد الخطباء لهجتهم في الاعتصام الذي جذب مزيداً من المؤيدين في القرى المجاورة، ثم أعلن الإضراب، وانضمت بعد ذلك قرى أخرى، لتبدأ انتفاضة شعبية عنوانها الاعتصامات في المساجد والحسينيات بإشراف العلماء العامليين الذين استعادوا دوراً تاريخياً مكّنهم من قيادة حركة الاحتجاج الشعبي، في وقت كان زملاء لهم يوجهون

مقاومة مسلحة تزداد قوة وصلابة مع الوقت.

صار العلماء مفزع الأهلين، وفي موقع القيادة والملاحقة في آن. تصدى العلماء لقضية اعتقال الشيخ وتشكلوا في إطار واحد، فكان بيانهم الأول ((تنديداً بالاعتقال من قبل العدو الصهيوني)) ثم تدافعوا إلى جبشيت يشاركون في اعتصام أهلها، فحضر أئمة القرى ومشايخها وأطلقوا مواقفهم تباعاً: رفض الاحتلال ومهاجمة العملاء، ودعوات إلى حركة شعبية أوسع صارت مطلباً علمائياً مع اعتقال شيخ آخر هو الشيخ علي ياسين.

اتخذ العلماء بداية من حسينية النبطية مركزاً لاعتصامهم الأول حيث تداعوا إلى اللقاء هناك وانضم إليهم بعض السكان الذين رشقوا سيارات إسرائيلية بالحجارة ليكون ذلك بداية تصعيد جديد كما طلب بيان العلماء من الأهالي. لم تعد الحركة الاحتجاجية محدودة أو محلية، إنها الانتفاضة كما بدأت الصحف تعبَر والسبب اعتقال الشيخ حرب، فقد ((انطلقت شرارة الرفض الجنوبي للاحتلال من جبشيت، وأخذت تتمدد وتعم القرى الجنوبية وتلقى حملة تضامن شعبي. تظاهر الأهالي وقطعوا الطرقات أمام التحركات الآلية الإسرائيلية، وأخذوا ينتظرون بيانات العلماء الذين أبرقوا من الجنوب إلى الإمام الخميني معاهدين على الإلتزام بتعاليمه، أي الصمود والمقاومة.

كان أئمة القرى يوجهون أبناءها في التظاهر أو سد منافذ القرى بالإطارات المشتعلة والحجارة والتصدي لمحاولات دخولها، وبعد كل موجة احتجاج يعقد اللقاء الموسع للهيئة العلمائية التي تصدر بياناً حول التطورات تحدد فيه الخطوات المقبلة.

ظلت الاعتصامات والتظاهرات قائمة حتى إطلاق الشيخ حرب في الثالث من نيسان، أي بعد سبعة عشر يوماً من الانتفاضة الشعبية التي صارت منهجاً يسلكه أبناء القرى الجنوبية بإمامة علماء الدين، فلم تخل مواجهة أو اعتصام إلا وكان المحرض والقائد لهما إمام القرية. والشعار تحول من الاحتجاج على الممارسات الإسرائيلية إلى تحرير الأرض من احتلال كما يعبر الشيخ حرب بعد إطلاق سراحه.

وإلى جانب التجمع العلمائي الذي نشأ مع انتفاضة جبشيت، أخذت حركة أمل تضم صوتها إلى أصوات المحتجين وتشارك في التحركات الشعبية التي بدأتها بالدعوة إلى المقاومة السلبية أو الغاندية، ثم انضمت إلى العلماء برفع وتيرة الاحتجاج، وصارت مشاركاتها انطلاقاً من بيروت أكثر اتساعاً، فكانت أولى دعواتها للإضراب تضامناً مع الجنوب في ١ أيار ١٩٨٣ ((على ألا يكون مصحوباً بتظاهرات حفاظاً على الأمن وسلامة المواطنين)) داعية الدولة إلى العمل على اتخاذ خطوات فاعلة مع

((دعم الجيش والمطالبة بدخوله إلى الجنوب)) واتخذ الخطاب السياسي لـ((أمل)) وتيرة تصاعدية مع اقتحام مؤسسة جبل عامل من قبل جيش الإِحتلال، وتوسيع حملة الاعتقالات الإسرائيلية لتطال مسؤولين من الحركة، بعد محاولات سابقة من الإِحتلال لدفع الحركة إلى تشكيل حرس وطني من عناصرها أو ((استمالتهم إلى جانب الميليشيات التي أنشأها الإحتلال، وهو ما لقي رفضاً من مسؤولي أمل في المنطقة الذين أشاروا إلى أنهم يتعاملون فقط مع الجهات المرتبطة بالدولة اللبنانية كقوى الأمن الداخلي)). هذه المشاركة في الاحتجاجات الشعبية دفعت بانتفاضات القرى إلى اتخاذ صفة شمولية، لكنها بقيت مستظلة بعباءة علماء الدين الذين ظلوا في موقع القيادة الفعلية.

إذا كانت البداية الشعبية للانتفاضة الجنوبية من جبشيت بقيادة الشيخ راغب حرب، فإن انضمام القرى الأخرى تباعاً أعطاها دفعاً قوياً إلى الأمام، حتى إذا ما جاءت الذكرى الأولى في حزيران كان لبنان يشارك في الحداد الوطني وتصبح مناطقه أكثر ملامسة لمعاناة أهالي الجنوب. وانتفاضات القرى التي صارت تتنقل تباعاً بتحريض علمائي يلتقي مع دعوات من بيروت والبقاع يطلقها العلماء لتصعيد المواجهة، فكانت انتفاضة دير قانون النهر بإمامة الشيخ إبراهيم قصير بعد عملية ناجحة على مفرق العباسية أبطالها مجموعة من الشبان الذين شكلوا خلية في المنطقة وبدؤوا عملهم في الأشهر الأولى للاجتياح، واتصفوا بقدرة كبيرة على الحركة القتالية حتى تحول المثلث الذي يكمنون فيه إلى مثلث للموت، وصار لهؤلاء شأنهم في قيادة عمليات المقاومة الإسلامية بعد الانسحاب الإسرائيلي.

تضامن الجنوبيون مع دير قانون التي اعتقل أحد علمائها، وتداعى العلماء مرة أخرى للاجتماع والتحرك، وتبعت دير قانون كفرصير التي انتفضت عندما حاول الإسرائيليون اعتقال ابن إمام البلدة، فتظاهر الأهالي وأحرقوا إطارات السيارات. كذلك فعل أهالي عين بوسوار حين أراد الإسرائيليون اعتقال أحد أبنائها.

وقاد أيضاً إمام كفر ملكي اعتصام أبنائها، وكذلك باريش. وحين حاول الإسرائيليون اقتحام البيسارية لاِعتقال إمامها الشيخ عفيف النابلسي حدثت انتفاضة منع فيها الأهلون الجنود الإسرائيليين من اعتقال الشيخ واستنقذوه من بين أيديهم، وهو ما حدث في المروانية عندما قاد المشايخ من داخلها اعتصاماً، كما تداعوا إلى الصرفند للمشاركة في اعتصامها، وكذلك في عدلون كانت هذه التحركات تترافق مع مشاركات للعلماء في إحياء ذكرى الشهداء الذين يسقطون في المواجهات، ويتخذونها مناسبة للتحريض على الاستمرار في المقاومة، وهو ما امتاز به الشيخ حرب

الذي بقي على صلة دائمة بالأنشطة الشعبية، فلم يترك فرصة للتعبير فيها عن رفض الاحتلال والحث على مقاومته إلا وكان يغتنمها، كما هي حال التجمع العلمائي العاملي الذي أخذ يتصدى للشؤون العامة يمارس دور المخطط والموجه للانتفاضة الشعبية ولإحياء المناسبات السياسية والدينية، ومنها يوم القدس الذي تمثل رمزيته دلالة مهمة على نقل المواجهة إلى ما هو أبعد من المرحلة الجنوبية على رغم ظروف الاحتلال فكان الاحتفال العلمائي بالمناسبة في النبطية بكلمات وبيان، فجاءت مواقف الشيخ حرب منسجمة مع تطلعاته الإسلامية البعيدة، إذ كان أمله أن تكون المشاركة في العام المقبل ((فعالة في تحرير الجنوب والقدس وبناء جبهة المواجهين للعدو، بينما البيان العلمائي أكد العمل من أجل إنهاء الاحتلال وإطلاق جميع المعتقلين)).

أدت هذه الأنشطة الشعبية التي كانت تتحرك انطلاقاً من قاعدتين أساسيتين هما (النبطية وصيدا) لموقعهما السياسي والشعبي، فضلاً، عن أنشطة كانت أحياناً تنطلق من مدينة صور ؛ إلى بلوغ المواجهة مرحلة متقدمة في الصدام الشعبي الواسع مع الإسرائيليين. ففي ساحة النبطية أثناء إحياء ذكرى عاشوراء حاولت دورية إسرائيلية شق الحشود التي تحيي الذكرى فهو جمت وتم إحراق السيارات الإسرائيلية، كان ذلك مؤشراً على المدى الذي بلغته الحماسة الشعبية في مزاوجتها للمعاني الدينية بأهدافها السياسية وممارساتها أفعالاً مباشرة. فلإحياء عاشوراء علاقة وثيقة بمنطق المواجهة والتصدي وفق شعار ((انتصار الدم على السيف)) الذي رفعه علماء الدين ترداداً لما أطلقه الإمام الخميني، وصارت له سلوكياته المباشرة كما في مواجهة النبطية وما تلاها، أو في استحضار الشعارات الحسينية في الخطابات والمواقف واللافتات التي تعلق في القرى أو على جدران الحسينيات والمساجد، ليضاف هذا المعنى الديني إلى معنى آخر كان شعاراً للانتفاضة الجنوبية، وهو دعاء الوحدة بتشابك الأيدي بين المعتصمين للدلالة على التكاتف والتعاضد في موقف واحد ضد الاحتلال.

واتخاذ علماء لهذا الدور الريادي لم يكن محصوراً في الجنوب ولا مقطوعاً عن اتصاله بحركات العلماء الآخرين في بيروت أو البقاع فإلى ((هيئة علماء جبل عامل)) نشأ تجمعان آخران ؛ واحد في البقاع أصدر بياناته باسم ((العلماء المسلمين في البقاع))، وآخر في بيروت كان خليطاً من علماء سنة وشيعة حمل اسم ((تجمع العلماء المسلمين)). إضافة إلى هذه التجمعات، كان هناك عالمان بارزان يتخذان موقعاً متقدماً في الحركة السياسية اللبنانية هما الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد

محمد حسين فضل الله، إذ اتخذ الشيخ شمس الدين شعاراً أعلنه في عاشوراء ١٩٨٣ بالمقاومة المدنية الشاملة التي ((تقوم على تحريم التعامل مع إسرائيل حرمة مطلقة لا رخصة فيها لأحد ونبذ المتعاملين)) بينما اتخذ السيد فضل الله في الذكرى نفسها موقفاً أكثر شمولاً عندما ((ناشد الجنوبيين هجوم على موقعي لوسي والسريرة في البقاع الغربي عادت المقاومة بثلاثة أسرى من الميليشيات ظلوا أحياء من أصل عناصر الموقع العشرة. ومنذ ذلك التاريخ كانت الهجمات على المواقع تؤدي أحياناً إلى العودة بأسرى من الميليشيات من دون أن يكون ذلك هدفاً مباشراً)).

الحرب الأمنية

بموازاة الحرب العلنية والمكشوفة التي كانت تدور في الجنوب والبقاع الغربي وتستخدم فيها أساليب القتال المختلفة، كانت الساحة اللبنانية تشهد حرباً من نوع آخر أكثر تعقيداً وتشابكاً، وطرفاها الجهاز الأمني للمقاومة وجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذي تولى العمل الأمني في لبنان بدل جهاز الموساد المعني بالنشاط خارج ((إسرائيل)).

عرف لبنان، منذ أن أنشئت ((إسرائيل))، نشاطاً استخبارياً مارسته الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، تطور بعد تحول لبنان إلى منطلق للعمل الفدائي الفلسطيني حيث زرعت شبكات أمنية كانت مهمتها رصد نشاطات الفصائل الفلسطينية وحركة مسؤوليها بهدف الانطلاق من تلك المعلومات لتنفيذ عمليات خاطفة، أبرزها بدأ في عملية فردان عام ١٩٧٣واستمرت على شكل عبوات وسيارات مفخخةوغارات على مراكزحساسة استناداً إلى معلومات الاستخبارات حتى عام ١٩٨٢ عندما وقع الاجتياح الواسع.

انكشفت العديد من الوجوه الإسرائيلية المباشرة أو غير المباشرة أثناء الاجتياح، فقد ظهر ضباط إسرائيليون ومرشدون وأدلاء في صفوف بعض الفصائل الفلسطينية والاحزاب اللبنانية، سبق لهم أن وجهوا الطائرات الإسرائيلية في غاراتها، أو أعطوا معلومات أمنية عن الأنشطة الفلسطينية واللبنانية ساعدت الجيش الإسرائيلي في اجتياحه. وتولى عملاء إسرائيليون إرشاد الجنود إلى مخابئ الأسلحة أو المراكز السرية التي لجأ إليها بعض المطلوبين للقوات الإسرائيلية. وإلى جانب الوجوه التي أميط اللثام عنها، أبقي على شبكات سرية ثم باشر الإسرائيليون إنشاء مثيلات لها، لما أمنه لهم وجودهم المادي من قدرة على إقامة علاقات داخلية، أحد وجوهها تمتين

روابطهم مع ميليشيا القوات اللبنانية..

إستفاد الإسرائيليون كثيرا من تغطية ميليشيا القوات في نشاطاتهم الأمنية؛ إذ شكلت المنطقة الخاضعة لسيطرتها مركزاً متقدماً لإعداد وتنفيذ عملياتهم ولتجنيد العملاء، ورصد وجمع المعلومات بعدما تأمنت لهم الإمكانات اللازمة خاصة على المستوى البشري، من دون أن يكتفوا بهذا القدر، فهم أوجدوا أجهزة خاصة بهم داخل القوات وبنوا شبكاتهم في المناطق اللبنانية الأخرى التي تولت تزويدهم بما يحتاجونه، علاوة على ما تزودهم به الأجهزة الخاصة بالقوات.

كانت أنشطة الاستخبارات الإسرائيلية تركز على المنظمات الفلسطينية وأحزاب اليسار اللبناني والجيش السوري، ولم تكن تلفت كثيراً إلى المجموعات الإسلامية التي نمت بُعيد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. وخلال الاجتياح اعتُبرت منظمة التحرير الفلسطينية الهدف الرئيس للجيش الإسرائيلي وإستخباراته العسكرية، ولم تكن الخلايا الإسلامية موضع اهتمام، وهو ما ساعدها على التشكيل بعيداً عن الأعين، ومباشرة عملها المسلح ضد الجيش الإسرائيلي منذ الأيام الأولى للاجتياح من دون أن تتوفر للإسرائيليين معلومات تساعدهم على شل أنشطتها. ومع نمو العمل العسكري لهذه الخلايا وتنظيمه في إطار حزب الله بدأت عيون ملاحقة الإسرائيليين في كل مكان وبكل الأساليب بالرصاص والحجارة وبكل ما يستطيعون، ليخلقوا لهم في كل منزل أزمة سياسية واقتصادية)).

كانت مشاركة العلامة فضل الله في المناسبات الجنوبية تتم عبر رسائل أو نداءات وبيانات تتلى في الإعتصامات وخلال التظاهرات، فضلاً عن تأمين مستلزمات الدعم المالي الذي يتجمع من أموال الخمس والصدقات أو من تبرعات المتمولين وهي مشاركة صارت أكثر اتساعاً مع الانسحاب الإسرائيلي الأول إلى حدود مدينة صيدا وحرية الحركة التي صار يتمتع بها العلماء المقيمون في الضاحية الجنوبية، خاصة العلامة فضل الله، إذ بات أكثر صلة علانية بتجمعات العلماء في الجنوب أو بيروت أو في البقاع، وهكذا تحول الجنوب إلى الساحة الوحيدة للانتفاضة بوجه الاحتلال التي كانت تشتد مع اشتداد حملاته ضد القرى أو محاولاته عزل الجنوب، كما باشر ذلك في أواخر العام ١٩٨٣ عندما أقام نطاق عبور ومراقبة على خط الأولي قرب صيدا وبدأ يمارس تضييقاً وحصاراً بشرياً وتموينياً، فضلاً عن هجماته على القرى واعتقال شبانها.

وكما لعبت النبطية، انطلاقاً من جبشيت، دوراً بارزاً في حركة العلماء، أنتقل الجهد إلى صيدا لما لها من موقع سياسي وإعلامي لقيادة التحرك الشعبي، فأعلن

منها اليوم الوطني للجنوب، ثم تداعى علماؤها وفاعلياتها في لقاء جماعي في ذكرى أربعين الإمام الحسين ليطلقوا دعوة للاعتصام ((فأجتمع في مسجد الزعتري ٤٥ رجل دين أنضمت إليهم فاعليات لرفض الإحتلال وإجراءاته)). وكان ان بدأ الجيش الإسرائيلي حملة اعتقالات في المدينة طالت أحد مشايخها الشيخ محرَّم العارفي، بعدما انتهى العام ١٩٨٣ على تصاعد العمليات العسكرية ومنها ((عملية قوات الفجر التابعة للجماعة الإسلامية وقتل فيها ثلاثة مظليين إسرائيليين)).

بدأ العام ١٩٨٤ حافلاً في الجنوب، باشره الإسرائيليون بمراجعة شاملة للوضع في لبنان وإعداد

خطط عسكرية جديدة على خلفية تصاعد العمل العسكري ضد قوات الاحتلال وتأجيج الانتفاضة الشعبية التي انتقلت إلى الحلوسية بإمامة الشيخ عباس حرب حيث تصدى الاهالي لمحاولة اعتقاله من قبل قوات الاحتلال التي ((حاصرت البلدة ونفذت غارات وهمية ثم اعتقلت الشيخ حرب ونقلته بطائرة مروحية مع آخرين وعمدت إلى تدمير منزله)) والحجة في اعتقال الشيخ هي وجود مخبأ سلاح في منزله يستخدمه رجال المقاومة. اعتصم الاهالي وتظاهروا، وكان هتافهم ((الموت لإسرائيل))، بعد دعاء الوحدة بمشاركة علماء قدموا إلى القرية وفي طليعتهم الشيخ راغب حرب. وإلى جانب الحلوسية، كانت العباسية وبرج رحال تعتصمان، ويتحدث في المعتصمين محمد سعد المسؤول المحلي لحركة أمل الذي ينضم مع رفيق له هو خليل جرادي إلى العلماء المعتصمين مع الأهالي في الحلوسية، ويصبح الرجلان هذه المرة هدفاً للجيش الإسرائيلي. فقبل هذا التحرك لم يدرجا ضمن الشخصيات الجنوبية التي تمارس نشاطاً علنياً، إذ كانت القيادة معقودة في ((أمل)) لآخرين يتولون المشاركة في المناسبات وإلقاء الكلمات والمواقف السياسية المعَبرة عن رأي الحركة.

كان محمد سعد وخليل جرادي مسؤولين محليين، نطاق عملهما بلدة معركة، يشاركان أحياناً في احتفالات أبناء القرية، ولهما مواقف ضد الاحتلال لأن ((ما يجري هو ذاته ما حصل في العام ١٩٤٨ في فلسطين حيث الهدف هو القضاء على الوجود الاسلامي وأخذ الرجلان يشاركان مع القرى اعتصاماتها واحتجاجاتها،فوضعا على لائحة المطلوبين للجيش الإسرائيلي الذي لاحقهما إلى بلدة معركة واعتقل سعد بينماأفلت جرادي من قبضة الإسرائيليين.

إذا كان يوم اعتقال الشيخ راغب حرب فجر الأنتفاضة الكبرى في الجنوب فإن اغتياله كان المحطة الثانية الكبرى من محطات الثورة الجنوبية التي مهدت لطرد الأحتلال الإسرائيلي، حين تحوّل يوم الاغتيال إلى مناسبة لتصعيد الاعتصامات

و التظاهرات و الالتفاف الشعبي حول قيادة علماء الدين الذين جعلوا من ذكرى أسبوعه مناسبة لحشد عشرات الآلاف من الجنوبيين الثائرين المتلمسين طريق الشيخ الشهيد أو شيخ شهداء المقاومة الإسلامية كما التسمية التي أطلقت عليه، فإذا بدمه الذي أراقه الإسرائيليون وصوته الذي أرادوا إسكاته يتحول إلى شعلة ثورية يتناقلها زملاء الشيخ من أئمة القرى ورفاق دربه الذين انضووا في المقاومة المسلحة وصاروا أكثر جرأة على منازلة الإسرائيليين، مستلهمين شهادة الشيخ راغب التي تحوّلت إلى مناسبة لإحياء اسبوع المقاومة الإسلامية لما من علاقة بين الشيخ حرب والمقاومة بأبعادها العسكرية والسياسية والشعبية.

لم يحُل سقوط الشيخ برصاص الإسرائيليين دون استمرار جبشيت كإحدى نقاط الاصطدام المباشر بجيش الاِحتلال، فظل محورها مشتعلاً بالعمليات، واختير إمام آخر لها هو الشيخ عبد الكريم عبيد الذي قاد أبناء القرية للتصدي للجنود الإسرائيليين بعد ((هجوم شامل على البلدة سقط فيه عدد من الشهداء واعتقل الشيخ عبيد وعشرات الأشخاص للاشتباه في اشتراكهم في الهجمات))

انتفض الجنوب انتصاراً لجبشيت التي أعيد إليها شيخها وأبقي على معظم شبانها قيد الاِعتقال. سارت التظاهرات في الجنوب، وأعلن العلماء مرة أخرى رفضهم الإحتلال وتصميمهم على المواجهة، بينما صارت المناطق اللبنانية أكثر تحسساً بما يجري، فظهر تضامن المناطق الأخرى مع البلدة المعتصمة بأبنائها و المضرجة بدم شهدائها.

استطاع الشيخ حرب في شهادته كما في حياته أن يؤسس لمرحلة جديدة صارت أكثر شمولاُ مع المشاركة الشعبية الواسعة في انتفاضات القرى وإنضمام معظم أئمتها إلى الأنشطة المناهضة للاحتلال، إضافة إلى القوى الفاعلة على الأرض التي بدأت تمزج بين العملين العسكري والشعبي كما في حالة محمد سعد وخليل جرادي اللذين جعلا من قريتهما معركة مركز ثقل أمني وشعبي للمقاومة، وانتقلا بعد شهادة الشيخ حرب إلى موقع مهم في تحريك الانتفاضات الشعبية أو العمليات العسكرية، فقد انضمت بلدة معركة إلى مثيلاتها من قرى الجنوب بعد حملة المداهمات واعتقال محمد سعد، فكانت أولى مواجهاتها مع قوات الإحتلال في أواخر شباط ١٩٨٤، وبعد أربعة أيام أُطلق سعد وعاد إلى قريته مصمماً على متابعة طريقه في المقاومة الشعبية والمسلحة.

كان انضمام معركة إلى المواجهة عاملاً مساعداً على توسيع نقاط الاِشتباك مع الجيش الإسرائيلي، فصارت مشاركات قرى صور أكثر فاعلية وحضوراً

مستفيدة من المناخ الإعلامي الذي أخذت تؤمنه وسائل الإعلام في بيروت بعد انتقالها إلى قبضة حركة أمل، وأخذت هذه القرى تبادر إلى تنظيم الاحتجاجات متخطية شعار ((المقاومة السلبية وعدم التعامل لفرض الانسحاب)) إلى مباشرة التصدي الشعبي المترافق مع تنظيم العمل العسكري.

اتخذت الانتفاضة الجنوبية بعدها الوطني، وصارت عملا يوميا حاصر الجنود الإسرائيليين في مواقعهم ومنعهم من الدخول بسهولة إلى القرى والبلدات المنتفضة، بينما أخذ الإسرائيليون ينفذون أسلوب التصفيات الجسدية للقيادات المحلية بعدما أبعدوا مجموعة من العلماء، فأقدموا على إبعاد الشيخ علي ياسين بعدما نجا من محاولة اغتيال، ثم أتبعوا ذلك بإبعاد الشيخ يوسف دعموش إمام بلدة السكسكية.. واشتد ضغطهم على العلماء فاعتقلوا قاضي شرع صيدا السيد محمد حسن الأمين واقتادوه إلى التحقيق ثم أبعدوه إلى بيروت. وتوج الإسرائيليون هذه الحملة باغتيال السيد عبد اللطيف الأمين ((تزامناً مع الرفض العلمائي القاطع للمفاوضات العسكرية في الناقورة، وهيئة علماء جبل عامل التي كان الشهيد أحد أعضائها من الهيئات التي أطلقت صرخة الرفض للتفاوض)). وتعرض السيد عبد المحسن فضل الله لعدة محاولات اغتيال، ونجا الشيخ حسين سرور من محاولة قتل، بينما قضى محمد سعد وخليل جرادي في انفجار حسينية معركة في آذار١٩٨٥ لم تكن هذه الأنشطة الشعبية بمنأى عن حركة علماء الدين في المناطق الأخرى أو الأطر التنظيمية التي نشأت في البقاع وبيروت، إذ كانت العلاقة عضوية تتكفل فيها كل جهة بدورها السياسي والإعلامي والتعبوي، ففي البقاع كانت تظهر شخصيات علمائية لها دورها ومساهماتها في التأسيس للمواجهة ومنها السيد عباس الموسوي

أمثولة الشهادة

ولد السيد عباس الموسوي في الضاحية الجنوبية في العام ١٩٥٢، بعدما انتقل إليها ذووه من بلدة النبي شيث البقاعية شأن كثيرين من المهاجرين الشيعة إلى ضواحي بيروت، تاركين وراءهم ريفاً مهملاً مثقلاً بالحرمان الإنمائي، كانت ولادته في العام نفسه الذي ولدفيه الشيخ راغب حرب، رفيق السيد في الطريق الشائك الذي اختاره الرجلان ودفعا حياتهما ثمناً له في التاريخ نفسه، أي السادس عشر من شباط، بفارق ثماني سنوات كانت كفيلة بإحداث تغييرات كبيرة صار فيها السيد الموسوي أميناً عاماً لحزب الله بعدما تولى لسنوات مسؤولية منطقة الجنوب، وقيادة المقاومة ضد الاحتلال.

كانت وجهة السيد الموسوي نحو طلب العلم الديني باكرة، فتوجه وهو في سن السادسة عشرة إلى العراق حيث المدرسة الأم في النجف الأشرف، الزاخرة بالعلوم الدينية آنذاك في تفاعل قوي مع القضايا السياسية التي تتجاذبها اتجاهات عدة وتهب عليها في الوقت ذاته رياح التغيير في الوظيفة والدور، فإرهاصات الثورة الإسلامية في إيران، وحركة الإمام السيد محمد باقر الصدر تضيفان على الحوزة لوناً جديداً فيه خليط من طلب العلم الديني بالتقاليد المتوارثة منذ مئات السنين، والاهتمام بقضايا السياسة والمجتمع على نحو لم يكن مألوفاً في النجف بالصورة التي أخذ يرسو عليها.

حضر السيد الموسوي مجلس الإمام الصدر، وأخذ ينسخ معه علاقة علمية وسياسية فيغدو مع الوقت واحداً من المقربين منه المولجين أمر بعض الطلبة اللبنانيين الوافدين إلى النجف، فيؤمن لهم الإمكانات اللازمة من مسكن ودرس يومي وحاجات الحياة المعهودة لطلبة العلوم الدينية، ويتولى رعاية شؤونهم وتدريس بعضهم، فتنشأ عن ذلك علاقة بين الوافدين والمقيمين، ويرتبط الجميع بالمرجع الديني - السياسي السيد محمد باقر الصدر، الذي استطاع إعادة تشكيل الوعي الديني والفكري والسياسي للطلبة المتأثرين به، وأضفى على حوزة النجف سمات جديدة استكملت بعض جوانبها ما تركته مرجعية السيد محسن الحكيم من تأثيرات وفتحت أبواباً جديدة للعلم والمعرفة وقضايا المجتمع.

كان السيد الموسوي واحداً من المشتغلين بالدراسة والمهتمين بالمجتمع في تلك البيئة الدينية والاجتماعية، فيثير ذلك فيه روحاً متوقدة للمشاركة بفاعلية في النشاط الفكري أو السياسي، خاصة عندما يعود إلى زيارة أهله في لبنان في أجواء مشابهة لما يشهده النجف، إذ كانت حركة الإمام السيد موسى الصدر آخذة بالنمو والتصاعد، وهو ما لقي في نفس السيد أصداء لقرب طروحات الإمام الصدر من تلك الأفكار التي تراود أمثال السيد الموسوي من العلماء الشباب الذين تنتابهم رغبة قوية في إحداث تغيير في الحياة السياسية والاجتماعية، وهم على مرمى من أحداث جسام تعصف بأرضهم وبجيرانهم الفلسطينيين الذين سبق للسيد الفتى أن شاركهم شظف العيش في معسكرات التدريب، وهي شراكة بقيت متعلقة بالتفكير السياسي لهذا الشاب المعم الذي ارتبط بعلاقة ود مع الإمام موسى الصدر قبل ارتحاله إلى النجف بسنة عندما التقاه في بيروت ثم انضم إلى حوزته الدينية في صور ليكون من أوائل الطلاب فيها، وهو ما ترك لدى السيد تأثيراً بالغاً حمله إلى العراق متأثراً بالأجواء التي أشاعتها حركة الإمام الصدر في لبنان في أواخر الستينيات، وصارت ملازمة له

في نشاطه السياسي الذي زاوج فيه بعلاقة وصل ما بين الاتجاه الإسلامي الذي يقوده المرجع الصدر في النجف، والاتجاه المماثل في لبنان للإمام الصدر.

من تلك العلاقة الحميمة التي ربطت السيد الموسوي بالسيدين الصدر، يمكن فهم المكونات الفكرية السياسية لشخصيته، التي اتخذت معالمها في المشاركات الميدانية لحركة الإسلاميين العراقيين، الأمر الذي عرضه للملاحقة المستمرة من أجهزة نظام الحكم العراقي، فاضطر إلى العودة نهائياً إلى لبنان في العام ١٩٧٨ متطلعاً نحو إيران حين كانت ثورتها الإسلامية تشارف على الانتصار، فبدأ نشاطه اللبناني بالحوزة التي ساهم في إنشائها في بعلبك لاستكمال تدريس الطلاب الذين أغلقت أمامهم أبواب النجف، ومنها أخذ يمارس نشاطه التبليغي وتكتيل علماء الدين في الحوزة التي زهت بانتصار الثورة في إيران واستمدت منها كما بقية حوزات التعليم الديني الشيعي في لبنان روحية جديدة بعثت في العلم الديني أهدافاً لم تكن مألوفة على نطاق واسع، فألقى بذلك على كاهل السيد مسؤوليات إضافية جعلته يطور من أساليب أنشطته، ويفتح آفاقاً جديدة للعمل الإسلامي المرتبط بعلاقة التزام بمرجعية الإمام الخميني، صارت أحادية مطلقة مع إعدام المرجع الصدر على يد نظام الحكم العراقي، على رغم ما تركه هذا العمل من تأثير بالغ في نفس السيد كما لدى رفاقه الآخرين الذين ارتبطوا بعلاقة مماثلة مع حوزة النجف وأستاذها اللامع.

التحول الكبير في مسار الحياة السياسية للسيد الموسوي أحدثه الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ المسبوق بتشكيل تجمع للعلماء في البقاع، حيث عمل على تهيئة الظروف مع أقرانه من الهيئات الاسلامية لاستقرار الحرس الثوري في البقاع، والمساهمة في تشكيل النواة الاولى للإطار السياسي للمقاومة أي حزب الله، وكان من الطبيعي هنا أن تلعب شخصية السيد الموسوي دورها الطليعي فانتخب من بين تسعة أعضاء لوضع الصياغة الاولية للحركة الجديدة الناشئة، واختير كمتحدث باسم الوفد المنتدب للقاء الإمام الخميني، في أول اتصال مباشر مع ((الولي الفقيه)) ثم انتخب في أول شورى في بدايات التأسيس، وظل عضواً دائماً إلى حين انتخابه أميناً عاماً في العام ١٩٩١ قبل حوالي عشرة أشهر من اغتياله بالمروحيات الإسرائيلية في شباط ١٩٩٢ بعد عودته من احتفال في بلدة جبشيت في الذكرى السنوية لاغتيال الجهة ذاتها لرفيقه في الحوزة والمقاومة الشيخ راغب حرب.

أعطى السيد الموسوي في شهادته كما في حياته زخماً دافعاً للمقاومة، فصار دمه شريكاً لكل الدماء التي تسقط على أرض الجنوب والبقاع الغربي، وصوته ودعواته للمشاركة في المقاومة حافزاً قوياً يستحث الشبان على التطوع في الخطوط

الامامية للجبهة، التي تشكَلت على طول خط المواجهة مع الجيش الإسرائيلي أثناء تولي الموسوي لقيادة منطقة الجنوب، وهو ما زاد من تأثيراته على عناصر المقاومة، وحوَل رابطتهم معه إلى رابطة حميمة استدرت عواطف جياشة، وتفانياً في القتال ضد القوات الإسرائيلية التي استغلت ما أحدثه غياب الموسوي لتنفيذ هجوم بري على بلدتي كفرا وياطر، كان الأول بحجمه منذ شباط ١٩٨٦ وهو ما لقي مقاومة عنيفة نتجت عن ذلك الاندفاع الذي ساهمت فيه العواطف الشعبية المتأثرة بعملية الاغتيال، وخلص الهجوم إلى الفشل، وإلى انبعاث وهج متألق للمقاومة ملازم لعلاقة وطيدة مع بيئتها الشعبية سبق للسيد الموسوي أن أسس نواتها بحركته التفقدية اتجاه شرائحها المختلفة خاصة الفقيرة منها.

رفيق آخر

ظلت حلقات الاتصال قائمة بين الوافدين إلى النجف وحوزاتها الدينية، ومن نتاجها كثرة المواليد لأبناء العلماء في ربوعها، ما ساعد على استمرار التوالد العلمي، وانجذاب الطلبة إلى بيئتهم التي شهدت طفولتهم الأولى . واتصالهم بعوالمها الدينية والثقافية، ومن بين أولئك المواليد السيد عبد المحسن فضل اللّه المنتسب إلى العائلة العلمية المعروفة في جبل عامل، وهم آل فضل اللّه الذين قدم جدهم الاعلى الشريف حسن من مكة المكرمة في حدود القرن السادس عشر الميلادي واستقر في بلدة عيناثا قرب بنت جبيل، ومنها كانت ذريته التي تعاقب بعدها فقهاء وشعراء، أنشؤوا المدارس التعليمية في بلدتهم، وانتشروا في قرى جبل عامل وأبقوا على صلتهم الدائمة بالعلم الديني حيث لم تخل بيوتهم من علماء وفقهاء، ومنهم السيد عبد المحسن أحد أنجال العالم الفقيه السيد صدر الدين فضل اللّه المتوفى بحدود سنة ١٩٤١.

عاش السيد فضل اللّه طفولته إلى جوار والده الذي عاد به من النجف إلى قريته عيناثا حيث شهد مجلس أبيه الذي قام بالقضاء، واتخذ مواقف اتجاه ما كان يدور حوله من أحداث في جبل عامل وجواره الفلسطيني، وأبرزها تحريمه بيع الأرض لليهود، لكن الطفل مالبث أن فقد عطف أبيه عندما توفي وهو في ذروة عطائه الديني. وعلى عادة أبناء العلماء في تلك الحقبة انتدب الفتى عبد المحسن نفسه لدراسة العلم الديني، فعاد إلى النجف وهو في سن الرابعة عشرة، مواظباً على الدرس والتدريس على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، عاد بعدها ليستقر في خربة سلم.

سلك العالم القادم من النجف سبيل آبائه وأجداده في إنشاء حوزة تعليم ديني يتلقى فيها طلابه دورس الفقه، ويتهيّؤون للتوجه إلى النجف لاستكمال دراستهم،

بعدما ابتدأ من منزله في إعطاء الدروس، ومن ثم مباشرة نشاط وعظي بأبعاده الدينية والاجتماعية بأسلوب خافت يعتمد على الصلاة في المسجد ومشاركة الأهلين في مناسباتهم الاجتماعية ومحاكاة قضاياهم العامة ومنها تلك المتصلة بالجوار الفلسطيني إذ كانت إمامته للقرية وميحطها تجعله على تماس مباشر مع أوضاعها السياسية والأمنية، وكلها متعلقة بالتوتر الدائم مع ((إسرائيل)) أو بصراعات القوى المسلحة على أرض الجنوب. ونشأت عن ذلك كله علاقة بالشبان الذين كانوا يتوافدون إليه متأثرين بحركة الصحوة الإسلامية، أو الراغبين في إيجاد موقع ثقافي وسياسي في خضم ذلك الخليط من التيارات والاتجاهات المتناقضة والمتصارعة.

نتج عن هذا التفاعل توالد أفكار مشاريع أخذت تراود المتصلين بـ ((السيد)) تهدف إلى تنشيط العمل الإسلامي سواء في المجالات الثقافية والفكرية، أو في بناء المؤسسات الاِجتماعية والصحية بما يؤدي إلى إيجاد صلات دائمة بالمجتمع المدني، ويقدم مساعدة للسكان خاصة مع تفكك بنية الدولة اللبنانية ومؤسساتها وترك الأهالي يتدبرون أمورهم بالمؤسسات الأهلية الخاصة، وأثمرت هذه الأفكار بعض المشاريع التي جعلت من السيد فضل الله محور نشاط اجتماعي وثقافي مع عدم انتهاج أسلوب الخطابة الذي درج عليه علماء الجنوب في حركتهم الدينية والسياسية.

تجمع حول ((السيد)) مجموعة من الشباب ووجوه قروية، والتف حوله علماء من المنطقة صار فيما بعد مرشد هيئتهم العلمائية التي ضمت علماء جبل عامل ومعظمهم أصغر منه سناً، وأقل رتبة علمية. وكما الكثيرين من علماء ذلك الجبل، كان التحول في مسار حياتهم ما أحدثه الأحتلال الإسرائيلي وألقاه على عاتقهم من مسؤوليات كبيرة، جعلت من إمامتهم للقرى قيادة للحركة الشعبية الثائرة بوجه الاِحتلال، وموئلاً للمقاومين الأوائل الذين استظلوا بالسيد فضل الله في منطقة بنت جبيل يأخذون منه ((الفتوى الشرعية)) في حركتهم العسكرية والأمنية.

بينما كان بعض أئمة القرى كما الشيخ راغب حرب ينتهجون أسلوب الخطاب التعبوي لتحريض السكان على الثورة بوجه الاحتلال، سلك السيد فضل الله أسلوباً آخر يقوم على تحويل قريته إلى مركز للنشاط المناهض للاحتلال، معتمداً على التوجيه والإرشاد، حتى غدا منزله من مقرات القيادة التي تدار منها انتفاضات القرى، فيجتمع فيه العلماء ويتداولون شؤون المنطقة، وكيفية تصعيد المواجهة وتصدر البيانات الرافضة للاحتلال، بينما العناصر المنضوية في المقاومة المسلحة تأخذ من ((السيد)) إرشادات وغطاء شرعياً في الكثير من أنشطتها التي تحتاج إلى ((فتوى)). وحين اشتدت الانتفاضة صار ((السيد)) هدفاً مباشراً للاستخبارات

الإسرائيلية والعناصر المتعاملة معها، وبدأت محاولات الاغتيال الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلت إلى ١٧ محاولة أصيبت في أحدها زوجته وهو ما تكرر بأشكال أخرى كاقتحام المنزل وتهديد أهله ومحاولة فرض الاحتلال نفسه بالقوة، ونجا ((السيد)) من تلك المحاولات إلى أن جلا الاحتلال عن المنطقة، وهو ما أمن امتداداً دينياً وسياسياً لـ((السيد)) مستمداً من صموده طيلة فترة الأحتلال وإشرافه على ((هيئة علماء جبل عامل))، وتحوله بالتالي إلى موقع القيادة الروحية للحركة العلمائية في الجنوب.

ظلت الصلة القوية قائمة بين المقاومة وفتاوى السيد فضل الله وإرشاداته، وكذلك اتصال الناس والعلماء بموقعه الديني والسياسي، وهو ما أتاح له الإطالة على كل القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية في الجنوب، ومن ثم اضطلاعه بدور بارز في توجيه كثير من الأحداث، فضلاً عن نشاطه المباشر مع المقاومة وأبرزه خلال عملية الاسيرين في شباط ١٩٨٦، عندما استخدم سيارته الخاصة لنقل الأسيرين الإسرائيليين من منطقة الجنوب في إطار عملية تعمية الجيش الإسرائيلي الذي اجتاح قرى جنوبية ومنها القرية التي يقيم فيها ((السيد))، حيث اقتحم منزله وعبث بمحتوياته.

بقيت تلك الشخصية العلمائية تشارك المقاومة أنشطتها وتتحمل ما يلقيه عليها ذلك من تبعات، ويعرضها لمخاطر تواجهها بصمت وبلغة خاصة تستند إلى رؤية فقهية واضحة في ضرورة الدفاع عن المقاومة والتصدي لأي محاولة تضعفها أو تمنع نشاطها، وهذا ما أكسب ((السيد)) ميزة الجرأة والوضوح دون التوقف عند النتائج الآنية والأضرار التي يلحقها مثل هذا الاتجاه بشخصه ارتبط السيد فضل الله بعلاقة ود بالسيد عباس الموسوي أثناء توليه مسؤولية منطقة الجنوب، وتحولت تلك العلاقة إلى شراكة في المصير، فالرجلان تخرجا من المدرسة الدينية ذاتها، وينتهجان الطريق الشائك في المقاومة ضد الاحتلال، وإن كان أسلوب السيد الموسوي يعتمد على الحركة الدائمة والخطابة في المناسبات، إضافة إلى تولي مسؤوليات تنظيمية، وهو ما لم يعتمده السيد فضل الله لسلوكه أسلوباً خاصاً لا يلتزم بالإطار التنظيمي وإن كان يعطيه الشرعية والتأييد. تلك الشراكة بين الرجلين ظلت على صلتها القوية إلى حين اغتيال السيد الموسوي، في الوقت الذي كان فيه المرض يقعد السيد فضل الله ولا يمهله طويلاً، إذ بعد شهر واحد يلتحق بالسيد الموسوي أثر تمكن المرض منه فتوافيه المنية وهو في الخمسين من عمره.

أنواع وطرائق

تعددت وتنوعت الأساليب القتالية التي استخدمتها المقاومة في لبنان، وتطورت وفق تطور تجربتها التي اكتسبتها على مدى سنوات طويلة أضافتها إلى خبرات سابقة وظفتها لزيادة فاعلية العمليات العسكرية ولمواجهة الإمكانات الإسرائيلية والخبرات التي كانت تتطور وتحاول التكيف مع الوضع الميداني الذي فرضته الأحداث المتلاحقة في لبنان.

الكمائن

أسلوب من أساليب المقاومة، حل أولاً في تدرجه الزماني، إذا ما اعتبرنا كمين خلدة في حزيران ١٩٨٢ أول مباشرة للعمل المقاوم، وكان مؤشراً على الأداء القتالي للمقاومين بما يعنيه من خوض مواجهة مباشرة مع الجنود الإسرائيليين، وتمثل هذا الأسلوب بالكمائن التي كانت تنصب للدوريات والقوافل الإسرائيلية ومهاجمتها بأسلحة خفيفة ومتوسطة وخوض اشتباكات معها.

يعد الكمين مسبقاً من قبل المجموعة التي ستنفذه بعد تزودها بمعلومات وافية من الرصد الذي يحدد الدورية وعدد أفرادها وأسلحتها والطريق الذي تسلكه والتوقيت. وعادة ما ينفذ الكمين في مناطق يكون فيها الجنود الإسرائيليون في وضعية مكشوفة بينما المقاومون في أماكن مشرفة وخفية.

شهد هذا الأسلوب تطورات ومهارات مهمة، حيث تحول إلى أحد أبرز أساليب المواجهة المباشرة وتمكن فيه رجال المقاومة من الاحتكاك مباشرة بالقدرات الإسرائيلية وبخبرات الجندي المقاتل، واعتمد التنفيذ على القوات الخاصة الرئيسية في المقاومة التي كانت تتلقى تدريباً عالياً وتتدرج في تنفيذ العمليات.

كان هناك الكمين المقرر سابقاً، وهو إيقاع دورية تحت مرمى النيران المباشرة والهجوم عليها وكمين مزدوج ويتمثل بالهجوم على الدورية وانتظار قوة الإسناد لشن هجوم آخر، أو تفجير عبوة بالجنود ثم الانقضاض عليهم.

الإغارات

يمثل هذا الأسلوب واحداً من أنماط العمل العسكري المعروف في حروب العصابات تلجأ إليه المجموعات غير النظامية، فتوجه ضربتها ثم تتوارى عن الأنظار، وهو ما مارسته المقاومة الإسلامية في بدايات عملها إذ اعتمدته في الهجمات السريعة

على القوافل والسيارات والتجمعات العسكرية. ومكونات الإغارة العناصر البشرية والأسلحة الخفيفة والمتوسطة ووسائل النقل كالسيارات، أو الدراجات النارية، ويتم تنفيذها بمرحلة واحدة بعد جمع المعلومات، إذ تقوم المجموعة التي تتألف من عدة أشخاص، أو حتى شخص واحد بمهاجمة الهدف ثم الانسحاب فلا تخوض اشتباكاً، أو تترك أثاراً تدل عليها. وفي بعض المحطات كانت الإغارة تتم على هدف غير موجود إذ يصادف وجوده، أو تلتقي به المجموعة أثناء تنقلها.

وقد ساعد على نجاح هذا الأسلوب في بدايات عمل المقاومة، الاسترخاء الذي عاشه الجيش الإسرائيلي، وعدم معرفته التفصيلية بتشعبات الطرق، وإخفاء هوية العناصر التي تنفذ الهجمات، إذ كثيراً ما كانت تتحرك في مناطق بعيدة عن أماكن سكنها وتعود إليها بعد تنفيذ عمليتها، فيصعب على الجيش الإسرائيلي تعقبها أو اكتشاف أمرها.

تم تنفيذ مئات الإغارات على القوات الإسرائيلية من بداية الاجتياح وحتى العام ١٩٨٥، من دون أن يبقى الأسلوب وحيداً في العمليات إذ زاوجت فصائل المقاومة بينه وبين أساليب أخرى، إلى أن انحسر الوجود الإسرائيلي المباشر عن الأماكن العامة، وأقام الجنود في مواقع حصينة وثابتة داخل المنطقة الحدودية المحتلة.

العمليات الاستشهادية

العمليات الاستشهادية من الأساليب الأولى التي اعتمدتها المقاومة في توجيه ضربات مباشرة للاحتلال، لإيقاع خسائر كبيرة دفعة واحدة بما يترك نتائج معنوية ونفسية فضلاً عن الخسائر البشرية. عماد هذا النوع من العمليات العنصر البشري، إذا لا بد من توفر شخص يقدم حياته لتنفيذها، وعادة ما يكون من نخبة المقاومين الذي يتمتعون بميزات روحية وثقافية ودينية عالية تدفعهم إلى سلوك هذا الطريق.

والهدف من هذه العمليات، علاوة على ما تؤديه من دور عسكري، هو هز الوجدان الشعبي وإظهار التفاني في القتال وإيجاد مشكلة للمحتل تخرجه عن وضعه الطبيعي وتسبب له أزمة في مقراته وتنقلاته وتعقيد مشكلاته مع الناس حينما يصبح مروره أو إقامته بقربهم مشكلة خاصة، إن الفترة الأولى للاحتلال عرفت مساعي إسرائيلية لإقامة صلات مباشرة بالمدنيين، وإيجاد علاقة طبيعية معهم.

بدأ هذا الأسلوب باستهداف المقرات الثابتة التي اعتمدها الجيش الإسرائيلي في المرحلة الأولى حيث كان يتجمع مئات الجنود في مبنى واحد ومن دون إجراءات

أمنية مشددة نتيجة حالة الاسترخاء التي عاشها هذا الجيش، ولغياب الشعور بالخطر بعد تفكيك المنظمات الفلسطينية في المناطق الخاضعة للاحتلال، وعدم توقع حصول هجمات قوية أو واسعة ضد هذه المقرات.

اتخذ التفكير بابتكار هذا الأسلوب طريقه إلى التنفيذ بعد دراسة حركة الجيش الإسرائيلي وانتشاره وتجمعاته، ومراكزه الرئيسية التي احتلت أبنية سكنية أو مقرات سابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعض مؤسسات الدولة اللبنانية، وتم اختيار مقري الحاكم العسكري في صور وصيدا لتوجه لهما ضربة واحدة عن طريق اقتحامهما بواسطة سيارات مفخخة، وهذا ما يتطلب وجود سائقين للسيارات مستعدين للتضحية بنفسيهما في سبيل تحقيق الهدف، أي سلوك طريق الاستشهاد، وهو بحد ذاته عمل مستقل يساهم في إطلاق روحية جهادية جديدة دافعة للناس نحو خوض مواجهة تتسلح بالإيمان والعقائد والمعاني الدينية، وتنتهج طرائق جديدة في التصدي للجيش الإسرائيلي لتمنعه من تحقيق أهدافه في لبنان.

كان أحمد قصير أحد الشبان الجنوبيين المتحمسين للمشاركة في التصدي للاحتلال، وتربطه علاقة بعناصر انضوت في المجموعات الأولى للمقاومة، اتخذ من بلدته دير قانون مركزاً لنشاطاته ولقاءاته مع تلك العناصر، وصار يشارك في الإعداد للمواجهة مع الاحتلال، ويطلع على ما يراود رفاقه من رغبة في انتهاج أسلوب العمل الاستشهادي.

فقد سمع أحمد بأن هناك تفكيراً لدى القيمين على النشاط العسكري باعتماد هذا الأسلوب من العمل حينما كان يناقش وأحد أصدقائه الوضع الذي وصل إليه الجنوب، وحال الإحباط التي أصابت الناس، فسارع إلى طرح نفسه كأول منفذ لمثل هذه الهجمات. كان أحمد شديد التعلق بالمعاني الروحية، وخالص النفس لدينه، عرفه أهله ورفاقه بأنه من الزاهدين بالدنيا والمتمسكين بأدق التفاصيل الشرعية، ارتبط اسمه بالتواضع والإخلاص وامتلك روحية لم تهزها كل الأوضاع النفسية التي شاعت في تلك الحقبة.

اختير أحمد بعد إلحاحه للقيام بهذه العملية، لكنه خضع لامتحان صعب، إذ في كل يوم كان يرسل إليه من يثنيه عن هذه المهمة، ويحاول إقناعه بتغيير رأيه، أو يبلغ تأجيل التنفيذ وحتى إلغاءه، لكنه ظل ثابتاً على موقفه، لا يلتفت إلى كل تلك المحاولات الهادفة لمنعه من فتح الطريق أمام القوافل التي بدأت تعبر بعده تباعاً.

نجح أحمد في الاختبار، وتقرر وضع الخطة التفصيلية للتنفيذ، فاختفى الشاب عن الأنظار، وسكن منزلاً مهجوراً لعدة أيام ليتأكد أبناء قريته من أنه غادر البلاد،

وتولى المخططون نقل الأطعمة إليه سراً وبعيداً عن أعين الناس، بينما كانت الفترة الزمنية تتقلص لحين موعد التنفيذ.

أعطى الفريق المكلف بالرصد المعلومات الكاملة عن المبنى، المعروف باسم بناية عزمي في مدينة صور، والذي يضم القيادة العسكرية، وبقربها معسكر للجيش وعلى سطح المبنى وضع المعتقلون من اللبنانيين والفلسطينيين، وأمام المدخل وضعت شاحنة لسد الطريق خشية أي عملية فرار محتملة للمعتقلين.

استعد أحمد لتنفيذ مهمته وأحضرت سيارة من نوع بيجو تم تفخيخها بكميات كبيرة من المتفجرات، وبقذائف غير منفجرة من مخلفات الاِجتياح، وجرى تحديد الموعد يوم العاشر من تشرين الثاني، لكن حالت دون التنفيذ ظروف طارئة فاستعيض عنه باليوم الحادي عشر من تشرين الثاني في طقس ماطر اضطر خلاله الجنود للالتجاء إلى المبنى، بعكس اليوم الأول الذي كانت فيه السماء صافية والجنود منتشرين في المخيم المجاور، وهو ما زاد من عدد الجنود الذين أضيف إليهم مسؤول في المخابرات بات ليلته في المبنى، بينما نُقل في ذلك اليوم عدد كبير من المعتقلين إلى مبنى آخر تقدم أحمد بسيارته نحو المبنى، بينما انتظر رفيقان له في سيارة أخرى قريباً من المكان بعدما ودَّعاه بحرارة قبل أن تلتهب حرارة المنطقة بأكملها بدون انفجار سيارة أحمد قصير في أهم مركز عسكري إسرائيلي في الجنوب، ليفتح بذلك عهداً جديداً في الصراع المسلح بين الإسلاميين و ((إسرائيل)).

كانت الخطة تقضي بعمليتين متشابهتين في آن واحد، ليكون وقعهما أكبر، واختير المركز الثاني في مدينة صيدا، حيث يضم مركز قيادة إسرائيلياً، لكن ظروفاً ميدانية طرأت في اللحظات الأخيرة صرفت النظر عن تنفيذ العملية، واكتفي بعملية أحمد قصير التي احتار الإسرائيليون في تفسيرها ودفعهم ذلك إلى القول حيناً أن ما جرى ((بسبب خلل في البناء)) وحيناً آخر باستبعاد تفجير سيارة مفخخة، ((فالانفجار تم بعبوات ناسفة زرعت تحت أعمدة المبنى وأدت إلى انهياره كلياً)).

العملية الثانية نفذت ضد المقر الجديد الذي أقامه الإسرائيليون في مبنى عرف باسم مدرسة الشجرة، التي تشابهت في كثير من تفاصيلها مع العملية الأولى، وهو ما دفع بالجيش الإسرائيلي إلى خارج الأبنية وإقامة مراكز على التلال بعيداً عن الطرق العامة، واتخاذ سلسلة من الاجراءات أهمها تخفيض عدد الجنود في المراكز وتنفيذ احتياطات مشددة حول مواقعه.

لكن هذه الاجراءات لم تمنع أسلوب العمل الاستشهادي، إذ لجأت المقاومة إلى استهداف القوافل العسكرية التي كانت بمثابة مراكز متنقلة تضم عشرات الجنود

والشاحنات والآليات، واقتحامها بالمتفجرات يحولها أشلاء كما حصل في العديد من العمليات التي بدأت في العام ١٩٨٤ أي بعد أشهر على آخر عملية ضد مركز ثابت.

وإذا كان العنصر البشري أساسياً في هذه العمليات، فإن عناصر أخرى مهمة لا بد من توفرها وأهمها الرصد وجمع المعلومات والتوقيت ودقة الهجوم الذي يحتاج إلى تجاوز إجراءات أمنية واحتياطات مسبقة تزايدت بعد العام ١٩٨٥. كما يحتاج إلى إعداد مسبق للسيارات المفخخة وعدم إثارة الشبهة حولها ونقلها إلى قرب المركز أو القافلة المستهدفة والقيام بالتمويه اللازم خاصة بعد الانسحاب الإسرائيلي إلى منطقة الشريط الحدودي التي صار دخول السيارات إليها يخضع لأذونات مسبقة من الاحتلال.

كان بعض منفذي العمليات يشرف بنفسه على عمليات الرصد وجمع المعلومات واختيار المكان وحتى تهيئة المتفجرات وجمعها كما في العمليات الأولى، واختيار قذائف إسرائيلية غير متفجرة من مخلفات الاجتياح لإعادة تفجيرها بالجنود الإسرائيلين.

وكان لهذا الاسلوب تأثيراته البالغة على الجيش الإسرائيلي الذي اضطر إلى تغيير كثير من أساليبه للتكيف مع ما تفرضه العمليات من هذا الطراز.

الكاتيوشا

دخل سلاح الكاتيوشا إلى وظيفته العسكرية لدى المقاومة الإسلامية أثناء التصدي لمحاولة الجيش الإسرائيلي تدمير قريتي كفرا وياطر. ولجأت إليه كسلاح فعال له مهمة محددة، هي حماية المدنيين اللبنانيين، ومنع اتخاذهم وسيلة للانتقام الإسرائيلي، أو لممارسة ضغوط سياسية وعسكرية. وكان لهذا السلاح دوره البارز في حربي تموز ونيسان اللتين أنتجتا تفاهمين ينصان على حماية المدنيين.

وللكاتيوشا وظيفة أخرى هي ضرب المواقع العسكرية داخل المنطقة الحدودية المحتلة، بما يؤمن تعطيلاً لقدرة تلك المواقع على الاستقرار، والتصرف بحرية، خاصة امكانيات الرد على مصادره، إذ يسهل استخدامه من منصات متحركة يصعب اكتشفها، أو رصدها بدقة وهو ما مكن المقاومة من التحكم بأعمال القصف على المستوطنات خلال حربي تموز ونيسان من دون أن تكون للجيش الإسرائيلي القدرة على تعطيله.

للكاتيوشا بداية غير رسمية لدى المقاومة الإسلامية، فقد استخدمته المجموعات الأولى في قصف المستوطنات الشمالية بعيد الاجتياح، وكان الهدف حينها نفسيا

أكثر منه عسكريا، فالعودة إلى استهداف المستوطنات يعني إلغاء جزء من أهداف الاجتياح بإبعاد النيران عن الحدود الشمالية.

ففي بداية العام ١٩٨٣ توجهت إحدى مجموعات المقاومة إلى خراج بلدة تبنين في قضاء بنت جبيل وعلى مرأى من المزارعين نصبت منصات لإطلاق الصواريخ في أول دفعة تخترق ((سلامة الجليل)) وتبع ذلك أعمال قصف أخرى إذا ما مرت الذكرى الأولى كانت منطقة الجليل تستهدف في خامس عملية.

لم يحتج هذا الاسلوب إلى تقنيات معقدة، ولا إلى تجهيزات ومراكز باستثناء تأمين الصورة وإنشاء قاعدة الإطلاق التي يتم تركيبها محليا، وما دام الهدف معنوياً فإن الاكتفاء بصاروخ أو صاروخين في الدفعة الواحدة يؤدي إلى النتيجة المطلوبة.

تبدلت أهداف الإِستخدام مع تطور عمل المقاومة، وأدخل الكاتيوشا في الأسلحة القتالية، فصارت لهذا السلاح وظائفه العسكرية فضلا عن المعنوية، مما استلزم تعديلات مستمرة على طرق إطلاقه ومداه وكميته، خاصة عند استهدفه مباشرة من قبل الجيش الإسرائيلي لشل فاعليته أو لتعطيله، وأدت تلك التعديلات إلى صمود الكاتيوشا في الحربين الإسرائيليتين المباشرتين، وتمكن من إرساء معادلات أمنية، تقوم على توازن محدد يؤمن حماية المدنيين اللبنانيين.

تمكنت المقاومة وعن طريق التوظيفات العسكرية والأمنية للكاتيوشا من سحب الانتقادات الرسمية لاستخدامه وحولته إلى مطلب شعبي للرد على الإِعتداءات الإسرائيلية على المدنيين، بعدما ترجمت وعودها بالدفاع عنهم إقلاقاً دائما لأمن المستوطنات الشمالية الإسرائيلية، واستطاعت المحافظة على أهمية هذا السلاح رغم الجهود المضنية التي بذلها الجيش الإسرائيلي للتصدي له برصد منصات إطلاقه، أو بابتكار وسائل أخرى كمنظومة الصواريخ المضادة.

العبوات الناسفة

كان للعبوات الناسفة دورها المهم في العمليات ضد الجنود الإسرائيليين، فهي الأكثر نجاحا في مفاجأتهم مهما كانت احتياطاتهم وإجراءاتهم، ولم تكن في بداية عمل المقاومة تحتاج إلى بذل جهود كبيرة أو إلى عناصر بشرية متخصصة لتنفيذها، إذ يكفي شخص واحد لزرعها وتفجيرها عن بعد لتؤدي دورها المطلوب.

استخدمت المقاومة العبوة بفاعلية كبيرة، وطورتها مع الوقت وصولا إلى تحدي التكنولوجيا الإسرائيلية التي حاولت تعطيلها بعدما عكف الخبراء العسكريون الإسرائيليون على البحث عن وسائل التشويش عليها مستخدمين تقنيات حديثة أخفقت في تعطيل مفعولها مسبقاً.

احتاج هذا الأسلوب إلى عنصرين أساسيين هما العبوة نفسها والأشخاص الذين يزرعونها ويفجرونها، وكانت العبوات تصنع محليا في المنطقة المحتلة ومن ثم توضع إلى جانب الطرق التي تمر عليها الدوريات العسكرية الإسرائيلية ليصار إلى تفجيرها لحظة مرور الدورية لتوقع إصابات في صفوفها وتثير حالة قلق وخوف دائمين في نفوس الجنود.

بدأت العبوات مع بدء المقاومة، واستمرت معها محققة نجاحات مهمة ومخلفة وراءها نتائج كبيرة على الجيش الإسرائيلي الذي اضطر إلى شق طرق خاصة بدورياته وإلى جرف مساحات واسعة من البساتين وقطع الأشجار عن جوانب الطرق في محاولة لمنع اختباء المقاومين، لكنه فشل في منع استخدامها حتى في أكثر البقع الأمنية الخاصة التي لجأ إلى إقامتها

ومع الوقت عمد الإسرائيليون إلى إدخال تعديلات على آلياتهم العسكرية لملاءمة نوعية العبوات المستخدمة، مع تحديد عدد الجنود في كل دورية والمسافة الفاصلة بين السيارات العسكرية أو المشاة. وفي المقابل كانت المقاومة تطور عبواتها ضد الآليات والأفراد من العبوة الواحدة إلى العبوات المزدوجة، وصولاُ إلى شبكات العبوات وحقول الألغام. وكان لهذا الاسلوب دور مهم بعد حرب تموز العام ١٩٩٣ عندما تمكنت المقاومة بعبوة واحدة من قتل تسعة جنود إسرائيلين في عملية شيحين، وهو الأمر نفسه الذي كررته بعد حرب نيسان ١٩٩٦ في عبوة مرجعيون، كان هذا السلاح من أوائل أسلحة المقاومة على المستويين التقني والبشري، عناصره يخضعون لدورات تدريبية على تصنيع العبوات وتفخيخها وتفجيرها، فضلاً عن استخدام معلومات الرصد والكشف المسبقين. ووصلت فاعلية استخدام العبوات إلى حد طرح الجيش الإسرائيلي مقايضتها بوقف الغارات الجوية، كما دعا الجانب الإسرائيلي مرات عديدة خلال اجتماعات لجنة مراقبة تفاهم نيسان.

الإسناد الناري

أدخلت المقاومة الإسلامية أسلوب الهجمات بالقذائف والصواريخ بين العامين ١٩٨٢ – ١٩٨٥ عندما استطاعت استخدام الصواريخ وقذائف الهاون الخفيفة ضد التجمعات أو الدوريات الإسرائيلية في المناطق اللبنانية المحتلة، لكن هذا الاستخدام ظل متواضعاً طيلة فترة الاحتلال الأولى، إذ كانت العمليات تنفذ عن بعد وتعرف نتائجها من وسائل الإعلام.

بعد الانسحاب الإسرائيلي إلى المنطقة الحدودية المحتلة تطور هذا النوع القتالي،

حين باشرت المقاومة الاعتماد على نيران متوسطة لتغطية الكمائن التي كانت تنفذها على تخوم المنطقة المحتلة، بحيث تؤمن النيران انسحاب العناصر، أو تربك القوة الإسرائيلية.

في العام ١٩٨٦، شرعت المقاومة بتنفيذ سلسلة هجمات على المواقع الإسرائيلية على التلال المشرفة على خط التماس، فاحتاجت لنيران مباشرة لإشغال المواقع الأخرى التي يمكن أن تتدخل لمساندة الموقع المستهدف، وكانت أولى الاستخدامات في عملية تلة الحقبان، لتغطية انسحاب المشاة وإلهاء موقع مجاور، ثم جاءت العملية الثانية في سجد، فبرز دور الإسناد الناري في تأمين ظروف أفضل لنجاح العملية، وهو ما استدعى تشكيل وحدة خاصة للإسناد الناري نواتها مجموعة متطوعين خضعوا لدورات مكثفة، أنتجت في عملية ((بدر الكبرى)) أول شكل منظم للوحدة التي شاركت بفعالية إلى جانب المشاة وقوات الدعم، وسلاح الإشارة في إنجاح العملية. تطور عمل الوحدة مع تطور عمل المقاومة نفسه، وصار لها مشاركات في أغلب العمليات فضلاً عن تنفيذها عمليات مستقلة تهدف إلى إرباك المواقع أو إبقائها في حالة قلق دائم. واكتسبت أهميتها من عمليات استهداف المواكب والتجمعات الإسرائيلية وإلحاق خسائر مباشرة فيها.

وأضافت وحدة الإسناد إلى مهماتها في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات أسلحة المضاد والصواريخ فكانت إحدى مهماتها التصدي للطائرات الحربية الإسرائيلية وقصف المستوطنات الشمالية، قبل أن يدخل في عملها الصواريخ الموجهة التي تصطاد الدبابات والقوافل.

أظهرت المقاومة في هذا الأسلوب مهارات قتالية فنية عالية واستطاعت المزاوجة بين الأسلوبين النظامي وغير النظامي، وتحوَل التنسيق الكامل بين وحدات المشاةوالاسناد إلى عنصر مساعد لإنجاح العمليات، وتعطيل كثير من الأسلحة الإسرائيلية، وأبرزها دبابة الميركافا التي ظلت لسنوات عائقاً رئيسياً أمام تحرك عناصر المقاومة، إذ باتت الصواريخ الموجهة مقتلاً لهذه الدبابة التي تعتبر من أبرز الإنجازات العسكرية الإسرائيلية في الأسلحة التقليدية.

تعددت وظائف وحدة الإسناد الناري وأسلحتها لكن بقي أهمها دعم قوات المشاة، وتضليل الجيش الإسرائيلي، وباتت مع الوقت من أبرز الوحدات القتالية في المقاومة الإسلامية، إذ خاضت هذه الوحدة حربي تموز ونيسان بصواريخ الكاتيوشا واستطاعت الصمود تحت وطأة الغارات والقصف لتخرج أكثر قوة، ودقة، فاكتسب رجالها تقدير حتى المحللين الإسرائيليين

السيطرة على المواقع

أثمرت العمليات المتلاحقة إلحاق خسائر كبيرة بالجنود الإسرائيلين وإيجاد أزمات نفسية واجتماعية وسياسية داخل المجتمع الإسرائيلي، مما اضطر القيادة الإسرائيلية إلى إعادة النظر بخططها العسكرية والسياسية، وكانت أولى الخطوات الانسحاب من مناطق واسعة والانكفاء إلى المنطقة الحدودية وإقامة سلسلة من المواقع المشرفة على المناطق التي انسحبت منها، امتدت من البقاع الغربي وشرق صيدا حتى الناقورة، لتتحكم بالمنطقة التي انسحبت منها ولتفرض سيطرتها العسكرية عليها.

كلَف الجيش الإسرائيلي الميليشيا المتعاملة معه التمركزالمباشر في هذه المواقع، واحتفظ لجنوده ببضعة مواقع استراتيجية وحصينة مع إشراف على بقية المواقع التي تولت قصف المناطق والقرى المحيطة بها فضلاً عن تحكمها بمداخل المنطقة المحتلة. واختار لهذه المواقع تلالاً مشرفة على محيطها وشق لها طرقاً خاصة وسيَجها بالسواتر الترابية والأسلاك الشائكة وحقول الألغام ونصب فيها أبراجاً ودشماً محصنة وزودها ما تحتاجه من أسلحة وعناصر لتؤدي مهمتها بعيداً عن تأثيرات الاستنزاف اليومي، مستفيداً من تجربة السنوات الثلاث التي لوحقت خلالها دورياته وجنوده ومواقعه داخل الأبنية وفي المدن الرئيسية.

كان باعتقاد الجيش الإسرائيلي أن المواقع الحصينة قادرة على إحكام سيطرتها على الوضع الجنوبي في مواجهة مجموعات، اعتمادها الأساس على العبوات والأسلحة الخفيفة وحرب العصابات ولا خبرة لديها في التعامل مع جبهات ثابتة وقوات متمركزة في مواقع حصينة.

لم يضطر الجيش الإسرائيلي إلى الانتظار طويلاً للحكم على تجربته الجديدة، فبعد فترة وجيزة أخذت هذه المواقع تتعرض لهجمات عن بعد تحضيراً لمرحلة انتقالية لإسقاط ما رمى إليه الإسرائيليون. كانت أولى المحاولات في البقاع الغربي حينما وضعت خطة للهجوم على موقع كفرحونة الذي تمكن المهاجمون من الوصول إليه وخوض معركة مع حاميته انتهت إلى خسائر في صفوف الطرفين، لكن أول احتكاك مباشر من هذا النوع لم يعره الإسرائيليون كثيراً من الاهتمام، واكتسب فيه المهاجمون خبرة ميدانية ساهمت في السماح بإنجاح الهجمات التي بدأت من البقاع الغربي على سلسلة من المواقع الحصينة بعد تحضيرات واستعدادات استمرت لأشهر. كانت أولى الهجمات في شباط ١٩٨٦ حينما اقتحم رجال المقاومة موقع كفرحونة عند مثلث كفرحونة ـ جزين وتمكنوا من الوصول إليه واشتبكوا مع حاميته التي فوجئت

بنوعية الهجوم وطريقة إدارته، قبل أن يعود المهاجمون من دون قائدهم الذي سقط في العملية بعدما افتتح هذا النوع من الهجمات الذي تكرر في أيار بحجم أكبر ومهارات أعلى عندما هاجم عناصر المقاومة الإسلامية موقعي لوسي والسريرة وفجروا خلاله جسر الدلافة الذي يؤمن الإمدادات للمواقع التابعة للميليشيات وكانت الحصيلة السيطرة على الموقعين وقتل عناصرهما والعودة بثلاثة أسرى.

ومن البقاع الغربي نقلت المقاومة هذا النوع من الهجمات إلى الجنوب عندما هاجمت في أيلول تلة الحقبان المشرفة على قريتي كفرا وياطر وتمكّنت من السيطرة عليها وتدمير الموقع وآلياته وأسر آلية والعودة بها وسط نشوة النصر التي سيطرت على المقاومين بعدما جابوا بالملالة القرى الجنوبية ولاقوا استقبالاً شعبياً في القرى التي حلوا فيها. وبعد عام على هذه العملية وإثر تلاحق الهجمات على الموقع، اضطر الجيش الإسرائيلي إلى إخلائه فاستراحت عدة قرى منه.

وتوالت طوال العام ١٩٨٦ الهجمات من هذا النوع حيث تنقّلت على طول الجبهة التي أقامها الإسرائيليون من الناقورة إلى البقاع الغربي، مع إدخال تغييرات على أساليب العمليات أظهرت تقدماً واضحاً في القدرات القتالية والوسائل المستخدمة بعد اعتماد أسلحة جديدة وتغطية نارية وإلهاء مواقع اخرى.

انقلبت صورة الموقف على ضوء هذا النمط المستحدث والهادف إلى خلخلة بنية الميليشيات، وبالتالي إعادة الجيش الإسرائيلي مباشرةً إلى المواجهة وإسقاط الخطة العسكرية التي اعتقد الإسرائيليون أنها قادرة على إراحتهم من الخسائر ومنع استنزافهم اليومي، وهذا ما بدأت تظهر مفاعيله مع نهاية العام ١٩٨٦ عندما دخل الجيش الإسرائيلي مباشرة في العمليات واضطر إلى استلام مواقع تابعة للميليشيات التي بقيت تحت ضغط الهجمات الواسعة طيلة العام ١٩٨٧، ما أدى إلى انعكاسات مهمة على وظيفتها وأسفر عن تقويض سيطرتها على المنطقة الحدودية المحتلة، وسمح للمقاومة بإعادة تنظيم أمورها داخل هذه المنطقة.

وبعد توقف قسري من نيسان ١٩٨٨ وحتى ١٩٩٠، سبّبته الحرب الداخلية التي نشبت بين حزب الله وحركة أمل، عاودت المقاومة تطوير هجماتها على المواقع مستفيدة من ثغرات برزت خلال الفترة السابقة عندما اعتمدت المقاومة حينها على مجموعات كبيرة من المقاتلين في هجمات كان بعضها مكشوفاً للمدفعية أو تكرار الأسلوب نفسه الذي سمح للإسرائيليين بالتعمق في دراسته لتحقيق نجاحات في التصدي له وفرض إعادة نظر جذرية فيه، وبالتالي عدم التركيز على أسلوب واحد ومفاجأة الإسرائيليين بأساليب عديدة منها الهجوم على المواقع والسيطرة عليها

وانتزاعها من أيدي الجنود كما في عملية الدبشة الشهيرة التي نفذت في تشرين الثاني ١٩٩٤ وتمكن فيها عناصر المقاومة من دخول أهم موقع إسرائيلي والسيطرة عليه، ما ترك انعكاسات واسعة داخل الجيش وأدى إلى محاكمة جنود وضباط.

يتميز هذا الأسلوب عن غيره من أساليب المقاومة بأنه يجمع بين نمطين هما حرب العصابات وحرب الجيوش النظامية فهو يحتاج إلى استطلاع ورصد، وقوة اقتحام وأخرى للإسناد ولنيران غزيرة وعمليات تمويه وإلهاء لخطوط الجبهة قبل الهجوم على موقع محدد والسيطرة عليه، وتزج فيه كل الوسائل المتوفرة لدى المقاومة: العنصر البشري، السلاح الخفيف والمتوسط والسلاح الثقيل.

عمليات الأسر

عمليات الأسر من الأساليب التي لجأت إليها المقاومة الإسلامية في صراعها مع الجيش الإسرائيلي، وهي تتمثل بأسر جنود إسرائيليين واقتيادهم إلى مخابئ سرية لهدفين رئيسيين، واحد معنوي لإلقاء الرعب في صفوف الجنود وإسقاط عنفوانهم بإظهار إمكانية أسرهم والتحقيق معهم، أما الهدف الثاني فهو السعي لمبادلتهم بمعتقلين لبنانيين وفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

مع بداية الاجتياح الإسرائيلي بدأت الفكرة تراود المجموعات الأولى للمقاومة، وتمكنت في معركة خلدة الشهيرة من أسر ملالة إسرائيلية، لكن الجنود قتلوا قبل أخذهم أحياء، ومع ذلك عاد المقاتلون بجثثهم إلى أحياء الضاحية الجنوبية، إلا أن العملية لم تكن مخططة مسبقاً لأسر الجنود بقدر ما ظهرت الفكرة أثناء المواجهة.

العملية الأولى التي جاءت عن دراسة مسهبة كانت بعد أشهر من مواجهة خلدة عندما انسحب الإسرائيليون إلى تخوم العاصمة وأقاموا لهم تجمعات خارجها، ومنها في المنطقة الساحلية على الطريق نحو مدينة صيدا الجنوبية، فإلى هناك توجهت مجموعة من بضعة عناصر توقفت في محلة السعديات بانتظار مرور دورية أو شاحنة، حيث كان الإسرائيليون في حالة استرخاء يسمحون للسائقين العسكريين بالتجوال بمفردهم. لم يدم مكوث المجموعة كثيراً، إذ مرت شاحنة صهريج مياه يقودها جندي إسرائيلي. توقفت الشاحنة وترجل منها جندي توجه إلى دكان قريب، فما كان من أحد عناصر المجموعة إلا أن هاجم السائق وأجبره على الصعود معهم في صندوق السيارة التي تعطلت وهي متجهة نحو الجبل فاضطرت المجموعة حينها إلى التخلص من الجندي لعدم وجود وسيلة أخرى لنقله.

حاولت المقاومة في مرات لاحقة تنفيذ عمليات مشابهة، لكن احتياطات الجيش

الإسرائيلي المتزايدة كانت تقف حائلاً دون نجاح استقدام أسرى لمبادلتهم بالمعتقلين، وظلت مجموعات المقاومة تفضل قتل الجنود على أسرهم لتخوفها من القدرة على تأمين المخابئ السرية، واضطرت إلى الانتظار حتى شباط ١٩٨٦ لتفتح صفحة مهمة في تاريخها وتحقق ما حلم به قادتها ومجموعاتها الأولى طيلة سنوات.

عادت الفكرة بجدية عند مسؤولي المقاومة. لقد انحسرت مساحة الاحتلال وبات بالإمكان التفكير والتنفيذ بهدوء، وبدأ التفتيش عن المكان المناسب الذي يمكن سحب الأسرى منه إلى مناطق آمنة، ووقع حينها الاختيار على طريق بلدة كونين بمعبر بيت ياحون وعلى سيارة للاستخبارات الإسرائيلية تعبر الطريق إلى المعبر ليشرف عناصر الاستخبارات على مراقبة عملية الدخول والخروج.

اعتاد هؤلاء العناصر على التوجه إلى المعبر برفقة سيارتين، واحدة لعناصر الميليشيات وأخرى للحماية. كانت المعلومات دقيقة وتفصيلية ومرفقة بخرائط لخط سير السيارات وعدد العناصر وأسلحتهم وتوقيت دورهم، ووضعت خطة محكمة لمنع أي خطأ، فالهدف هو العودة بالأسرى أحياء وإخراجهم من المنطقة بترتيبات ميدانية احتاجت إلى عناصر بشرية ووسيلة نقل تم تأمينها إلى داخل المنطقة، وهي عبارة عن سيارة أخفيت عن أعين الإسرائيليين وأبقيت إلى حين موعد التنفيذ.

١٧ شباط ١٩٨٦ في أجواء الذكرى الثانية لاغتيال الشيخ راغب حرب توجهت مجموعة من ثمانية عناصر يقودها سمير مطوط (جواد) إلى نقطة الكمين، وانقسمت إلى مجموعتين؛ واحدة تتولى الهجوم وأخرى تأسر العناصر المطلوبة. وفي الوقت المعتاد ظهرت السيارات الإسرائيلية، كان نصيب السيارة الأولى قذيفة صاروخية والثانية طلقات غزيرة من نيران رشاشة، أما السيارة المستهدفة فهاجمتها المجموعة المكلفة واقتادت عنصري الاستخبارات إلى صندوق سيارة المقاومة وانطلقت بها مسرعة إلى خارج المنطقة، في وقت كان بقية أفراد المجموعة يزرعون العبوات لإعاقة حركة قوة الإسناد. دفع الإسرائيليون بقوات كبيرة ونفذوا هجوماً واسعاً استمر ستة أيام على قرى جنوبية لاستعادة الجنديين، لكن المقاومة نقلتهما إلى أماكن بعيدة وظلّا معها إلى حين إعلان وفاتهما بسبب جروح أصيبا بها خلال عملية الأسر. وخلال الاستخبارات ترصده وتدقق في معلوماتها الشخصية السابقة حوله والتي جمعت في إطار رصد حركة الحرس الثورة الإيراني، وبالتأكيد بات لحزب الله ملفه الخاص لدى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية وفي طليعتها الاستخبارات العسكرية.

وكان لحزب الله جهازه الخاص أيضاً ومهمته جمع المعلومات ورصد حركة الجيش الإسرائيلي والميليشيا المتعاملة معه، وإن كان هذا الجهاز متداخلاً مع عمل

عناصر المقاومة، بل هو جزء أساس منه فوظيفته لم تكن سوى الاستطلاع، أي تأمين المعلومات الوافية للمجموعات التي تنفذ عمليات عسكرية، وكانت أبرز أنشطته الأولى رصد مركز الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور الذي نفذت ضده عملية استشهادية. ولم يكن جهاز الرصد معقداً ولا يحتاج إلى تقنيات عالية، فمثل هذا النوع من النشاط لا يحتاج سوى لشخص واحد يجمع ما يراه بأم العين ويقدمه لمنفذ العملية لتحديد الوقت المناسب لتنفيذ عمليته.

مع تزايد عمليات المقاومة وتطور أدائها، تطور جهازها الأمني وتعددت وظائفه من جمع المعلومات عن القوات الإسرائيلية والمتعاملين معها إلى تحصين الحماية للمقاومة ومنع الإسرائيليين من اكتشاف أنشطتها، وصولاً على حماية الشخصيات العلنية التي بدأت تظهر على المستوى السياسي والعسكري، وهو ما جعله في تحد مباشر مع الجهاز الأمني الإسرائيلي، ليس في المساحة الجغرافية لأنشطة المقاومة فقط، وإنما حيث توجد مرتكزات لها، وهو ما خوله ليكون حاضراً في مناطق امتداده الشعبي والسياسي.

بقيت المواجهة محدودة وفي إطارها العسكري البحت، إلى أن حدث التحول الكبير عندما تمكن الجيش الإسرائيلي من اغتيال الأمين العام لحزب الله السيد عباس الموسوي، إذ أخذ الحزب يفتش في تحقيقاته عن الاختراق الإسرائيلي؛ هل حصل فعلاً أم لا جمع الأمنيون معطياتهم والوقائع الميدانية وأجروا تحقيقات مكثفة خلصت إلى نتيجة مؤداها أن الخلل هو في عدم اتخاذ الاحتياطات التي تضمن سرية حركة ((السيد)) التي كانت مكشوفة وواضحة أمام أعين الناس وعلى مرأى من طائرات الاستطلاع الإسرائيلية التي كانت تجوب السماء وتصور الحركة حول قرية جبشيت التي توجه إليها موكب الأمين العام وخرج منها بعدما استقل سيارته أمام الجمهور المحتشد حيث يسهل على أي جاسوس للاستخبارات الإسرائيلية إعطاء إشارة عن السيارة ومواصفاتها ليسهل على الطائرات المروحية ملاحقتها.

فتحت هذه التحقيقات الباب أمام إعطاء أولوية لملاحقة الشبكات الأمنية التي يزرعها الإسرائيليون فتحركت المقاومة على خطين: الأول حماية القيادات الرئيسية في حزب الله، والثاني شل أنشطة الاستخبارات الإسرائيلية، وهذا ما دفع باتجاه تنشيط الأجهزة الأمنية للمقاومة في المناطق المستهدفة من الإسرائيليين بعدما كان التركيز يتم في البداية على المنطقة الحدودية المحتلة إذ منها كانت تدار أنشطة الشبكات الأمنية في بقية المناطق.

كان على العقل الأمني للمقاومة أن يواجه خطط الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، وهذا يتطلب جهوداً كبيرة واستنفاراً متواصلاً، خاصة أن العبء الملقى على عاتقه لا يتعلق بإطار عمل واحد وفي بيئة مريحة بل في أجواء معقدة وحساسة تفرض ضرورة السير بين الألغام خشية إثارة أي انعكاسات أمنية وسياسية.

التجربة الأولى بعد اغتيال السيد الموسوي كانت في إحباط محاولة لخطف أو اغتيال السيد حسن نصر الله الذي خلف السيد الموسوي في منصب الأمانة العامة، عندما تمكن الجهاز الأمني للحزب من اعتقال شخص جندته الاستخبارات الإسرائيلية وزرعته إلى جوار منزل ((السيد)) لجمع المعلومات عن كل الحركة حوله من الحراس والسيارات وما شابه.

وكان مقررا أن يؤدي هذا الشخص دور المرشد لقوة كوماندوس إسرائيلية تتسلل من منطقة الحدث إلى بئر العبد حيث مسكن ((السيد)) لاقتحامه بعد القضاء على الحراس لاختطاف ((السيد)) أو حتى لاغتياله، لكن الإسرائيليين اضطروا إلى الإفصاح بطريقة غير مباشرة عن فشل العملية بعد إعلانهم عن مناورة قتل فيها جنود كانوا يتدربون لتنفيذ المهمة. اعتقل كثيرون من أمثال عنصر الاِستخبارات الذي كلف بجمع المعلومات عن السيد نصر الله، ومنهم من كان يزرع لإعطاء معلومات عن العلامة السيد محمد حسين فضل الله، أو الشيخ صبحي الطفيلي ونائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، بهدف تنفيذ عمليات اغتيال ضدهم. لكن تشدد الحزب ورقابته الصارمة مكناه من تجنب خسائر كبيرة في صفوف قياداته.

كان على حزب الله، فضلا عن حماية قياداته الرئيسية، وهو ما نجح فيه بعد اغتيال السيد الموسوي، ان يحمي خطوطه الخلفية في القرى المتاخمة للمنطقة التي أبقى الإسرائيليون على احتلالهم لها، حتى آخر نقطة في البقاع على الحدود مع سورية، لمنع الاستخبارات الإسرائيلية من رصد نشاطاته وتحركاته وأيضا لمنعها من اختراق صفوفه بخلايا أمنية، بذل الإسرائيليون لتشكيلها جهودا كبيرة دون القدرة على زرعها داخل صفوف المقاومة.

انطلق الحزب من فرضية أن جمع المعلومات عنه يقتضي وجود أشخاص قرب مراكزه أو منازل قياداته أو في القرى الأمامية، فأجرى مسحا شاملا كان يكرره بين الفترة والأخرى، ثم دقق في كل المعطيات والتفاصيل التي بحوزته وراقب بدقة ورصد بتمعن ليبدأ تفكيك الشبكات الإسرائيلية الواحدة تلو الأخرى، حاصدا نتائج مهمة على صعيد المعلومات التي أدلى بها المتورطون والتي مكنته من كشف أسرار كثيرة عن نشاطات الاستخبارات الإسرائيلية وتركيبة أجهزتها في لبنان وكيفية

تجنيد العملاء وأساليب التدريب والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات، خاصة بعد ضبط أجهزة اتصال متطورة كانت ترسل عبرها المعلومات.

ساهم تفكيك العديد من هذه الشبكات في تأمين الحماية لأنشطة المقاومة وعملياتها، وبالتالي في تعطيل قدرة الجيش الإسرائيلي على توجيه ضرباته إلى أهداف مؤكدة، وهذا ما جنب المقاومة ضربات مادية ومعنوية كان يمكن أن يحقق فيها الجانب الإسرائيلي نجاحات ميدانية.

لم يقتصر النشاط الأمني للمقاومة على هذين المجالين – أي حماية القيادات والخطوط الخلفية – بل شمل ملاحقة منفذي الهجمات أو الاختراقات كأعمال التفجير أو الخطف أو الاغتيال، فاكتشفت العديد من الشبكات التي تولت تنفيذ مهمات أمنية في لبنان، ليس ضد المقاومة فحسب، بل ضد شخصيات ومؤسسات لبنانية أيضا.

ونسج حزب الله في هذا الإطار تعاونا وثيقا مع الأجهزة الأمنية اللبنانية الرسمية ومع مثيلاتها في سورية، لتأمين اعتقال المتورطين وإحالتهم إلى المحاكمة خاصة بعدما تمكنت الدولة من فرض سيطرتها على المناطق اللبنانية حيث اصبح من السهل عليها اعتقال أي شخص والتحقيق معه، أو تسلم المعتقلين من حزب الله ومن ثم محاكمتهم.

لقد أدت الحملة الأمنية على عناصر الاستخبارات الإسرائيلية إلى إفقاد الجيش الإسرائيلي ميزة كان يتفوق بها دائماً على الدول العربية وعلى القوى العسكرية المعادية له في لبنان، وهي قوة معلوماته التي يستند إليها في شن الهجمات الخاطفة التي تفاجئ أعداءه وتحقق له الانتصار السريع.

وهذا ما لم يتمكن منه في حربي تموز ونيسان عندما نفذ هجمات على أهداف قديمة أو خالية، وأحياناً وهمية، لافتقاره إلى المعلومات الدقيقة جراء تفكك بنيته الاستخباراتية بعد اعتقال عشرات العناصر المتعاملة معه والتي أعطت معلومات عن طبيعة أنشطتها، وما زودت به الإسرائيليين من معطيات دفعت بأجهزة المقاومة إلى أتخاذ الاحتياطات المضادة لها.

الصورة الحية:

أدخلت المقاومة الإسلامية أسلوباً أعلامياً مباشراً في حربها ضد الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، واستخدمته بفعالية لمجابهة الدعاية الأعلامية الإسرائيلية، ونجحت في توظيفه لإثبات صحة معلوماتها من جهة، وتقويض معنويات الجيش الإسرائيلي من جهة أخرى. تمثل هذا الأسلوب باستخدام الأعلام المصور، فقد كانت الصورة الحية في البداية لا تشكل أسلوباً مباشراً للعمل، إنما كانت جزءاً من نشاط أعلامي باشرت به المقاومة الإسلامية قبل العام ١٩٨٥ لتوثيق بعض العمليات، لذلك لم يكن هذا النمط يحظى برعاية كبيرة ما دامت السرية الكاملة وأخفاء الهوية عنصرين ضاغطين على نشاط المقاومة.

بعد الانسحاب الإسرائيلي إلى المنطقة المحتلة، أدخلت المقاومة التصوير الحي للعمليات نطاق الخدمة لتحقيق جملة أهداف منها ما هو تعبوي يطال جمهور المقاومة نفسه، ومنها ما هو متصل بالحرب النفسية ضد ميليشيا انطوان لحد المسيطرة على المواقع المشرفة على المناطق المحررة، فضلاً عن تأكيد انتماء تلك العمليات إلى المقاومة الإسلامية.

فظهرت الصور الأولى للعمليات في العام ١٩٨٦، وتوالت بعد ذلك، لتشكل بحد ذاتها أسلوباً فعالاً يساهم في الحرب ضد الاحتلال.

وكما في أساليب المقاومة الأخرى اعتمدت المقاومة على تقنيات ومهارات فنية في تطوير هذا الأسلوب، الذي تحول مع الوقت إلى عمل قائم بذاته، فافردت له جهازاً متخصصاً، وظيفته ابتكار أساليب الحرب النفسية بالصورة الحية، فذاعت شهرة هذا النمط بعد عملية الدبشة، عندما تحول الفيلم المصور عن العملية إلى مادة جدل داخل ((إسرائيل))، وهو ما اتبعته المقاومة باللجوء إلى الكاميرا لتصوير عملياتها، وإظهار قدراتها على إيقاع الخسائر البشرية والآلية في صفوف القوات الإسرائيلية ثم استخدمته لرصد حركة الجيش الإسرائيلي والميليشيات المتعاملة معه.

وقد مثل هذا الأسلوب شكلاً جديداً من أشكال المواجهة بين المقاومة والاحتلال، فكانت له تأثيرات مباشرة في الجانب الإسرائيلي الذي بات عليه تحدي معلومات المقاومة بدقة وحذر شديدين، بعدما استطاعت الكاميرا فضح الكثير من التعمية التي مارسها الاحتلال، في إخفاء الخسائر، أو حتى العمليات ونتائجها، وتمكنت الصورة الحية من تقديم نموذج متطور لعمل عسكري متقن أظهر الكثير من قدرات المقاومة الفنية، والأمنية، فضلاً عما كان يبثه من روح معنوية من جهة وإحباط للروح المعنوية الأخرى في الجهة المقابلة.

الكمائن المضادة: نموذج انصارية

طورت المقاومة من وسائل قتالها، واعتمدت أسلوب الاختراقات العسكرية والأمنية للخطوط الدفاعية التي أقامها الجيش الإسرائيلي على طول الخط الفاصل بين المناطق المحتلة والمحررة، وأدت هذه السياسة إلى أصابة البنية الأمنية للعناصر المحلية المتعاملة مع الاحتلال بأضرار بالغة، دفعت بالجيش الإسرائيلي إلى تسلم تلك الخطوط مباشرة للعمل على سد الثغرات التي ينفذ منها عناصر المقاومة إلى الداخل، أو يتحركون من خلالها للسيطرة على مواقع الميليشيات ومهاجمة الدوريات الإسرائيلية، بزرع العبوات، أو نصب الكمائن.

اعتمد الجيش الإسرائيلي على إقامة خطوط دفاعية متتالية تبدأ من المواقع المشرفة على المنطقة الفاصلة إلى الخطوط الخلفية مع تشديد قبضته على القرى لتفكيك البنية التحتية للمقاومة وبالتحديد لعناصر الدعم المحلية التي كان الإسرائيليون يعتقدون أنها السبب المباشر لمصدر معلومات المقاومة.

ترافقت الترتيبات الأمنية مع التفتيش عن بدائل تخفف من ضغط الاستنزاف اليومي، وتعيد زمام المبادرة على الجيش الإسرائيلي بعدما افتقدت جراء انكفائه إلى الوراء وانتزاع مجموعة خصائص من يديه كما في خاصية المباغتة والهجمات الخاطفة المستندة إلى معلومات استخباراتية دقيقة تلاشت إلى حد كبير في منتصف التسعينات بعد تفكيك العديد من الشبكات الأمنية وإلقاء القبض على جواسيس محليين يعملون لحسابه.

أحد عناصر ((استعادة المبادرة)) التحول من حرب نظامية ضد قوات غير نظامية إلى حرب عصابات مشابهة للتي تخوضها المقاومة، بما يتطلبه ذلك من إدخال وحدات جديدة في الجيش، وإنشاء معاهد تدريب خاصة تتولى أعداد مجموعات من الجنود لتنفيذ عمليات أغارة أو نصب كمائن وزرع عبوات في الخطوط الخلفية للمقاومة.

عمل الجيش الإسرائيلي على مواكبة تطور أداء المقاومة بأنماط مختلفة من العمل العسكري وعلى خطين متوازيين: الأول وضع خطة ((السد المنيع)) لإغلاق كل المعابر التي يسلكها المقاومون سواء من مواقعه مباشرة أو من الكمائن التي كان ينصبها في الوديان وعلى التلال والأحراش، ويختار لهذه الكمائن نخبة قواته.

أما الخط الثاني فهو مهاجمة المقاومة في مناطق تواجدها باستخدام الوحدات الخاصة المنشأة خصيصاً لهذا الغرض، وهذا تكتيك لم يسبق للمقاومة أن واجهته خلال الثمانينات ومطلع التسعينات ففرض عليها ذلك أنماطاً مضادة لتلافي الصعوبات التي تعترض طريق عناصرها إلى المنطقة المحتلة، وهي صعوبات تحولت إلى تعقيدات

مباشرة على الأرض ليس لوجود الكمائن الإسرائيلية فحسب إنما للتقنيات العالية التي يستخدمها الجيش الإسرائيلي من رصد جوي دقيق، ونصب أجهزة تنصت وتجسس، للتعويض عن العملاء المحليين، وتطوير أسلحته بما يتلاءم مع حرب العصابات.

وأنماط العمل تلك كان عليها أن تلحظ التكتيكات الإسرائيلية فكانت أولى الخطوات نصب الكمائن ضد الكمائن بالاعتماد على رصد دقيق ومتابعة لتحركات الجنود الإسرائيليين على تخوم المناطق المحتلة وفي عمقها، وانتجت هذه الخطوة إلحاق خسائر كبيرة في صفوف الجنود الذين كانوا يصطدمون بكمائن مفاجئة ينصبها عناصر المقاومة بحيث تكون الغلبة لمن يفتح النار أولاً.

أما الخطوة التالية فكانت حماية الخطوط الخلفية بما يستدعيه ذلك من البقاء على درجة عالية من الاستنفار وإغلاق الثغرات التي يمكن للجيش الإسرائيلي النفاذ منها. وهو ما دفع إلى تأمين حراسات للقرى، ورصد المداخل التي تشكل معبراً للجنود الإسرائيليين إلى المناطق المحررة، وصار على المقاومة تفعيل هذا النوع من الحراسات بعد تحقيق الجيش الإسرائيلي لاختراقات تمثلت بزرع عبوات واغتيال مقاومين ومدنيين على الطرقات. كانت ((عملية الكفور)) أحد النماذج المتطورة عن هذه الاختراقات الإسرائيلية، فالتشدد في الرصد البري جعل الإسرائيليين يلجؤون إلى الجو لإنزال وحداتهم بهدف تنفيذ عملياتهم المباغتة، أو لسحب العناصر المتسللة خشية وقوعها في كمائن المقاومة، وهو ما نجح الجيش الإسرائيلي فيه عندما زرع عبوات على مقربة من منزل يخص أحد المقاومين داخل قرية الكفور، لكن قبل انسحاب جنوده تم اكتشاف الأمر وجرت مواجهة أعقبها تفجير عبوات بمقاومين كانوا يتفقدون المنطقة صباحاً.

صار على المقاومة استيعاب العبرة التي خلفتها عملية الكفور وهي ضرورة اتخاذ احتياطات مشددة أكثر، وتأمين سبل الحماية للمناطق المدنية، فلم تعد الحراسات موضعية ومشخصة بأماكن محددة، إنما استلزم الأمر حراسات من نوع آخر وفي أماكن لا تشكل نقاط ارتكاز للمقاومة، ويمكن أن تشكل مكاناً ملائماً للتسلل الإسرائيلي جواً أو بحراً ما دامت خطوط المواجهة مراقبة بشكل دائم.

استندت المقاومة إلى رصد مباشر لمراقبة تحركات القوات الإسرائيلية الخاصة وتغلغلها في المناطق الجنوبية، بينما أخذ الجانب الإسرائيلي يعتمد على جنوده في تنفيذ العمليات أو حتى في جمع المعلومات عن المناطق المستهدفة باغاراته وهو ما لجأ إليه حين تسلل إلى المناطق المتاخمة للمنطقة الحدودية سواء عن طريق البر أو البحر أو الجو، وهو لجوء حتمه تضعضع البنية الأمنية للشبكات المحلية التي زرعها على مدى سنوات.

كانت أحدى الثغرات التي يتسلل منها الكوماندوس الإسرائيلي الساحل الجنوبي إذ يستطيع عبر زوارقه إنزال الجنود والتقدم إلى الإمام لتنفيذ عمليات خاطفة كاغتيال كوادر في المقاومة، أو زرع عبوات، تساعده في ذلك طبيعة الشاطئ الذي تنتشر على مقربة منه بساتين الموز والحمضيات بحيث تشكل مخبأ طبيعياً للجنود الذين يتسللون تحت جنح الظلام وينسحبون قبل طلوع الفجر حتى لا يكشفهم ضوء النهار، ولكن نتيجة الاحتياطات المسبقة، ومساعدة الأهالي استطاعت المقاومة متابعة الأمر بدقة لتكشف وجود ثغرة كبيرة تحتاج إلى رصد وملاحقة كي لا يدخل منها الجيش الإسرائيلي لتحقيق مآربه.

واجهت المقاومة عقبة رئيسية في حماية الساحل البحري إذ أن طول الشاطئ وعدم امتلاك أجهزة رصد متطورة والانشغال بحماية خطوط المواجهة، أبقى على بعض الثغرات من البر والبحر، فاستغلها الجانب الإسرائيلي للتسلل والدخول على عمق بعض المناطق لاستكشافها المباشر أحياناً، أو للتأكد من معطيات جمعها عن طريق ما تبقى له من عملاء محليين أو صورتها طائرات الاستطلاع التي تجوب سماء الجنوب يومياً.

لقد دللت المعطيات التي توافرت لدى المقاومة عن وجود آثار لوحدات إسرائيلية في مناطق متفرقة من الجنوب، سواء في الأحراش أو على أطراف القرى، وعندما كانت تكتشف عبوات ناسفة وتتبع المسالك التي عبر منها الإسرائيليون يظهر لها أن الإسرائيليين يعتمدون على أنفسهم مباشرة لقطع مسافات بعيدة بهدف الوصول إلى الطرقات المرصودة كجزء من حرب العبوات ضد عبوات المقاومة.

من تلك المعطيات ما اكتشفته المقاومة في العملية المعقدة التي كان ينوي الإسرائيليون تنفيذها في أيلول ١٩٩٧ ضد هدف لم يفصحوا عنه وأن أظهرت تحليلات مسؤوليهم وصحافتهم إمكانية أحداث هزة كبيرة لحزب الله والمقاومة لو نجح الكوماندوس في الوصول إليه بعدما تراوحت التحليلات بين كونه ((مسؤولاً أمنياً كبيراً على صلة باستخبارات المقاومة)) أو زرع عبوات على طريق يسلكها كوادر للمقاومة تظهر تصفيتهم قدرة الجيش الإسرائيلي على الاختراق في العمق.

لقد اختار الجيش الإسرائيلي بلدة أنصارية هدفاً لإنزال نخبة من وحداته الخاصة تسللوا ليلاً عن طريق البحر وبحوزتهم كمية من المتفجرات لزرعها على الطرقات التي يمكن لمقاومين أو مدنيين سلوكه.

لم يكن اختيار المكان عشوائياً ولا بعده عن مناطق التماس مع المقاومة، إنما لأسباب عديدة أولها أنه يشكل منطقة آمنة نسبياً للمقاومة يمكن أن يتحرك فيها مسؤولوها وعناصرها دون احتياطات مشددة، ويسهل على الجيش الوصول إليها بحراً دون لفت أي انتباه، فضلاً عن تنفيذ العملية بعيداً عن رقابة المقاومة الإسلامية، إذ لم يخطر ببال الإسرائيليين أن درجة تأهب حزب الله وصلت إلى حد يحرس فيه أماكن غير مستهدفة أو معرضة للهجمات.

وصلت القوة الإسرائيلية من حيث لا تحتسب على فخ منصوب بإتقان ودقة، ووقفت عناصرها في المكان الذي ينتظرهم فيه رجال المقاومة، وعلى العبوات المزروعة لهم، بحيث جاء انفجارها وسط القوة ليمزق أشلاء الجنود قبل أن تجهز عليهم رصاصات المقاومين، وتنتهي المواجهة بمقتل جميع أفراد الوحدة.

لم يستوعب الجيش الإسرائيلي واستخباراته العسكرية أسباب ما حل برأس حربة المجتمع الإسرائيلي، إذ هي المرة الأولى في تاريخ العمل العسكري تصاب الدولة العبرية بمثل هذه الهزيمة النفسية والمعنوية والعسكرية، خاصة مع انفلات الأقلام على تحليلات ومعلومات عن كيفية اقتياد عناصر الكوماندوس إلى مصيدة، فشاعت على ألسنة المسؤولين الإسرائيليين عبارة الفخ، وانتظار حزب الله للجنود الإسرائيليين. وفي المقابل قدمت المقاومة جزءاً من الرواية حين كشفت عن ((تطوير حراساتها للقرى بزرع ألغام وعبوات من قبل المجموعات التي تتولى حماية المناطق الجنوبية)) ورفضت الإفصاح عن المزيد رغم ظهور معطيات عديدة تشير إلى وجود تكملة للرواية فضلت المقاومة أبقاءها طي الكتمان حتى لا تقدم للإسرائيليين أدلة عن سبب فضل عمليتهم.

مثل نموذج عملية أنصارية إحدى تحولات حرب الاستنزاف وتطوراً في التكتيك المضاد الذي اعتمدته المقاومة الإسلامية وتمكنت فيه من توجيه ضربة لواحد من أهم أساليب الجيش الإسرائيلي وهو العمليات الخاطفة التي تنفذها وحدات الكوماندوس، واعتبر إفشال عملية أنصارية تأسيساً لمرحلة جديدة تقوم على لي الذراع الأمنية لقوات النخبة ودفعها للتفتيش عن بدائل لأساليبها المستنزفة والمستهلكة تباعاً.

حساب الحروب
حرب تموز

مقدمات

أطل العام ١٩٩٣ على الجنوب حاملاً معه مزيداً من المواجهات العسكرية بين المقاومة الإسلامية والقوات الإسرائيلية التي منيت بسلسلة من الخسائر المتلاحقة دفعت بالقيادة الإسرائيلية للتفتيش عما يخفف من وطأة الضغط الجنوبي الذي تزامن مع بروز تعقيدات على المسارات التفاوضية العربية ـ الإسرائيلية، في وقت كانت تجهد فيه الدبلوماسية السرية للوصول إلى أيِّ تفاهم منفرد مع منظمة التحرير الفلسطينية يخرجها من الشراكة مع بقية الأطراف العربية.

توسعت دائرة الضغوط المتقابلة على الساحة الجنوبية، واستخدم الإسرائيليون نيرانهم بكثافة ضد القرى المدنية، مسلطين طائراتهم المروحية على المنازل والحقول والسيارات، معيدين إلى الذاكرة تجربة سنتين سابقتين من زعزعة الحياة المدنية في الجنوب كانت خلالها المنازل والطرق غير آمنة، في اطار سياسة اعتمدتها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وتقوم على دعامة اساسية هي الضغط على المدنيين لإجبارهم على الضغط على المقاومة.

كانت الهجمات الإسرائيلية تتركز باستمرار على القرى المتاخمة للمنطقة الحدودية المحتلة، وتتمدد في أحيان كثيرة نحو عمق المناطق الجنوبية لتهدد استقرارها وتتركها في حالة استنفار دائم، حيث كان على السكان توقع هجوم جوي أو قصف بري في أي لحظة، من دون أن تكون لديهم القدرة على الاحتماء أو إحداث تغييرات في المسلك الإسرائيلي الذي تأسس وفق القاعدة المذكورة، أي الضغط بالمدنيين، وهو مسلك اتبعه منذ تراجعه إلى المنطقة الحدودية المحتلة.

منذ التراجع الإسرائيلي في العام ١٩٨٥ إلى المنطقة الحدودية وإقامة سلسلة من المواقع المحصنة على تخومها، كان الجنوب معرضا عند أي هزة سياسية في الداخل الإسرائيلي أو على صعيد التحركات الدبلوماسية في المنطقة العربية لضغوط مباشرة يستثمرها الإسرائيليون في مشاريعهم السياسية أو في صراعاتهم الداخلية، وجعلوا هذا الاسلوب من ثوابت أدائهم في لبنان الذي ظل على مدى ثماني سنوات متتالية (١٩٨٥- ١٩٩٣) مجالا مفتوحا للاستثمار الإسرائيلي الذي تزايد بعد انطلاق عملية التسوية في العام ١٩٩١، حينما استخدم كورقة ضاغطة على المفاوضين العرب

لإجبارهم على تقديم تنازلات سياسية.

كانت بداية العام ١٩٩٣ حافلة بمثل هذه الضغوط، إذ شهد الجنوب تصعيدا إسرائيليا لافتاً، قابله تطور متسارع في عمليات المقاومة التي بدأت تقدم نماذج حية عن أداء يوازي أداء الجيوش النظامية ولا يتخلى عن أسلوب العمل الفدائي، في إطار مسعى دائم للانتقال بالمقاومة إلى مرحلة جديدة تضفي على نشاطها مميزات تسابق التكيف الإسرائيلي مع أدائها، حتى يبقى لأنشطتها العسكرية فاعلية وتأثير يحقق ما هو منشود، أي إجبار الجيش الإسرائيلي على التراجع.

رفعت المقاومة مستوى أدائها العسكري، وأخذ عناصرها يحترفون القتال بعدما باتوا في مواجهة مباشرة مع واحد من أقوى الجيوش في العالم، وأخذت هجماتها تلقى صدى عالميا ليس على صعيد تأثيراتها المباشرة فقط، بل على مستوى الأداء الميداني الذي يشبه إلى حد كبير أداء الجيوش المحترفة.

أحدث التبدل الميداني على الأرض تغييراً في أساليب القتال وطرقه ووسائله، فقد تشكلت على طول الجبهة أربعة محاور تغطي المنطقة الممتدة من الساحل قرب صور حتى البقاع الغربي، وزودت هذه المحاور بالرجال والعتاد لتكون وجودها المستقل؛ تدافع عن مناطقها من دون الحاجة للعودة إلى القيادة أو لطلب الإسناد، لامتلاكها قوة نارية لديها القدرة على التعامل بشكل متواصل مع النيران الإسرائيلية. فضلا عن وظائفها العديدة الاخرى كالتمهيد للهجمات على المواقع أو تغطية انسحاب المقاتلين وإشغال المواقع الإسرائيلية أو استهداف التجمعات، فضلا عن انطلاق العمليات عبر خطوطها.

أفضت هذه الحالة إلى تطور جديد في المواجهة المسلحة، فلم يعد الإسرائيليون وحدهم يطلقون النار وهم آمنون في مواقعهم، بل فرض عليهم استنفار على مدى ساعات الليل والنهار، والبقاء في المخابئ داخل مواقعهم في مواجهة مصادر نيران غير ثابتة ومواقع غير مكشوفة يصعب استهدافها أو تعطيل مفعولها، واعتمدت المقاومة في هذا المجال على أسلوب المناورة الذي يترك الجيش الإسرائيلي في حالة حيرة، فهي زاوجت بين التكتيكات التي تستخدمها الجيوش النظامية وبين وضعيتها كمقاومة سرية تعتمد أسلوب حرب العصابات، فأحياناً تشن هجمات نظامية تستخدم فيها النيران الكثيفة قبل تقدم المشاة، وتقوم بعملية إلهاء للمواقع التي تشكل إسنادا للهدف، وفي أحيان أخرى كانت تعود إلى أسلوبها الآخر في نصب كمائن وزرع عبوات. وأظهرت تلك التكتيكات كفاءات عسكرية ومهارات عالية نظر إليها الخبراء الإسرائيليون بقلق بالغ ورأوا في ذلك تهديداً مباشراً لقواتهم وأمنهم، فهم لم يعودوا أسياد الساحة في لبنان إذ جاء من يناوئهم ويحاول وضع حد لسيطرتهم

ومعاملتهم معاملة الند للند، ليس في المواجهات المباشرة فحسب بل في الرقعة الجغرافية أيضا.

ولم يبق عائق أمام المقاومة سوى استهداف الجيش الإسرائيلي للمدنيين، وهو ما باشرت التفتيش عن كيفية إزالته، فوجدته في معاملة الإسرائيليين بالمثل، أي إقلاق أمن المستوطنين في الشمال. والسلاح المتوفر في هذه الحال هو صواريخ الكاتيوشا.

انتابت ((إسرائيل)) خشية مضاعفة من التطورات العسكرية في الجنوب، فهناك قوة يتعاظم شأنها العسكري ويلتف حولها الناس الذين اندفعوا يؤيدونها في الانتخابات النيابية، ويلتصقون أكثر بأهدافها، وهناك تهديد دائم للمستوطنات، يكبل حركة الجيش الإسرائيلي، ويمنعه من التمادي في هجماته ضد المدنيين بما يفقده سلاحاً رئيسياً في الضغط والاستثمار السياسي، إضافة إلى ما يشكله تنامي هذه القوة العسكرية – الشعبية من تهديد دائم للدور الإسرائيلي، ليس على مستوى لبنان فحسب، بل أيضا على مستوى المنطقة بأسرها، فهي قوة تجاهر بعدائها ((لإسرائيل)) وترفض أي إمكانية للتعايش معها، وتدعو باستمرار إلى مقاومتها وطردها من المنطقة.

هذه العوامل اللبنانية يضاف إليها عوامل إقليمية لها علاقة بالمسعى الإسرائيلي – الأمريكي المشترك لفصل لبنان عن سورية في المفاوضات ولتمرير اتفاقية الحكم الذاتي مع منظمة التحرير الفلسطينية أو ما عرف بـ ((صفقة أوسلو)) اجتمعت لتشكل دافعاً مباشراً للحكومة الإسرائيلية وبالتوافق مع الولايات المتحدة الأمريكية لشن هجوم ناري واسع على لبنان، تركز على الجنوب والبقاع الغربي واستمر سبعة أيام متتالية، وهدف إزالة تلك القوة المتعاظمة وفصل الناس عنها، وفك الارتباط اللبناني – السوري تمهيدا لصفقة منفردة مع لبنان على غرار الصفقة مع منظمة التحرير.

بدا شهر تموز منذ أيامه الأولى حاراً سياسياً وأمنياً. فبموازاة التعزيزات والحشود التي أدخلها الجيش الإسرائيلي إلى المنطقة المحتلة، كانت واشنطن تلح على الحكومة اللبنانية بضرورة اتخاذ خطوات مباشرة لإيقاف عمليات المقاومة التي شهدت تصاعدا ملحوظاً وتركت نتائج مهمة على الجيش الإسرائيلي والميلشيا المتعاملة اللذين وسعا دائرة قصفهما للقرى اللبنانية خاصة تلك المتاخمة للمنطقة الحدودية، ممّا خلف خسائر في الأرواح والممتلكات والمزروعات.

كانت الإشارات ترسل من تل أبيب حول خطورة الوضع والاتجاه للقيام بعمل ما، والتلقي الرسمي في بيروت كان على شكل تخوفات علنية وانتظار للخطوة الإسرائيلية وحجمها ؛ هل هي أمنية أم لها ارتباطات سياسية ؟ وما هو الثمن الذي

يريده الإسرائيليون ؟

ميدانياً، كانت المقاومة التي تسجل عمليات أوقعت في النصف الأول من شهر تموز خمسة قتلى إسرائيليين، إلى أن جاء يوم ٢٢ تموز حيث التهب الجنوب على وقع هجمات منسقة ومتزامنة نفذتها مجموعات من المقاومة ضد تسعة مواقع إسرائيلية ولحدية اضافة إلى استهداف دوريات وقوات إسناد، بدت فيها المجموعات المشاركة تمتلك مهارات في التغطية وعمليات التقدم والاقتحام والكمائن، وفرض الحصار الناري ومنع الإسناد البري ومن ثم الانسحاب بعد إنجاز المهمة بدقة وإتقان. لم يعد الإسرائيليون أمام ذلك بحاجة إلى دلائل إضافية على تطور الأداء القتالي للمقاومة. لقد فحصوا، بدقة، المعطيات التي وضعت بين أيدي قادة الجيش بناءً على تقييمات ميدانية مأخوذة من تجارب حية خاصة تلك التي عاشتها الوحدات المسيطرة على قطاع العيشية – الريحان بعد يوم الخميس الدامي الذي نفذت فيه المقاومة خمسة عشر عملاً عسكريا دفعة واحدة، و في منطقة ضيقة ومكشوفة للطائرات الحربية الإسرائيلية وللمواقع المشرفة الخاضعة لسيطرة الإسرائيليين. كانت هذه العملية مؤشراً واضحاً على العدو الذي يواجهه الجيش الإسرائيلي والإمكانات التقنية التي يتمتع بها، فلديه قوات للهجوم وأخرى للإسناد الناري والأهم في ذلك المعلومات الكافية عن المواقع: أسلحتها، حامياتها، وطرق إمدادها، إضافة إلى المعلومات التي يجمعها داخل المنطقة المحتلة عن الدوريات والمسؤولين والمراكز السرية ومنازل العناصر المتعاملة مع الإسرائيليين وينفذ عملياته بدقة متناهية وفقاً لمعلومات مسبقة.

الحرب

العاشرة والنصف من صباح يوم الأحد ٢٥ تموز، نفذت الطائرات الحربية الإسرائيلية أولى إغاراتها على الجنوب وأتبعتها بأخرى استهدفت منطقة البقاع، ثم فتحت نيران مدفعيتها معلنة بدء حربها ضد المقاومة ومعها لبنان وسورية. مع الإغارة الأولى لم تتبدل الحياة المدنية في الجنوب، إذ سبق للإسرائيليين أن نفذوا مثيلات لها، ومع اطلاق قذائف مدفعية لم يتغير المناخ الأمني الذي أعتاده أهالي الجنوب. لكن مع توالي الإغارات وتوسع رقعة القصف أخذت الأمور بالتبدل، إذ لاح في الأفق أن شيئاً ما غير معتاد يتطور، فسارعت قيادة المقاومة في منطقة الجنوب إلى الاجتماع بعد ساعتين من أول إغارة لتدارس الموقف واتخاذ الإجراءات المضادة بعدما وضعت أسوا الاحتمالات في الحسبان وهو اجتياح بري إسرائيلي واسع، واستدعي على الفور المسؤولون العسكريون وقادة العمليات ومسؤولو القطاعات لوضعهم في صورة التطورات وما يمكن أن يحدث.

سيطرت الحماسة وروح التحدي على المجتمعين الذين أخذوا يضعون الخطط وكيفية مواجهة غزو محتمل، مؤكدين خطة الطوارئ العسكرية إذا تعذرت عملية التواصل بين القطاعات والقيادة، بحيث يؤمن كل قطاع شؤونه واتخذت إجراءات مضادة للهجوم الناري الإسرائيلي اعتمدت على جملة خطوات منها:

١. المبادرة بالهجوم على المواقع الإسرائيلية.

٢. استخدام قوة نيران كثيفة ضد المواقع والمستوطنات على حد سواء، لإظهار حجم الرد الذي يمكن أن يتلقاه الإسرائيليون.

٣. القيام بكل ما يلزم للحفاظ على الأهالي وصمودهم في قراهم.

باشرت المقاومة تنفيذ هذه الخطوات بفتح نيرانها على المواقع الإسرائيلية وتلك التابعة للميليشيا المتعاملة معها في المنطقة المحتلة، وبإطلاق سيل من الصواريخ على المستوطنات حيث بلغت في اليوم الأول حوالي خمسين صاروخاً، وأتبعت ذلك بعمليات ضد القوات الإسرائيلية فهاجمت مجموعاتها موقع برعشيت وتمكنت من تدمير دبابة، كما هاجمت موقعي الدبشة والشومرية، وحققت هذه الهجمات نجاحات ميدانية بإلحاقها خسائر في صفوف القوات الإسرائيلية، ومعنوية بإبراز قدرة المقاومة على استيعاب الهجوم الإسرائيلي.

كانت الحرب بالنسبة لقيادة المقاومة حرب أعصاب، فالجيش الإسرائيلي لم يظهر استعدادات ميدانية للتقدم البري، وهو ما يعني ضرورة الاعتماد على سياسة النفس الطويل وتضييع الإسرائيليين في القصف على المستوطنات، وتفاوت عدد الصواريخ بين يوم وآخر، مع اتخاذ الاحتياطات لأسوأ الاحتمالات، أي حرب طويلة، فوضعت لذلك خطة مضادة، أول بنودها استيعاب الهجوم وهدوء الأعصاب وإبقاء التواصل مع المقاتلين لإشعارهم باستمرارية الاتصال ولو عن طريق الرسائل اليدوية التي كانت تنقل تحت القصف، وبوسائل أخرى مختلفة. ولحظت الخطة المضادة الوضع الاجتماعي فوضعت الأجهزة المدنية بتصرف الأهالي وخصصت مجموعات مهمتها إيصال المؤن إلى القرى المحاصرة بالنيران مهما كانت الصعوبات، إضافة إلى استيعاب النازحين وتأمين المأوى لهم.

كانت الخطة الإسرائيلية تقضي باستخدام السكان المدنيين للضغط على المقاومين وعلى القرار السياسي في بيروت، وهو ما ظهر من مواقف المسؤولين الإسرائيليين، ولمنع تحقق هذا الهدف نشطت المقاومة على خطين: الأول تثبيت الأهالي في قراهم ومساعدتهم على الصمود، والثاني احتواء نتائج التهجير الجماعي الذي وقع العبء الأكبر منه على منطقة الجنوب حيث انتقل قسم كبير من القرى الأمامية إلى مناطق أكثر أمناً داخل الجنوب، ليزيد من مسؤوليات قيادة المنطقة التي نقلت إلى

الشورى احتياجاتها ومتطلبات المواجهة مع الجيش الإسرائيلي، وقدمت عرضاً وافياً عن تصوراتها للمرحلة المقبلة ليتم إقرار صيغة مرنة لإدارة الحرب واستيعاب نتائجها. وهو ما أوجد رؤيا واحدة كان على منطقة الجنوب تنفيذ مضامينها.

على مدى سبعة أيام، كان لبنان تحت وطأة الهجوم الناري الإسرائيلي الذي لم يوفر قرية أو مدينة جنوبية، وزجت ((إسرائيل)) بأسلحة الجو والبر والبحر منفذة حوالي ١٣٠٠ إغارة ومطلقة ما يقارب ٣٠ ألف قذيفة، واضعة جملة أهداف لحملتها العسكرية أبرزها تدمير المقاومة الإسلامية وشطب حضورها من المعادلة العسكرية والسياسية، فرض الأمن على الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، إلزام لبنان بتسوية سياسية منفصلة عن المفاوضات مع سورية.

أخذت أهداف العملية الإسرائيلية تتضح من خلال الأسلوب التدميري الذي انتهجه الجيش الإسرائيلي والتوظيفات الأمنية والسياسية التي بدأ المسؤولون الإسرائيليون يحاولون تأكيدها، فوزير الحرب رئيس الوزراء إسحاق رابين أعلن ((إن الهدف أحداث موجة نزوح للسكان باتجاه بيروت لإيصال رسالةَ للضغط على الحكومة)) وأن ((أي مشاكل بين لبنان وإسرائيل تسوى على طاولة المفاوضات)) وتوقع من الحكومة اللبنانية والذين يساعدونها ((السيطرة على حزب الله)) وحثها على ((منع إطلاق الكاتيوشا)). أما رئيس الأركان إيهود باراك فكان أوضح عندما قال ((إن على الحكومة اللبنانية نزع سلاح حزب الله حتى لا تفعل إسرائيل ذلك))، بينما ذهب وزير الخارجية شمعون بيريز إلى أبعد من ذلك عندما أعلن أن الجيش الإسرائيلي ((لن يسمح لحزب الله بالعودة إلى مواقعه في جنوب لبنان)). وبدا بقية المسؤولين الإسرائيليين واثقين من القدرة على تحقيق هذه الأهداف، وأمنياً بوقف عمليات المقاومة ونزع سلاحها، وسياسياً بالتوصل إلى معاهدة سلام مع لبنان بعد تأمين هذه الشروط، وإلا استمرار الحرب التي استخدم فيها الإسرائيليون ضغوطاً إعلامية ونفسية عبر تسريبات عن تدمير القرى ومواصلة أعمال القصف وصولاً إلى بيروت.

كان الرد على هذه الشروط والأجواء التي أشاعها الإسرائيليون مزيداً من الصواريخ على المستوطنات وتأكيدات متكررة من قيادات المقاومة بأن العمليات والهجمات مستمرة وقصف الصواريخ لن يتوقف ما دامت قرى الجنوب تتعرض للهجوم. أما في بيروت فبقيت الأمور هادئة، إذا انشغل النازحون بكيفية ترتيب أمورهم وتكيفهم مع الوضع الجديد بعدما وجدوا احتضاناً واسعاً، وتحرك حزب الله سياسياً لتأمين التفاف وطني حول المقاومة وحاول تنسيق خطواته مع الحكومة اللبنانية التي كانت تعمل باتجاهين ؛ واحد مع المقاومة وقيادتها، وآخر مع الإدارة الأميركية عبر

وزير الخارجية وارن كريستوفر وطروحاته المتعلقة باتخاذ إجراء لوقف إطلاق النار، مع تعهدات بنشر الجيش حتى تخوم المنطقة الحدودية.

لم يكن النزوح من طرف واحد فقط، فالإسرائيليون ذاقوا طعمه أيضاً عندما اضطر نصف مستوطني الشمال إلى الهرب نحو العمق بعد تواصل الرد بالكاتيوشا وإحداثه جدلاً داخلياً إسرائيلياً حول أهداف العملية العسكرية ونتائجها، والتورط مجدداً في لبنان بما يعنيه من خسائر يومية ومآزق سياسية. وهو ما ترجمته اللهجة الإسرائيلية الآخذة بالتراجع وبدأت الأهداف تتقلص في اليومين الأخيرين وتتركز على وقف القصف بالكاتيوشا، والبحث عن مخرج بعدما كادت الأمور تخرج عن السيطرة وتنقلب كلياً لمصلحة لبنان، والانقلاب هنا كان بمعناه السياسي والعسكري إذ سمح الأداء الميداني للمقاومة بتحصين الموقف السياسي في مواجهة الضغوط الإسرائيلية. لقد استلزم الأمر تغييراً في التوجهات السياسية الإسرائيلية وفي الأهداف المعلنة للحرب لاستعجال إيجاد المخرج للمأزق، فتحركت الدبلوماسية الأميركية بطلب مباشر من الحكومة الإسرائيلية بعدما اكتفت الولايات المتحدة طيلة ستة أيام بإصدار مواقف وبيانات تدين الهجمات على الإسرائيليين وتحمّل حزب اللّه وإيران المسؤولية، وتدعوا إلى وقف العنف وضبط النفس.

التفاهم

مهدت الإدارة الأميركية لتدخلها بموقف دعا ((إسرائيل)) إلى وقف هجماتها على المدنيين، وأجرى كريستوفر اتصالات برئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري ووزير الخارجية السورية فاروق الشرع وسربت مصادر رسمية لبنانية شقاً من مضمون الإتصال بين كريستوفر والحريري ويتضمن اتفاقاً لوقف النار، إلا أن الشق الآخر بقي طي الكتمان وهو ((تأييد الأميركيين لانتشار الجيش في منطقة عمل قوات الطوارئ الدولية)) وتأمين موافقة الأمم المتحدة على ذلك بعد رفض استمر طيلة خمسة عشر عاماً.

جميع الأنظار توجهت إلى دمشق، فإليها حضر وزير الخارجية الإيرانية د. علي أكبر ولايتي لتأكيد الدعم الإيراني وللمشاركة في أي بحث حول الوضع اللبناني ولإظهار مساندة قوية لسورية، الحليف الإستراتيجي لإيران، ووفد من قيادة حزب اللّه، وبدأ فيها أيضاً اجتماع لوزراء الخارجية العرب. وعلى الخط كان الأميركيون، ممثلين بكريستوفر، ينقلون وجهة النظر الإسرائيلية. صار الجميع في العاصمة السورية، والهدف البحث عن المخرج، فالسوريون لهم رأيهم الأساسي، لقد أمنوا

تغطية سياسية لعمل المقاومة ورفضوا الخضوع للضغوط الأميركية، وهيؤوا مناخاً رسمياً لبنانياً متعاطفاً مع المقاومة بما حفظ الوضع الداخلي اللبناني ومنع الضغوط العسكرية الإسرائيلية من إحداث تأثيرات عليه.

سأل السوريون وفد حزب الله عن مطالبه لوقف القصف على المستوطنات، كانت هناك جملة أفكار تناقش لدى قيادة حزب الله التي شعرت بان الإسرائيليين في مأزق ويمكن فرض شروط عليهم أو تكبيل حركتهم في لبنان، من هذه الأفكار منع تحليق الطائرات الحربية الإسرائيلية فوق لبنان، عدم إطلاق القذائف خارج المنطقة الحدودية لكن الرأي استقر أخيراً على تحديد مطلب واحد: وقف قصف الكاتيوشا يجب أن يسبقه وقف تام لكل الهجمات الإسرائيلية على المدنيين في لبنان.

وجد المسؤولون السوريون ومعهم ولايتي هذا الطرح مقبولاً ويمكن تحقيقه لانه يعني تحييد المدنيين اللبنانيين وإعطاء حق للمقاومة بأن تقوم بالعمليات داخل المنطقة المحتلة ويجعل بيدها ورقة قوية، أي الرد في حال استهداف المدنيين. كانت الدبلوماسية السورية نشطة لانتزاع إقرار أميركي غير مباشر بحق المقاومة في تحرير الأرض، وذلك بالعمل على تبني مطلب المقاومة، أي امتناع ((إسرائيل)) عن قصف المدنيين مقابل تحييد المستوطنات من دون الإشارة إلى العمليات في المنطقة المحتلة التي يعني السكوت عليها موافقة ضمنية، أو على الأقل أنها خارج الشروط.

نقل الشرع إلى كريستوفر النتيجة النهائية لما تقرر. كان الإسرائيليون ميالين للقبول بذلك فالخيارات محدودة وليس في يدهم وسيلة إخرى، وهم يحضرون مع حلفائهم الأميركيين لخطوة أخرى تحقق الهدف بصورة غير مباشرة وبعيداً عن أعْين السوريين: ترتيبات أمنية توافق عليها الجانبان الأميركي واللبناني وبعلم الإسرائيلين، تقضي باستلام الجيش اللبناني زمام الأمن على مشارف المنطقة المحتلة وتحمله مسؤولية أي نشاط عسكري في تلك البقعة.

باتت الصيغة غير المكتوبة جاهزة لإعلان وقف إطلاق النار ويلتزم فيه الطرفان في وقت واحد، الساعة السادسة من مساء يوم ٣١ تموز ١٩٩٣ بعد سبعة أيام من الهجوم الناري الإسرائيلي والرد المقابل للمقاومة تلك الصيغة الشفهية لم تتضمن أي آلية محددة لتنفيذ التفاهم بما في ذلك قناة متابعة أو سلطة مراقبة.

لكن قبيل السادسة مساءً نفذ الإسرائيليون إغارات على الناعمة، وبعدها بلحظات أطلقت دفعة جديدة من الكاتيوشا على المستوطنات لتكون الطلقة الأخيرة وتصمت المدافع ويتوقف هدير الطائرات، وينام الجنوب ليلة هادئة، بينما في بيروت كانت الأمور حامية على وقع قرارات يجري تحضيرها انسجاماً مع ما تم الاتفاق عليه مع الجانب الأميركي.

شرك لم يكتمل

في الأول من آب اجتمع مجلس الوزراء استثنائياً واتخذ قراراً مفاجئاً: نشر الجيش في منطقة عمليات القوات الدولية. وشُكّلت لجنة خاصة برئاسة الحريري وعضوية وزيري الدفاع محسن دلول والخارجية فارس بويز لإجراء الاتصالات اللازمة بشأن تنفيذ القرار. وافقت الأمم المتحدة في اليوم نفسه من دون تحفظ برغم رفضها الدائم السابق لأي مشاركة لها في سلطتها الأمنية، وصدرت مواقف مرحبة من الولايات المتحدة و ((إسرائيل)). وفي اليوم الثاني اجتمع مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رئيس الجمهورية إلياس الهراوي وقرر وقف العمل بتراخيص حمل السلاح ونقله، من دون العودة إلى وزارة الدفاع المخولة صلاحية إعطاء مثل هذه التراخيص أو تعطيل مفعولها.

انتابت حزب الله الشكوك من سرعة إجراءات الحكومة والتصريحات الحادة التي رافقت القرار، والتشديد على منع الفتنة والفوضى وفرض الأمن ومنع حمل الأسلحة، برغم انشغال الناس بلملمة جراحاتهم في قرى الجنوب والبقاع الغربي ورفع الأنقاض واهتمام عناصر المقاومة بمساعدة الأهالي وفتح الطرق، لكن الحزب فضل عدم فتح سجال داخلي والإسراع إلى إجراء الاتصالات السياسية اللازمة. لم يعترض حزب الله علناً على قرار نشر الجيش، بل أعلن على لسان أمينه العام السيد حسن نصر الله أنه ((إذا كان البعض يريد للجيش أن ينتشر فليفتش عن عنوان غير الفتنة لأنه ليس هناك فتنة)). وعاد وأعلن في إشارة إلى موضوع انتشار الجيش ((إن هناك معلومات متداولة إذا صحت يمكن أن ينتج عنها فضيحة سياسية بمستوى الخيانة))

لم يكن بوسع حزب الله الانتظار كثيراً، فأرسل أحد قيادييه، الحاج حسين الخليل إلى دمشق لمتابعة الموقف، وكانت المفاجأة أن المسؤولين السوريين سمعوا بنبأ القرار من وسائل الإعلام ولم يكن منسقاً معهم بقدر ما كان منسقاً مع الأميركيين. ناقش حزب الله بإسهاب الأمر مع المسؤولين السوريين وما يجره القرار من مخاطر على لبنان ومساهمته في تهديد الوضع الداخلي الذي تمكنت المقاومة من فرض تماسكه ووحدته، وأنه يؤدي بالتالي إلى تأمين الشروط الإسرائيلية لأنه في أحسن الاحتمالات يساعد في تقوية عناصر الاحتكاك بين المقاومة والجيش ليعطل دورهما معاً، خاصة أن قرار الحكومة واضح في تحديد مهمات الجيش بعناوين غير موجودة أصلاً كمنع الفتنة والفوضى. كانت هذه الأمور واضحة في دمشق لأنه لو لم تكن هناك ريبة في القرار فلماذا أخفي عن سورية التي يناقش معها المسؤولون اللبنانيون أدق التفاصيل، فكيف بموضوع بهذا المستوى الذي يتناول قضية حساسة لها علاقة

بالمقاومة والجنوب، وبالمفاوضات المفترض أنها مترابطة ومنسقة على أبعد الحدود.

رن جرس الهاتف في قصر بعبدا، وكان المطلوب رئيس الجمهورية، فعلى الخط الرئيس السوري حافظ الأسد الذي قاوم بشدة الضغوط الأميركية والإسرائيلية ورفض تقديم أي تنازل في موضوع المقاومة، وكان موضوع الحديث الجنوب والمقاومة والقرارات المتعلقة بهما. فهم الهراوي أن سورية منزعجة ومن أعلى سلطة فيها، وكان الجواب نحن مع كل ما يحفظ التنسيق والترابط والمقاومة، وبدأ التفتيش عن المخرج، وأخذ كل رئيس يتنصل من المسؤولية ويلقي التبعة على طرف آخر، وحاولت قيادة الجيش وضع حد للجدال والتسريبات والمواقف التي تناولت الدور المرتقب للجيش في الجنوب وعلاقته بالمقاومة في بيان أعلنت فيه ((أنه تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء.. قامت قوة من الجيش اللبناني بالتمركز في مواقع التجمع المحددة لها قرب قانا وجويا ودردغيا وبئر السلاسل لتأمين جاهزية متحركة تنفيذاً لمهمة دعم صمود أهالي الجنوب في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية والحؤول دون أي إشكالات داخل القرى، إن طبيعة الانتشار تأخذ في الاعتبار المهمة الواردة أعلاه فقط وأنه لا صحة لأي أخبار متداولة عن كون هذا الانتشار موجهاُ ضد أحد وتحديداً ضد مقاومة الاحتلال التي تبقى حقاً طبيعياً للمواطنين حتى زواله))

كانت خطة كريستوفر تهدف إلى تأمين شريط أمني يمتد من شرق صيدا حتى ساحل البحر بالقرب من صور تتمركز فيه وحدات من الجيش اللبناني وتفرض فيه سلطتها العسكرية فتمنع أي حركة مسلحة، وهي خطة وضعها مسؤولون إسرائيليون وطالبوا بتنفيذها مراراً تحت عنوان ((فترة اختبار يثبت خلالها الجيش اللبناني قدرته على منع عمليات المقاومة)).

أبلغ كريستوفر هاتفياً رئيس الحكومة رفيق الحريري بالخطوط العامة للمشروع الأميركي قبل أن يحط في زحلة التي وافاه إليها الرؤساء الثلاثة إلياس الهراوي، نبيه بري والحريري. وكان محور الحديث الوضع في الجنوب والقرار بنشر الجيش في منطقة عمل الطوارئ. ولكن مع ظهور الاستياء السوري، أخذت لهجة المسؤولين اللبنانيين بالتبدل، فرئيس المجلس النيابي أعلن ((أن هذه الخطوة (الانتشار) لي شرف المشاركة فيها، وألّا خوف على المقاومة ولا على الجيش)). بينما رئيس الحكومة رفض نزع سلاح حزب الله ((لأن ذلك يؤدي إلى اندلاع حرب أهلية جديدة)).

انقلبت السياسة اللبنانية مرة جديدة على نفسها، والقرار الذي أشاد بأهميته وضرورته ووطنيته الرؤساء والوزراء، تحول إلى لعنة تلاحق أصحابه الذين فتشوا عن الكلمات التي تخرجهم من مضمونه وتلقي بهم خارج الاتهام بالتواطؤ مع الولايات

المتحدة ضد المقاومة. تراخيص السلاح عادت إلى مفعولها بعدما أثيرت صلاحية مجلس الدفاع الأعلى في تعطيل قانونيتها المناطة بوزارة الدفاع. أما الجيش فتمركز في نقاط محددة، وانسحب المشيدون بالقرار ليطالبوا بدعم المقاومة واستمرارها.

انكشف الوضع السياسي على ازدواجية واضحة بين الرغبات الحقيقية بإغلاق الجبهة الجنوبية والتحول إلى المفاوضة مع إسرائيل)) بوضع أمني هادئ، وبين الترابط القوي مع سورية التي تدخلت الأخيرة لإعادة الأمور إلى نصابها ومنع الإسرائيليين من استثمار هجومها الجوي انتصاراً سياسياً يحقق واحداً من أهم أهدافها: وقف المقاومة في لبنان.

وفي المقابل كان حزب الله يتحرك على خط آخر باتجاه أهالي القرى المدمرة أو المصابة ليجدوا أن عناصر الحزب سبقوهم إليها وبادروا إلى ترميمها ضمن خطة ((الترميم وإعادة الإعمار)) التي باشرها في الجنوب.

لمس الأهالي الذين صمدوا في قراهم مدى الرعاية التي قدمتها عناصر المقاومة بعد تحولهم من القتال إلى فرق عمل إنسانية تجلب المؤن والأدوية وتنقل المصابين وتساعد الأهلين، وحينما عاد النازحون وجدوا تلك العناصر وقد وضعت سلاحها جانباً وتحمل أدوات التعمير وتباشر بإزالة الركام وإصلاح الأضرار وفتح الطرق وتأمين المساكن والأدوات المنزلية والمؤن للعائدين.

شرع حزب الله في أعمال الترميم مباشرة عبر مؤسسة ((جهاد البناء)) التي استقطبت العمال والمهندسين والإداريين من داخل القرى الجنوبية لتشغيل اليد العاملة الجنوبية والمساهمة بطريقة غير مباشرة في إعانة الأهالي في ورشة ضخمة وسريعة، رداً على محاولة الفصل بين الأهالي والمقاومة التي سعت إليها ((إسرائيل)). أما البيوت المدمرة كلياً فحصل أصحابها على تقديمات مالية تساعدهم في إعادة إعمارها، وانهمك الجميع في ورشة الإعمار التي خففت من آلامهم ومعاناتهم وحالت بين الأهداف الإسرائيلية المبتغاة والوصول إلى نتائج.

لقد استوعب حزب الله الهجوم عسكرياً وسياسياً، وتمكن أيضاً من استيعابه مادياً فتحولت الأموال بسرعة لدعم الإعمار، وتحركت لجان الهيئات الشعبية لجمع الأموال وضخها نحو الجنوب، وفي الوقت ذاته من الإمام السيد علي الخامنئي يدعو إلى فتح حساب خاص في إيران لدعم أهالي الجنوب والبقاع الغربي.

لمس المواطنون جدية ومصداقية في العمل، فلم تذهب المساعدات إلى جيوب المسؤولين والمحسوبيات، فعناصر حزب الله يباشرون العمل بأنفسهم، لا يقدمون حصصاً ماليةً صغيرة وإنما يقومون بأعمال الترميم والبناء مباشرة. عادت الحياة إلى

طبيعتها بسرعة إلى القرى الجنوبية، وانشغل الناس مرة جديدة في همومهم اليومية فيما كانت بيروت غارقة في لملمة العودة عن القرار السياسي بنشر الجيش في منطقة الطوارئ وتنتظر المساعدات التي قررها وزراء الخارجية العرب خلال انعقاد مؤتمرهم في دمشق.

سكتت المدافع في الجنوب، وتوقف هدير الطائرات التي قصفت القرى والبلدات مساء ٣١ تموز، وبدأ هدير آخر يصدر صاخباً لتحليل الموقف ورصد النتائج السياسية والعسكرية والتوظيفات الممكنة لهذه الحرب التي دامت سبعة أيام بلياليها كان هناك اتجاه أحادي في البداية يضع الحصيلة النهائية في المصلحة الإسرائيلية معتمداً على ترويج مكثف مارسته الدعاية الإسرائيلية حول إمكانية استئناف المفاوضات والتعجيل بها بعد إزاحة عقبة أساسية رافضة يمثلها حزب اللّه، فضلاً عن تفسير من طرف واحد لما آلت إليه الأمور فيما عرف بتفاهم تموز الذي أوحى الإسرائيليون بداية أنه يضع حداً لأعمال المقاومة ويفرض عليها قيوداً مشددة تلغي تأثيراتها وحرية حركتها.

كان الإسرائيليون يحاولون إعطاء تفسيرات خاصة تعوض ولو كلامياً ما عجزوا عن تحقيقه فعلاً، أي نزع سلاح حزب اللّه ووقف عملياته، مستفيدين من مناخ سياسي لبناني كانت له حسابات خاصة، حاول إلقاء جزء من اللوم على المقاومة وأدائها لاستخدامها الكاتيوشا ضد المستوطنات الشمالية، وبدأت تظهر مواقف سياسية وتحليلات إعلامية تتناول مصير المقاومة ودروها بعد تفاهم تموز، وما استطاع الإسرائيليون تحقيقه، والظروف السياسية التي بدأت تفرض أجواء جديدة على لبنان والمنطقة.

وبموازاة ذلك كان حزب اللّه منهمكاً في كيفية مساهمته في التخفيف من الآثار الاجتماعية للحرب، بينما مسؤولو المقاومة يعكفون على دراسة المرحلة المقبلة والاستفادة من هذه التجربة والاستمرار في نشاطاتهم العسكرية التي لم يوقفوها في ذروة الهجوم الناري الإسرائيلي. لقد ساد اعتقاد كبير لدى هؤلاء المسؤولين بأن المواقف السياسية لن تجدي في قلب المناخ الإعلامي والسياسي، وأن العمليات الكبيرة وحدها توضح الأمور وتضعها في سياقها الطبيعي وتوقف تلك التكهنات التي ارتفعت وتيرتها وبدأ البعض يحاول توظيفها لبنانياً.

وفي ١٩ آب أي بعد عشرين يوماً على انتهاء حرب الأيام السبعة، كانت دورية مشاة إسرائيلية تمر في حراج بلدة شيحين عندما وقعت في فخ نصبه رجال المقاومة الذين كانوا ينتظرون الدورية العائدة من مهمتها باسترخاء. وفي لحظة تجمع الجنود

تم تفجير عبوة ناسفة فقتل على الفور عشرة جنود اعترف الإسرائيليون بثمانية منهم. وبقيت المدافع الإسرائيلية صامتة، وظلت القرى الجنوبية هادئة، بينما عبرت الطائرات الإسرائيلية نحو البقاع لتغير على مواقع سابقة مهجورة، وجاء الرد سريعاً: عبوة ناسفة في شيحين أيضاً قتلت جندياً إسرائيلياً، تسعة جنود إسرائيليون قتلوا في يوم واحد مع خمسة جرحى حسب البيانات الإسرائيلية. إنها واحدة من أقسى الضربات منذ سنوات. ومرة أخرى انقلبت المواقف والرؤى والتحليلات، وتغيرت اللهجة السياسية في لبنان و ((إسرائيل)) على حد سواء، ووضع الإطار لتفاهم تموز وحدوده.

تسعة جنود يقتلون والقرى الجنوبية هادئة، والناس الذين تخوفوا صباحاً تأكدوا مساء من أن الجيش الإسرائيلي بات مكبلاً غير قادر على الرد على المدنيين. كانت العملية المؤشر الواضح على المرحلة المقبلة وما أفضى إليه تفاهم الكاتيوشا: رقعة القتال محصورة في البقعة الجغرافية المحتلة ولا مجال لتوسيعها حيث أدرك الإسرائيليون أن ما حاولوا فرضه أو تفسيره انتهى في ضربة شيحين، وأن عليهم استخدام خطاب جديد يدعو إلى التكيف مع الأمر الواقع والأخذ بتفسير الطرف الآخر، لذلك سارعوا إلى الاعتراف بأن التفاهم لا يمس وأن هناك حرب استنزاف في جنوب لبنان عليهم التكيف معها.

حرب نيسان

إرهاصات أولية

حين أعلن نبأ اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في تشرين الثاني من العام ١٩٩٥، خرج أنصار حزب الله في الضاحية الجنوبية إلى الشوارع ليعبروا عن سرورهم وابتهاجهم باغتيال أول رئيس حكومة إسرائيلية، حتى قبل أن تعلن هوية القاتل، بينما في القرى الأمامية المتاخمة للمنطقة الحدودية التي يحتلها الإسرائيليون أطلق الرصاص والأسهم النارية فوق المواقع الإسرائيلية للدلالة على حجم المشاركة في الابتهاج.

لتلك البهجة العفوية أسبابها المتصلة بحالة العداء ((لإسرائيل)) برموزها وأدواتها، وإن جاءت بعد موجة حزن وأسى أصابت الحزب إثر اغتيال الاستخبارات الإسرائيلية لحليف فلسطيني إسلامي هو الدكتور فتحي الشقاقي، الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، أكثر الفلسطينيين التصاقا بحزب الله.

مثلت تلك الفرحة أحد تعبيرات الانفراج النفسي لإزاحة شخصية إسرائيلية رئيسية لديها القدرة على قيادة ((إسرائيل)) نحو التسوية مع العرب التي تشكل بالنسبة للمقاومة تحدياً جوهرياً، فهي تعني إغلاق ملف الصراع العربي الإسرائيلي والسماح بتطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية، وبالتالي إسقاط المشروع الإستراتيجي للمقاومة الهادف إلى استنهاض العرب والمسلمين لمقاومة الاحتلال وإبقاء القضية الأم حية، إضافة إلى حسابات أخرى مع رابين لها علاقة بالحرب التي شنها ضد المقاومة في تموز ١٩٩٣، فضلا عن كونه الرأس الحاكم للعدو اللدود للحزب.

كانت عين المقاومة على الجنوب وما يمكن أن يحدث على أرضه في ظل استلام شيمعون بيريز لرئاسة الحكومة، وعينها الأخرى على المفاوضات وما يمكن أن يقدم عليه بيريز على المسارين السوري واللبناني مستفيدا من الجو العاطفي الذي أثاره مقتل رابين ليحقق مشروعه (الشرق الأوسط الجديد)، سالكاً بذلك طرقاً شتى منها دفع الإسرائيليين إلى تبني طروحاته السياسية التي اخذت تتقدم نحو تسوية ما مع سورية، وإصدار إشارات واضحة بإمكانية الانسحاب من الجولان أو إعطاء تسهيلات أكبر للفلسطينيين، وهو ما كان يلقي بظلاله على حزب الله وعلى أهدافه المرحلية وأهمها إعاقة مشروع التسوية الأميركية ودفعة نحو مزيد من التأزم

وفي موازاة هذا المسعى حاول رئيس الحكومة الإسرائيلية تبديد الصورة التي رسمت حول شخصيته العسكرية باعتباره أول ئيس للوزراء لا يحمل تاريخاً عسكرياً، وليس له تأثيرات قوية على الجيش، فبدأ تنفيذ خطوات مباشرة ضد المقاومين ((الإسرائيل)) وأولاها اغتيال القائد الفلسطيني يحيى عياش المسؤول عن مجموعة الاستشهاديين في حركة المقاومة الاسلامية ((حماس)) الذي فجر اغتياله موجة غضب عارمة كانت ترجمتها سلسلة من العمليات هزت ((إسرائيل)) ومعها الولايات المتحدة الامريكية. ففي غضون أيام كانت ((حماس)) ترسل استشهادييها الواحد تلو الآخر لتفجير انفسهم وسط الإسرائيليين في تل أبيب والقدس، مخلفة حالة من فقدان الثقة بالأمن وبالحكومة وعلى رأسها بيريز ومن ورائه حلفاؤه الأميركيون.

لقيت هذه العمليات صداها سريعا في لبنان، فاعتبرتها المقاومة تكملة لمسيرتها الطويلة في الصراع مع الإسرائيليين، ومحطة مهمة يمكن أن تعيق مشروع الحكم الذاتي لما سيترتب عليها من ردة فعل إسرائيلية تخفف من اندفاعة بيريز نحو التسوية وتظهر هشاشة اتفاقاته مع السلطة الفلسطينية. الأهم في ذلك كله أن هذه العمليات تفقد ثقة الجيش ببيريز،وتثمر اهتزازاً في وضعه السياسي، لطالما حاولت المقاومة خلال هذه الفترة تنفيذ هجمات نوعية على الجيش الإسرائيلي لتكبيده خسائر

في الأرواح،لكنها كانت تصطدم بعقبات ميدانية، فإذا بالعمليات تنجح في الداخل الإسرائيلي، وتدفع بالولايات المتحدة إلى استنفار العالم لخدمة حليفها بترتيب سريع لعقد قمة ((شرم الشيخ))، التي حظي فيها الإسرائيليون بغطاء دولي ((لشن هجمات على أعدائهم))، بدءاً من غزة على يد شرطة عرفات، والضفة الغربية على يد الجيش الإسرائيلي حيث فككت مؤسسات((حماس)) و((الجهاد الإسلامي)) وزج بأنصارهما في السجون.

هدأت في فلسطين، فتصاعدت وتيرة المواجهات في الجنوب مع زج بيريز اسم إيران في حملته الانتخابية، عندما بدأ يتهمها بالضغط على حزب الله و((حماس)) لتنفيذ هجمات بهدف اسقاط حكومته، كإشارة واضحة إلى أن الهجمات تؤدي إلى اسقاطه، وهو ما التقطه حزب الله بسرعة وأخذ ينسق الخطوات مع الجانب الفلسطيني لتكثيف العمليات، لكن الحملة الواسعة التي نفذها الإسرائيليون وسلطة الحكم الذاتي برئاسة ياسر عرفات حاصرت ((حماس)) و((الجهاد)) وجعلتهما تفكران في كيفية إعادة تنظيم صفوفهما وهو ما أعاق إمكانية شن هجمات مؤلمة ونوعية.

كان خطأ بيريز كشفه لنقاط ضعفه علناً، أي تأثر وضعه الانتخابي بوضعه الأمني، وهدفه من ذلك قلب المعادلة، أي ضد الفلسطينين وباشر الإعداد السياسي لاستكماله بشن الحرب ضد اللبنانيين.

الحرب

مع بداية نيسان كان الجيش الإسرائيلي يتلقى بضع ضربات توقع في صفوفه اصابات، بينما كانت الميليشيا المتعاملة معه تواجه وضعاً صعباً دفع الجيش الإسرائيلي إلى استبعادها عن المواقع الأمامية ونشر جنوده في داخلها ليصبح في مواجهة مباشرة مع المقاومة وهو مازاد من خسائره البشرية فارتد ذلك تأثراً داخلياً على وضعية بيريز الانتخابية. وفي المقابل كان مسؤولو المقاومة الميدانيون يخططون لعملياتهم العسكرية بعيداً عن الحسابات المتعلقة بالانتخابات الإسرائيلية، لكن نتائجها المباشرة كانت تنعكس بوضوح في((إسرائيل)) على شعبية بيريز التي عادت إلى التدني بعد انتهاء مفاعيل قمة ((شرم الشيخ)).

أخذت وتيرة الأحداث بالتصاعد بسرعة، المدفعية الإسرائيلية تقصف بصورة مفاجئة (مجموعة من العمال في بلدة ياطر) فيسقط منهم قتلى وجرحى، يسارع حزب الله إلى التأكيد أن المقاومة سترد وأن على المستوطنين البقاء في الملاجئ،

تستنفر الديبلوماسية الأمريكية لمنع رد المقاومة. لكن القرار نفذ بسرعة، تساقطت الكاتيوشيا على الجليل، وتساقطت معها الأزمات على وضع بيريز الداخلي مع استخدام المعارضة للوضع في لبنان مادةً رئيسية في حملتها التي تصاعدت وتيرتهامع تصاعد التوتر في الجنوب بعد زرع الإسرائيليين عبوة قتلت فتى جنوبياً ردت عليها المقاومة بقصف المستوطنات، موقعة هذه المرة خسائر بشرية وأضراراً مادية وأرفقت بهجوم على موقع القنطرة أوقع قتيلاً إسرائيلياً وجرحى.

لم يفسح حزب الله المجال أمام الإسرائيليين لالتقاط الأنفاس، لأن قيادته كانت تنظر إلى الامر من زاوية تثبيت تفاهم تموز ومنع الجانب الإسرائيلي من تحقيق أهداف سياسية على حساب الجنوبيين، حتى أن قيادة الحزب أعطت الأوامر بالرد قبل أن ترد على أي اتصال هاتفي، أو استفسارات حول توجهاتها العسكرية لاعتقادها بأن الانتظار سيفتح الباب أمام تدخلات سياسية، وبالتالي تكريس قواعد جديدة للمواجهة يصبح فيها المدنيون عرضة للهجمات الإسرائيلية.

كان اتجاه الأحداث يوحي بأن الانفجار قريب. تعطلت اللغة الديبلوماسية، ولجأ الإسرائيليون مرة أخرى إلى آلتهم العسكرية لتحقيق أهدافهم، وهذه المرة بضربة منتقاة لتدمير البنية القيادية للمقاومة قبل المبادرة بتوجيه الهجمات ضد المناطق التي ينتشر فيها المقاومون، فاختارت الاستخبارات الإسرائيلية أهدافها في الضاحية الجنوبية وانتقتها في مناطق حساسة لإحداث صدمة قوية من الضربة الأولى تشل نشاط المقاومة وتسهل بالتالي استكمال تنفيذ بقية الخطة العسكرية. اعتقد الإسرائيليون أنهم يوجهون ضرباتهم إلى مراكز قيادية يؤدي تدميرها وإصابة من بداخلها إلى تعطيل أجهزة المقاومة، وهو ما يساهم في تحقيق الانتصار بسرعة قياسية، خاصة إذا اقترن توجيه مثل هذه الضربة بإطلاق يد سلاح الجو في الجنوب، وهو ما أقدم عليه الإسرائيليون بشكل سريع.

قبيل ظهر يوم الخميس ١١ نيسان ١٩٩٦ كان الناس يتراكضون في ((حي الشورى)) في حارة حريك على وقع أصوات انفجارات لم يعرفوا سببها في البداية، قبل أن يعلن أن الطائرات المروحية الإسرائيلية قصفت شقة قرب مقر الشورى بعدما صنفتها القيادة الإسرائيلية كمركز رئيسي لتوجيه الأنشطة العسكرية ضد الجيش الإسرائيلي والميليشيا التابعة له. لم يكن أحد في تلك الشقة عند قصفها. لقد تم تبديل جميع المراكز المعروفة واستعيض عنها بمراكز أكثر سرية غير معروفة إلا لعدد قليل، بل للذين سيشغلونها فقط، واستبق الإسرائيليون هذا القصف بهجمات جوية وبرية على المناطق الجنوبية، وبغارة على تلة خالية في بعلبك. كان كل شيء جاهزاً في

بيروت والجنوب والبقاع، لقد ساد التوتر طويلاً على جانبي الحدود وأطلقت تهديدات متواصلة من الجانب الإسرائيلي بشن هجوم واسع على لبنان لم تعد الحرب خاطفة، وغاب عنصر المفاجأة،فالتحضيرات سبقت الضربة العسكرية، ما سهل استيعابها بسرعة. وكانت الكاتيوشا حاضرة هذه المرة بكثافة ودقة أفضل من حرب تموز، وهو ما ساعد على إثارة أجواء من الخوف والرعب لدى سكان المستوطنات الشمالية وبالتالي فرض حالة من التوازن مقارنة بين قوة النار لدى كل من الجانبين.

لم تحقق الضربات الإسرائيلية الأولى أهدافاً مباشرة، فلم تسقط إصابات في صفوف المقاتلين، ولم يتمكن سلاح الطيران من تدمير منصات الكاتيوشا التي لاحقها ليلاً ونهاراً مستعيناً بأحدث تقنيات التجسس والرصد، فالاحتياطات التي اتخذتها المقاومة كانت كفيلة بحماية عناصرها وسلاحها بعدما استفادت كثيراً من تجربة تموز حينما درست كل الثغرات ووضعت حلولاً لها على يد لجنة قيادية استمرت في عملها شهوراً طويلة، أعدت خلالها خطط الطوارئ لخوض حرب متواصلة.

كان على القيادات الميدانية للمقاومة أن تعمل على خطوط عدة، منها استمرار الرد بالكاتيوشا على المستوطنات، تنفيذ هجمات على مواقع الاحتلال، التأهب لمواجهة أي تقدم بري، تأمين أفضل سبل الحماية لقوة الإسناد الناري التي تتولى القصف بالصواريخ، والعمل الدؤوب على دعم السكان الصامدين بما يساعدهم على البقاء، وبالتالي تفويت فرصة على الإسرائيليين لفرض معادلة الأرض المحروقة الخالية من السكان. فضلاً عن هذه المهمات كان على المقاتلين المنتشرين في القرى الأمامية رصد تحركات الوحدات الخاصة الإسرائيلية التي تتولى تنفيذ عمليات إغارة على المنازل أو محاور القتال لاستهداف عناصر المقاومة خاصة بعد قيام الجنود الإسرائيليين بسلسلة محاولات واصطدامهم بكمائن متنقلة للمقاومة.

المجــازر

اتسم الهجوم العسكري في أيامه الأولى بضراوة القصف وشموليته بحيث غطى بيروت والبقاع والجنوب والجبل. ومع مرورالوقت صار أكثر استهدافاً للمدنيين متبعاً أسلوب القتل الجماعي لإجبار السكان على مغادرة مناطقهم، فبانت الصور الأولى من خلال سيارة الإسعاف المصابة بصاروخ من طائرة لاحقتها وهي هاربة بعائلة أغلبها من الأطفال، فحول مشهد الأب وهويحمل طفلته المقطعة، ورأس الأخرى المتدلي من نافذة السيارة، صور الحرب عما أراده الجانب الإسرائيلي من خلال ما كان يروج

له إعلامياً على طريقة حرب الخليج الثانية كما في بث مشاهد ((القصف الدقيق)) في الضاحية، وعقد المؤتمرات الصحافية للقادة العسكريين لشرح يوميات الحرب. فأظهرت تلك الصور المأساوية الحرب على حقيقتها، وهو ما أثار حملة خارجية مناهضة للحرب، من نتائجها ارتفاع الدعوات إلى تحرك دولي، في موازاة تماسك الوضع اللبناني ممزوجاً بمشاعر إنسانية وعاطفية تجاه الضحايا المدنيين الذين أججت صورهم الشعور بالحاجة إلى القيام بعمل ما وجده كثير من اللبنانيين بتقديم المساعدة للنازحين لشراء صواريخ الكاتيوشا.

بقي مشهد القتل الجماعي يلاحق الحركة السياسية والعسكرية، إلى أن حل الثامن عشر من نيسان حاملاً نهراً طافحاً بالدماء، بدأ سيلانه باكراً في النبطية الفوقا وانتهى عند المجزرة الكبرى في قانا، التي استثارت عواطف ومشاعر العالم ضد الحرب الإسرائيلية، فهي مذبحة منقولة بالمشاهد عبر شاشات التلفزة، ما مكن العالم من رؤية وقائع القتل الجماعي لمدنيين من أطفال ونساء وشيوخ، فروا من منازلهم إلى مركز لقوات الطوارئ الدولية اعتقاداً منهم بأن سبل الحماية تتأمن لهم تحت راية الأمم المتحدة، التي وجدت نفسها في موقع المسؤولية المباشرة، الإسرائيليون استهدفوا التجمع البشري لترويع السكان ودفعهم إلى الهرب نحو بيروت.

حاول الجيش الإسرائيلي في البداية التنصل من مسؤولية تعمد القصف أو على الأقل الإيحاء بأنه لم يكن على علم بوجود مدنيين، إلا أن التناقص في تصريحات وبيانات الجيش وضباطه أوقعت الإسرائيليين في مأزق إلى أن جاء تقرير الأمم المتحدة الذي حمل الجانب الإسرائيلي المسؤولية الكاملة عن المذبحة، وبالتالي بدد كل محاولاته للتهرب من تحمل النتائج.

كانت تناثر الجثث وتقطع أوصالها ومنظر الأطفال وهم مكدسون في أكياس بلاستيكية يثير الغضب والحزن والأسى، بعدما بلغت الحرب أفظع مراحلها في تلك الظهيرة الشهيرة حين تساقطت القذائق الإسرائيلية على اللحم الحي فحولته إلى برك للدماء وإلى مآس لآلاف العائلات التي راحت تفتش عن قريب بين بقايا الجثث المقطعة أو المشوهة.

ظلت آلة الحرب الإسرائيلية تعمل بوتيرة متسارعة، فيما كان المسعفون والأهالي يحاولون لملمة أشلاء الضحايا أو التفتيش عن أحياء نجوا من المذبحة. وعلى وقع تلك المشاهدة المروعة تصاعدت الدعوات إلى وقف إطلاق النار وإيجاد تسوية ما تمنع الاستمرار في سفك دماء المدنيين، إلا أن الجيش الإسرائيلي واصل عملياته العسكرية رافضاً الخضوع لأي من هذه النداءات التي تزامنت مع أنشطة شعبية في مختلف أنحاء

العالم قامت بها الجاليات العربية والإسلامية وهيئات ومنظمات شعبية، تندد بالمذبحة وتدعو إلى تأمين الحماية للمدنيين اللبنانيين.

لم تعد الحرب الإسرائيلية مكشوفة خارجياً فقط، بل أصبحت مكشوفة على المستوى الداخلي أيضاً، بعدما تبين أنها تتحرك ضد أهداف مدنية فقط تعجز ((إسرائيل)) عن تغطيتها لضخامة ما حدث في قانا، بحيث سقطت كل التبريرات السياسية والعسكرية التي حاولت حكومة شمعون بيريز أن تقيمها أو الاختباء خلفها، إلا أنها لم تلجم آلتها الحربية، بل حاولت باستمرار عمليتها العسكرية تغطية العجز مع فتح النوافذ أمام وساطات سياسية للخروج من المأزق.

حاول الإسرائيليون تجاوز مذبحة قانا، فقفزوا فوق أشلاء الجثث وأغمضوا أعينهم عن صور الأطفال الممزقين، ليواصلوا هجماتهم الجوية والبرية بعدما لمسوا أن التوقف عند ما حدث في قانا قد يسلبهم أي إنجاز سياسي يبحثون عنه. فالثمن السياسي الذي أراده بيريز هو تقوية شعبيته وصولاً إلى رئاسة الحكومة في الانتخابات، أما الثمن العسكري فهو تدمير البنية العسكرية للمقاومة ومنعها من إطلاق الكاتيوشا. ومن هذين الهدفين يطل على هدفه الأبرز، وهو فصل لبنان عن سورية وسوقه إلى معاهدة سلام منفردة.

كانت مذبحة قانا شاهداً حياً على وحشية الحرب الإسرائيلية التي تحولت إلى حرب شاملة على كل ما هو حي في الجنوب، الذي كان يلملم ضحاياه من بين ركام المنازل المدمرة أو السيارات المحترقة ويحاول البقاء صامداً في مواجهة العاصفة التي بدت وكأنها تهدد باقتلاعه إذا لم يخضع للشروط التي توالت على وقع الدم وأشلاء القتلى، وعذابات الجرحى، وصرخات المهجرين الذين حملهم رئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيريز مسؤولية ما حل بهم ((بإبداء دهشته لاستمرار وجود المدنيين ورفضهم مغادرة المنطقة)).

فتحت المجزرة في قانا العين الدولية على ما يحدث في لبنان، وتحركت دول عديدة بحثاً عن معالجة تضع حداً للحرب، ولكل دولة حساباتها الخاصة، منها من يريد استعادة الدور والمشاركة في السياسة من الباب الإنساني، أو الأمني، أما الولايات المتحدة الأميركية فكانت عينها على ((إسرائيل)) وكيفية إخراجها من ورطة الإدانات الدولية فدعا الرئيس الأميركي بيل كلينتون إلى وقف النار من دون أن يقرن دعوته بأي بنود أخرى للحل كعودة النازحين، وإلزام الجانب الإسرائيلي بعدم التعرض لهم، وهذا ما وجد فيه بيريز ضالته، فهو يسقط نهائياً تفاهم تموز، ويرسم قواعد جديدة للمواجهة يتحلل فيها الإسرائيليون من التزام عدم التعرض للمدنيين

ويعطي جيشهم حرية الحركة ضد المناطق المدنية.

وقف إطلاق النار بدون تفاهم، يعني تكريس أمر واقع جديد، عنوانه مجزرة قانا التي يمكن للإسرائيلين أن يكرروها في أماكن أخرى ما لم يكن هناك ما يلزمهم عدم التعرض للمدنيين، والقبول بهذه المعادلة على وقع المجزرة يعني الرضوخ للشروط الإسرائيلية، وهذا ما كان يحاول حزب الله إبعاد لبنان عنه، بمواصلته الهجمات بالصواريخ، وبالعمل على تعزيز صمود الجنوبيين إلى كتلة من الحقد والرفض و الكراهية وتوجيهها نحو الإسرائيليين، وهو ما يحقق هدفاً مهماً لحزب الله، يتمثل بتكتيل اللبنانيين خلف شعاراته في الاحتلال واعتباره عدواً للبنان.

وعلى وقع هذه السياسة التي اتبعها الحزب علت دعوات الانتقام والثأر وارتفعت الأصوات المطالبة بالاستمرار في المعركة ورفض تقديم أي تنازل، وهذا ما ساعد على تأجيج الحماسة اللبنانية والتضامن مع المقاومة، وهو ما وجده حزب الله فرصة تاريخية لتأكيد صوابيتها وضرورة تبنيها شعبياً ورسمياً، مستفيداً من التعاطف مع مقاتليه الذين تحولوا إلى رمز للانتقام والصمود في آن معاً، وفي المقابل أبقت ((إسرائيل)) على حرارة المعركة مرتفعة، ولم تحد الإدانات الدولية ودعوات العالم لوقف النار، من ضراوة القصف الذي تواصل جواً وبراً، لكن الشيء الجديد كان تحرك الدبلوماسية الامريكية نحو المنطقة بعد تجاهل متعمد استمر طيلة سبعة أيام من الهجمات الإسرائيلية بانتظار أن تحقق العملية العسكرية أهدافها وهو ما كانت تظهره المواقف الرسمية الأمريكية اتجاه تطور الأحداث في لبنان. بدا واضحاً أن تنشيط العمل الدبلوماسي هدف إلى امتصاص الإدانات الدولية ((للإسرائيل)) التي اتسعت بعد ظهور الصور الأولى للمجازر، وبعد التحرك الأوروبي والروسي باتجاه المنطقة الذي كاد يسرق الأضواء من الولايات المتحدة، ما فرض على الإدارة الأمريكية ضرورة التحرك بهدف استعادة زمام المبادرة، وإخراج حليفها الإسرائيلي من مأزق التنديد العالمي، وورطة الحرب في لبنان.

العودة إلى التفاهم

أحست الولايات المتحدة الأميركية بحراجة الموقفين العسكري والسياسي مع عجز الجيش الإسرائيلي عن وقف القصف بالكاتيوشا، وباندفاعة أوروبية تقودها فرنسا مدعومة من روسيا، لطرح مبادرة سياسية توقف الهجوم الإسرائيلي وتضع ترتيبات جديدة للوضع في جنوب لبنان. أظهر الفرنسيون تعاطفاً إنسانياً مع لبنان، وأبقوا وزير خارجيتهم طيلة فترة الحرب متنقلاً بين دمشق وبيروت وصولاً إلى قانا،

فضلاً عن زياراته المتكررة ((لإسرائيل)) التي استقبلته بفظاظة، إذ وضع بيريز ((فيتو)) على كل المبادرات وأقنية الحل غير الأميركية، فهو جهر بأنه معني بالمبادرة الأميركية فقط التي جاءت أفكارها الأولى أكثر تشدداً من الشروط الإسرائيلية، إذ ((تبدأ من وقف كل أعمال المقاومة ضد الاحتلال وتنتهي بمفاوضات وتوقيع معاهدة سلام مشتركة))

كانت المبادرة الأميركية الأولى بحكم الميتة، فهي مرفوضة بالكامل من حزب الله وتعني بالنسبة لسورية عزل مسارها التفاوضي عن لبنان، وتحقيق أهداف الحرب الإسرائيلية التي نظر إليها السوريون من زوايا مختلفة، فهي تتجاوز لبنان والوضع الأمني في الجنوب إلى مشروع التسوية في الشرق الأوسط وما يمكن أن يفرضه الإسرائيليون على مساراتها بما يحقق ما يصبون إليه. حاول الأميركيون تجاوز الأفكار الأولى لمبادرتهم معلنين عن تحرك ديبلوماسي يقوده وزير الخارجية وأرن كريستوفر، من دون أن تستعجله سورية التي كانت تعطي إشارات إيجابية حيال المبادرة الفرنسية التي تعيد العمل بتفاهم تموز وبدت هذه الإشارات مشتركة مع الجانب الإيراني الذي كان حضوره المباشر بوزير الخارجية د. علي أكبر ولايتي.

بدأ الأسبوع الثاني للحرب على جبهتين ؛ عسكرية وسياسية: صعّد الإسرائيليون عملياتهم العسكرية وأخذوا يقطعون الطرقات بالقصف ويحاصرون الجنوب باستهداف نقطة العبور على مدخل مدينة صيدا، وفي المقابل كان وزراء الخارجية يتقاطرون إلى المنطقة، ففضلاً عن الفرنسي والإيراني، حضر وزراء خارجية الولايات المتحدة، روسيا، إيطاليا ووفد ألماني، وفي المقابل كان هناك الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، ما حوّل دمشق إلى مركز استقطاب دولي، وصار على وزراء الخارجية الانتظار تباعاً لمقابلة الرئيس السوري حافظ الأسد الذي أدار مستنداً إلى ثبات ميداني لحزب الله على الأرض، وتضامنٍ لبناني مع المقاومة، وتعاطف دولي مع الضحايا المدنيين اللبنانيين، وتنافس دولي في المبادرات لإيجاد حل للأزمة.

قدمت سورية نفسها كمركز تفاوض ووسيلة اتصال بالمقاومة، إذ كانت المفاوضات تجري مع حزب الله عبر وزير الخارجية فاروق الشرع الذي ينقل وجهات نظره إلى الجانب الأميركي ويتلقى منه ردوده والردود الإسرائيلية، وهذا المركز لم يشهد ازدحاماً بشرياً بالوفود المشاركة في الاتصالات فقط، بل أيضاً ازدحاماً في المبادرات والمشاريع المتنافسة والمتناقضة، مع قاسم مشترك هو البحث عن وقف لإطلاق النار.

الأوروبيون حضروا بقوة لاستعادة دورهم في المنطقة، أما الأميركيون فحملوا

معهم الورقة الإسرائيلية والتفويض الرسمي من حكومة بيريز، بينما لعب الروس دور المزعج للحركة الأميركية، أما إيران فأرسلت وزير خارجيتها المجرب الذي ساهم في التوصل لتفاهم تموز قبل ثلاث سنوات.

كان على وفد حزب الله في دمشق أن يواجه سياسياً ما يتعرض له ميدانياً، مع اختلاف مهم؛ فإلى جانبه يقف حليفاه السوري والإيراني ولا يلقى تحدياً أوروبياً أو روسياً، بل بعض التعاطف أحياناً، وهو ما أظهره الروس مباشرة لحزب الله، ونقله الفرنسيون بشكل غير مباشر في حديثهم عن مأساة اللبنانيين عند اجتماعهم مع الوفد الإيراني.

مساء يوم الجمعة ١٩ نيسان تم الاتصال الأول لوفد حزب الله بوزير الخارجية الإيرانية د. ولايتي حيث جرت مناقشة التطورات الميدانية والسياسية، تبعه لقاء آخر صباح السبت، ثم عقد اجتماع مع وزير الخارجية السورية فاروق الشرع، وكانت رؤية حزب الله تقوم على ضرورة تثبيت تفاهم تموز ومنع ((إسرائيل)) من تحقيق أي هدف سياسي من وراء حربها، وهو ما لقي ترحيباً سوريةً واتفاقاً على استمرار الاتصالات والمشاورات، على أن يبقى وفد حزب الله في العاصمة السورية لمواكبة الحركة الديبلوماسية.

اتضحت الصورة في اليوم التالي عندما احتشد جميع الوافدين في دمشق والتقوا ثنائياً وأجروا محادثات مطولة مع الرئيس الأسد الذي استقبلهم تباعاً مستمعاً إلى وجهات نظرهم ومقدماً ملاحظاته حول الآراء والأفكار المطروحة وحول ما تقوم به ((إسرائيل)) ضد لبنان. واتضاح الصورة جاء بعدما تحددت وجهة كل طرف وفق خريطة سياسية فرزت المواقف والمبادرات.

مبادرة أميركية - إسرائيلية مشتركة لقيت رفضاً لبنانياً وسوريةً بدعم إيراني.

مبادرة فرنسية مدعومة روسياً وموافق على بعض بنودها من سورية ولبنان وإيران.

كان كريستوفر ينقل المبادرة إلى الجانب السوري الذي يتولى بدوره نقلها إلى وفد حزب الله ليناقشها ثم يعطي أجوبته، بينما الحضور الإيراني يمثل صلة وصل مع الأوروبيين الذين أكدوا الحاجة إلى إيران للبحث عن وقف إطلاق النار، لعلاقتها المميزة مع سورية وحزب الله.

لم تجر المفاوضات مباشرة بين الأميركيين وحزب الله، لكنها عملياً مفاوضات بين الجانبين عبر الوسيط السوري، فقد تحولت الولايات المتحدة إلى شريك مباشر وليس وسيطاً ينقل وجهات النظر، إذ كانت تناقش أدق التفاصيل، كيف تطلق النار ومن أين، وكيف يرد الجيش الإسرائيلي؟ وتحاول تحصيل أفضل المكاسب للجانب

الإسرائيلي وهذا ما لقي انزعاجاً سوريةً ترجم عدم استقبال الأسد لكريستوفر في أحدى زياراته لأنه جاء متأخراً عن موعده ولا يحمل جديداً. ما دل على نفد صبر الرئيس السوري من الطريقة التي كان يفاوض بها كريستوفر ووجه له رسالة واضحة ((ليس عند الرئيس الوقت لاستقباله)).

كانت الرسالة قاسية على الوزير الأميركي الذي لم يلزم الإسرائيليين بصيغة سورية ـ أميركية مشتركة لوقف إطلاق النار سبق التوافق على بنودها لإخراج رئيس الوزراء الإسرائيلي من ورطته وتحقيق ما يؤمن له فرصاً أكبر في الانتخابات المقبلة، ولم يكتف السوريون بهذه الرسالة بل تعاطوا بإيجابية أكبر مع المبادرة الفرنسية رغبة منهم في أن تأخذ أوروبا دوراً أسياسياً في المنطقة، والإفادة الرئيسية من ذلك المناخ الذي أشاعه التنافس بين المبادرات المطروحة من الجانبين الفرنسي والأميركي.

بدت سورية مطمئنة إلى موقفها في المفاوضات استناداً إلى الوضع الميداني الذي لم يحقق فيه الإسرائيليون هدفهم بوقف الكاتيوشا، وفي المقابل أبدى الأميركيون انزعاجهم من التحركات الأوروبية والروسية، فعطلوا محاولات التنسيق الرباعي واكتفى كريستوفر بلقاءات ثنائية، لمرة واحدة، ثم الاعتماد على الهاتف فقط. وزاد من الإزعاج الأميركي التأييد اللبناني، السوري، الإيراني لبنود في المبادرة الفرنسية وإعطاء دور رئيسي في الاتصالات لوزير الخارجية الروسية.

الأيام الأخيرة للمفاوضات كانت ترسم المشهد بصورة واضحة: الطرفان المتجابهان حزب الله و((إسرائيل))، المفاوضات تدور بين الجانبين السوري والأميركي، الأول ينقل وجهة نظر حزب الله ويدعمها والثاني في عقد شراكة كاملة مع ((إسرائيل))، وبينهما حضور أوروبي، روسي، إيراني مساعد لإيجاد حل كل من رؤيته وموقعه وعلاقاته. أما لبنان الرسمي فحضر بناء على طلب سوري كي تكون الحكومة مشاركة، ولكن ليس على مستوى المفاوضات المباشرة، إذ جاءت المشاركة الرسمية بعد ثلاثة أيام من بدء الحركة الدبلوماسية، وبناء على استدعاء سوري.

تكررت اللقاءات بين حزب الله والشرع مع كل زيارة لكريستوفر إلى دمشق، إذ كانت تناقش بنود الاقتراحات، وما يحمله الوزير الأميركي من الجانب الإسرائيلي، وأبدت سورية حرصاً على الأخذ بكل الملاحظات التي يقدمها الوفد بعدما وضعت مجموعة من الثوابت تلخصت بالآتي:

١ - حرية عمل المقاومة، وحركة مقاتليها ضد الجيش الإسرائيلي والميليشيا المتعاملة معه.

٢ - عدم تقييد العمليات بأي عامل زماني أو مكاني، ورفض كل الطروحات

الداعية إلى تجميدها لفترة محددة.

٣ - العمل للحصول على ضمانات حقيقية لحماية المدنيين اللبنانيين.

وإلى هذه الثوابت جرى التأكيد على رفض الصيغ الإسرائيلية الهادفة إلى نصب أفخاخ لسورية وحزب الله، ومنها وقف إطلاق النار ومن ثم البحث في بنود تفاهم جديد، إذ اعتبر الحزب أن ذلك سيؤدي إلى إسقاط تفاهم تموز، وإبقاء الوضع مفتوحاً وتكريس الأمر الواقع الذي فرضه الجيش الإسرائيلي، بما يمكنه إذا ما تم وقف النار بدون تفاهم - من إسقاطه ساعة يشاء ومعاودة تهجير السكان، أو الاستمرار بقصف المدنيين عند أي عملية، من دون أن يكون هناك ما يلزمه بالامتناع عن ذلك. وافقت دمشق على ملاحظات حزب الله وتم إبلاغ كريستوفر بأن لا مجال للفصل بين وقف النار والتفاهم، والمطلوب العودة إلى تفاهم تموز ضمن الثوابت التي حددها حزب الله وسورية.

حمل كريستوفر معه الجواب السوري إلى ((إسرائيل)) التي باتت تحت ضغط الوقت، والحاجة إلى وضع حد لعمليتها العسكرية بعدما تراجعت طروحاتها بشأن أهداف الحرب، فالكاتيوشا استمرت بالتساقط ولم توقفها كل حملة التدمير، بينما الضغوط على بيريز آخذة بالتزايد، والرأي العام الداخلي أخذ يطرح أسئلة عن جدوى الحرب وأهدافها الحقيقية أي صلتها بالانتخابات، أما الرأي العام العالمي وخاصة الأوروبي منه فزاد من ضغوطه إعلامياً وشعبياً، مبدياً تعاطفاً واضحاً مع لبنان ومحملاً ((إسرائيل)) المسؤولية عن قتل المدنيين.

هذه العوامل مجتمعة دفعت الأمور في ((إسرائيل)) إلى إعادة تقييم الموقف العسكري والسياسي ؛ هل تستمر الحرب ولا أفق أمامها بإمكانية تعطيل الكاتيوشا، وهو ما يعني تصلباً لبنانياً أشد، أم يتم البحث عن حلول وسط والإكتفاء بمحاولة إخراج المستوطنات الشمالية من المواجهة ؟ لم تعد الخيارات واسعة أمام حكومة بيريز التي ألزمت نفسها بموعد الانتخابات في أواخر أيار، ولا يمكنها المغامرة بمصيرها من دون أن تكون لديها القدرة على حسم النتائج

عاد كريستوفر إلى دمشق ومعه آخر المحاولات الإسرائيلية وفيها أن ((إسرائيل)) تمتنع عن قصف مناطق مدنية لبنانية في حال تعرض قواتها للهجمات، وعند التدقيق بالنص تبين أن العبارة ملغومة، فـ((إسرائيل)) تمتنع عن قصف ((مناطق مدنية))، لكنها تستطيع قصف مناطق أخرى، فالكلمة أسقطت منها ((ال)) التعريف على طريقة الانسحاب من ((أرض عربية)) وليس من الأراضي العربية))، فكان الرد أن على ((إسرائيل)) الامتناع عن قصف المناطق المدنية كلها، وأضيف إليها المنشآت

والمراكز المدنية على اختلافها.

يوم الجمعة ٢٥ نيسان، وبعد أسبوع كامل من المفاوضات والاجتماعات، حضر كريستوفر إلى دمشق للقاء الرئيس الأسد مع تسريب معلومات عن موافقة ((إسرائيل)) على العودة إلى تفاهم تموز، وإضافة لجنة مهمتها مراقبة تنفيذ التفاهم. اجتمع الأسد بكريستوفر مطولاً حيث جرب المفاوضات الأخيرة وتم وضع اللمسات النهائية على الاتفاق المكتوب وغير الموقع. وفي فترة بعد الظهر حدد موعد عاجل لوفد حزب الله مع الوزير الشرع الذي وضع الوفد في الطروحات الأخيرة التي جاءت مطابقة لما تفاهم عليه الطرفان سابقاً. لقد تراجع الجانب الإسرائيلي إلى حدود ما كان متفقاً عليه في تفاهم تموز، ولم تستطع ((إسرائيل)) التقدم ولو خطوة واحدة لمحاصرة المقاومة، فحتى سحب الكاتيوشا من أيدي المقاومين لم يتحقق، فكيف الحال بتجميد العمليات لفترة كي تمرر الانتخابات، أو وضع ضوابط لحركة المقاومين.

بدا وفد حزب الله منشرحاً وهو يستمع إلى ما يعرضه الشرع من تراجع ((إسرائيل)) وأميركا، وأعلن أن ذلك هو ما يريده، أي كسر الإرادة الإسرائيلية، والحصول على اعتراف دولي بالمقاومة وحتى بإقرار أميركي وإسرائيلي، لأن الجانبين حاولا إدخال مصطلحات كتسمية المقاومة بمجموعات إرهابية أو تخريبية، وعندما اصطدما بالرفض حاولا إطلاق تسمية ((جيش لبنان الجنوبي)) على الميليشيا المتعاملة مع ((إسرائيل))، لكن هذا أيضاً لم يتحقق.

خرج الوفد من الاجتماع وأعلن السيد نصر الله أنه ((تم إقرار مضمون الصيغة التي اتفقنا عليها مع الجانب السوري)). وقبيل السادسة مساءً، موعد الإعلان المشترك في بيروت وتل أبيب عن التوصل إلى وقف إطلاق النار، كان السيد نصر الله يتحدث عن الاتفاق وعن سريان تنفيذه في الرابعة من فجر يوم السبت السابع والعشرين من نيسان.

وكما في حرب تموز، أعطى حزب الله اللحظات الأخيرة اهتمامه، فالضربة الأخيرة ستكون من جانبه، إذ أبلغ مسؤولون ميدانيون للمقاومة بأن عليهم تحديد الوقت بدقة لحظة إطلاق الصاروخ وتاريخ وصوله إلى المستوطنات، بحيث لا يترك مجالاً أمام الإسرائيليين للرد، وهذا ما تم فعلاً، إذ كانت الضربة الأخيرة للمقاومة.

نص التفاهم الجديد فصائل المقاومة من جهة أخرى، عن التعرض للمدنيين بأي نوع من أنواع السلاح، كذلك عدم استخدام المناطق المدنية الآهلة والمنشآت الصناعية والكهربائية قواعد إطلاق للهجمات. وكانت هذه النقطة مدار جدال مستفيض، إذ حاول الامريكيون وضع كلمة ((انطلاق)) الهجمات بدل ((إطلاقها))، وهو ما

يعني منع المقاومين من التحرك في قراهم أو التخطيط للعمليات، بل وحتى العودة إلى منازلهم أو الانطلاق منها إلى مواقعهم.

المسألة الأبرز في التفاهم كانت بالنسبة للمقاومة هي الاقرار بحقها في ممارسة العمليات المسلحة ضد الاحتلال، وذلك في البند الرابع الذي ينص على أنه ((بدون خرق هذا التفاهم لا يوجد ما يمنع أي طرف من ممارسة حق الدفاع عن النفس))، وكانت الأفضلية فيه للمقاومة باعتبار أنها الجهة المستهدفة من الحرب ومن المساعي الديبلوماسية الأمريكية لمحاصرتها، فجاء النص مخالفاً للحملات الاعلامية والسياسية التي كانت تصف العمليات بأنها إرهابية بحيث صارت دفاعاً عن النفس وحقاً مشروعاً، ولم تعد محل إدانة وتنديد كما كانت تجري العادة سابقاً، وهذا مؤشر مهم على الاختراق الذي حققته المقاومة على المستوى السياسي الدولي، وهو ما حصدت نتائجه لاحقاً عندما لم يستطع الإسرائيليون إثارة أجواء ضاغطة على العمليات الموجعة بل كانوا يرددون أنها تمت ضمن صيغة التفاهم.

وفي مقابل امتناع ((إسرائيل)) عن قصف المدنيين أو أهداف مدنية، كان على المقاومة أن تمتنع عن قصف ((داخل إسرائيل))، بحيث لم يتم التمييز بين ما هو مدني وعسكري، وضمن الإسرائيليون أنه لن يكون هناك ادعاء بالخطأ في عمليات القصف إذا ما أصابت مدنيين في موازاة قدراتهم على ادعاء الخطأ بأنهم يهاجمون مجموعات مسلحة، أو مصادر إطلاق النار عندما يستهدفون مناطق مدنية، من دون أن تكون هناك إمكانية للرد المباشر بالكاتيوشا، إذ أن حق الرد الرسمي سحب من الطرفين، وإن اعتبرت المقاومة ذلك انتصاراً لها، فلأول مرة لن تستطيع ((إسرائيل)) التحكم بالرد إذا ماتعرضت للهجوم عليها، كما على لبنان، رفع الأمر إلى لجنة دولية لمراقبة تنفيذ التفاهم.

لقد أدى تفاهم نيسان إلى جملة من النتائج منها إعطاء أهمية بالغة للمدنيين اللبنانيين، بحيث تحول تعرضهم للأذى الإسرائيلي إلى محط اهتمام دولي، وإلى شرارة قد تفجر أزمات بل حروباً في مقابل الاهتمام الذي يعطى للمستوطنين الإسرائيلين، فضلاً عن كسر التفرد الامريكي في المنطقة، بإشراك فرنسا في لجنة المراقبة ودفع الاوروبيين أكثر إلى أداء دور في قضايا الشرق الاوسط.

أما سورية وإيران فخرجتا أكثر قدرة على اختراق الحصارات المفروضة خاصة تلك التي حاول الامريكيون التأسيس لها بعد قمة شرم الشيخ، وتمكنتا من تأكيد دورهما الذي لاغنى عنه فدمشق التي قاطعت ((شرم الشيخ))، وطهران التي حوربت في القمة، تحولتاخلال الحرب إلى محط أنظار العالم، واضطر وزراء خارجية ثلاث دول

كبرى إلى طلب مساعدتهما لإيجاد حلول تهدف إلى وقف القتال.

ولبنان الذي دارت على أرضه رحى الحرب أصبح له حضوره ودوره، لأنه استطاع الصمود وقدم نموذجاً جديداً في تحدي آلة الحرب الإسرائيلية، وإن كادت تؤدي بعض الحسابات السياسية الخاصة إلى تخفيف وهج ما أنجز، وذلك حين تغلبت الخشية على الأدوار والمواقع على مواقف بعض أركان الحكم، فحاولوا الايحاء بأنهم المعنيون وحدهم بالاتصالات والمفاوضات، بعدما تبين لهم أن هناك طرفين رئيسيين يتفاوضان: حزب الله بواسطة سورية، و((إسرائيل)) بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية، لكن تدخل المسؤولين السوريين وطلبهم اللقاء مع مسؤولين لبنانيين لإطلاعهم على أجواء المفاوضات خفف من حدة التشنج الذي كانت دمشق ترى فيه إضراراً بالمصالح العليا، ومساحة للتحرك المضاد الذي قد يلجأ إليه الإسرائيليون بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يغب عن بال المسؤولين السوريين ما حدث في تموز ١٩٩٣ عندما اتخذ قرار إرسال الجيش اللبناني إلى منطقة عمل قوات الطوارئ الدولية.

حرصت سورية على أن تكون اللغة واحدة، وذلك لم تمانع أبداً في أن يتوجه كريستوفرإلى لبنان للقاء المسؤولين اللبنانيين، على الرغم من إدراكها أنه سيحاول الحصول على ما عجز عنه في دمشق، لكن الجواب الرسمي اللبناني لم يخرج عما تدافع عنه الديبلوماسية السورية.

داخل الزنازين في أنصار

بدأ الجيش الإسرائيلي منذ اليوم الأول لاجتياحه البري حملة اعتقالات في صفوف اللبنانيين والفلسطينيين، مركزاً في البداية على المنتظمين في سلك الأحزاب اللبنانية والمنظمات الفلسطينية، أو من أقام علاقة تعاون معهم، واعتماده في ذلك لوائح اسمية وضعتها شبكات أمنية سبق أن دسها في المناطق اللبنانية، ومن وظائفها استقصاء المعلومات عن القوى اللبنانية والفلسطينية المناهضة ((لإسرائيل))، وكان هؤلاء المعتقلون ينقلون معصوبي الأعين ومقيدي الأيدي إلى مراكز متنقلة أولها في معمل صفاً في الغازية قرب مدينة صيدا، أو في المقرات العسكرية التي أنشأها الاحتلال، قبل المباشرة بإقامة معتقل أنصار بين النبطية وصور بهدف جمع كل المعتقلين فيه.

كان العدد الأكبر من المعتقلين حتى الشهر الثالث من الاجتياح من الفلسطينيين واللبنانيين المرتبطين بعلاقات سابقة مع الحركة الوطنية اللبنانية أو المنظمات الفلسطينية، إضافة إلى وجود أشخاص من جنسيات عربية مختلفة كانوا في عداد

منظمة التحرير، ولكن الأمور أخذت بالتبدل مع بدء الإغارات الإسرائيلية على القرى الجنوبية لاعتقال أبنائها الرافضين التعامل مع الاحتلال، أو المحرضين على التصدي لقواته، وغالبية هؤلاء من الشبان المتدينين المرتبطين بأئمة القرى، وصلة الوصل بينهم وبين الحركة الإسلامية الناشئة والداعية إلى مقاومة الاحتلال، وهذا ما أوجد احتكاكاً واختلافاً بين نماذج مختلفة من الأفكار والآراء التي تجمع على رفض الاحتلال وتختلف على الهوية والأسلوب، فأثمر هذا التلاقي حركة المعتقلين، انضووا في سلوك ديني اجتماعي كان من نتاجه إعادة إحياء الشعور الديني الجماعي، كما في إقامة صلاة الجماعة، أو في تنظيم المحاضرات والدروس الدينية، ليساهم ذلك كله في إيجاد كتلة متراصة تجعل من المعتقل موقعاً متقدماً من مواقع المواجهة للاحتلال، بعد نقل تجربة التصدي المدني للجيش الإسرائيلي إلى داخل المعتقل، فلجوء الأهالي إلى مناوأة جنود الاحتلال ومحاولة منعهم من اعتقال أبنائهم كما جرى في التظاهرات الأولى كان صورة متجددة عما يشهده المعتقل نفسه، بحيث تحولت عمليات الاعتقال إلى شرارة متنقلة تفجر المواجهات الشعبية، أو تساهم في إذكاء العداء الشعبي للاحتلال الذي ساعدت ممارساته حملات التحريض الدينية التي قام بها أئمة القرى، فكانت أولى التظاهرات المحتجة على اعتقال الشبان من تنظيم النساء باعتبار أنهن أقل عرضة للإجراءات الإسرائيلية واتخذت تلك الاحتجاجات شكلها التوسعي مع مرور الوقت سواء في القرى أو في المخيمات الفلسطينية التي اعتمدت على الحجارة لرشق سيارات الاحتلال بينما كان الأهالي يحيطون بالسيارات الإسرائيلية لمنع نقل المعتقلين. كان المعتقلون يأخذون تلك المشاهد إلى مراكز التحقيق الأولى في المقرات الإسرائيلية، وحين وصولهم إلى المعتقل تقام لهم الاستقبالات من بقية المعتقلين، فالخطوة الأولى لقادة المعتقل استيعاب الوافدين الجدد وبث الروح المعنوية في داخلهم للتكيف مع الحياة الجديدة، ثم نظمهم في حلقات التدريس أو ضمن المجموعات السياسية التي أخذ يغلب عليها الطابع الإسلامي، مع تولي قدامى المعتقلين المتدينين لقيادة المعتقل.

نضجت الظروف الداخلية في معتقل أنصار، وبات بالإمكان الانتقال إلى مرحلة الفعل المباشر الذي بدأ بإضراب عن الطعام احتجاجاً على المعاملة الإسرائيلية واستمرار الاعتقال، ثم خوض مواجهة في أولى الانتفاضات الواسعة، وتحولت الانتفاضة إلى حركة احتجاج مستمرة شعار المعتقلين فيها هتاف ((الله أكبر)) في عملية مزج للمعنى الديني بالأبعاد السياسية والإنسانية، وهو ما آل إلى زيادة التحرك الداخلي للمعتقلين في تناغم مع حركة خارجية تتصل بالانتفاضات الشعبية

التي أخذت تتصاعد انطلاقاً من بلدة جبشيت بإمامة الشيخ راغب حرب الذي انتظره معتقلو أنصار بعد اعتقاله على يد قوات الاحتلال وهيؤوا له استقبالاً يليق بموقفه ومقامه الديني والشعبي، إلا أن الجيش الإسرائيلي لم يدخله إلى ذلك المعتقل.

توالى توافد المعتقلين من شتى قرى الجنوب، ومعظمهم من الشبان المنضوين في لواء المقاومة الشعبية، أو ضمن المجموعات العسكرية للمقاومة الذين يكتشف أمرهم، والصورة ذاتها تتكرر؛ مداهمة القرية وتجمهر النسوة لمنع الاعتقال، فأولى التظاهرات في عين بوسوار كانت حين داهمها الجيش الإسرائيلي لاعتقال ((زهير شحادة بعد ضبط كمية من الأسلحة والمتفجرات، فتجمهرت النسوة وافترشن الأرض لمنع الإسرائيليين من المرور، لكنهم أطلقوا النار إرهاباً وانسحبوا ومعهم شحادة)).

كانت تلك المواجهات مع الأهالي تجد صداها في تجمعات المعتقلين الذين أخذوا يفتشون عن وسائل ناجعة لمواجهة الحجز الجماعي، فراودت الكثيرين منهم فكرة الهرب، ولا طريق إلى ذلك إلا عبر حفر الأنفاق التي أشعل اكتشاف أمرها انتفاضة وتشدداً إسرائيلياً في الإجراءات حول المعتقل الذي التهب مجدداً في أوسع مواجهة سقط فيها أربعة من المعتقلين بينهم قيادي ميداني للمقاومة الإسلامية هو إبراهيم خضرا إضافة إلى إبراهيم درويش وأحمد شعيتو وعباس بليطا.

وكان خضرا ممن باشروا عمل المقاومة باكراً وانتظم معه بعض رفاقه الذين اتخذوا من مدينة النبطية مركزاً لنشاطهم العسكري، وأقلقوا الجيش الإسرائيلي من كثرة العمليات قبل أن يعتقل خضرا ثم يسقط وهو يحاول مع رفاقه عبور نفق حفروه، ليحول المعتقل بعده إلى انتفاضة واسعة، وأسبوعه في النبطية إلى محطة لتأكيد الاستمرار في المقاومة كما في تأبينه بكلمة الشيخ راغب حرب الداعي فيها إلى ((استمرار المقاومة مهما كلف الثمن والتمسك بالوحدة، فالعدو إذا أراد اقتطاع أرض فإنه سيقتطع أرضاً محروقة، نحن سنحرق هذه الأرض تحت أقدام العدو وسنحرقه معها)).

صار المعتقلون الأربعة أحد عناوين النشاط السياسي والإعلامي لإثارة قضية الاعتقال، فأقيمت الاحتفالات والندوات، وتم إنشاء لجنة إسلامية للمعتقلين مهمتها تسليط الأضواء على ما يعانيه اللبنانيون والفلسطينيون في أنصار، كما أقيمت لجان وطنية أخرى تعنى بقضية المعتقلين في أنصار الذين تحولوا مع الوقت إلى أبرز شاهد على انتهاك حقوق الإنسان، من جهة ومن جهة أخرى رمزاً للصبر والإصرار على التحدي، وعدم الخضوع لإملاءات الجيش الإسرائيلي الذي اضطر فيما بعد إلى الإفراج عن حوالي ستة آلاف معتقل مقابل ستة جنود كانوا أسرى لدى منظمة التحرير

الفلسطينية، وهو ما أفرغ أنصار إلى حد كبير من العنصر الفلسطيني، وأبقى على العناصر اللبنانية، خاصة تلك المنتمية إلى الاتجاه الاسلامي تحول المعتقل إلى مجتمع قائم بذاته، فيه كل تلاوين الحياة اليومية المستقاة من بيئة الجنوبيين الذين اتسم المعتقل باسمهم في المرحلة الثانية بعد التبادل، حتى بات المعتقل عند إدخاله إلى أنصار ينتقل إلى حياة جديدة، تنهي معاناة وعذابات أيام التحقيق أو التوقيف في المعتقلات الصغيرة في ظروف صحية صعبة، بهدف انتزاع المعلومات بأسلوب الضغط النفسي والجسدي، فيجد عند انتقاله إلى أنصار الاستقبال اللائق بالأناشيد والأهازيج الحماسية وينضم إلى مجموعة من ستة أو سبعة معتقلين في خيمة واحدة، يشاركهم حياتهم اليومية، ينتظر الرسائل من ذويه بداية ثم يتخفف من أثقال الغربة شيئاً فشيئاً قبل أن يندمج في التواصل اليومي مع رفاقه في المعسكر الواحد، أو في المعسكرات الثانية التي يتبادل معها الرسائل، قبل أن يبدأ بقتل الوقت بالأشغال اليدوية أو الاستماع إلى الدروس، أو المشاركة في إحياء المناسبات الدينية والسياسية.

تلك الحياة اليومية ممزوجة بروح التحدي والغضب، إذ تساهم سيادة روح الجماعة الحماسية في إدخال المعتقل لا شعورياً في الموقف الجماعي أثناء الإضراب عن الطعام أو التظاهر، ورفض الانصياع لأوامر الجنود فيولد ذلك تكاتفاً بين المعتقلين كان من الصعب على الجيش الإسرائيلي اختراقه أو إضعافه برغم جهوده الكثيفة التي بذلها لإيجاد شبكات من المتعاملين معه داخل المعتقل، فحين يتخذ أحد المعسكرات موقفاً يتجاوب معه الآخرون وإشارات التواصل كثيرة كالهتاف، والضرب على آلات تصدر أصواتاً، أو حتى بإحراق الخيام كما حصل في إحدى انتفاضات المعتقل التي عمت كل المعسكرات المنقادة إلى لجان يتم اختيارها من المعتقلين.

ظلت تلك الحياة الجماعية سائدة في أنصار بالأفواج الجديدة القادمة التي يتم خلطها لإحداث تغيير في السلوكيات السياسية أو الدينية، بهدف شق صفوف المعتقلين أو دفعهم إلى التنافس والتصارع، وهو ما لم يتأمن للجانب الإسرائيلي، فكان على الدوام مضطراً إلى استخدام جنوده وآلياته لاقتحام المعتقل بهدف فك الإضرابات، أو تفريق التظاهرات، وهو ما يؤدي إلى سيلان دم يزيد من تأجيج الموقف والإصرار على التحدي إلى حين الانسحاب الإسرائيلي من المنطقة وتفكيك معتقل أنصار، من دون أن تنتهي محنة المعتقلين.

إلى عتليت

نقل الجيش الإسرائيلي من صنفهم بالعناصر الخطرة من معتقل أنصار إلى المعتقلات الإسرائيلية في الداخل وأبرزها معتقل عتليت الذي وضع فيه القسم الأكبر من المعتقلين اللبنانيين خاصة المتهمين بممارسة أعمال عسكرية ضد جيش الاحتلال. تم إعداد الباصات الخاصة لعملية النقل بعدما قيدت أيدي وأرجل المعتقلين وعصبت أعينهم وحشروا في مساحة ضيقة داخل الباص المقسم بالأسلاك الشائكة، والمحروس من الداخل بالجنود ومن الخارج بالآليات العسكرية الإسرائيلية التي قادت قافلة المعتقلين لتسع ساعات قبل الوصول إلى المقر الجديد.

هنا عتليت ؛ كل شيء مختلف عما كانت عليه الحال في أنصار، تجريد من الثياب، تفتيش دقيق، جلوس بطريقة مؤذية لساعات طويلة، إحصاء عدد المعتقلين ثلاث مرات في اليوم، ترتيب الأغراض وعدم إثارة أي حركة، ممنوع الصراخ أو حتى الكلام، ولا أحد يعرف شيئًا عن الآخر، فالتجمعات والسهرات ممنوعة، والتواصل مع بقية المعسكرات التي أنشئت داخل المعتقل صعب، فلم يتيسر في بداية الأمر سوى تهريب رسائل أو اطلاع طفيف على المعلومات.

كانت الخطوات الأولى للمعتقلين البحث عن وسائل الترفيه عن النفس لتقطيع الوقت ومحاولة التأقلم مع الحياة الجديدة، برغم ما فيها من قساوة وإهانات معنوية وجسدية وإخضاع المعتقل لعمليات غسل دماغ يتولاها خبراء في علم النفس، مع ما يرافق ذلك من استخدام وسائل وأساليب مختلفة تعتمد بالدرجة الأولى على إرهاق المعتقل وإشاعة جو نفسي محكوم إلى عزلة تامة الهدف منه تجنيد المعتقلين، أو إعادتهم إلى بلادهم في المستقبل بذهنيات مختلفة.

تمكن المعتقلون في المرحلة الأولى من التكيف مع الحياة في عتليت، واستكملوا تكيفهم بمواجهة الظروف المحيطة بهم سواء الإجراءات الإسرائيلية، أو الضغوط التي تمارس ضدهم، فارتفعت وتيرة الاحتجاجات، وأخذ التخطيط للانتفاضات مجراه، مستفيدين من تجربة طويلة في أنصار تختلف في بيئتها الجغرافية وإجراءاتها الأمنية، لكنها تحمل منها روح التحدي والإصرار على الثبات، وعدم السقوط أمام الضغط الإسرائيلي. كانت إحدى علائم ذلك الضغط طريقة بث الأخبار والمعلومات، أو نشر المواد الإعلامية بين المعتقلين وكلها تتصل بالنعرات المذهبية لتقسيم المعتقلين، أو لإثارة الحساسيات بينهم، وهو ما كان يواجه في المعتقل بحملات توعية وإرشاد يتولاها معتقلو الاتجاه الإسلامي وهم الأكثرية السياسية داخل المعتقل.

لم يطل المكوث في عتليت، فقد وصلت إلى مسامع المعتقلين أبناء خطف الطائرة

الأميركية إلى مطار بيروت، وباشر الإسرائيليون تجميع المعتقلين في معسكر واحد، وتلك إشارة على حدوث تبدل ما بدأت بشائره تصل تباعاً إلى المعتقلين، فقد نجح خاطفو الطائرة الأميركية في عقد صفقة تبادل انتهت بالإفراج عن جميع معتقلي عتليت.

معتقل الخيام

معتقل الخيام الذي حل بعد أنصار في دلالته على الاحتلال الإسرائيلي للبنان، اشتهر بهذا الاسم نسبة إلى البلدة الجنوبية التي أنشئ فيها منذ العام ١٩٨٣ على يد الاستخبارات الإسرائيلية التي سلمت حينها إدارته الداخلية إلى عناصر الميليشيا المتعاملة معها، وأبقت لها على حضور أمني يتمثل في الإشراف على المعتقل، واستجواب الذين يزجون فيه.

كان مركز المعتقل عبارة عن ثكنة عسكرية قديمة أقامها الجيش الفرنسي إبان احتلاله للبنان، واتخذها مركزاً لتجميع قواته في المنطقة، وصممت أعداد من غرف الثكنة كاصطبلات للخيول، وفي العام ١٩٤٣ تسلم الجيش اللبناني الثكنة وأدخل عليها بعض التحسينات، قبل أن تقع تحت السيطرة الإسرائيلية في آذار ١٩٧٨ وتصبح مقراً لتجمع قوات الاحتلال نتيجة موقعها المهم، إذ تقع في أعلى نقطة في بلدة الخيام والقرى المجاورة لها، وتشرف على سهل مرجعيون وسفوح جبل الشيخ وجزء من سهول فلسطين.

بقيت الثكنة حتى العام ١٩٨٣ مقراً عسكرياً يتم فيه أحياناً استجواب واعتقال عدد محدود من الأشخاص كأي مركز عسكري آخر يقيمه الاحتلال، إلى أن وقع اختيار الاستخبارات الإسرائيلية على الثكنة كمكان لاعتقال الأشخاص المطلوبين لديها خاصة من أبناء المنطقة الحدودية.

ومع الوقت صار عدد المعتقلين في الثكنة يرتفع إلى أن تحول مع العام ١٩٨٤ إلى معتقل مركزي في المنطقة، يحرسه جنود إسرائيليون وآخرون من عناصر الميليشيا المتعاملة معهم، بعدما تم سحب القوات التي كانت متمركزة في داخله. بدأ اسم المعتقل يتردد بداية في المناطق الحدودية، إذ كان ينقل إليه المعتقلون من مراكز مؤقتة منتشرة في القرى المحتلة، ومنها ثكنة ال١٧ وتقع قرب بلدة بنت جبيل، ثكنة مرجعيون، مركز القليعة، مركز بلدة حولا، وآخر في الطيبة، وغالباً ما تعتمد هذه المراكز للتحقيق الأولي قبل أن يتقرر نقل المعتقل إلى الخيام.

في العام ١٩٨٥ وبعد الانسحاب الإسرائيلي الثاني من منطقة صور، تم تفكيك معتقل أنصار الشهير، ونقل قسم من المعتقلين إلى معتقلات إسرائيلية، بينما أخذ معتقل الخيام يتحول مع الوقت إلى المركز الرئيسي الذي يتم فيه وضع المعتقلين اللبنانيين الذين يقعون في قبضة القوات الإسرائيلية أو الميليشيا المتعاملة معها، ثم

أخذ الإسرائيليون يوسعون المعتقل لاستيعاب الإعداد المتزايدة للمعتقلين ومعظمهم من أبناء المنطقة الحدودية، رجالاً ونساءً إذ كان الأشخاص يساقون على الشبهة، لمجرد وجودهم في مكان عملية عسكرية، أو للشك في تعاونهم مع رجال المقاومة، بينما العناصر الفعلية للمقاومة داخل المعتقل كانت نسبتها ضئيلة جداً. وفي شباط العام ١٩٨٦ وبعد هجوم بري إسرائيلي على قرى واقعة خارج المنطقة الحدودية المحتلة، اعتقل الجيش الإسرائيلي عشرات الشبان واقتادهم إلى معتقل الخيام، ثم عمد إلى نقل بعضهم إلى داخل السجون الإسرائيلية بعد إصدار أحكام عليهم بالسجن لفترات متفاوتة.

ذاع صيت معتقل الخيام بعد ظهور شهادات متتالية لمعتقلين أطلق سراحهم عن المعاملة القاسية التي تحول زنزانات المعتقل إلى قبور للأحياء جراء ما يلقاه ((نزلاؤه)) من أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، فضلاً عن انعدام أبسط مستلزمات الوقاية الصحية.

وزاد من وضع المعتقل المأساوي حدوث حالات وفاة بين المعتقلين جراء انتشار الأمراض، إضافة إلى إصابة بعضهم بعاهات دائمة، بعد رفض إدارته تقديم العلاج اللازم لهم، وقد دفع ذلك بالمعتقلين إلى القيام باحتجاجات أدى بعضها إلى سقوط عدد منهم قتلى وجرحى بعد تعرضهم لتعذيب شديد على أيدي العناصر المولجة بأمر المعتقل.

أدخل الإسرائيليون تعديلات عديدة على المعتقل لجهة الوسائل المستخدمة لانتزاع المعلومات من المعتقلين، أو على أقسامه التي توزعت على ثلاثة مبان، واحد في الأسفل، وأطلق عليه المعتقلون أسم المقبرة لانعدام النور فيه، وهو الذي يوضع فيه المعتقلون الجدد طيلة فترة التحقيق، أما الثاني فهو في الوسط، وفي هذا القسم يوجد في مكان لجمع المعتقلين لوقت قصير كي تراهم الشمس، ويبقى المبنى الثالث ويعرف بالفوقاني وفيه فضلاً عن الزنازين غرفة للراحة وأخرى صغير تتم فيها معاقبة المعتقل. وجميع الزنازين في المباني الثلاثة تتميز بصغر حجمها وحشر أكبر عدد من المعتقلين فيها، بحيث لا تتسع للنوم قعوداً، إضافة إلى ضرورة قضاء حوائجهم في داخلها، من دون أن تتمتع بتهوئة طبيعية، أو بنور الشمس، وهو ما يزيد من مأساة قاطنيها.

وابتدع الإسرائيليون أساليب متنوعة لانتزاع المعلومات أو لإذلال المعتقل، وأوكلوا إلى العناصر المتعاملة معهم مهمة تنفيذ هذه الأساليب التي تبدأ حين تطأ قدما المعتقل ذلك المكان المظلم، ((فيتم تقييد اليدين وتغطية الرأس، أو تعصيب العينين، التعليق على الحائط، الجلد الضرب المبرح، الصعق بالتيار الكهربائي، منع الطعام والشراب، عطس الرأس في الماء البارد والساخن، التجريد من الثياب.. يضاف إلى ذلك كله التعذيب النفسي، كالشتم والتهديد بالقتل واعتقال الأهل والإعتداء على النساء وعدم الإستقرار بإبقاء وضع المعتقل مجهولاً في زنازين مظلمة)).

لقد وردت شهادات عديدة لمعتقلين أفرج عنهم التقت عند وصفهم المعتقل بأنه يمثل مقبرة للأحياء، يواجهها المعتقلون بالصبر والجلد، ومحاولة التغلب على الصعوبات وأولاها محاولة تدمير معنوياتهم ودفعهم للانهيار أمام الأساليب التي يستخدمها الإسرائيليون وبالتالي الخضوع لما تمليه عليهم الاستخبارات الإسرائيلية ومنها التعامل كسبيل للتخلص مما يعانونه.

حاول الإسرائيليون زرع عملاء تهمهم حول المقاومة وعناصرها في القرى المحتلة، بعدما أخفقوا في تأدية المهمة بالضغوط الجسدية والنفسية التي مارسوها، إلا أن أمر هؤلاء العملاء انكشف لاحقاً وصارت أسماؤهم معروفة لدى المعتقلين. ومن الضغوط التي مارسها الإسرائيليون، قطع اتصال المعتقلين بالعالم الخارجي لسنوات طويلة عندما منعت زيارات عائلاتهم ابتداء من العام ١٩٨٨ وحتى العام ١٩٩٦ عندما نجحت الضغوط والشروط المتعلقة بتبادل الأسرى بالسماح لعائلات المعتقلين بزيارة ذويهم في فترات متفاوتة. وقد حاولت ((إسرائيل)) مرات عديدة التنصل في مسؤولية المعتقل والادعاء بأن جماعات لبنانية هي التي أنشأته، وبالتالي هي من ترفض السماح للصليب الأحمر الدولي بتفقد المعتقلين داخله أو التواصل الدائم معهم، لكن الحقائق كانت دامغة، فالمعتقل يخضع لإشراف مباشر من الجانب الإسرائيلي، تماماً كما هم المتعاملون معها، تديرهم عبر قيادتي الجيش والاستخبارات

استثارت مأساة المعتقلين في الخيام تحركات شعبية لبنانية حاولت أن تؤسس لاهتمام لبناني وعربي وحتى عالمي بالقضية، لما مثلته من معاناة إنسانية لشريحة من المجتمع اللبناني، وارتفعت وتيرة هذه التحركات مع انكشاف حقائق متتالية لما يحدث داخل الخيام الذي بقي بالنسبة للكثيرين عالماً مجهولاً لأنه لا يخضع لقوانين الحرب، ولا للمعاهدات الدولية المتعلقة بأسرى الحرب، فأغلب المعتقلين مدنيون اقتيدوا من منازلهم ولم تتم محاكمتهم من أي جهة أو دولة.

وكان من تلك الحقائق ما أوردته منظمة العفو الدولية، وفيه أن ضباط الاستخبارات الإسرائيلية يشاركون بشكل دائم في إدارة شؤون المعتقل فضلاً عن الاشتراك في استجواب المعتقلين وتعذيبهم، ويقوم الجيش الإسرائيلي بأسر أشخاص ونقلهم إلى أحد السجون داخل ((إسرائيل)) أو استجوابهم وحبسهم في معتقل الخيام. وتحدث التقرير عن أصابات جسدية وموت معتقلين جراء التعذيب، فمعتقلون كثر أصيبوا بكسور في الأضلاع وأصابع القدم وتعطل سمعهم أو تضرر بصرهم إلى حد عدم الرؤية، إضافة إلى إصابات بأمراض دائمة.

كان تقرير المنظمة أحدى الشهادات الدولية على ما يحصل في الخيام، وهو استند

إلى شهادات لمعتقلين أفرج عنهم، إضافة إلى رأي قانوني يشير إلى أن الإسرائيليين عرضوا مقابل الإفراج عن المعتقلين إطلاق سراح جنودهم المفقودين في لبنان أو تقديم معلومات عنهم، أي أن لا وضعية قانونية لهم. فحسب تقرير المنظمة لا ينبغي احتجاز أي شخص كرهينة بل يجب إطلاق سراحه فوراً.

عندما أطلق سراح قسم من المعتقلين في عمليات التبادل، كانت آثار سنوات الاعتقال بادية بوضوح على وجوههم وفي عيونهم التي لم يستطع رؤية النور الطبيعي لأنها اعتادت على زنازين مظلمة. كثيرون منهم رأوا الحرية بعد أكثر من عشر سنين، ومنهم نساء تم اعتقالهن بتهمة مساعدة رجال المقاومة.

كانت للنساء غرفتان في القسم الأسفل من المعتقل بحراسة شرطيات يعملن ضمن الميليشيات المتعاملة مع ((إسرائيل))، وغالباً ما كانت المعتقلات يتعرضن لتعذيب مشابه لما يتعرض له الرجال:الضرب المبرح، استخدام الآلات الكهربائية وما شابه، فضلاً عن التحرشات والتهديد بالاعتداء عليهن، فالمحققون ليسوا نساءً بل هم رجال ضباط في الاستخبارات الإسرائيلية أو عناصر تابعة للميليشيا الحدودية. ويستخدم الإدلاء بمعلومات لمعرفة الإسرائيلين أن مثل هذه التهديدات تفوق في تأثيراتها التعذيب الجسدي.

المعتقلات اللواتي وضعن في الخيام أخذن من منازلهن لمجرد الشك في أنهن ربما تعاون مع رجال المقاومة، أو لوقوع أحداث أثناء رجال المقاومة، وكانت التهمة غالباً ما تتعلق بتزويد المقاومة بمعلومات عن تحركات الجيش الإسرائيلي. فقد نظر الإسرائيليون بشك وريبة إلى السكان القاطنين في المنطقة الحدودية المحتلة، وجاهروا مراراً بأن النجاحات الأمنية للمقاومة هي بفعل مساعدة السكان المحليين، نساءً الحصول على مساعدة السكان، فالمقاومون هم أبناء القرى، وأهلها يقدمون العون لأبنائهم من أجل تحرير أرضهم.

لم يقتصر الشك على السكان بل وصل إلى عناصر الميليشيا أنفسهم، فبعضهم دخل إلى معتقل الخيام أيضاً بتهمة التعامل المقاومة، أو تقديم العون لها. لقد احتار الإسرائيليون في معرفة أسباب تمكن المقاومة من النجاح في تنفيذ عمليات أمنية في المناطق الخاضعة لسيطرتهم الكاملة، والمصنفة ضمن المناطق الأكثر أمناً، ولم يجدوا تفسيراً لذلك إلا وجود عناصر تحتمي بالميليشيا وتقدم للمقاومة المعلومات الإستخباراتية اللازمة.

ساد إعتقاد قوي لدى القيادة العسكرية الإسرائيلية بأن استخدام المعتقل كوسيلة فعالة لمعاقبة المقاومين لجيشها أو الرافضين للتعامل معه، يمكن أن يساهم في تقوية نفوذها وسيطرتها على المنطقة الحدودية لما يحمله اسم المعتقل من سمعة سيئة، كان

الإسرائيليون يظنون أنها تلقي الرعب في صفوف أعدائهم، وتساعدهم على تنفيذ سياساتهم، إلا أن ما ظهر في خارج المنطقة المحتلة كان عكس ذلك تماماً، لقد تحول المعتقل إلى رمز للتضحية والصمود، وكانت أنباء الانتفاضات والاحتجاجات تلقى أصداءً واسعة، خاصة تلك التي سقط فيها معتقلون على يد حراس المعتقل. المعتقلون أنفسهم كانوا يتكيفون مع الحياة الجديدة، ما دامت سنوات الانتقال ستطول، وقليلون هم من رضخوا لشروط الإحتلال، أما الغالبية فبقيت متماسكة وصمدت لسنوات برغم ما عاشته من حياة قاسية.

عندما كان يفرج عن معتقلين كانوا يستقبلون استقبال الأبطال الذين توجوا حياتهم بتضحية كبيرة، قدمتهم المقاومة إلى الناس باعتبارهم شهداءها الأحياء الذين تحملوا سنوات العذاب ولم يستسلموا، لقد قاوموا شتى أنواع التعذيب، وظلوا صامدين. وحين إطلاق سراحهم كانوا يعلنون أنهم عائدون للالتحاق بصفوفها، ولن يثنيهم عن عزمهم كل ما لا قوة من عذاب بل شكل ذلك دافعاً إضافياً لهم كي يستعيدوا حرية من بقي إخوانهم وحرية أرضهم المحتلة.

لم يكن المعتقلون في الخيام وحدهم الذين يعانون قساوة العيش في الزنازين، بل كان لهم رفاق آخرون نقلوا من الأراضي اللبنانية إلى داخل ((إسرائيل)) وحاكمتهم محاكم إسرائيلية وقضت بسجنهم سنوات طويلة أمضوها في المعتقلات الداخلية. وبرغم انتهاء مدة الحكم ظلوا قيد الاعتقال.

لقد استلزمت هذه المعاناة جهوداً كبيرة بذلتها المقاومة بهدف وضع حد لمأساة المعتقلين، وكانت تدرك أن ذلك لن يتم إلا عن طريق عمليات تبادل بجنود إسرائيليين خاصة تسمح بإجراء عملية تبادل.

التبادل

مثل لبنان موقعاً مشبعاً بالعوامل المؤثرة في الانتخابات الإسرائيلية لما يشكله النجاح العسكري أو السياسي الإسرائيلي فيه من عنصر استقطاب واستثمار للرأي العام وأصوات الناخبين المتأثرة بإنعكاسات الحرب الإسرائيلية اللبنانية ونتائجها العسكرية والسياسية والمادية.

لم تستطع حكومة شيمون بيريز أن تجير حرب نسيان لحساب مشروعها الداخلي، بل فقدت بعد الحرب أرصدة كبيرة من جمهورها الذي وجد نفسه محاصراً بالنتائج الميدانية وبجملة الإدانات العالمية للمجازر التي أرتكبت ضد المدنيين اللبنانيين ولم تنفع وسائل الإيضاح الإعلامية والسياسية التي استخدما الطاقم المساعد لبيريز في

تبديد صورة الفشل التي حكمت الحرب.

بدأ مستشارو بيريز يتسابقون مع الوقت، فعليهم محو الصورة التي انطبعت في أذهان الجمهور الداخلي عن الفشل والتخبط، والعجز عن تقديم الحلول، وتغيير الصورة يرتبط به المصير السياسي لبيريز وف فترة زمنية ضيقة لا تتجاوز الشهر. الحرب العسكرية اغلقت ولم تعد واردة والمفاوضات مع الفلسطينيين مجمدة، وأي تقدم مع سورية غير ممكن في مهلة قصيرة، إذاً لا بد من التفتيش عن قضية تهم الرأي العام ويمكن أن تساهم في استعادة تعاطفه مع الحكومة، ودفعه لمنح أصواته لبيريز في الانتخابات

رون أراد طيار إسرائيلي أسقطت طائرته في العام ١٩٨٦ فوق جنوب لبنان أثناء تنفيذ غارات جوية، أسرته حركة أمل وبقي تحت سيطرة جهازها الأمني الذي أنشق عنها بعد سنتين وأخذ معه الطيار قبل أن يختفي في ظروف غامضة، تعددت حولها الروايات التي اجتمعت على أن مصيره صاراً لغزاً. سبق للإسرائيليين أن حولوا أراد إلى قضية دولية أثاروها حيث استطاعوا، وحل قضيته يعني استمالة العسكر، وتحقيق هدف إسرائيلي عملت له الحكومة على مدى عشر سنوات، وهذا في النهاية سيصب في مصلحة بيريز وحملته الانتخابية.

طرق الإسرائيليون أبواب حزب الله بطريقة غير مباشرة للبحث عن مفقودهم، وهم الذين سبق أن جندوا عشرات العملاء لجمع المعلومات عن الطيار، و أقدم جيشهم على إختطاف مسؤول المقاومة المؤمنة مصطفى الديراني لاتهامه بالمسؤولية عن احتجازه لفترة زمنية، ووسطوا رؤساء دول، ومنظمات، ووفوداً من أجل الحصول على أي معلومات عنه.

أوصدت الأبواب ولم يبق سوى معاودة البحث مع حزب الله بعدما حاولوا سابقاً عبر منظمات دولية الحصول على مبتغاهم، فانتهى بهم الأمر إلى عمليات تبادل محدودة لمعتقلين ورفات مقاومين، كما حدث في العام ١٩٩١ عندما استطاع حزب الله مبادلة معلومات عن جنديين إسرائيلين يحتجز جثتيهما بعدد من المعتقلين ورفاة عدد من شهدائه، ولكن حينها كان الوسيط هو الأمم المتحدة التي تضاءل دورها فيما بعد في هذه القضية، وتركت المهمة للوساطات الدولية، وللاتصالات غير المباشرة بين الأطراف المعنية

سافر بيريز إلى ألمانيا والتقى مستشارها وكبار مسؤوليها، طارحاً فكرة التدخل الألماني، لاعتقاده بأن العلاقات الوثيقة الألمانية - الإيرانية، يمكن أن تساعد في إنجاح الوساطة، إذ من الباب الإيراني يمكن الولوج إلى فتح قناة اتصال مع حزب الله

قبل الألمان بالمهمة، وهم الذين يسعون للعب دور سياسي في المنطقة، وللإطلالة على قضاياها وفي طليعتها تلك المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي، معتقدين بأن علاقتهم مع إيران، وترحيب سورية بأي دور أوروبي، سيساعدان في إيجاد موطئ قدم سياسي لهم في المنطقة، فتم تكليف وزير شؤون الأمن شميد باور بالملف، وبالبحث الجدي عن إمكانية التوصل إلى التسوية تنهي بالدرجة الأولى قضية الطيار الإسرائيلي ومعه بقية المفقودين الإسرائيليين في لبنان

كانت الحسابات الألمانية تتصل أيضاً بالسياسة التي تنتهجها في علاقاتها المتطورة مع إيران ضمن العلاقة الأوروبية الإيرانية بشكل عام، وأيضاً في خصوصياتها السياسية والاقتصادية المتعلقة بنظرة ألمانيا إلى ما يمكن أن تؤديه هذه العلاقات من دور في المنطقة، على الرغم من المعارضة الأميركية التي رأت في هذا التطور المستمر إجهاضاً لجهودها في عزل إيران أو محاصرتها، فالولايات المتحدة كانت تجد في الموقف الألماني ومعه مواقف الأوروبيين حاجزاً أمام تنفيذ سياسة الاحتواء المزدوج المتعلق جزء منها بإيران مواجهة الضغوط الأميركية كانت تتطلب من ألمانيا إثبات صوابية سياستها وجدوائية العلاقة مع إيران، وضرورة الاستمرار بها، لما تثمره من نتائج إيجابية ليس على مستوى تأثيراتها الخليجية فقط وإنما أيضاً في مجمل قضايا العالمين العربي والإسلامي

بدأت الاتصالات الألمانية عن طريق الوساطة الإيرانية قبل أن تصبح ثنائية بين حزب الله وألمانيا اللذين لم تجمعهما في السابق علاقات رسمية على مستوى عال، فالاتصالات كانت تجري غالباً في المناسبات من خلال زيارات يقوم بها مسؤولون في العلاقات الخارجية للحزب إلى السفارة الألمانية في بيروت، مثل زيارات مشابهة لسفارات أوروبية، إذ لا حالة عدائية مع الأوروبيين، ويمكن اللقاء معهم أو استقبال سفرائهم في مقر الأمانة العامة للحزب، لذلك لم يكن هناك استغراب للاتصال الألماني، وإن كان تبادر إلى ذهن المسؤولين في الحزب سؤال عن السبب والتوقيت، وهل لذلك علاقة بما جرى خلال حرب نيسان حيث لم يكن للألمان دور مباشر كما كان للفرنسيين والإيطاليين فضلاً عن الأميركيين والروس

أبدى الجانب الألماني رغبته في قيام وفد منه بزيارة لبنان للبحث في قضية رون أراد وبقية المفقودين الإسرائيليين، بهدف توسط الحكومة الألمانية مع حزب الله، لكونه الطرف الأساسي المعني،فهو يحتفظ بجثتي جنديين إسرائيليين ويستطيع تقديم المساعدة في موضوع الطيار المفقود.

كان رد الحزب الاستعداد الكامل للتعاون في هذه القضية التي تعني له الشيء

الكثير، فهناك معتقلون في سجن الخيام والمعتقلات الإسرائيلية، وهناك أجساد المقاومين الذين سقطوا خلال العمليات ويفوق عددهم المئة والخمسين وإحدى أولوياته استعادتهم وتخليد جهادهم شهداء وأحياء

حط باور في مطار بيروت، واستقبل رسمياً من قبل الحكومة اللبنانية، لكنه عملياً تفاوض مع الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، حيث التقاه في اجتماع مطول، وطرح عليه إمكانية عقد اتفاق يتضمن عملية تبادل، البداية فيه رون أراد الذي سبق لحزب الله أن أبلغ الوسطاء الذين راجعوه في هذا الشأن أن ليس لديه معلومات عنه

كان الوزير الألماني على علم مسبق بأجوبة حزب الله بشأن أراد فهو حين درس هذا الملف اطلع على الوساطات السابقة التي وصلت إلى حائط مسدود لاصطدامها بالعقدة الإسرائيلية وهي: أراد مع البقية مقابل أي عملية تبادل لكن الجديد الذي جاء به هذه المرة هو تجزئة الحل، أي تبادل الجثث فقط، حيث يطلق حزب الله جثتي جنديين إسرائيليين مقابل إطلاق ((إسرائيل)) رفات المقاومين.

بدا الوسيط الألماني مستعجلاً العملية بناءً للطلب والإلحاح الإسرائيلي المهم القيام بخطوة إلى الأمام، أو بوضع القضية على طريق الحل، لم يكن العرض مغرياً لحزب الله، خاصة لجهة التوقيت، فالمستفيد الأول هو بيريز، الذي حاول التعويض بالجثث عما عجز عنه في الحرب كان الرد في الجلسة نفسها أن ما يقدمه الإسرائيليون لا يمكن القبول به، فالمطلوب عملية تبادل أوسع مما يعرضه الجانب الإسرائيلي وليس أعداداً محددة توقف النقاش عند هذه النقطة، وانتهى الاجتماع إلى خروج الوزير الألماني من مقر حزب الله إلى المطار، من دون أن يجتمع بالمسؤولين الرسميين أو يطلعهم على نتائج محادثاته

انتهت الانتخابات الإسرائيلية إلى سقوط بيريز وفوز الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو، الذي أعاد تحريك الملف بإصدار إشارات إلى ألمانيا يظهر فيها استعداداً لتقديم تسهيلات للوساطة، ويبدي فيها رغبة في معاودة البحث من النقطة التي تم التوصل إليها وتزامن ذلك مع مبادرات متبادلة تمثلت في إطلاق حزب الله لأسرى من ميليشيا لحد، وإطلاق الإسرائيليين لمعتقلين من الخيام في تموز ١٩٩٦ وصل وفد ألماني إلى بيروت لإجراء محادثات تفصيلية تتضمن هذه المرة موافقة إسرائيلية على بعض مطالب حزب الله ومنها إطلاق النساء والمرضى وعدد من المعتقلين يسمي بعضهم الحزب بادر الحزب إلى القبول بمناقشة بنود الاتفاق، ووافق على قيام الوفد بفحص جثتي الجنديين الإسرائيليين والتأكد من هويتهما

بعد إنهاء الوفد لمهمته حضر الوزير باور إلى بيروت وعقد اجتماعاً أولياً مع السيد نصر الله، قبل أن تنتقل المفاوضات الأخيرة إلى دمشق لوضع اللمسات النهائية على الاتفاق وتفصيلاته وكيفية تنفيذه

في أحد أجنحة فندق الميريديان في دمشق عقدت جلسة مسائية مطولة بين الوفد الألماني برئاسة باور والسيد نصر الله حيث نوقشت بعض النقاط العالقة وتم الاتفاق على معالجتها ووضع الترتيبات المتعلقة بعملية التبادل، التوقيت، كيفية نقل الجثتين، ورفاة المقاومين، والأسرى، والضمانات المطلوبة لتنفيذ الجانب الإسرائيلي للاتفاق

النقطة الأخيرة العالقة كانت الوضع الأمني خلال عملية التبادل، اقترح باور إعلان وقف لإطلاق النار يبدأ فجر يوم ٢١ تموز وينتهي مع انتهاء عملية التبادل كان رد حزب الله أن لا داعي لذلك، فأي إعلان لوقف إطلاق النار سيسجل كإقرار بوقف أنشطة المقاومة ولو لفترة زمنية محدودة، لكن عملياً هناك توجه لتهدئة الوضع الأمني حتى إتمام عملية التبادل، وهذا ما حدث فعلاً طيلة نهار يوم الأحد الذي جرت خلاله عملية التبادل

توجهت قوافل المستقبلين للعائدين من الأسر أحياء وأمواتاً إلى النبطية، وبعضهم لم يستطع البقاء بعيداً فاقترب أكثر بتوجهه إلى بلدة كفر تبنيت المتاخمة للمنطقة المحتلة من الجنوب أما في بيروت فكان حزب الله يسلم إلى الصليب الأحمر الدولي جثتي الجنديين الموضوعتين في صندوقين معدنيين حيث نقلا إلى مطار بيروت ومن هناك أقلتهما طائرة ألمانية إلى ((إسرائيل))، وجرت العملية بسرعة وبدون أي معوقات، بينما بقي لدى الحزب ١٧ أسيراً من الميليشيا المتعاملة مع ((إسرائيل)) وقعوا في يد المقاومة أثناء تنفيذ عملياتهم، وبعضهم مضى على أسره حوالي عشر سنوات، لم تظهر بوادر اهتمام جدي بمصير هؤلاء خلال المفاوضات، بل أنهم لم يكونوا موضع بحث من الجانب الإسرائيلي الذي تلقى عروضاً متتالية بشأنهم من قبل حزب الله، من دون أن تفلح محاولاته الدؤوبة لتنظيم عملية تبادل منفصلة بين هذه العناصر والمعتقلين في الخيام، وهو عمد إلى تنفيذ بعض الخطوات، كالإفراج عن أسرى قدامى، أو إعلان الاستعداد لمبادلة ما لديه بما لدى الميليشيا الحدودية، إلا أن الأمر لم يكن بهذه السهولة فالمعتقلون في الخيام يخضعون لسيطرة الجانب الإسرائيلي الذي يرفض أن يفرج عنهم دون حصوله على ثمن مباشر، والثمن لا يمكن بالنسبة إليه أن يكون عناصر من الميليشيا المتعاملة معه

وصلت الجثتان الإسرائيليتان إلى ((إسرائيل))وجرت لهما مراسم استقبال رسمية، بينما على معبر كفرتبنيت كان المواطنون ينتظرون الأفراج عن الأسرى الأحياء

والأموات لساعات طويلة نتيجة حجز الشاحنات التي تقل أجساد المقاومين على المعبر وكذلك تعمد تأخير وصول الباصات التي تقل المعتقلين، والسبب هو ظهور عقدة في عملية التبادل تمثلت في المكان الذي سيسلم فيه الأسرى من الميليشيا خلال المفاوضات عبر الوسيط الألماني تم الاتفاق على تخيير هؤلاء العناصر بين الدخول إلى المنطقة المحتلة، أو البقاء خارجها، على أن يتولى تخييرهم الصليب الأحمر الدولي، إلا أن قائد الميليشيا انطون لحد أصر على إدخالهم إلى المنطقة المحتلة، وبعدها يترك الخيار لهم في المكوث أو المغادرة، وهيأ لاستقبالهم مراسم خاصة، تقدمهم على أنهم جنود يقاتلون من أجل قضية أو هدف، وليسوا مجرد عناصر تعاملت مع الاحتلال

توالت الاتصالات لمعالجة هذه العقدة إلى أن تم الاتفاق على إيصالهم إلى منطقة عازلة بين مراكز سيطرة الميليشيا وبين آخر حاجز للجيش اللبناني، على أن يتولى مسؤولون في الصليب الأحمر طرح سؤال عليهم: العودة إلى المناطق الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية، أم البقاء خارجها ؟

نقل العناصر الـ ١٧ على شكل مجموعات منفصلة إلى المنطقة العازلة وكان جوابهم واحداً: رفض العودة إلى المنطقة المحتلة انتهت عقدة الـ ١٧ وبدأت القوافل تعبر نحو كفرتبنيت حاملة أجساد ووفاة ١٢٣ مقاوماً سقطوا على مدى إحدى عشرة سنة في المواجهات مع الجيش الإسرائيلي و٤٥ معتقلاً افرج عنهم على دفعتين أقدمهم أمضى أيضاً إحدى عشرة سنة في المعتقل امتزجت دموع الفرح والأهازيج بالحزن والأسى، كان هناك خليط من البهجة والألم، لكن الجميع كان يشترك بالفخر لما قدمه من تضحيات

حملت النعوش ولفت بأعلام حزب الله، ونقلت بسياراته إلى بيروت حيث سجيت في إحدى مدارسه في الضاحية الجنوبية ليتم فرزها، إذ لم تكن لجهة واحدة، وإن كان أغلبها من عناصر المقاومة الإسلامية، فهناك أعضاء في أحزاب ومنظمات لبنانية سقطوا في مواجهة الاحتلال

نظر الكثيرون إلى عملية التبادل باعتبارها محطة بارزة في تطور الأداء السياسي والحضور المعنوي لحزب الله لاكتسابها معاني مختلفة في الحضور الشعبي خلال مراسم التشييع أو في أبعادها الإقليمية والدولية وفيما منحته من علاقة للحزب دولياً وكادت تستثير ردود فعل من السلطة الرسمية في بيروت التي حاولت منذ البداية لعب الدور الرئيسي في المفاوضات، وعدم إفساح المجال أمام الوسيط الألماني كي ينفرد بالحل مع حزب الله وحده لكن الأمور سارت بغير ما أرادته الحكومة، فالمفاوضات الفعلية جرت بدون حضور ممثلين عن الحكومة، وإن لم تكن بعيدة عنها، أو عن

أجوائها، خاصة الجلسة الأخيرة التي عقدت في دمشق، والحرص الرسمي على المشاركة في التوصيل إلى اتفاق لم يترجم حضورا في استقبال الأسرى، وهو ما أفقد الحكومة فرصة مهمة كي تثبت رعايتها لعملية التبادل انتهت العملية بحل جزئي، فليس كل الأسرى افرج عنهم، ولا حصلت ((إسرائيل)) على كل جنودها، فرون أراد بقي لغزا وعد حزب الله بالمساعدة في حله، وذلك بالتفتيش عنه، أو بمحاولة الحصول على معلومات مفيدة تساعد في حل كامل لقضية المعتقلين، وهذا ما دفع بألمانيا لتجديد وساطتها مرة أخرى في تشرين الأول فأوفدت باور إلى بيروت للقاء قيادة حزب الله لمعرفة ما إذا تمكنت من تحقيق تقدم في مساعيها الرامية للكشف عن مصير أراد لم تظهر أي إشارات جديدة حول مصير الطيار الإسرائيلي، ولم يكن حزب الله مستعداً لتقديم أي معلومات بدون مقابل، فحتى الإشارات العادية، لا بد من الحصول على مقابل لها، تماماً كما حصل في العام ١٩٩١، وهذا ما عمل على تكراره في موضوع أراد، فالمعلومة الواحدة لا بد من الحصول مقابلها على ثمن.

في تشرين الثاني من العام نفسه ظهرت عقبات أمام الوساطة الألمانية ناجمة بالأصل عن الموقف الألماني اتجاه شخصية متميزة بالنسبة لحزب الله، لما تمثله من موقع للولاية، فالامام السيد علي الخامنئي تعرض لهجوم شخصي اتخذ شكل ادعاء قضائي بتهمة المشاركة في اغتيال معارضين اكراد، وهذا ما اعتبره الحزب مساساً مباشراً بمرجعيته الدينية، فأوقف على الفور كل اتصال بالألمان ورفض استقبال باور، بل وبعث بجملة رسائل غير مباشرة عن استعداد لقبول وساطة دول أوروبية أخرى.

الفصل السادس

الباب الأول

تأثر وتأثير

التسوية:

انقلاب الصراع العربي ـ الإسرائيلي إلى المسار السياسي بفعل تحولات حرب الخليج الثانية، وجد مفاعيله المباشرة في لبنان حين اتخذ التحول الذي أحدثه مؤتمر مدريد أشكالاً متعددة من التساؤلات الملحة عن مصير الأبواب اللبنانية المشرعة على الصراع المسلح مع ((إسرائيل)) وكلها متصلة بالجنوب والمقاومة، وهو ما يعني حزب الله بالدرجة الأولى، فكانت تلك الأسئلة المستعجلة خليطاً من القلق على المستقبل والتهيؤ للانتقال إلى مرحلة جديدة، وبدأت الأسئلة تكبر وتطرح على قيادة المقاومة، ما هي التأثيرات المحتملة لمباشرة المفاوضات العربية الإسرائيلية على نشاط المقاومة ؟ وهل يمكن أن تغلق جبهة الصراع العسكري ؟ وما هو دور حزب الله والخطوات التي سيقوم بها لمواجهة الموقف ؟ كانت أسئلة محرجة في ظرف دقيق وحساس، فسورية الداعم العربي للمقاومة تشارك في المؤتمر، والحكومة اللبنانية شريك في المفاوضات، والطرفان معنيان بما يحدث في جنوب لبنان الذي يشكل نقطة الصدام المسلح الوحيدة بين ((إسرائيل)) والعرب، ومعالجة ما يجري على أرضه جزء من الشروط الإسرائيلية والأمريكية في المؤتمر وخلال المفاوضات لم تكن التحديات آنية وظرفية فحسب تتعلق بمصير المقاومة وإنما أيضاً بالمستقبل، أي بالمشروع السياسي لهذه المقاومة، فإيجاد تسوية بين الدول العربية و((إسرائيل))، يعني فتح الأبواب العربية أمام الصلح، والتطبيع، والعلاقات الاقتصادية والثقافية، والأمنية، وهذا ما يتهدد كل ما تحاول أن تبنيه المقاومة، من استنهاض للشعوب العربية والإسلامية، وبناء جدار إسلامي صلب وتعميق الهوة مع الولايات المتحدة الأمريكية لمنع سيطرتها على العالم العربي إن التسوية تعني إلغاء كل هذه الأهداف، وتحويل أي ممانعة أو مقاومة إلى حالات تمرد تستوجب المعاقبة والملاحقة، أي تعميم الفهم الإسرائيلي والأمريكي للعلاقة المستقبلية بين العرب و((إسرائيل)) وليس فهم المقاومة الذي حاول ترسيخ أو إعادة إنتاج حالة العداء العربي ((لإسرائيل))

وضع مؤتمر مدريد المقاومة أمام كل هذه التحديات وفرض عليها تحديد خياراتها، هل تعمل لإسقاط التسوية أم تحاول الحد من خسائرها ؟ وما هي السبل الآيلة لذلك، ما هي حدود المواجهة، الاصطدام المباشر بالمشروع، أم الاكتفاء بالمعارضة الكلامية ؟ وكان عليها عند اعتماد أي خيار أن تدرس النتائج والعواقب، مع الأخذ بعين الاعتبار مسلمتين هما: المحافظة على السلم الأهلي في لبنان، وعدم المساس بالعلاقة مع سورية

كانت نظرة المقاومة تستند إلى رؤيا سياسية مؤداها أن تعقيدات الصراع العربي- الإسرائيلي وتراكماته التاريخية، وموقف سورية من رفض تقديم تنازلات جوهرية، وارتباط لبنان بسورية، ورفض ((إسرائيل)) التي كان يحكمها ائتلاف الليكود والعمل إعادة الأرض المحتلة للعرب، عوامل مجتمعة ستؤدي إلى عرقلة تسوية عاجلة، فعشرات السنين من الحروب واحتلال الأرض، وإقامة المستوطنات، ومحاولة توسيع دائرة الهيمنة السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تلغى بمجرد اللقاء في مؤتمر أو مباشرة مفاوضات ثنائية، كذلك فإن كل طرف من أطراف التفاوض سيحاول التفتيش عن عناصر قوة له تساعده في فرض شروطه أو تأكيد وجهة نظره، بما يعني عدم التفريط بما يمتلكه من عناصر القوة.

هذه الرؤيا المستندة في الأصل إلى قاعدة دينية تقوم على تأدية الواجب والتكليف من دون التوقف عند المخاطر أو التطورات التي تفرض مراعاة هذا الظرف أو ذاك، حكمت بأن تواصل المقاومة عملياتها العسكرية، وألا تتأثر بالمفاوضات، ما دامت لا تفرض وقفاً لعمليات المقاومة، وترك الأمور إلى المستقبل لتحديد الخيار المباشر عندما تصل هذه المفاوضات إلى نتائج.

وبالوتيرة نفسها التي كانت المفاوضات تتحرك بها في خط تصاعدي، وتأخذ أشكالاً مختلفة، كانت المقاومة تكثف جهدها العسكري للتأكيد أنها لم تتأثر بما يدور من مباحثات سياسية، طارحة شعاراً رئيسياً هو تحرير الأرض من الاحتلال، ورفض تقديم أي تنازلات جغرافية، اقتصادية أو سياسية أو أمنية، هذا ما لقي ترحيباً لبنانياً، وحتى عربياً في بعض الأحيان، حيث لم تقدم المقاومة نفسها كحاجز مادي أمام الوفدين اللبناني والسوري في المفاوضات، وإن أعلنت صراحة رفضها أي شكل من أشكال التفاوض، واعتبارها هذا الأسلوب خارجاً عن الإرادة الشعبية ولا تتمتع نتائجه بشرعية وطنية لأن التفاوض هو إقرار واعتراف بوجود الدولة اليهودية، واحتلالها لفلسطين.

لقد نزعت المقاومة، عن المفاوضات والاتفاقات المترتبة عليها أي شرعية دينية أو سياسية، باعتبارها مخالفة للقواعد الفقهية والفكرية التي أنشئت على أساسها، ودعت في المقابل إلى تبني خيار العمل العسكري، ففهمها للمفاوضات أنها لا تحمل موافقة شعبية، ولا تحركها المصالح العليا للأمة، وإنما تشكل تفريطاً بالأرض، وتضييعاً للحقوق، فهي لذلك ليست أسلوباً من أساليب الصراع، ولا حتى مرحلة من مراحله، بل هي محاولة اختزال له، وتحويله عن مساره الطبيعي.

يستند هذا الموقف إلى القاعدة الفكرية الأساس التي بنى عليها حزب الله

مشروعه القتالي ((الإسرائيل))، إذ هناك استحالة للتعايش مع هذه الدولة، ولا بد من إزالتها من الوجود كما تأمر تعاليم مؤسسه الإمام الخميني، فتحرير فلسطين هو واجب على كل مسلم، وإن تخلف الآخرون عن تأديته فهذا لا يلغي مسؤولية الآخرين كما هو فهم حزب الله الذي رفع شعار تحرير القدس باعتبارها الرمز لفلسطين، تختصر قضيتها وقضية الصراع مع ((إسرائيل))

اتخذت علاقة حزب الله بالقدس شكلها التعبوي، إذ أدرج تحريرها في الأهداف الاستراتيجية بما عنى رفض أي تنازل أو تفاوض بشأنها، ليس لجهة بقعتها الجغرافية وقداستها فحسب، بل لما ترمز إليه كعنوان لفلسطين، فجاءت العروض العسكرية الأولى في مناسبة يومها العالمي الذي أعلنه الإمام الخميني في آخر يوم جمعة من شهر رمضان، وصارت مراسم إحياء يوم القدس مناسبة لتأكيد رفض كل أشكال التفاوض مع الدولة اليهودية، والدعوة إلى ((تحرير لبنان من براثن الصهيونية))، وهو الموقف ذاته الذي لازم حزب الله في تأكيداته المتكررة لـ ((استمرار الصراع مع العدو الصهيوني ورفض محاولات الاعتراف الصريح والمبطن وكل معاهدة أو اتفاق)) حين أعلن في مناسبة يوم القدس ((إن قتالنا في الجنوب والبقاع الغربي ليس من أجل استرداد أرض لبنان فحسب وإنما من أجل القدس)) فتحرير القدس كان من الأهداف الأولى التي وضعها الحزب في رسالته المفتوحة التي وجهها للعالم في شباط ١٩٨٥ فتحت عنوان ((أهدافنا في لبنان)) جاء في رسالة حزب الله: ((تخرج ((إسرائيل)) نهائياً من لبنان كمقدمة لإزالتها من الوجود، وتحرير القدس الشريفة من براثن الاحتلال))

هذا الفهم العقائدي عممه الحزب على نشاطاته العسكرية والتعبوية، واستوحى منه شعاراته المحركة لجماهيره وعناصر وهي شعارات رافقته في تنفيذ العمليات العسكرية ضد الجيش الإسرائيلي، والأهم من ذلك كله أنه كان اللبنة الأساسية التي بنى عليها مواقفه السياسية من أي محاولة للتفاوض مع ((إسرائيل))

نظرة المقاومة منذ انطلاقها إلى المفاوضات المباشرة وغير المباشرة مع ((إسرائيل))، اتسمت بتغليب المبادئ على الظروف والأوضاع المرحلية، فلا مجال عندها للاعتراف بأي نوع من أنواع التفاوض معها، لأن ذلك يعني إقراراً بشرعية وجودها، وتسليماً باحتلالها لجزء من الأرض العربية وإن وافقت على الانسحاب من أجزاء أخرى، فالقضية لا تتجزأ، وإنما هي كل متكامل.

في البداية لم يكتف حزب الله بالرفض السياسي أو الإعلامي للتفاوض، بل قرن رفضه بخطوات عملية، بدأت مع انطلاقته في العام ١٩٨٢ عندما واجه محاولات السلطة اللبنانية آنذاك إقامة علاقات رسمية مع ((إسرائيل)) عن طريق المفاوضات

التي عقدت في خلدة وكريات شمونة وأنتجت اتفاق ١٧ أيار قاوم الحزب والتجمعات العلمائية هذه الخطوات بالاحتجاجات الشعبية وأبرزها اعتصام مسجد الإمام الرضا في بئر العبد، حين اصطدم المعتصمون بالجيش، ما أجج المواجهة الشعبية وترك انعكاسات مباشرة أوصلت إلى انتفاضتين الأولى في آب١٩٨٣ وأخرجت الضاحية الجنوبية من سلطة الحكم، والثانية في ٦ شباط ١٩٨٤ في خريف ١٩٨٤ قاد حزب الله معارضة شعبية وسياسية لمفاوضات لبنانية - إسرائيلية عقدت في بلدة الناقورة الجنوبية، ونظم اعتصاماً شعبياً في المسجد الذي شهد اعتصام الرفض لاتفاق ١٧ أيار، ثم حرك مسيرات شعبية ترفض المفاوضات وتعتبرها تنازلاً واعترافاً بشرعية الاحتلال، وأرفق ذلك بتصعيد لعملياته العسكرية ضد الجيش الإسرائيلي، إلى أن اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بالانسحاب الجزئي من صيدا وجوارها في شباط ١٩٨٥ ثم وقف المفاوضات المباشرة.

لم يقر حزب الله بشرعية التفاوض حتى لو كانت تقنية بحتة وبرعاية الأمم المتحدة، وأعلن في تشرين الثاني ١٩٨٤ في بيان له حول المفاوضات ((إن مبدأ التفاوض مع إسرائيل حرام شرعاً ومرفوض لأنه يمثل اعترافاً بالعدوان الغاصب لأرض المسلمين والقائم على أنقاض شعب مسلم مشرد من دياره بغير حق، والمفاوضات العسكرية تعني اعترافاً مباشراً بالعدو اليهودي وإقراراً واضحاً بشرعية كيانه العدواني)) هذا الرفض لم يكن مجرد مقاومة سلبية للمفاوضات وإنما قابلها إصرار على المواجهة، ففي البيان نفسه قال ((والموقف الإسلامي يقضي ليس بحرمة الاعتراف بإسرائيل بل بوجوب الجهاد والمقاومة ضدها حتى تزول نهائياً من الوجود))

((إزالة إسرائيل من الوجود)) هو الشعار الذي رفعه حزب الله في بياناته التي صدرت في المراحل الأولى لعمل المقاومة باعتباره هدفاً استراتيجياً، تسقط أمامه كل العناوين الأخرى ومنها المفاوضات أو التسوية السياسية التي تفرض تعايشاً مع ((إسرائيل))، فتقر بوجودها السياسي والأمني وبحدود آمنة، أو علاقات طبيعية مع محيطها العربي والإسلامي، وهذا ما يناقض الأسس التي بنى عليها حزب الله مقاومته العسكرية والسياسية والفكرية للوجود الإسرائيلي.

الوجود الإسرائيلي غير شرعي، أي لا حق ((لإسرائيل)) في أرض فلسطين، ولا يحق لأي عربي أو مسلم إعطاؤها اعترافاً بهذا الوجود هكذا ينظر حزب الله إلى الدولة اليهودية، وحين يسقط هذا الحق ويعتبره فاقداً للشرعية واغتصاباً للأرض والمقدسات، فإنه يفرض على نفسه واجباً مقدساً، وهو ضرورة استعادة الحق المسلوب، أي مقاومة أي محاولة لتضييعه حتى لو جاءت من جهات عربية مسلمة

لم تتغير لهجة حزب الله أو خطابه التعبوي في مواجهة المحاولات العربية الرسمية لإقامة قنوات اتصال مع ((إسرائيل))، لكنه مع الوقت أخذ يزاوج بين الرؤيا العقائدية المؤسسة على مفهوم ديني في النظرة إلى الوجود اليهودي في فلسطين، وبين التحليل السياسي المبني على وقائع ومعطيات استمدها من تجربته، واحتكاكه بالأنشطة السياسية التي أخذت حيزاً من حضوره اللبناني والعربي، بعد الخطوات العملية التي خطاها باتجاه صوغ خطاب سياسي مرحلي يوافق مقتضيات المرحلة التي يعيشها، فلم تغلب على مواقفه ومفاعيلها المباشرة حالة انفعالية تفرضها اللحظة السياسية، وإنما حاول إعادة قراءة المرحلة بما ينسجم مع مصلحته الاستراتيجية، وهذا ما أمكن ملاحظته عند موافقة الدول العربية على المشاركة في مؤتمر مدريد ومنها لبنان وسورية.

لم يقرن حزب الله معارضته الشديدة للمؤتمر وانتقاداته القوية لمشاركة لبنان فيه بمواقف مباشرة تجاه الدول العربية أو الحكومة اللبنانية سارت التظاهرات المنددة بالمؤتمر بشكل سلمي وقدم الحزب رؤياه السياسية المشفوعة بموقفه العقائدي من التفاوض مع ((إسرائيل))، لكنه لم يجعل من هذه الرؤيا حاجزاً بينه وبين الحكومة اللبنانية أو استمرار العلاقة الوطيدة مع سورية، وإنما كان الموقف العملي هو تصعيد أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وهذا ما عنى للكثيرين تطوراً في أداء المقاومة وعلاقتها بالداخل اللبناني والجوار العربي، فما رسمته من صورة أن السلاح الموجود في يد المقاومة والجمهور الداعم لها ليس له وظيفة سوى مواجهة الاحتلال، بينما الموقف السياسي تصوغه القيادة القادرة على قراءة المصلحة وموازين القوى، وحقائق الأمور برزت إذاً قراءة جديدة للموقف من التفاوض لا تقطع الصلة بالقديم وإنما تأخذ منه المبادئ الأسياسية وترفده بالمطالعة السياسية التي تحاول محاكاة مصالح الناس وآمالهم وتطلعاتهم وتنبه للخطر القادم ((يقوم الموقف على أسس مبدئية ووجهة نظر سياسية أثبتت الأحداث والتطورات صوابيتها، وهي أن أي سلام مع العدو أو اعتراف به، يساوي تنازلاً لا يملك أحد الحق في إمضائه إن السلام مع اليهود الصهاينة مخالف لمنطق القرآن وناموس الأمم الكريمة، ومخالف لبديهيات كون العرب والمسلمين أمة واحدة موجودة هذا في الثوابت المبدئية، أما في وجهة النظر السياسية فإننا نعتقد أن استمرار الكيان الغاصب وإضفاء الشرعية عليه سوف يعزز الانقسامات داخل جسم الأمة وسوف يحولها أكثر فأكثر إلى مجموعات متناحرة بعدما تكون قد تنازلت عن هدفها النضالي والجهادي في مواجهة المحتل الغاصب، والعمل على إزالة آثار عدوانه.

وجدت المقاومة في الاتصالات الجارية لعقد المؤتمر محاولة جدية لإرساء قواعد عمل سياسي وعسكري مختلفة عن السابق، خاصة أن المساحة الجغرافية التي تتحرك فيها عملياتها معنية بنتائج المؤتمر، فالدولة الداعمة للمقاومة والمؤثرة في لبنان (سورية) هي شريك في المفاوضات وموقفها يشكل محوراً عربياً أساسياً، وهي تفاوض من موقع التنسيق الكامل مع لبنان، والحكومة اللبنانية تسلحت بالمشاركة السورية لمواجهة المعترضين في الداخل لموافقتها على الدخول في المؤتمر، برغم انطلاق الاعتراض السياسي من عدم الحاجة إلى الاشتراك في المفاوضات لأنه ليس للبنان ما يفاوض عليه وإنما هناك قرار دولي يحمل الرقم ٤٢٥ ينص على انسحاب ((إسرائيل)) من جنوب لبنان والمطلوب تنفيذ هذا القرار.

اختلفت معارضة حزب الله للمشاركة اللبنانية والعربية في المؤتمر عما عداها، فهو يقود المقاومة المسلحة، ويلقى دعماً وتأييداً سوريةً، بل وتغطية لبنانية وعربية لمقاومته، وأي ترجمة أو تفسير لهذه المعارضة في غير ما تريده المقاومة قد يضعها أمام تصادم مع سورية التي فصلت بين مشاركتها في المفاوضات وبين موقفها من المقاومة، ملتقية بذلك مع حزب الله الذي ميز بين موقفه من المشاركة العربية في المفاوضات وبين علاقته المتطورة باطراد مع السوريين، لذلك لم يجد أي تعارض بين انتقاداته ومعارضته لمؤتمر مدريد وبين رفع وتيرة العلاقة مع سورية التي تعاملت مع هذا الاعتراض كحق طبيعي يمارسه فريق لبناني له رؤياه للصراع مع ((إسرائيل))، ووسائله في إدارة هذا الصراع.

بينما كانت الاستعدادات تجري لعقد مؤتمر مدريد كان حزب الله ومعه الحركات الإسلامية والوطنية العربية تشارك في مؤتمر لدعم تحالف إسلامي يواجه به المشروع الأميركي للتسوية على أن يرتكز هذا التحالف على دعامتين: المقاومة في جنوب لبنان، والانتفاضة في الأبواب العربية الأخرى للتصالح مع ((إسرائيل))، عمل ضروري، وهذا ما أثاره في المؤتمر الأمين العام لحزب الله ورئيس وفده السيد عباس الموسوي الذي دعا حينها إلى وحدة المعارضة الفلسطينية، ((لأن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع))، كما عبر بيان الحزب الذي صدر أثناء انعقاد مؤتمر مدريد

سعى حزب الله لإقامة سور إسلامي حول نشاطه المقاوم وما اعتبره امتداداً طبيعياً له في الانتفاضة الفلسطينية، لكنه في الوقت ذاته بدا أقل تصادماً مع الدول العربية أو الحكومات في البلاد الإسلامية التي أهاب بها في البيان ذاته في ((تحمل مسؤولياتها الكبرى وعدم التفريط بالحقوق المقدسة والقدس الشريفة

الخطر الأول للمفاوضات كما رآه حزب الله هو ما يمكن أن تسفر عنه على الصعيد الفلسطيني، فالمؤتمر عقد ((للقضاء على القضية الفلسطينية، والسلام

الذي تريده أميركا وإسرائيل هو السلام الجائر الذي يفرضه القوي المستكبر، وهو مؤامرة على مصير الأمة الإسلامية والعرب والفلسطينيين والقدس والمقدسات، وتفريط بحقوق الشعب الفلسطيني))

وإقامة السور الإسلامي حول المقاومة والانتفاضة يتطلب رفضاً لكل القرارات التي يمكن أن تصدر عن المؤتمر ((أي توقيع لا يلزمنا بشيء ولسنا معنيين لا من قريب ولا بعيد))

وعدم الالتزام هذا قرنه الحزب باستمرار أعمال المقاومة التي أخذت مع الوقت تتصاعد، لتصبح في أحد المواقع المميزة في الصراع مع ((إسرائيل))، وهو ما التفتت إليه سورية بجدية ليكون ذلك من الوسائل المستخدمة في إجبار الجانب الإسرائيلي على تقديم تنازلات، في مقابل إصرار إسرائيلي على جعل هذه المقاومة أحد بنود التفاوض .

استطاع حزب الله المزاوجة بين موقفه من المفاوضات واستمرار مقاومته والمحافظة على هذه الاستمرارية، بل وتجيير الخطاب الرسمي لصالح مشروعية مقاومته اتقاء لأي محاولة داخلية قد تضع المقاومة في إطار تعطيل جهود الدول لتسوية وضع المنطقة المحتلة، خاصة أن التسوية لم تنطلق في بداياتها بقوة لإيجاد حلول سريعة، وإنما نظر إليها كخطوة أولى في رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر والتناقضات.

لم تصطدم سياسة المقاومة بالسياسات الرسمية وإن لم تتقاطع في أحيان كثيرة، بل كانت تفترق عند تحديد السبل الآيلة لاستعادة المنطقة الحدودية المحتلة وتحريرها من الاحتلال، وهي التي تشكل بقعة الصراع المسلح من جهة، وموقع المشروع المستقبلي للدولة اليهودية من جهة أخرى.

المنطقة المحتلة:

أحدث الجوار المستجد للقرى الحدودية اللبنانية المتاخمة لفلسطين انقلاباً في الحياة اليومية للسكان، وأدخل أولويات جديدة في طليعتها الأمن والاستقرار اللذان حلا أولاً بدل الأولويات الاقتصادية والثقافية والسياسية، فصار على تلك القرى المنتشرة على طول خط الحدود وبعمق كيلو مترات عدة، أن تتدبر أمورها وتتكيف مع واقع أملته السياسة العسكرية الإسرائيلية، والنيات التوسعية التي خشيها الجنوبيون منذ أن أخذت تتسرب إليهم خطط الحركة الصهيونية للسيطرة على الموارد المائية، أو لضم المناطق الواقعة على ضفاف الليطاني إلى الدولة المحتلة، بعد اقتطاع أجزاء من الأراضي التي تتبع لجبل عامل وضمها إلى ((إسرائيل))، وهي حال القرى ومزارع شبعا، ومساحات من الأرض الزراعية على طول الحدود.

اتبع الجانب الإسرائيلي أسلوب إقلاق السكان، ودفعهم إلى الهجرة عن المناطق المتاخمة للحدود، وعرقلة أي مشروع للتنمية بما يساعد على الاستقرار، مستفيداً من حالة الانفصام القائمة بين الدولة ومناطقها الحدودية، ومن الاستجابة للضغوط التي مارسها في مراحل عدة حين كانت توضع المشاريع للاستفادة من مياه نهر الليطاني، فتمكنت تلك السياسة من تجديد الجنوب عامة وقراه الحدودية خاصة من مقومات الحياة المدنية الطبيعية، مع ما رافق ذلك من توتر أمني مستمر أتاح ((لإسرائيل)) التغلغل في بعض المناطق وإنشاء علاقات مباشرة مع مجموعات اتخذت في بدايتها طابعاً أمنياً ثم أخذت بالتحول إلى الإطار المدني بوجوهه الاقتصادية والاجتماعية، كما في إقامة الجدار الطيب والامتداد منه إلى القرى المسيحية لتشكل ميليشيا مسلحة تنازع المنظمات الفلسطينية وقوى اليسار بالدعم المباشر من الجيش الإسرائيلي الذي انتقل من العمليات الخاطفة ثم الانسحاب في الستينيات وبداية السبعينيات، إلى الهجوم الشامل في آذار ١٩٧٨ والاحتفاظ بسيطرة على الأرض، لإقامة منطقة خاضعة لإشرافه المباشر، وإناطة أمورها المحلية بالميليشيات التي سبق أن أنشأها وأمر عليها ضابطاً منشقاً عن الجيش اللبناني يدعى سعد حداد.

مثل هذا التحول انقلاباً آخر في الحياة المدنية للمناطق الحدودية التي انتقلت إلى مرحلة أكثر قساوة من سابقاتها تخضع فيها لسلطة خارجية تنفذ قانونها المستند إلى أعراف الميليشيات غير القائمة على أي مبادئ قانونية حتى تلك التي تفرضها القوانين الدولية عند وقوع الاحتلال فالسيادة هي لمسؤولي تلك الميليشيات ومصالحها، المرتبطة بتنفيذ الرغبات الإسرائيلية وأولاها فصل المنطقة عن بقية الجنوب، والعمل لربطها بالحياة الاقتصادية والأمنية الإسرائيلية، وذلك ما بدأه زعماء تلك الميليشيات بإقامة المعابر التي تفصل بين المناطق، وإخضاع السكان لإحصاءات وإجراءات مشددة عند العبور، فضلاً عن تعميم البضائع الإسرائيلية وإلزام المواطنين بدفع الضرائب ودفعهم إلى معالجة مشكلاتهم عن طريق الميليشيات التي حلت مكان مؤسسات الدولة ومحاكمها في الفصل بقضايا المواطنين عن طريق إنشاء محاكم خاصة لها سجونها وقوانينها المستندة إلى مبدأ الخوات أما المؤسسات المدنية الأخرى فأخذت أيضاً بالانتقال إلى عهدة تلك الميليشيات، فكانت هناك مصلحة للكهرباء وأخرى للمياه وثالثة لتسجيل السيارات وتحولت تلك المصالح لحساب إدارة مدنية مؤلفة من لبنانيين وإسرائيليين حلت محل الإدارة الرسمية اللبنانية، وبسطت نفوذها على كل شؤون الحياة في المنطقة التي باتت بعد التراجع الإسرائيلي في حزيران ١٩٨٥ عن بقية الجنوب أكثر دوراناً في فلك السياسات الإسرائيلية.

أنيط بالإدارة وعلى رأسها ضابط إسرائيلي تنسيق العلاقة مع القرى الجنوبية المحتلة والإشراف على الموارد المالية التي تجبى من المواطنين عن طريق الضرائب، وتحويل بعضها إلى مشاريع تعزز السيطرة الإسرائيلية، مع إيهام السكان بأن ذلك من موازنة الحكومة الإسرائيلية وفي إطار تقديم المساعدات وبناء علاقة ثقة، خاصة مع غياب أي مشاريع مقابلة من الحكومة اللبنانية.

يضاف إلى ذلك تشجيع الشبان على العمل في ((إسرائيل)) وإعطاء امتيازات لعناصر الميليشيات المتعاملة في تأمين فرص العمل لأقربائهم، فضلاً عن الحصول على موارد مالية مختلفة من مرفأ الناقورة أو عائدات المستشفيات وبدل الإعفاء من الجندية، وكلها تصب في الخزينة بعد تصفية ما يذهب إلى جيوب رموز العملاء

بدت مواجهة هذه الحالة في فترة الاحتلال الأولى محدودة وعلى نطاق ضيق عبر تحركات بسيطة لبعض الإسلاميين الذين حرموا شراء البضائع الإسرائيلية، أو علماء دين تصدوا لمحاولات تطبيع العلاقات التجارية والسياسية مع الجانب الإسرائيلي، خاصة بعد فتح الحدود أمام اللبنانيين لزيارة القدس، لكن المناخ في الغالب كان العجز عن مجابهة الواقع الجديد، وإن حالت الممانعة النفسية دون اتخاذه صفة شرعية، إذ ظل الناس يتعاطون مع الجيش الإسرائيلي كاحتلال، ومع عملائه كمرتهنين لإرادته، وهذا ما سمح بارتفاع درجة الممانعة حين أخذت الأفكار السياسية الإسلامية بالانتشار في القرى الحدودية على يد الوافدين من الضاحية الجنوبية بعد اجتياح العام ١٩٨٢، الذي أتاح لأبناء القرى المقيمين في بيروت الانتقال إليها والعمل في داخلها بالأساليب والطرق التي كانت سائدة في أحيائهم ومناطقهم

سيطر مناخ جديد على المنطقة الحدودية التي ظلت مفصولة لأربع سنوات عن بقية الجنوب، ولم تهب عليها رياح الثورة الإسلامية التي غيرت ملامح الأحياء الشعبية في الضاحية وبعض أحياء بيروت الغربية ومناطق الثقل الشيعي في بيروت والبقاع وقرى الجنوب، وصارت هذه الرياح تلامس العديد من النشاطات الشعبية كإحياء مراسم عاشوراء والمناسبات الإسلامية الأخرى بأساليب مستوحاة مما هو سائد في المناطق الأخرى، وهو ما جذب السكان وعناصر الشباب الذين يحيون حياة محافظة تمتزج فيها المعاني الدينية المتأصلة في تلك المنطقة بعادات وتقاليد قروية مستمدة من المعاني الدينية نفسها.

استفادت هذه الحركة السياسية- الدينية من حالة الاسترخاء التي عاشها الاحتلال في الأشهر الأولى لاجتياحه، وأخذت تعمم أفكارها وتؤسس لحالة شعبية إطارها ديني وأبعادها سياسية، تقوم على رفض الاحتلال والتصدي للتطبيع معه، حتى إذا ما تنامت الانتفاضة الشعبية في بقية الجنوب، كانت هذه الحركة تماشيها من دون أن تبدأ الصدام المباشر مع جيش الاحتلال لطراوة عودها وعدم اتخاذها صفة منظمة كما هي حال القرى والبلدات الأخرى.

كانت العين الإسرائيلية تراقب عن كثب نمو هذا الجو الشعبي وتغير المزاج العام نحو الاندماج في المناخ الشعبي الجنوبي الرافض للاحتلال، وهو ما أقلق القيادة الإسرائيلية خشية أن يهدم ما حاولت بناءه على مدى سنوات، فباشرت حملات تضييق ثم اعتقال للشبان وتفكيك الجمعيات التي نشأت في بداية الثمانينات، وأرفقت ذلك بتكثيف حملات التجنيد الإجباري، بما يجعل العائلات شريكة في الميليشيات، وإن مرغمة، ومن يرفض يضطر للهرب، وهو ما ساعد على إفراغ المنطقة من العناصر الشابة القادرة على التحول إلى المقاومة المسلحة، أو تحريك الانتفاضات الشعبية.

أما أئمة القرى ففرض عليهم ما يشبه الإقامة الجبرية بعدما اضطر الكثيرون منهم للمغادرة نتيجة الملاحقة الإسرائيلية، وعدم القدرة على تجييش السكان نتيجة عوامل ديموغرافية وجغرافية أبرزها تداخل القرى الإسلامية مع مثيلاتها المسيحية الغارقة بعلاقات قديمة مع الإسرائيليين والممنوح لها امتيازات أمنية واقتصادية تجعلها بمنأى عن التأثر بأي دعوة حتى للمانعة في العلاقة مع الاحتلال، وتمكن الجانب الإسرائيلي من اللعب على العصبية الطائفية لتحويل وجهة الصراع إلى وجهته المحلية الطائفية، كما هي السياسة المعتمدة من الجيش الإسرائيلي في إدارته للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة، بحيث يمارس أسلوب التخويف من ردات الفعل ويدفع بالمسألة الطائفية إلى أقصاها، بما يودي إلى لجوء الجميع للاحتماء به فضلاً عن ذلك فإن ضيق المساحة الجغرافية وتحكم الإسرائيليين بحركة التواصل بين المناطق، وغياب القيادة القادرة على تحريك الأهالي وقدم الاحتلال في المنطقة، عوامل ساعدت على بقاء المنطقة خارج تأثير الانتفاضات الشعبية.

وإذا كانت تلك الممارسة الإسرائيلية حدت من إمكانية تأسيس مقاومة شعبية ترفدها مقاومة مسلحة داخل القرى على غرار ما كان يحصل في بقية الجنوب، فإنها في المقابل ساهمت في بداية تفكيك المشروع الإسرائيلي الذي يقوم على ربط المنطقة بالدورة الحياتية الإسرائيلية، حينما أخذت الهوة تزداد بين السكان وبين ذلك المشروع، فتطلع أبناء المناطق المحتلة صار أكثر توجهاً نحو الشمال طلباً لمساعدة القرى المجاورة، وأكثر حماسة لأعمال المقاومة برغم عدم القدرة على تجلي ذلك بتعبيرات سياسية واضحة.

كان الانتقال بالعلاقة بالجانب الإسرائيلي إلى مرحلة جديدة يتم تدريجياً على وقع تأثير عمليات المقاومة الإسلامية بعدما استطاعت في البداية إعادة الثقة إلى السكان بأن مصيرهم ليس مرتبطاً بـ ((إسرائيل))، وذلك عن طريق فرض النقاش الإسرائيلي بجدوى البقاء في المنطقة الحدودية الذي يرافقه دفع أثمان باهظة، لم يخفف منها

الاعتماد على ميليشيا محلية كانت تحتاج لمن يحمي وجودها، واعتمدت المقاومة لزيادة ثقة السكان على تصفية رموز المتعاملين عن طريق عمليات موضعية أنهت حياة أبرزهم ما أزاح عن كاهل المواطنين ضغوطاً كبيرة كان يمارسها هؤلاء، ثم تحولت إلى توجيه ضربات متلاحقة أدت إلى ضعضعة بنية الميليشيا، وبالتالي فرض مجابهة مباشرة مع الجيش الإسرائيلي.

لقد تم ذلك على مرأى من السكان، وهو ما عزز آمالهم بإمكانية العودة مجدداً إلى الوطن الأم ودفعهم بعيداً عن الدعاية الإسرائيلية وعن سنوات طويلة قضاها الإسرائيليون وهم يؤسسون لبنية أمنية واقتصادية في المنطقة التي صار التعامل فيها مع الاحتلال يعني مصيراً خطراً، والاقتراب منه انضماما إلى اللائحة السوداء، وهو ما زاد من تفكك شبكات المتعاملين مع ((إسرائيل)) وجعل التحول التدريجي ينتقل على المقلب الآخر، أي تقويض ما بناه الإسرائيليون، والتراجع للمحافظة على الموجود بدل الاستمرار في التقدم لتأسيس بنى جديدة.

اضطر الجيش الإسرائيلي ومن ورائه القيادة السياسية، إلى تبديل الأولويات والتحول نحو المسألة الأمنية لما تشكله من ضرورة دائمة، وهو ما كان يأخذ من طريق المشاريع الأخرى، ويفرض أداءً مختلفاً ينعكس أيضاً على العلاقة بالسكان الذين صاروا أكثر التصاقا بالقضايا الوطنية وفي طليعتها تحرير أرضهم من الاحتلال.

كان ذلك كله يجري في ظل تغلغل المقاومة في داخل المنطقة وتمكنها من إحداث تغييرات كبيرة في طريقة التحرك العسكري الإسرائيلي وفي تصرفات الميليشيا ما جعل المنطقة كلها غير آمنة للاحتلال وبالتالي خلق مشكلة كبيرة له، إعادة طرح قضية الاحتلال بقوة وعلى وقع النزف اليومي للجيش الإسرائيلي، وهو أيضاً ما جعل النقاش الإسرائيلي مستمراً حول جدوى البقاء في لبنان.

النهوض

أنتجت المواجهة المسلحة بين المقاومة الإسلامية والجيش الإسرائيلي مجموعة من التأثيرات أصابت المجتمع اللبناني وما يحيط به من المجتمعات العربية، بقدر إصابتها للمجتمع الإسرائيلي وبنيته المعنوية، حيث صار بالإمكان مشاهدة تلك التأثيرات في جوانب عديدة من حياة هذه المجتمعات، سواء في سلوكها الفردي أو الجماعي، وهي بالمجموع إعادة رسم المشهد السياسي والأمني بصورة مغايرة عما ساد لفترات طويلة، كانت فيها اللغة الإسرائيلية أكثر تأثيراً وتوجيهاً لمسار الأحداث في لبنان والمنطقة

يأتي في مقدم تلك التأثيرات تحول المقاومة من أداة لتحرير الأرض إلى وسيلة لاستنهاض اللبنانيين والعرب، وجعلهم أقرب إلى خطابها السياسي الذي يحمل مضموناً يحث على اعتماد خيار المواجهة والتصدي ((الإسرائيلي)) كسبيل يؤدي إلى استعادة الأرض، ومحاصرة الأهداف والأخطار الإسرائيلية، بعدما استطاعت تجربة المقاومة تقليصها في لبنان إلى حدود ضيقة.

وساهمت هذه التأثيرات في إحداث تحولات في الميادين السياسية والعسكرية والنفسية والفكرية، فلم تقتصر على جانب محدد، لاتصال المواجهة بأوجه الحياة المختلفة كونها تحمل أبعاداً تتجاوز أدوات القتال والخطاب السياسي والوضع الجغرافي، أي تتجاوز مفردات الصراع اليومية إلى أبعاد يتعلق بعضها بالصراع التاريخي، وبعضها الآخر بالتأسيس للمستقبل، فنرى انتقال المقاومة من طور إلى طور بعدما أرست ثوابت للصراع واستوعبت متطلبات مراحله الأولى، ليساعدها ذلك على صياغة خطاب وطني لقي صداه في المجتمع اللبناني ومحيطه العربي، بعدما تزامن مع انحسار الرهان على الخيارات السياسية إثر انكشاف التجربة التفاوضية على نتائج غير مؤاتية لمتطلبات المنظومة السياسية العربية وإحدى نماذجها ما أصاب الفلسطينيين حين خسروا ثمرات الانتفاضة، ولم يربحوا الخيار السياسي

لقد أدت عوامل عديدة إلى بروز تلك التحولات وفي مقدمتها ديمومة المقاومة واستمراريتها وعدم تحويلها إلى مادة للمقايضة السياسية، فإبقاء الصراع المسلح بمنأى عن المبادلة بمكاسب مرحلية، ورفض التنازل عنه لمصلحة هذه المكاسب أعطاه جدية ومصداقة، تركت تأثيراتها على التعاطي اللبناني والعربي مع شعاراته وحركته اليومية، وهو تأثير يمكن قراءته في النظرة الإسرائيلية إلى هذا الصراع الذي خرج عن التفسيرات السابقة التي أعطتها ((إسرائيل)) فصار ((عملاً منظماً له سياساته وأهدافه ومشروعه الاستراتيجي)) كما درجت تعبيرات المعلقين والمحللين الإسرائيليين.

إن هذا التطور ناجم عن تراكم سنوات من العمل العسكري والشعبي، فشعار المقاومة الإسلامية في المرحلة الأولى كان تقويض استقرار جيش الاحتلال ومنعه من تحقيق أهدافه، لذلك استمدت مفردات خطابها الداخلي من ظروف المرحلة، وإن حمل الخطاب بعداً استراتيجياً، فلم تكن النتائج المتوقعة حينها بالحجم الذي وصلته، مقارنة مع المدة الزمنية القصيرة، فبعد ثلاث سنوات على الاجتياح اضطر الجيش الإسرائيلي إلى الجلاء عن مناطق واسعة، بعدما بدأ تراجعاته باكراً إثر انسحابه من الجبل، وهو ما احتاج إلى تكيف المقاومة مع ظروف المواجهة الجديدة،

وتخطي تعقيدات جغرافية وسياسية، حتى التمكن من تحويل المنطقة التي أبقت ((إسرائيل)) على احتلالها من مساحة جغرافية وظيفتها العسكرية حماية المنطقة الشمالية إلى ميدان لاستنزاف الجيش الإسرائيلي.

صارت المجابهة المسلحة حرب استنزاف فيها كل عناصر الحرب وأدواتها، لكنها تدار بأساليب وطرق غير تقليدية، وتصيب في نتائجها أشكال الحياة المختلفة لطرفيها، وهو ما نراه في إعادة صياغتها لمفردات الصراع العربي ـ الإسرائيلي وأبعاده المرحلية والاستراتيجية ولما أحدثته من تحولات

تحولات عسكرية:

الحرب هي صراع المقاتلين أي العسكر، والضغط المتبادل محوره أشكال القتال المختلفة وما سواها عوامل مساعدة وداعمة، ولئن كانت ((إسرائيل)) السباقة إلى اعتماد لغة الحرب لممارسة الضغوط على أعدائها، فإن المقاومة الإسلامية لجأت إلى الأسلوب نفسه لاعتقادها أن موضع الوجع الإسرائيلي الخسائر البشرية، وبعدها تأتي الخسائر الأخرى، فالجيش الإسرائيلي قادر على تعويض سلاحه، والمساعدات الأميركية تسد العجز الاقتصادي الإسرائيلي، أما الأثمان البشرية فهي من اللحم الحي الإسرائيلي ولا يستطيع أحد تعويضها، لاتصال ذلك بالعقلية اليهودية الحريصة على الحياة، واعتبار خسارتها في ميادين القتال ثمناً مكلفاً لا يمكن تحمله

أعطت المقاومة اهتماماً كبيراً لاستنزاف العنصر البشري الإسرائيلي، ولم تغفل الجوانب الأخرى التي تساهم في تنشيط الضغط وتشكل عناصر مساعدة ومكملة للمقاومة المسلحة من هنا يعتبر هذا النوع من المقاومة في رأس الهرم، ودونه يصعب الحديث عن مقاومة بمعناها المؤثر والفاعل، لذلك نجد الخطاب التعبوي للمقاومة يرتكز على ثابتة رئيسية وهي التحريض على القتال والمحافظة على استمراريته، واستحضار كل المخزون الديني والوطني للحث على اتباع هذا الأسلوب الذي يمثل بالنسبة إليها رقياً فكرياً وعقائدياً يستلهم المعاني الدينية في الشهادة أو المعاناة والصبر لمن يصاب في المعركة، وفرحة النصر لمن يظفر باعتباره يقاتل أشد أعدائها وتعتمد التعبئة العسكرية للمقاتلين على تعميم فكرة الغلبة والقوة، بحيث يتحول عنصر المقاومة إلى وحدة مقاتلة حتى لو اضطر لخوض المعركة بمفرده، فلا تراجع أو استسلام وهو ما نراه في النماذج الحية التي يسقط فيها المقاتلون في أرض المعركة، أو في عدم تمكن الجيش الإسرائيلي من أسر عناصر المقاومة، إلا في حالات نادرة وبعد سقوطهم جرحى، ويستند ذلك كله إلى ثقافة دينية ممزوجة بتأثيرات البيئة والتراكم التاريخي، ومنه ما ولدته الحروب الإسرائيلية ضد لبنان، ما أنتج عقلية

عسكرية تضع في رأس أولوياتها دفع الخطر الإسرائيلي تمهيداً للقضاء عليه.

اتبعت المقاومة أساليب عديدة لتحقيق هذا الهدف، وجعلت من تطوير وسائلها عاملاً مضاداً يواجه عوامل القوة الإسرائيلية، وتطور الاحتياطات التي يلجأ إليها الجيش الإسرائيلي، ما أدى إلى سباق في صراع العقول داخل المنطقة المحتلة وعلى تخومها، عمل كل طرف فيه على إدخال ابتكاراته وأساليبه للتصدي للطرف الآخر أو لتجنب وقوع خسائر في صفوفه، وهو ما أعطى المواجهة أبعاداً إضافية، ساهمت في زيادة تأثيراتها على الجانبين، كونها لم تعد مواجهة محصورة في نطاق جغرافي ضيق أو زمان محدد، إنما دخلت في إطار الصراعات التي تؤدي الغلبة فيها لسيادة منطق وإرادة الطرف الغالب ليس على المستوى العسكري أو التقني فحسب، إنما على مستوى المفاهيم والتوجهات الإستراتيجية.

تحوّلت الإجراءات الاحترازية لدفع أخطار المواجهة إلى عمل روتيني يتبدل مع تبدل ظروف الحرب ومساراتها الأمنية، لكنها باتت ضرورية لتلافي التأثيرات المعنوية التي تنعكس على أداء الجيش الإسرائيلي ونشاط جنوده، فكانت أولى تلك الاحتياطات تتعلق بأنماط حياة الجنود في لبنان، إذ لم يعودوا أحراراً في تصرفاتهم وتنقلاتهم، وهو ما ينطبق أيضاً على حركة القيادات العسكرية الملاحقة بكمائن وعبوات المقاومة، إذ ((يحتاج الجنود إلى ارتداء الدروع الواقية ما داموا خارج غرفهم. وفي المواقع كل شيء تحت الأرض لكن ماذا عن القوافل))، فمنع القوافل من الخروج في وقت محدد أملى تغيير الجيش في الكثير من أساليبه خاصة عدم انتظام الحركة وتوقيت سلوك الطرقات ما يتطلب تعديلات على برنامج نشاط الجيش، وهو ما يعني تكاليف إضافية وزيادة أعباء نفسية، لأن التغيير مرتبط بالمخاطر التي تتعرض لها القوافل، وهو ما يؤثر على تصرفات الجنود عند أي شعور بالخطر، وفي النتيجة ينهك الجنود لأن مثل هذا السلوك يتحول إلى حياة دائمة، فهناك ((روتين منهك من الدوريات والحراسات والكمائن المتواصلة حيث أن وقتها لا ينتهي)) واستتبع ذلك إدخال تعديلات على مناهج التدريب لتتلائم ووضعية الحرب في لبنان، وما يطال الجانب البشري يمكن تعميمه على الجانب التقني حيث جرى تعديل في صناعة بعض الآليات والأجهزة العسكرية لتواكب تطور أسلحة المقاومة.

بقدر ما كان الجانب الإسرائيلي يصاب بارتباكات، كانت المقاومة تفتش عن مزيد من الثغرات، بعدما احترف عناصرها القتال، فلم يبقوا حتى في التفسيرات الإسرائيلية مجرد خلايا مهمتها قتل الإسرائيليين، بل جهاز منظم يمتلك خبرات فنية عالية، يخطط وينفذ بدقة متناهية، ولديه أجهزة رصد قادرة على تتبع حركة

الدوريات والقيادة الإسرائيلية، فقد أضافت المقاومة إلى روح الحماسة والاندفاع الخبرات الفنية والمهارات القتالية التي ظهرت خلال المواجهات المباشرة، ما اضطر الجيش الإسرائيلي إلى تتبع هذا الأداء للتكيف مع متطلباته، فباشر العمل للمزاوجة بين تحصن صناعاته العسكرية وتطوير كفاءات قوات المشاة التي يقع على عاتقها العبء الأكبر في تحمل الخسائر فقد أدرك الإسرائيليون صعوبة ما يواجهونه، ففي العديد من العمليات استخدم مقاتلو حزب الله ((قوات كبيرة واستخبارات ونقاط مراقبة ونقل معدات عسكرية كان الهجوم مخططاً جيداً ومتضافراً ومن نوع جديد))

ما يمكن رصده في هذا المجال وجود صورة متناقضة تبدو في المقلب الإسرائيلي تراجعاً في دقة المعلومات، وتأخراً في نجدة الدوريات حين وقوعها في الكمائن، وإخفاق الوسائل التقنية في كشف العبوات، وضعف الإدارة الأمنية داخل المنطقة المحتلة، أما في جانب المقاومة فظهرت أسلحة جديدة وقوة المعلومات الاستخبارية، وجرأة المقاتلين والتنظيم العسكري، لكن العقبات بقيت في الوسائل التقنية التي ادخلها الإسرائيليون بالمواقع الإستراتيجية واستخدامه لسلاح الجو الذي لم تجد له المقاومة مضاداً سوى الاعتماد على الاحتياطات المسبقة، وتمويه حركة عناصرها، وإخفاء مراكز انطلاقهم.

بانت الصورة على حقائق جديدة بينت تفاصيلها وقائع الصدامات وما كانت تثيره من انقسامات إسرائيلية، اضطر معها الجيش للبحث عن بدائل ما دامت السياسة معطلة وغير قادرة على وقف التدهور، فكانت خطة ((استعادة زمام المبادرة)) عن طريق إنشاء وحدات خاصة مهمتها استخدام أساليب مشابهة للتي تستخدمها القوة المقاومة وهذا بحد ذاته تحول استراتيجي أظهر أن الجيش الإسرائيلي على ضخامة ترسانته العسكرية وتفوقه التقني يستبدل أساليبه التقليدية بأساليب مغايرة، لأنه لم يعتد على حرب كالتي يخوضها في لبنان، فغزارة النيران، لا تغير في مجرى الحرب، والضغط بواسطة المدنيين دونه عواقب بعدما تم تكبيل الجيش في تفاهمي تموز ونيسان، وتحقيق نجاحات معينة في عمليات خلف الخطوط لا يشكل قاعدة ثابتة، وأي انتكاسة تترك تأثيراتها السريعة على جدوى الأسلوب، وهو ما حدث بعد فشل عملية أنصارية.

لقد اعتاد الإسرائيليون على خوض حروب عن بعد، فهم يقاتلون بتقنياتهم، وباعتمادهم على تفوق عسكري، إذ تمهد الآلة العسكرية المتطورة لتقدم المشاة، وتؤمن التغطية الجوية الطريق بتدمير قوة العدو والسيطرة على ساحة المعركة، وهذا

ما فعله الجيش الإسرائيلي في حروبه ضد العرب، حيث ظلت المبادرة في يده باستثناء حرب تشرين عام ١٩٧٣ التي شكلت خروجاً عربياً عن القاعدة التي حكمت الحروب العربية ـ الإسرائيلية وما عداها انتهت تلك الحروب إلى انتصارات إسرائيلية أعطت صورة أسطورية عن ((الجيش الذي لا يقهر)) ومبادراته السريعة التي تخطف من أمام أعدائه النصر السريع.

يعتبر إبقاء المبادرة بيد الجيش الإسرائيلي من أبرز العناصر الحيوية للحفاظ على تفوق معنوي وميداني يوازي التفوق التقني، وفي ذلك ضمانة لإبقاء الطرف الآخر في خضوع دائم لما تمليه نتائج المبادرة ورديفها عنصر المفاجأة أو الحرب المباغتة التي ظلت من العناصر الممهدة للانتصارات الإسرائيلية، فمفاجأة العرب بالهجوم وشل قدراتهم، وعدم السماح لهم بالتقاط الأنفاس أظهر قدرة إسرائيلية على التحكم بمسار الحروب وبنتائجها العسكرية والسياسية، وبالتالي تثبيت الهدف الذي سعى إليه الإسرائيليون وهو الحفاظ على تفوق نوعي على العرب.

اصطدم الجيش الإسرائيلي في لبنان بموانع سحبت منه خصائصه التي امتاز بها على الجيوش العربية فكان افتقاده لعنصر المباغتة عاملاً مهماً من عوامل تقويض سياساته الهجومية، التي تقلصت إلى حدود النأي بنفسه عن خوض حرب برية والاكتفاء بالهجمات عن بعد، واستخدام سلاح الجو فقد أيضاً كثيراً من فاعليته، عندما تحولت وظيفته إلى مهاجمة الأهداف المدنية لعدم وجود أهداف عسكرية مشخصة، أو قوى مسلحة منظمة لها قواعد انطلاق واضحة أو أسلحة ميدان مكشوفة، فضلاً عن ذلك فإن تقليم الأظافر الإسرائيلية الأمنية عطل عاملاً من أبرز عوامل التفوق الإسرائيلي، أي دقة الرصد والمعلومات المسبقة.

لم تساعد الجهود التي كان يبذلها القادة العسكريون الإسرائيليون في التعويض عن انحسار المبادرة وتحولها في بعض الأحيان إلى عبء يلاحق الجيش، فكلما أخفقت حرب أو عملية أمنية انعكس ذلك ارتفاعاً للهجة الانتقاد الداخلية للجيش، وهو ما ترك تأثيراته المباشرة على القيادة العليا والقيادات الميدانية وقلب المعادلة رأساً على عقب والمثال الواضح على ذلك، تغير المناخ الداخلي الإسرائيلي الذي اعتاد على عمل عسكري ضد لبنان للخروج من مأزق سياسي أو لجذب أصوات الناخبين في مرحلة الانتخابات، لكن في ظل ضياع المبادرة من يد الجيش تحول أي عمل عسكري إلى مغامرة، وأصبح لبنان ناخباً مضاداً بفعل تأثيرات عمليات المقاومة على الداخل الإسرائيلي.

بلغت التحولات العسكرية مداها البعيد حين بدت الخيارات أمام الجيش

الإسرائيلي ضيقة إلى حدود الالتزام بتفسيرات الطرف الآخر - أي المقاومة - لتطور الأحـداث، فلم يعد الإسرائيليون وحدهم الذين يبـادرون بإطلاق النار ويفرضون تفسيراتهم للأحداث واعتبارها حقائق لا يمكن التغاضي عنها، لقد تغيرت أشياء كثيرة على وقع الحـرب في لبنان، فهناك حقائق أخرى أو وجهة نظر مختلفة لا تكتفي بسرد الوقائع والاحتجاجات إنما لديها وسائل للتعبير تلزم الجانب الإسرائيلي بتغيير سلوكه كما في فقدان القدرة على المبادرة بالرد على منفذي الهجمات ضد الجنود والمستوطنات، فلم تعد الخطط جاهزة ولا الأهداف محددة، وصارت العواقب جزءاً من حسابات في السياسة العسكرية الإسرائيلية.

لقد أدى تراكم الفشل العسكري الإسرائيلي في لبنان إلى طرح شعار التكيف مع الأمر الواقع والتفكير بالخيارات البديلة لأنه ((لا يوجد حل عسكري في لبنان))، وهذه مقولة رددتها القيادات السياسية الإسرائيلية منذ الاضطرار للتراجع عن أجزاء من الأراضي اللبنانية، فالمبادرة بفرض الحلول العسكرية ظلت على الدوام صمام الأمان بالنسبة للإسرائيليين المهووسين بالتفوق على العرب، إلا أن التجربة اللبنانية أعادت رسم صورة مختلفة على الأقل صار فيها من يشارك الجيش الإسرائيلي في أخذ المبادرة واستخدامها وتوظيفها لحساب مشروعه وأهدافه.

بذل الإسرائيليون جهوداً حثيثة لاستعادة المبادرة دون القدرة على إحداث خلل كبير في التوازن الميداني، فلئن رجحت الكفة الإسرائيلية على مستوى الأجهزة التكنولوجية، فإن تراكم التجربة وروح التحدي والإصرار على تجاوز العقبات كلها عناصر مكنت المقاومة من إحداث اختراقات في مجالات الأمن والوسائل التقنية التي توسعت مع الوقت لتدفع الجيش الإسرائيلي إلى انتهاج سياسات مغايرة لأساليبه التقليدية، فكثف من الاعتماد على الإجراءات الاحترازية والاحتياطات المسبقة، ما جعله في حالة استنفار دائمة من متطلباتها إبقاء الجنود على وتيرة متصاعدة من الحذر والتوتر، إذ لم يعد هؤلاء يتجولون بحريتهم في المناطق الجنوبية ولا يستقرون في مواقعهم بثبات، فحتى الاختباء في تلك المواقع يولد شعوراً متزايداً بالخوف والقلق على المصير والمستقبل.

بدت التأثيرات العسكرية لحرب الاستنزاف اللبنانية تتوالى على نسق متواز بين ما تخلفه في الداخل الإسرائيلي من انحسار للمشروع الإسرائيلي، وما تبعثه في الجانب اللبناني من شعور بالقدرة على التقدم إلى الأمام، وبناء مفاهيم جديدة حتى على المستوى العسكري عندما استطاعت المقاومة تطوير قدراتها البشرية، والاعتماد على خبرات محلية لمواجهة تعقيدات الآلة العسكرية الإسرائيلية، وهو ما يبينه إدخال

تعديلات على أسلحة مصنعة خارجياً لتتلاءم وخصائص المواجهة في الجنوب، وبرزت أيضاً نتائجه في التصنيع المحلي للعبوات المتطورة التي واجهت محاولات التشويش الإسرائيلية.

اختارت المقاومة الإسلامية منهج النفس الطويل في التعاطي مع التعديلات العسكرية الإسرائيلية، سواء لجهة أنواع السلاح أو التحصينات والإجراءات الاحترازية، فالوقائع الميدانية والتحضيرات العسكرية لجهة الإعداد والتدريب وتطوير المهارات القتالية والفنية تشير إلى تخطيط المقاومة لحرب تمتد سنين طويلة، فالتفكير العسكري يضع جانباً الأحداث السياسية وما يمكن أن تتمخض عنه من نتائج إحداها إمكانية إيقاف الحرب في جنوب لبنان لأن أحد شروط التسوية السياسية مع لبنان وسورية وقف الاستنزاف اليومي لجنود الاحتلال.

يتبين من مجمل التحولات في المجال العسكري أن هناك شيئاً طرأ عل المواجهة العربية- الإسرائيلية، لقد تراجعت صورة الجندي الإسرائيلي وآلته العسكرية، فالدبابة التي ظلت تثير الرعب في نفوس العرب أمكن للمقاومة تدميرها بصاروخ، والطائرة مصدر الخوف العربي فقدت كثيراً من تأثيراتها، وإن لم تستطع المقاومة مواجهتها مباشرة، فالعقل العربي أنتج في لبنان وسائل تحميه من التفوق الإسرائيلي، واستطاع بإمكانيات قليلة أن يواجه آلة عسكرية متطورة هي في الذهن العربي مصدر قلق دائم

تحولات في مجتمعين:

أفضت المواجهة بين المقاومة الإسلامية و((إسرائيل)) إلى ترتيب نتائج في البناء النفسي والمعنوي فيها، وتجلت تعبيراتها في مجموع التأثيرات العميقة على السلوك الشخصي للأفراد والوعي الجماعي للسكان في كلا الجهتين، فضلاً عن امتداداتها إلى المحيط العربي خاصة لدى جيل الشباب الأكثر تقبلاً لعوامل التغيير جراء ما يعتمل في داخله من انفعالات تولدت من مشاهداته لحالة الانحسار والتراجع العربي أمام الاجتياحات الإسرائيلية المتكررة في مجالات الأمن والاقتصاد والسياسة

لقد بنيت عقيدة الجيش الإسرائيلي على ركائز تستمد خطابها التحريضي من المفردات التوراتية والأحلام التاريخية بإنشاء ((إسرائيل الكبرى))، وسمحت انتصاراته بتحقيق جزء من هذا الحلم، فكانت حروبه تقوم على قاعدة ثابتة وهي ضم مزيد من الأراضي إلى الدولة اليهودية والتوسع التدريجي في الأراضي التي يشملها الحلم التاريخي، ومنها أراضي لبنان التي صارت على مقربة من التحول إلى الدولة اليهودية، عندما بات الجنود الإسرائيليون هم حكام الأرض التي احتلوها، والآمرين

والناهين في شؤون حياتها اليومية، بعدما سبقتهم شهرتهم في القوة والقدرات غير المحدودة والتفوق الذي لا يضاهيه اجتماع العرب على حربهم وقتالهم هذا البناء العقائدي الممزوج بهالة معنوية أخذ التفكك عندما تجرد الجندي الإسرائيلي من تقنياته واضطر للاعتماد على روحيته القتالية في حرب غير نظامية أساسها العنصر البشري ومؤهلاته المعنوية واستعداداته للتضحية والصبر والتحمل

ركزت المقاومة الإسلامية على الجانب البشري لإدراكها عدم القدرة على مجاراة التطور التكنولوجي الإسرائيلي، فلجأت إلى التعويض عن النقص التقني بالتفوق في المجال المعنوي والروحي وهذا مستمد من الانتماء الديني للمقاومة الذي شكل جوهر بنائها الفكري والعقائدي، واستلهمت منه روحية القتال والتعبئة الداخلية وثقافة الاستشهاد التي تقابل في الجانب الإسرائيلي بالحرص على الحياة، فالبناء الفكري لكلا الطرفين في خطين متناقضين، أحد إفرازاته ما أحدثه تصادمهما المباشر على الأرض، فالجندي الإسرائيلي يتوجه للخدمة في لبنان وعينه على حياته وكيف يمكنه المحافظة عليها والعودة إلى أهله، والمقاوم يقاتل على أرضه ويفتش عن أي سبيل لإخراج هذا الجندي ولو كلفه ذلك حياته، واصطدام هذين المفهومين يعطي الأرجحية المعنوية للمقاوم، كونه أكثر استعداداً للتضحية ورجحان الكفة يتحول إلى تفوق إذا ما كان الجندي في مواجهة مباشرة متجرداً من إمكانيات التفوق التقني وهذا ما تظهره الوقائع المباشرة التي لمسها الإسرائيليون عن قرب حين اكتشفوا أن هناك عنصراً جديداً طرأ على القتال بعد اصطدامهم بالمقاومة في جنوب لبنان، فمشهد الهروب العربي أمام تقدم الجندي الإسرائيلي على دبابته اختفى خلال المواجهات مع المقاومة الإسلامية ((فرجال حزب الله لم ينسحبوا إزاء اقتحام جنود الجيش الإسرائيلي، بل واصلوا القتال، بل إنهم حاولوا بأنفسهم تنفيذ اقتحامات، لقد قاتل رجال حزب الله طوال الوقت، إن هذا وجه آخر مختلف لحزب الله، وحدات كبيرة وعزم على العمل يؤكد نوعية الخصم الذي يقف قبالة جنود الجيش الإسرائيلي)).

ما كانت الروحية القتالية للجندي الإسرائيلي تصل إلى مستوى التفكير فقط بالبقاء على قيد الحياة، لو لا تراكم الخوف والقلق من مشهد القتل اليومي للجنود، فقد اعتاد الجيش الإسرائيلي على طعم الانتصار وسحق أعدائه، مقابل خسائر بسيطة إذا ما قورنت بحجم النتائج وما يلحقه بالطرف العربي من خسارة تطال البشر والأرض والحجر، فهو في حسابه الإستراتيجي يعادل قتيله بعشرة من العرب، وإذا ما اختلت هذه المعادلة يعيد تقويم معاركه وحروبه، وينظر إلى الخلل كأنه تحول يحتاج

إلى إعادة تصويب ومعالجة، وهو ما انقلب في لبنان بصورة كلية عندما صارت المقارنة لمصلحة المقاومة، فالجندي مقابل المقاوم وفي مراحل عدة يصبح كل مقاوم يقابل جنديين وأكثر كما تظهر الإحصاءات السنوية لخسائر المقاومة الإسلامية وخسائر الجيش الإسرائيلي.

يظهر الفرق الشاسع بين روحية الجندي الإسرائيلي وروحية المقاوم في الوقائع الميدانية إذ يتحول في الجانب الإسرائيلي إلى التراجع في لحظة الاصطدام والاعتماد على الآلة العسكرية للضرب عن بعد، وإلى التقدم من جانب المقاومة خاصة في لحظة المواجهة المباشرة ولو أدى ذلك لاستخدام اللحم الحي، كما هو التفسير الحقيقي للعمل الاستشهادي الذي لم يختصر في الهجمات بالسيارات المفخخة إنما أيضاً في المواجهات الميدانية ليشكل إحدى أبرز سمات تجربة المقاومة في لبنان

اختلفت الصورة عما كان مطبوعاً في الذهن عن الجندي الإسرائيلي، وظهرت الحقائق التي كشفتها المقاومة، إذ صار بالإمكان الحديث عن صراخ الجنود الإسرائيليين وفرارهم من أرض المعركة، واختبائهم وراء المدنيين، وإعلان رفضهم للخدمة في لبنان وتفضيل السجن أو دفع رُشاً للضباط لنقل مكان خدمتهم، بل صار بالإمكان الحديث عن الفساد الإداري في الجيش الإسرائيلي وصراع الجنرالات ونزاعات مراكز القوى اقترن ذلك كله بتغييرات أملتها ظروف السياسة المرحلية لصناع القرار في الدولة اليهودية، فالدخول في مفاوضات مع العرب للتوصل إلى تسويات سياسية بعضها يتطلب انسحاباً من الأرض، عنى تخفيفاً لحماسة القوى الإسرائيلية المقاتلة خاصة جيل الشباب الذي وجد نفسه أقل رغبة في القتال على أرض يعرف سلفاً أنه لن يستقر عليها إلى الأبد، فهي لن تشكل بالنسبة إليه موطناً يقيم عليه وعائلته، أو تكون سبباً لتحسين وضعه الاقتصادي، وتلبي أحلامه التاريخية برؤية دولة ((إسرائيل الكبرى))، فما ينتظره إما الموت قتلاً أو الانسحاب تحت ضغط الاستنزاف اليومي، فضلاً عن استخلاصه النتائج والعبر مما حدث في بقية المناطق اللبنانية التي أجلي عنها الإسرائيليون، وساهم في تدني الروح القتالية ما أثارته الخسائر الإسرائيلية البشرية من نقاش داخلي في الجيش أو الوسط السياسي حول جدوى البقاء في لبنان، والحاجة إلى ((الحزام الأمني))، وكله على مسمع الجنود الذين وجدوا أنفسهم ضحية قرارات سياسية يقاتلون لأجلها وليس لقضية يهودية جوهرية كما هي حال المقاتلين القدامى الذين اندفعوا للحرب من أجل إنشاء الدولة.

انغمس الجيل الإسرائيلي الجديد بمتطلبات حياته الاقتصادية والاجتماعية وانحسرت طموحاته في التوسع الجغرافي بعدما اصطدم بنتائج الحرب في لبنان، فلم

تجد الحكومات الإسرائيلية من سبيل لإعادة تحريض المجتمع الإسرائيلي إلا بتكبير حجم المخاطر على الأمن، وما يتهدد الإسرائيليين إذا لم يبادروا للانخراط في القتال، وكانت المحفزات مزيجاً من استثارة الخوف على المستقبل والترغيب بالحصول على مكاسب اقتصادية وسياسية وأمنية، لكن العنصر الرئيسي المحرض انتفى وهو السيطرة على الأرض وضمها إلى الدولة وبانتفائه كان الإسرائيليون يفقدون القدرة على التحكم بمسار الحرب، فأفقها مقفل إلا على الانسحاب حتى المكاسب الآنية سرعان ما انكمشت إلى حدود ضيقة، فذريعة إنشاء ((الحزام الأمني)) لحماية شمال ((إسرائيل)) من التسلل أو القصف بالكاتيوشا، سقطت بعد حرب نيسان عندما أضطر الجانب الإسرائيلي للقبول بضمانات دولية لمنع استهداف مستوطناته والإقرار بعدم الرد المباشر على أي هجوم يستهدفها، ما ألغى الحاجة إلى ((الحزام الأمني)) ووظيفته بمنع الهجمات، إذ أن القبول بمثل هذه الضمانات مع وجود الاحتلال في المنطقة المحتلة يعني عدم الحاجة إلى ((الحزام الأمني)) الذي لم يلب الأمن للمستوطنات فضلاً عن تحوله إلى عبء على جيش الاحتلال حين صارت الميليشيات المتعاملة معه تحتاج إلى حماية بدل وظيفتها في حماية الجنود وامتصاص الهجمات على الحدود الشمالية.

في مقابل هذا التدني في الحماسة الإسرائيلية، وتحول الشباب عن الرغبة في الخدمة في لبنان، أو الاستجابة لتحريض القيادات السياسية والدينية للاشتراك في الحرب اللبنانية، كانت تظهر على المقلب الآخر بداية تشكل وعي فردي وجماعي للمشاركة في المقاومة والانضواء تحت لواء صفوفها، ولئن كانت دوافع الحرب الدينية لدى الشباب اليهود تقلصت وحلت مكانها دوافع أخرى، فإنها في الطرف اللبناني صارت أكثر تعبيراً عن انفعالات الشباب والتزامهم الديني والوطني، فامتزجت المفاهيم الدينية لدى الشبان المسلمين وبالتحديد الشيعة منهم، بمفاهيم وطنية لدى نظرائهم اللبنانيين، ودينية وقومية لدى بقية الشبان العرب والمسلمين، إذ وجد كل هؤلاء أنه بالإمكان استرداد ما فقدوه بفعل تراجع الأجيال التي سبقتهم وتسليمها بالأمر الواقع الذي فرضه اليهود.

فرؤية كلا المجتمعين الإسرائيلي واللبناني تبين مدى الفوارق في الروحية والدوافع للقتال واستمرار الحرب مع لحاظ الفوارق في الأهداف ونظرة كل منهما للأرض التي يقاتل عليها، ففي ظل ضمور إسرائيلي ومحاولات للتفتيش عن بدائل للاستنزاف اللبناني، كان هناك نهوض لبناني مشفوع باستنهاض عربي، جراء تمكن المقاومة الإسلامية من المحافظة على استمراريتها بزخم وجرأة لم ينقطعا، ما أعطى تأثيرات مباشرة على بقية الشبان اللبنانيين الذين أمكن تحريضهم على الانضواء في صفوف

((السرايا اللبنانية)) الاسم الذي اختارته المقاومة الإسلامية للخلايا التي تتشكل من بقية الاتجاهات وترغب في المشاركة في الحرب بعنوان لا يحمل بعداً دينياً أو انتماء سياسياً محدداً، رغبة بالإفساح في المجال لأوسع مشاركة لبنانية في القتال.

من الخصائص التي امتازت بها المقاومة الجدية والمصداقية، وهو ما سمح باتخاذها عنواناً جامعاً يلتقي عليه اللبنانيون، إذ لا أحد يستطيع إنكار ضرورتها ما دامت تحافظ على الأهداف التي يبتغون الوصول إليها كإنجاز السيادة وتحرير الأرض، وما دام رجالها مخلصين إلى حد التفاني لتحقيق هذه الأهداف، وهو ما تلمسه اللبنانيون بشفافية في اللحظات التي رأوا فيها التضحيات التي تقدمها المقاومة أو في الانتصارات التي يحققها رجالها.

استطاعت المقاومة أن ترسم صورة جديدة تتمثل في انقلاب المقاييس حين يصاب المجتمع الإسرائيلي بالانقسام عند كل اهتزاز يصيب جيشه في جنوب لبنان، بينما التفكك الذي أصاب المجتمع اللبناني بفعل الحرب الأهلية يستعيد بعض لحمته في المحطات الحساسة، فيصبح اللقاء على التصدي للاحتلال من أهم عوامل الوحدة الوطنية، وتنتفي التشكيكات بجدوائية المقاومة، أو باعتمادها خياراً للتحرير حتى من الذين يضطرون لمجاراة الشعور الوطني العام.

والقراءة لما ارتسم من واقع متمايز عن الحقبات السابقة تظهر مدى التأثيرات التربوية التي خلفتها المقاومة في المجتمع اللبناني، إذ نشأ جيل مشبع بمعاني الرفض والمقاومة، صحيح أنه يمثل امتداداً لجيل أكبر تركت فيه المفاهيم الدينية تأثيرات عميقة من نتاجها الروح الحماسية والاندفاع نحو الاستشهاد، لكنه جيل وعى على كل الطروحات السياسية لتسوية الصراع مع ((إسرائيل))، واكتمل أمامه المشهد بصورة المصالحات العربية الإسرائيلية، وهو ما يمكن أن يحد من عزيمة أي جيل يرى أفق الخيار العسكري مسدوداً، ومسار الأحداث يفتح الأبواب أمام التسوية السياسية.

لقد ساهم الجيل الأول في فتح الطريق لسالكيه بعدما استطاع تفكيك البنى المعنوية التي أقام عليها الجيش الإسرائيلي تفوقه على العرب، وأمكن لهذا الجيل أن يحدث انقلاباً في المفاهيم ممهداً السبيل أمام إسقاط حاجز الوهم العربي ليعبر الجيل الثاني للمقاومة في ظروف سياسية وجغرافية تمتزج فيها التعقيدات على الأرض بمناخ مؤات على المستوى النفسي والمعنوي، بعدما وعى على الهزائم الإسرائيلية والانسحاب من الأرض بقوة المقاومة.

تبين نماذج الشباب الذين سقطوا في المواجهات مع جيش الاحتلال أنهم ينتمون إلى

شرائح عديدة وإلى مستويات اجتماعية واقتصادية متفاوتة من الجامعيين وأصحاب المهن الحرة إلى العمال وطلاب المدارس، أي إلى مجموعة غير متجانسة على المستويين الاجتماعي والمالي، لكنها تلتقي عند أهداف واحدة، ويشكل ذلك إحدى الدلالات على تحول التأثيرات التربوية إلى سلوك مباشر يعبر عن نفسه في المشاركة المباشرة في أعمال المقاومة، ليس على المستوى الشعبي فحسب إنما أيضاً على المستوى العسكري برغم ما يحتاجه من جهد وما يتطلبه من استعداد للتضحية، ونجد مثل هذه المشاركات في بدايات عمل المقاومة، عندما صار الانتماء إليها حاجة واضحة لدى الشباب الموجودين في مناطق الاحتلال، كرد فعل طبيعي على مشاهداتهم المباشرة لممارسة الجيش الإسرائيلي، وحين تحول عمل المقاومة العسكري إلى الاحتراف جراء تبدل الظروف الجغرافية، ظل الانتماء إلى المقاومة عنصراً من عناصر التعبير عن الحاجة لفعل شيء ما تجاه قضية الجنوب، وهو ما نراه في رفدها بالعناصر الشبابية التي بدأت ملامح وعيها السياسي والثقافي تظهر بأشكالها التعبيرية عن طريق هذا الانتماء، فلئن كانت العناصر الأولى التي شاركت في المقاومة سواء المسلحة أو الشعبية تختزن في ذاكرتها صورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يقهر، وتمكنت من تكوين صورة مخالفة بواسطة الاحتكاك المباشر بهذا الجندي، فإن العناصر التي انتمت إلى المقاومة في مرحلة انتصاراتها بنت وعيها عن الجيش الإسرائيلي أنه جيش قابل للهزيمة، وبالإمكان التغلب عليه، ما دام يختبئ في مواقعه، ولا يجرؤ على الخروج منها، فكثير من تلك العناصر عايش الاجتياح في مرحلة الطفولة وبعضها لا يحمل منها سوى صور مشوشة، فهي اعتادت على مهاجمة جنوده، أو نصب الكمائن لوحداته وانزال الخسائر في صفوفها، كما اعتادت آذانها على سماع صراخ الجنود أو مشاهدة ذعرهم وهو ما ساعد أكثر على التحلل من عقدة التفوق الإسرائيلي، وسمح بالتالي بزيادة الشحن المعنوي للمقاتلين الذين تهيأت لهم العوامل الأخرى وفي طليعتها العامل الديني لمواجهة الجيش الإسرائيلي بروح معنوية تجمع بين حب الاستشهاد في المعركة، والرغبة في الانتصار.

لقد أدت كل تلك العوامل إلى بناء شخصية المقاوم اللبناني وجعلت منه مصدر اعتزاز عربي، فتحول إلى رمز للقوة الكامنة عند العرب، وفي المقابل ظهرت الصورة الإسرائيلية بخلاف ما وعته المجتمعات العربية، صورة يمكن تتكسر إذا ما اصطدمت بقوة ثابتة، وهذا بحد ذاته من أبرز التحولات التي أصابت الصراع العربي الإسرائيلي وأسست لمرحلة جديدة يظل فيها التفوق الإسرائيلي تكنولوجياً وتسليحياً لكنه لم يعد تفوقاً معنوياً، فحين خروجه من آلته العسكرية تظهر قدراته برغم ما يبذل في سبيل تدريبه، وهي قدرات استطاعت المقاومة الإسلامية هزمها.

نهاية أسطورة

أدى تغير صورة الجندي الإسرائيلي، وهو رمز القوة ((الإسرائيل)) إلى إعادة رسم إطار جديد للمواجهة التي انتقلت من صراع التقنيات والوسائل العسكرية إلى صراع إرادات بين أمتين تستحضر كل واحدة منهما عناصر القوة والدعم، فالحرب ليس لتسجيل الربح بالنقاط على أهميتها، ولا تحسم بالضربة القاضية لاعتبارات تتعلق بموازين القوى والقدرات والإمكانيات، لكنها حرب تضع طرفيها أمام تحديات كبيرة تتصل بالحاضر والمستقبل، وتزيل في الوقت ذاته كل التشويش الذي علق في الذهن العربي حول إمكانية التكافؤ مع ((القوة الأسطورية لإسرائيل))، والتكافؤ هنا ليس بموازين القوى المادية، إنما في الفهم لطبيعة الصراع وإمكانياته المادية والمعنوية، فلغة الخوف والإحباط، والاختباء، والمصير المهدد يمكن رؤيتها في المجتمع الإسرائيلي لا من زاوية الدعاية الصهيونية التي تظهر ((مظلومية اليهود)) إنما من وقائع الحياة اليومية للجنود في جنوب لبنان التي تستولد أسئلة عن أسباب الموت في حرب مقفلة على الحسم والانتصار.

لقد تغلغل النقاش بداية في رأس السلطة، لكنه تحول إلى جدال يطال كل بيت إسرائيلي، فالخدمة في الجيش إلزامية للشبان، والتوجه إلى لبنان مبعث قلق للعائلة حتى يعود ابنها، وحين يقتل أو يصاب تصبح الأسئلة احتجاجاً على الموت في سبيل قضية سياسية وبذلك صار الخلاف اجتماعياً ((فقوة التضامن الوطني ضعفت ومن الأسباب القتل الفظيع لجنود الجيش الإسرائيلي في لبنان، فالحرب كشفت المجتمع الإسرائيلي على تناقضات، والجيش على بنى متفاوتة بل على فئات غير متجانسة، كانت تتوالى مشاهدها في تعبيرات الجنود في المواقع الأمامية الذين كانوا محط أنظار الصحافة الإسرائيلية وشعارهم كان ((الحاجة إلى احترام مجتمعهم وتقديره))، بل احترام زملائهم في الجيش الذين يخدمون في مكاتب إدارية أو في أماكن غير معرضة للخطر وعدم التعامل معهم ((كما يتعاملون مع كلاب حراسة))

منشأ ذلك الحرب المستمرة ((فكل يوم يمضي من دون نصب كمين لقواتنا في المنطقة يعتبر معجزة))، وهذا بالطبع له أثمانه على الوضعية القتالية والنفسية للجنود، وعلى حياتهم داخل المواقع وعند عودتهم إلى أسرهم، فالموت هاجس يلاحق الشبان وعائلاتهم، والسؤال الدائم عن الثمن أو النتيجة التي يحصل عليها هؤلاء، وهم يرون الآخرين يعيشون اهتمامات أخرى لا تتصل بقضيتهم أو بهواجسهم، لقد تحولت النجاة من لبنان إلى هدف بحد ذاته، وهو ما ترك تأثيراته على كل الجنود الذين استطاعوا الإفلات من نيران المقاومة.

لقد ساد تفكير واحد. ما هي السبل الآيلة إلى النجاة والعودة إلى البيت دون إعاقة، أو جثة، كمصير الجنود السابقين، وهذا كفيل باحباط معنويات الجنود وجعلهم يفكرون أثناء المعركة في كيفية تخليص أنفسهم، فيرتد ذلك على أدائهم لأن الموت بالانتظار، ((فالشعور بالخطر الوشيك الذي لا يتوقف للحظة والموت الكامن وراء كل نبتة أو انحناء طريق لا يترك وقتاً للتفكير))

لقد استبدلت شعارات كثيرة لدى العائلات والجنود، فبدل ((أذهب ونفذ الأوامر)) صارت العائلة تحث الشبان على الاحتياط وشعارها ((أنج بنفسك))، حتى لا يدفع الثمن، وكل ما ارتفع هذا الثمن، كان الجدال ينخر الجيش من داخله فشكوى الجنود من تراتبية الخطر التي تجعلهم وقود المعركة دفعتهم للصراخ علانية أن ((قادة الكتائب وقادة الألوية يخافون على أنفسهم)) لقد رأى هؤلاء تداعي الانضباط والروح القتالية فأكثروا من تذمرهم وشكواهم بأنهم وحدهم يدفعون الثمن، حتى إذا ما سقط بعض الضباط اتخذت القيادة العسكرية ذلك وسيلة لتأكيد عدم وجود تراتبية في الموت، فالكل معرضون للخطر.

لم تكن هناك مبالغة في وصف ما يجري في لبنان بانه حرب استنزاف ترهق ((إسرائيل)) بأكملها، إذ لا انفصال بين الدولة وجيشها، ولا حديث عن الدولة من دون الجيش، خاصة في مجتمع كالمجتمع الإسرائيلي، فاستنزاف الجيش في بنيته وجنوده وأسلحته يعني استنزاف المجتمع بأكمله، وهو ما يمكن رؤيته في التحلل من الهالة التي أحاطت بالجيش الإسرائيلي، ((فهذا الجيش الكبير وجد نفسه أكثر من مرة متخلفاً عن مقاتلي حرب العصابات، فحزب الله يطلق النار فيما يقوم الجيش الإسرئيلي بالتزام الملاجئ، حزب الله يقصف والجيش الإسرئيلي يعزز تحصيناته))

معادلة جديدة انتهت فيها أسطورة التفوق الإسرائيلي ((فالجيش الذي لا يقهر)) أمكن في لبنان التغلب عليه، لم يعد قادراً على المبادرة في كل عملياته، إنه يختبئ ويتصرف برد الفعل ولا يستطيع مجاراة تطور هجمات المقاومة، فلا خيار أمامه سوى تحصين مواقعه أو انتظار القذائف.

خرجت الحرب عن مسارها العسكري، بل لم تعد التأثيرات العسكرية توازي ما تخلفه نتائجها داخل البنية الإسرائيلية التي فتحت فيها خسائر الجيش الإسرائيلي، البشرية والمعنوية، ثغرة كبيرة، ظلت تتسع مع استمرار الحرب وتداعياتها في مجالات الأمن والسياسية والاقتصاد، تصيب البنيان الإسرائيلي بالاهتزاز، والأهم من ذلك كله تداعياته في المجال المعنوي والنفسي، تؤسس لا إمكانية تغيير كامل في معادلة الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

الفصل السادس

الباب الثاني

وتستمر قوافل الشهادة والشهداء

في الجنوب اللبناني

المقاومة اللبنانية شهداء وعمليات

شهداء وعمليات



سلمان منذر استشهد بتاريخ ١٩٧٧/٦/١٧ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي على جسر الحاصباني

غانم الحاج استشهد بتاريخ ١٩٧٧/٩/١٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في تلة الشريقي ـ الخيام

حسن جابر استشهد بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢٣ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في تلة الشريقي ـ الخيام

عباس علي مهدي استشهد في شهر كانون الأول ١٩٧٧ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي اليهودي في بنت جبيل

أنيس تلحوق استشهد بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٦ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في بنت جبيل

أحمد عوامي استشهد بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٦ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في بنت جبيل

تدمير محطة تلفزيون لحد ((الشرق الأوسط))

وتمكنت جبهة المقاومة الوطنية في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٨٥، من تفجير محطة إرسال تلفزيون الشرق الأوسط في قرية مارون الرأس بواسطة ٥ شحنات ناسفة زرعت عند الهوائيين وقاعة الأجهزة الإلكترونية الخاصة بالإرسال وغرفة الحرس

عملية أرنون

وقامت مجموعة الشهيد حسن درويش بإطلاق صورايخ من عيار ١٠٧ مم على قلعة أرنون حيث أصابت الهدف بشكل جيد وهذا ما نقله شهود عيان حيث قال أن سحب الدخان بدأت بالتصاعد فور سماع الإنفجار فيما هرعت مروحيات العدو إلى مكان الانفجار وقد يكون ذلك لنقل القتلى

عملية كريات شمونة

كما قامت مجموعة الشهيد غسان الديك بعملية عسكرية رداً على قصف العدو للقرى الجنوبية حيث قصف الأبطال المقاومون مستوطنة كريات شمونة بصاروخي غراد قام على أثرها العدو بإطلاق القنابل المضيئة والقيام بعمليات التمشيط الواسعة

شهداء وعمليات

في عيد المقاومة وتحرير معظم الجنوب اللبناني تحضرنا أخيلة الشهداء، يختالون في رياض النصر الذي أزهر بدمائهم، وجعلوا من أنفسهم بوابة العبور إليه ـ وكيف لا وهم طليعة انتصاراتنا.

يوم كان ليل الهزيمة مرخياً سدوله، وكان الهاربون إلى السلام يجرون عجزهم في سراب صحراء نفوسهم القاحلة، ينهشهم الشك والخوف، كانت دماء شهدائنا نوراً يسطع في ظلمة العتمة، عزيمة ويقينا وبطولة، وكان الانتصار على قاب قوسين منهم أو أدنى، يرونه ببصيرتهم المنفتحة، ويحسونه بقلوبهم العامرة فيهرعون إليه بلهفة



الشهيد عبد الله الجيزي — الشهيد محمد الخشن — الشهيد سميح موسى

الشهيد زياد خالد — الشهيد اسماعيل قمر — الشهيد رضا فاضل

المشتاق، يعانقونه، يتحدونه، فيصير النصر هم، ويصيرون هم النصر

وفيما يلي استحضار لأسماء الشهداء الذين سقطوا خلال العمليات ضد العدو:

جهاد فرحات استشهد بتاريخ ١٩٧٦/١١/٣ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في العرقوب (منظمة الزوبعة).

نجيب نصار ملاعب استشهد بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣٠ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في بنت جبيل

محمد سعسوع استشهد بتاريخ ١٩٧٧/٣/٢٣ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في حاصبيا

علي طعمة استشهد بتاريخ ١٩٧٦/٨/١١ أثناء مواجهة مع العدو اليهودي في الصرفند

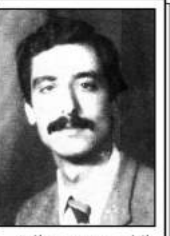
رضا فاضل استشهد بتاريخ ١٩٧٦/١٠/١٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في بنت جبيل

عدنان حيدر استشهد بتاريخ ١٩٧٦/١٠/٢٩ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في العيشية

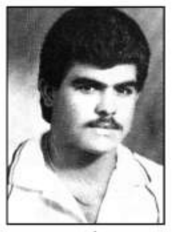
وتسمو زهرة الجلنار

شهادة وانتصار

ملف المقاومة والانتصار



الشهيد محمود التقي

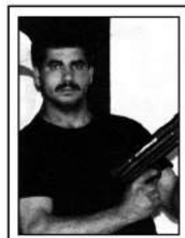


الشهيد أحمد يونس



الشهيد بسام مسلماني

الشهيد مصطفى عطوي



الشهيد أحمد طالب

الشهيد نضال الحسنية اسشتهد بتلريخ ١٩٨٤/٣/٢٠ أثناء تنفيذ عملية بطولية جريئة ضد دورية للعدو في جبل الباروك ودمر خلالها آليتين للعدو وقد اعترف العدو بالعملية وبمقتل أحد جنوده.

الشهيد فؤاد صالح بطل عملية مطار أنان والعديد من العمليات منها العاقبية واستشهد خلال تنفيذ عملية عسكرية في منطقة بسري بتاريخ ١٩٨٤/١١/٢٣

الشهيد حسن درويش (كشكش) استشهد بتاريخ ١٩٨٤/١١/١٣ خلال عملية

عسكرية في منطقة بسري

الشهيد فواز محمود خفاجة استشهد عام ١٩٨٤ أثناء تنفيذ عملية استشهادية

الشهداء : اسماعيل قمر - مهنا علاء الدين - محمد الخشن - سميح موسى واستشهدوا بتاريخ ١٩٨٥/٢/٢ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو في محزر باتر - جزين

الشهيدان عساف فرح وعلي فايز الحلبي استشهدا في منطقة حاصبيا بتاريخ ٦/١/ ١٩٨٥ أثناء تنفيذ عملية بطولية ضمن نطاق منطقة ((الحزم الأمني)) في حاصبيا

الشهيد محمد فرحات قاد عدة عمليات بطولية في جميع مناطق الجنوب المحتل كما خضع لعدة دورات عسكرية وهندسية للعمل خلف خطوط العدو، واستشهد في عملية القنطرة البطولية حيث استبسل مع رفقائه استبسالاً كبيراً عبر فيه عن عمق إيمانه بالعقيدة والمبادئ بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢

ـ علي عز الدين استشهد بتاريخ ١٩٨٥/٠٠/٠٠ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي

الشهيد محمد حسين إبراهيم شارك في عشرات العمليات الاستطلاعية والقتالية ضد الاحتلال وعملائه واستشهد فجر يوم الخميس ١٩٨٨/٣/١٠ في عملية بطولية على طريق أنان ـ صفاريه

ـ منير صفا استشهد بتاريخ ١٩٨٨/٦/١٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي

ـ بسام التقي استشهد بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٦ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي

الشهيد جمال عمر سباغ استشهد خلال تنفيذ عملية مشتركة على بوابة زمريا بتاريخ ٢٧-٢-١٩٨٩ حيث جرى اشتباك عنيف.

شهداء وعمليات

حافظ إبراهيم استشهد بتاريخ ١٩٨١/١٠/١٠ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في النبطية

حسن محي الدين استشهد بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢٩ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في أرنون

يوسف عجيب استشهد بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٠ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في محور شارون

الشهيد زياد حسن خالد شارك في عدة عمليات بطولية أثناء الاجتياح واستشهد بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٨٢ في عملية أسفر عنها تدمير دبابتين في كمين إسقط طائرة مروحية في تلال الباروك عام ١٩٨٣

بسام كامل سرحان استشهد بتاريخ ١٩٨٢/٦/٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي


الشهيد فؤاد صالح


الشهيد حسن درويش


الشهيد محمد ابراهيم


الشهيد غانم الحاج


الشهيد جميل سباغ

في السمقانية ـ الجنوب

عبد الله حسن الجيزي أو شهيد في المقاومة الوطنية

استشهد بتاريخ ١٩٨٤/٣/٢٥ أثناء تنفيذه عملية بطولية ضد العدو في منطقة العاقبية، بعد إطلاقه لقذيفة صاروخية أصابت آلية ((إسرائيلية)) فحرقتها بمن فيها من الصهاينة.

مصطفى علي نزهة استشهد بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في الجنوب .

مزيد صفا استشهد بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٢٠ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في زغلة ـ حاصبيا.

علي قدوح استشهد العام ١٩٧٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في ياطر

محمد الجيزي استشهد بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٨ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في تفاحتا

أديب محمد العبد عواضة استشهد بتاريخ ١٩٨٠/١/٩ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في معركة ـ صور

حسين رامز يوسف استشهد بتاريخ ١٩٨٠/٣/٢٥ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في الدوير

حليم المغوض استشهد بتاريخ ١٩٨٠/١٢/٢٢ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في صيدا

محمد علي شديد استشهد بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٥ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في النبطية

عباس محمد هاشم استشهد بتاريخ ١٩٨١/٧/١٦ أثناء تنفيذ عملية ضد العدو اليهودي في جسر القاسمية

عمليات استشهادية قام بها جنود المقاومة ضد الصهاينة

نماذج من عمليات المقاومة ضد العدو اليهودي

لقد شكلت هذه العمليات البطولية جزءاً من سلسلة العمليات التي نفذها أبطال الحزب السوري القومي الاجتماعي في إطار جبهة المقاومة الوطنية والتي تعدت الـ ١٤٠٠ عملية بين هجوم وكمين وعبوة منذ انطلاقة المقاومة العام ١٩٨٢ وحتى اندحار الاحتلال في العام ٢٠٠٠

لقد تصاعدت عمليات المقاومة بشكل لافت في الأعوام ١٩٨٤ و ١٩٨٥ و ١٩٨٦ وشهد العام ١٩٨٤ سلسلة عمليات، منها عملية الكمين الذي استهدف دورية صهيونية عند مفرق دلاعة قرب سراي صيدا، وأسفر عن مقتل عدد من جنود الاحتلال، إلى عملية مهاجمة موقع العملاء في صيدا والذي على أثر استهدافه حضرت المروحيات الصهيونية لإخلاء الإصابات، إلى عملية في منطقة نيحا - جزين استهدفت موقعاً للعدو، وقد حقق المقاومون الرادارات الصهيونية كما استهدفت عملية أخرى تلة سجد في جبل الريحان وعملية استهدفت مثلث الريحان كفرحونة

وفي ٢٧-٦-١٩٨٤ هاجمت إحدى مجموعاتنا على طريق دير قانون النهر - العباسية وبالقرب من دير قانون النهر (قضاء صور) دورية ((إسرائيلية)) مؤللة بقذائف ب ٧ والرشاشات ما أدى إلى إصابة خمسة من جنود العدو بين قتيل وجريح وقد اعترف الناطق العسكري ((الإسرائيلي)) بمقتل جندي واحد فقط في هذه العملية محاولاً كعادته التقليل من خسائره

في ١٩٨٤/٦/٢٨ فجّرت إحدى مجموعات الجبهة عبوة ناسفة لدى مرور دورية ((إسرائيلية)) عند مفرق البرامية قرب مستشفى النقيب في مدينة صيدا مما أدى إلى اعطاب آلية وإصابة ثلاثة جنود للعدو على الأقل وقد رد العدو برمايات عشوائية مما أدى إلى استشهاد مواطن وجرح مواطنين آخرين .

وفي ٢٩-٦-١٩٨٤ هاجمت مجموعة من مقاتلي الجبهة دورية ((إسرائيلية)) بالأسلحة الخفيفة في العاقبية مما أدى إلى اعطاب آلية وإصابة طاقمها بين قتيل وجريح.

وفي ٣٠-٦-١٩٨٤ نفذت مجموعة من المقاتلين عملية قنص على نقطة مراقبة ((إسرائيلية)) فوق سطح بناية البربير في ساحة النجمة في مدينة صيدا فأوقعت إصابات في صفوف العدو، واعترف الناطق العسكري ((الإسرائيلي)) بإصابة جندي على مشارف مدينة صيدا في هذا اليوم.

وفي ١-٧-١٩٨٤ هاجمت إحدى مجموعاتنا دورية ((إسرائيلية)) لدى مرورها على طريق عبرا شرقي صيدا مما أدى إلى مقتل جندي وجرح آخر.

هاجمت مجموعة ثالثة دورية مؤللة للعدو على طريق طيردبا (قضاء صور) بالأسلحة الرشاشة وقذائف بـ ٧ مما أدى على إعطاب آلية وإصابة طاقمها .

وفي ٣-٧-١٩٨٤ هاجمت إحدى مجموعات الجبهة الموقع ((الإسرائيلي)) على طريق الصرفند ـ عدلون بالأسلحة الصاروخية والرشاشة فأصابت الرمايات الموقع مما أدى إلى وقوع إصابات عدة عملت مروحية ((إسرائيلية)) على إخلائها وفي اليوم نفسه أطلقت مجموعة أخرى نيران رشاشاتها على جنديين من ((جيش لبنان الجنوبي)) قرب مدرسة الفنون الأنجيلية في مدينة صيدا فسقط أحدهما قتيلاً والأخر جريحاً وذلك خلافاً لما ذكر الناطق العسكري ((الإسرائيلي)) .

وفي ٤-٧-١٩٨٤ ألقى أحد مقاتلي الجبهة قنبلة يدوية على دورية للعدو لدى مرورها بالقرب من التعاونية الاستهلاكية في ساحة النجمة في مدينة صيدا أدى إلى إصابة عدد من جنود العدو.

- ليلاً هاجمت إحدى مجموعاتنا دورية للعدو جنوبي صيدا بالأسلحة الرشاشة لم نتمكن من معرفة نتائج العملية ونفى الناطق العسكري ((الإسرائيلي)) حصول إصابات .

وفي ١٩٨٤/٧/٥ فجراً أطلقت إحدى مجموعاتنا صواريخ كاتيوشا على الموقع ((الإسرائيلي)) عند المستشفى الإسلامي على طريق كامد اللوز ـ جب جنين أصابت القذائف الموقع وأسرعت سيارات الإسعاف لنقل الإصابات .

وفي ١٩٨٤/٧/٥ فجراً أيضاً هاجمت مجموعة ثانية دورية ((إسرائيلية)) على طريق العاقبية (الزهراني) بالأسلحة الخفيفة مما أدى إلى إصابة عدد من جنود العدو

بعد الظهر هاجمت مجموعة ثالثة بالرشاشات شاحنة لـ ((جيش لبنان الجنوبي)) لدى مرورها على طريق القعقعية عند مفرق عدشيت (قضاء النبطية) وتم إعطاب الشاحنة فتراجعت للوراء بعد إصابتها واصطدمت بتلة على جانب الطريق فاصيب الجنود الثلاثة الذين كانوا في الشاحنة بين قتيل وجريح، بعد العملية طوق العدو ((الإسرائيلي)) بلدة ميفدون واعتقل عدداً من شبابها ، ليلاً أطلقت إحدى مجموعاتنا صاروخ غراد على مستعمرة المطلة.

في ١٩٨٤/٧/٦ ليلاً أطلقت إحدى مجموعات الجبهة قذائف صاروخية على الموقع ((الإسرائيلي)) في جبل صافي قرب بلدة جباع (قضاء النبطية) أصيب الموقع مباشرة ولم نتمكن من معرفة نتائج العملية

وفي ١٩٨٤/٧/٨ هاجمت إحدى مجموعات الجبهة دورية مشاة ((إسرائيلية)) على طريق طير دبا (قضاء صور) بين مفرق الحمادية ومفرق شارنيه بالأسلحة.

سلسلة عمليات نوعية في بيروت والجبل والبقاع ١٩٨٢-١٩٨٣
٢١ تموز ١٩٨٢ انطلاقة جبهة المقاومة الوطنية

إسقاط شعار ((سلامة الجليل))

بعد أن اجتاح جيش العدو لبنان، أدعى قادة العدو أنهم نجحوا في تخطي أمن مستوطنات الجليل، وبعد هذا الاِدعاء جاء الرد صاعقاً حيث أطلق المقاومون صواريخ الكاتيوشا على المستعمرات معلنين انطلاقة جبهة المقاومة وإسقاط شعار ((سلامة الجليل))

وفي تفاصيل العملية كما رواها منفذاها في حينه الرفيقان سمير خفاجة وفيصل الحلبي أنه جرى إحضار الصواريخ من البقاع إلى داخل منطقة الاحتلال ((سابقاً))، ورغم كثرة الحواجز استطاعا إيصالها إلى المكان المخصص لنصبها وإخفاءها بين الأعشاب لمدة ثلاثة أيام ومساء يوم ٢٠ تموز ١٩٨٢ جرى تهيئة الصواريخ وتم وضعها على منصة مصنوعة من ((المورين)) الخشبي، وتم إيصال السلك الكهربائي، وجرى تحديد التوقيت ٥٥ دقيقة

وفي اليوم التالي جرى إطلاق الصواريخ ونجحت العملية، عملية انطلاقة الجبهة وإسقاط شعار سلامة الجليل وقد تناقلت وسائل الإعلام المحلية والعالمية نبأ العملية ووصفتها بالعملية الضخمة التي استهدفت مستوطنات كريات شمونة وقد أوردت إذاعة العدو الخبر نقلاً عن مراسلها العسكري مشيرة إلى أهمية العملية

البركان في بيروت. ملحمة محطة أيوب. كورنيش المزرعة

وبعد معارك الصمود في بيروت و ((انسحاب)) المقاومة الفلسطينية باتفاق ((فيليب حبيب)) وخدعته النافرة، انفجرت المقاومة المسلحة ضد العدو، فكانت عملية الويمبي في شارع الحمراء وعمليات أخرى قام بها أبطالنا، وهي تعبر عن إرادة التصدي والصمود بعد أن اعتقد اليهود أن الراحة قد أتت أقاموا دائرية من الستار الحديدي ضمن مناطق تواجد آلياتهم وكانت نقطة التجمع في فسحة دائرية تربط مفارق الطرق وإلى جانبها فسحة مكملة لها هي محطة لبيع المحروقات، وهي محطة أيوب الفاصلة بين زقاق البلاط والظريف، وكان هناك تجمع من أفراد العدو يستلقون

بنشوة وراحة قرب المحطة لكنهم هبوا واقفين عندما شاهدوا سيارة جيب وفيها جهاز لاسلكي ومدفع من عيار ١٠٦مم، وظن جنود العدو أن الغنيمة قد وصلت إلى أيديهم، لكن من خلف زاوية المدرسة (مار يوسف للبنات) كان هناك مارد ينتظر اللحظة المناسبة فعندما التف الجنود حول السيارة وتجمعوا، عاجلهم بقذيفة آر بي جي تصب حمماً تركتهم جثثاً لا حراك بها فاستدرات دبابة هائلة لترد على مصدر النار فإذا بمارد آخر يحول الدبابة بقذيفة أخرى إلى كومة من الركام كانت حصيلة الملحمة ١٥ جثة تهاوت على جوانب السيارة وخمس جثث احترقت داخل الدبابة وبفرح شديد انطلق الماردان في عملية أخرى تعيد شرف هذه الأمة.

كانوا ستة انقسموا إلى مجموعتين انطلقت الأولى باتجاه المزرعة والأخرى باتجاه مفرق ثكنة الحلو، فالمجموعة الأولى اتجهت عبر زواريب بيروت للوصول إلى مكتب م.ت.ف. في المزرعة حيث يوجد تجمع لقوات العدو وأخذوا مواقعهم بانتظار إشارة رئيس المجموعة لكنه لم يكمل بعد إشارته حتى دوت أصوات القذائف مدمرة بحرارتها دبابات وناقلات العدو وانسحبوا بهدوء بعد أن عالجوا من فر من الدبابات برصاصاتهم، وعند عودتهم التقوا بأفراد المجموعة الأخرى وفيما كان قائد المجموعة يهم بالحديث عن عمليته، رأى أحد أفراد المجموعة الأخرى ينظف فوهة قاذف الدروع



الشهيد حسين اليوسف - الشهيد محمد شديد - الشهيد أديب عواضة - الشهيد أنيس تلحوق - الشهيد جهاد فرحات

الشهيد حسن جابر - الشهيد مصطفى نزهة - الشهيد عباس مهدي - الشهيد يوسف مزهر - الشهيد طالب أبو ريا

فقد كانت هنالك عملية ثانية في نفس الوقت وكان شارع ((كورنيش تلة الخياط)) مما أدى إلى إرباك العدو ضمن هاتين العمليتين بوقت واحد.

على رصيف ((الويمبي))

العملية الثانية كانت في وضح النهار بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٨٢ حيث أقدم البطل خالد علوان على قتل ثلاثة عسكريين يهود كانوا داخل مقهى ((الويمبي)) وقد قام الرفيق علوان ببطولته هذه التي ملأت قلوب رواد شارع الحمراء فرحاً واعتزازاً، شاهدوا واحداً من مواطنيهم، بطلاً من أبطال شعبهم، ماردا تمثلت فيه كل مقومات العزة القومية يتقدم نحو العسكريين الأربعة وقد استطاع أن يخترق حاجز الروائح الكريهة وخيلاء الدولة الدخيلة المغتصبة ويطلق من مسدسه رشقاً من الرصاص أصاب الضابط المغرور ومرافقيه، وتركهم كومة من الجثث على رصيف الويمبي.

أسر طيار يهودي

في ٦-٦-١٩٨٢ وأثناء التصدي للاجتياح الصهيوني، استطاع المقاومون إسقاط طائرة معادية فوق النبطية، وقد أسر القوميون الطيار اليهودي اخيعاز هارون، وذلك بالرغم من الغارات الجوية المكثفة لإعاقة عملية الأسر

وقد روى الرفيق مطران قائد القوة القومية التي أسرت الطيار، أنه نقله إلى صيدا حيث مركز القوة المشتركة وعثر معه على جهاز لاسلكي وعلى خرائط تبين الأهداف التي كان سيقصفها وهي مراكز الحزب ومواقعه في أرنون وعلي الطاهر وقلعة الشقيف. وتعتبر هذه المحطة من المحطات الهامة التي تدلل على دور الحزب في المواجهة ضد العدو.

شهداء وعمليات

الفرار الكبير من ((أنصار))

بتاريخ ٨ آب ١٩٨٣ أفادت وكالة الصحافة الفرنسية أن حوالي (٣٠) معتقلاً في مخيم أنصار قد تمكنوا من الفرار رغم الحراسة المشددة ونسبت الوكالات إلى مصادر ((إسرائيلية)) أن الطائرات المروحية ((الإسرائيلية)) تجوب المنطقة بحثاً عن الفارين وقد أطلق العدو النار عليهم مما أدرى إلى استشهاد أحدهم

يذكر أن قائد المجموعة التي نفذت عملية الفرار الكبير هو الشهيد عاطف الدنف (ثائر) وقد شارك في العديد من العمليات البطولية ضد العدو ((الإسرائيلي)) من أبرزها عملية الباص في عاليه وعملية أسر ثمانية من جنود العدو في بعلشميه

واعتقل من قبل قوات الاحتلال في بعلشميه بتاريخ ١٦ كانون الثاني من العام ١٩٨٣ أثناء قيامه بعملية ضدها ونقل إلى معتقل أنصار، كما قاد عملية الفرار الكبير من المعتقل مع مجموعة من رفقائه في الثامن من آب ١٩٨٣ عبر ((نفق الحرية)) في معتقل أنصار واستشهد بتاريخ ١٥ تموز في عام ١٩٨٤ صدق أو لا تصدق ولكنها الحقيقة:

نفق بلغ سبعة وعشرين متراً، بعمق مترين ونصف المتر وهو المحاولة الثالثة والعشرون بطلاً من أبطال معتقل ((أنصار)) تناوبوا على عملية الحفر هذه، فكانت أظافرهم أقوى وأشد من الآلات الحادة. انقطع الأوكسجين وهم يحفرون. فتنفسوا من أمل الحرية.

اعترضتهم الحجارة والصخور فكانت إرادتهم ((صوانية)) الصلابة ومحيطه مما أدى إلى استشهاد الرفيق البطل طالب أبو ريا وجرح رفيق آخر وقد جرى سحب جثة الشهيد والجريح من أرض المعركة .

الشهيد يوسف حسين مزهر استشهد في سهل إبل السقي ليل ٣-٦-١٩٩٩ أثناء مواجهة مع كمين للعدو الصهيوني استمر زهاء الساعة، استقدم خلاله العدو تعزيزات عسكرية إلى مسرح الاشتباك، ولم تتوافر معلومات عن حجم الخسائر في صفوف العدو. وخلال الاشتباك أصيب قائد المجموعة الرفيق المناضل يوسف حسين مزهر إصابة أدت إلى استشهاده .

الشهيد أحمد علي طالب استشهد في ٥- ٥- ١٩٩٠ في عملية ضد الاحتلال وعملائه في منطقة كوين حيث دارت معركة عنيفة سقط فيها عدد كبير من القتلى الصهاينة وقد أسر في العملية البطولية الرفيق علي بدر الدين الذي أطلق سراحه مؤخراً وصدر بيان عن العملية أكد الإستمرار في الكفاح حتى التحرير

الشهيدان الرفيقان مصطفى عطوي وبسام مسلماني استشهدا في ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٢ خلال تنفيذ عملية استهدفت دورية صهيونية في تلة علي الطاهر وجرى خلال العملية تدمير آلية وإصابة من فيها وإعطاب آلية أخرى وقد كان منفذاً العملية على بعد ١٠٠ متراً من المكان المستهدف.

استقدم العدو تعزيزات ونشبت معركة استمرت زهاء الساعة استبسل خلالها أبطال العملية اللذان استشهدا وهما الرفيقان: مصطفى عطوي وبسام مسلماني وقد سقط للعدو ما لا يقل عن سبعة قتلى، وقد جاءت هذه العملية لتؤكد استمرار الحزب في المقاومة وبفعالية.

عبد المحسن بو عباس استشهد خلال تنفيذ عملية في الخيام في شباط عام ١٩٩٧

الشهيد طالب أبو ريا استشهد في ١٩٩٨/١١/١٧ خلال قيامه بمهاجمة موقع برعشيت الصهيوني، وقد فجرت المجموعة المهاجمة الدشمة مما أدى إلى مقتل رامي الرشاش وعلى الأثر قامت المروحيات الصهيونية بقصف الموقع

ذاكرة عربية لن تموت ولن تنسى أبداً
إنها ذاكرة النضال والخلود



الراحل الخالد الرئيس المرحوم حافظ الأسد و العماد أول مصطفى طلاس وزير الدفاع وسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

في لقاءٍ عربي تسوده روح النضال والمودة ويعبر تعبيراً كاملاً وشاملاً عن التضامن والتكافل العربي بين البلدان العربية إنه لقاء يمثل الأصالة في أسمى معانيها وفي أنبل صورها. هكذا كانت وما زالت سورية موئلاً للقاءات العربية البناءة والهامة بين الأشقاء العرب والرموز النضالية والوطنية الهامة وهكذا ستظل سورية السماء التي تغرد فيها كل طيور الحرية دون خوف من الصياد الصهيوني الذي ما عادت بندقيته ترهب عصافير وطيور السلام في هذا الوطن.

عائلة الرفاعي في حوران
عائلة عريقة ومباركة ومتميزة

أخي القارئ ما أجمل أن يرى الإنسان باقات الأزهار في حدائق النوار بقيادة الشاب المغوار الدكتور بشار الذي ضمن غلة البيدر العربي وقهر الاستعمار وهو يمثل عراقة الماضي وزهوة الثمار وصمد أمام الغزوا الصهيوني ذنب الاستعمار وهو الآن قلعة حصينة وشمس النهار

هذه الزهرات الجميلة التي نبتت إلى جانب الدكتور بشار نبتت مع الربيع الأخضر



على سهل حوران الأحمر وهي مناسبة جميلة جمعت الأحرار بقيادة الدكتور بشار وإنه من أجمل الثمار التي نبتت على شجرة آل الرفاعي عزيزي القارئ القائد العسكري الفذ اللواء محمد الرفاعي وشقيقه الأستاذ حسين الرفاعي عضو مجلس الشعب وهم يقفون بصورة تذكارية إلى جانب الدكتور بشار والأستاذ حسين الرفاعي من عاداته أن يزرع بدل الدمعة ابتسامة وعلى كل ميدان وطني كرامة وهو بقعة الضوء القادرة على تبديد الظلام وارتشاف ضياء الصباح من أجل عقد راية الصلح والإصلاح.

من أرشيف ذاكرة المحبة

وصفاء روحي بين رموز قيادية ووطنية هامة



الرفيق المهندس إبراهيم هنيدي عضو القيادة القطرية ومحافظ السويداء سابقاً الرفيق الدكتور توفيق صالحة عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الإشتراكي والأستاذ علي خليل وزير الشؤون الاجتماعية والعمل سابقاً والرفيق سلام الياسين وزير الإدارة المحلية سابقاً

والمغترب هندي نصر من قرية نجران بالسويداء

ضمن جو من الألفة والمحبة الوطنية الصادقة تلتقي هذه الوجوه الكريمة وهذه الرموز الوطنية النضالية الهامة في قطرنا العربي السوري تلتقي على الخير وحب الوطن والإنسان لإصلاح الوطن وتنميته ورفع العلم السوري عالياً في سماء سورية والعالم. إنها كوكبة من رجالات عظام.

لقاء عربي متميز وهام



سمو الشيخ سلطان بن زايد وسمو الشيخ محمد بن زايد ووزير الخارجية السوري فاروق الشرع طائر السلام السوري المغرد في كل أنحاء العالم رافعاً راية سورية عالياً

هكذا كانت ومازالت سورية سفيرة للمحبة وللوطنية والسلام في أنحاء العالم كله، سورية هذه القلعة الشامخة الصلبة الثابتة على مر الأجيال والعصور تحتضن في قلبها اللقاءات العربية بين القادة والوزراء والسفراء العرب لتشكل مساحة ودٍ وحوار وتآلف وطني وسياسي واجتماعي واقتصادي شامل، وفاروق الشرع وزير الخارجية السوري هو حمامة السلام التي تنطلق من سورية إلى كل أنحاء العالم حاملةً معها رسالة سورية وعلم سورية ومبادئ سورية لتقنع العالم بأسره بأننا نطلب السلام لكل شعوب العالم ولكن شريطة أن يكون هذا السلام عادلاً دون انتقاص من كرامة سورية وأبنائها ودون انتقاص من كرامة العروبة.

صورة مشتركة بين المهندس إبراهيم هنيدي عضو القيادة القطرية

والمؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

والسيد اللواء محمد الرفاعي

أخي القارئ في الصورة الماثلة أمامك والتي تم التقاطها من قبل الصحفيين في فندق الشام بمدينة بصرى وهو صرح حضاري وسياحي من منجزات الحركة التصحيحية المجيدة يظهر اللواء محمد الرفاعي باللباس العسكري وإلى يمينه المهندس إبراهيم



هنيدي عضو القيادة القطرية ومحافظ السويداء سابقاً وفي أقصى الصورة وعلى يمين السيد إبراهيم هنيدي يظهر الكاتب المؤلف أحمد الزعبي ويقول المؤلف أحمد الزعبي إنه شرفٌ عظيم أن يكون إلى جانب إبراهيم هنيدي واللواء محمد الرفاعي.

ويقول المؤلف أحمد محمد عطا اللّه الزعبي ونجله الأستاذ فؤاد أحمد الزعبي يقولان حينما تلتقي الأحرار بعد كل مشوار فهي قناديل مضيئة في كل دار ووطنية خيرة وزهوة الثمار، وغلة البيدر العربي وشمس النهار.

أخي القارئ في هذه الصورة رموز وطنية أضعك أمامها فالرفيق إبراهيم هنيدي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الإِشتراكي ومحافظ السويداء سابقاً قد أطلق أيادي سخية في كل ساحة وطنية وسمعة عطرة زاهية مع الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر ومحافظة السهل والجبل كانت الأنظار تتوجه إليه مثلما تتوجه إلى باقات الأزهار في حدائق النوار، وأمّا اللواء محمد الرفاعي حفيد النضال والأحرار حفيد نقيب أشراف حوران الشيخ عبد الرحمن الرفاعي الذي حمل البندقية وسار في

طليعة الركب الوطني لمقاومة المستعمر الفرنسي، وإنّ اللواء محمد الرفاعي يتابع خدماته للوطن والمواطن مما جعل منه شخصية فذة اعتبارية وارتقى إلى مراتب الشرف ليتابع خدماته في سياق عمله الدؤوب وهو ذو فكر متوهج وله مكانته العسكرية والاجتماعية نال عدة أوسمة وأبدى بطولات خارقة في حرب تشرين التحريرية وحرب الاستنزاف وتدرج في حمل عبء المسؤولية بكل جدارة وتقدير وينتمي إلى عائلة الرفاعي التي لها انتشار واسع في الوطن العربي منذ قرون قديمة.

والجدير بالذكر أخي القارئ أن اللواء محمد الرفاعي من مواليد أم ولد عام ١٩٣٩م

عضو مجلس الشعب السيد حسين صالح الرفاعي مواليد أم ولد ١٩٥٢م

السيد حسين الرفاعي عضو مجلس الشعب من مواليد أم ولد عام ١٩٥٢م

هذه الصورة التي في أعلى الصفحة هي للسيد حسين الرفاعي عضو مجلس الشعب



وهو حفيد النضال والأحرار حفيد نقيب الأشراف في حوران الشيخ عبد الرحمن الرفاعي الذي قاد الركب الوطني والنضالي ضد الاستعمار الفرنسي إنه الأستاذ حسين من أهم القناديل المضيئة بين كواكب السماء أطلق إشعاعه بين زملائه أعضاء مجلس الشعب ويد سخاء وعطاء في خدماته للوطن،

والمواطنين وهذه قرية أم ولد وهؤلاء رجالها لم يتوقف السخاء الوطني على بعد مشوارها قرية أفرزت نقيب الأشراف عبد الرحمن الرفاعي ودخل اللّه الرفاعي.

وثائق هامة وقديمة جداً

جمعها المؤلف تخص عائلة الرفاعي في حوران



وثائق هامة وقديمة جداً
جمعها المؤلف تخص عائلة الرفاعي في حوران

[illegible]

وثائق هامة وقديمة جداً

جمعها المؤلف تخص عائلة الرفاعي في حوران

الترجمة الحرفية للوثائق من اللغة التركية إلى اللغة العربية

عريضة مقدمة إلى متصرفية لواء حوران تحمل في آخرها ختم قائم مقام قضاء بصر الحرير وأعضاء المجلس الإداري للقضاء تتعلق بثبوت نسب الأشخاص الواردة أسماؤهم في العريضة من حدهم الأعظم أحمد الرفاعي بالاعتماد على الوثائق والشهادات المصدقة لديهم.

وفي ذيلها مصادقة متصرفية حوران بتاريخ ١١ رجب ١٣١٨هـ على صحة ما ورد في العريضة بختم كل من وكيل متصرف حوران محمد أبو الخير وأعضاء المجلس الإداري للمتصرفية.

شيخ ياسين خلف الرفاعي وشيخ موسى الجبر وشيخ يوسف القاسم ومحمد الفلاح وعبد الكريم وسعد المحمد وشيخ محمد اليوسف ورشيد ويلة أولاد موسى وحمد الحامد وسالم وطالب أولاد إبراهيم السليمات وهزاع بن يحيى وعوض بن مفلح وأحمد العبد القادر وعلي الأحمد وصالح المصطفى ومرعي الفندي وشيخ نمر وفندي أولاد عمر عياش وشيخ صالح العبد المحسن قاسم الموسى ومنصور المصطفى وخليل محمد أولاد الحاج إبراهيم والشيخ موسى وحسن ومنصور وخلف بن ظاهر وحمد بن رشيد وشيخ صالح اليوسف وشيخ مهاوش العلي ومحمد العبد الله ومحمد العوض وقاسم المحمد وموسى العوض ومحمد بن محمود المصطفى وشيخ محمد المصطفى وعلي بن محيسن وعلي السليمات وعوض المصطفى وطلال البشر وعلي عبد الجليل ومحمود الصالح والحاج رفاعي وعبد الله أولاد شيخ حسن ومصطفى الحسين وشيخ رفاعي العبد الله كلهم أشخاص قضا قهوره تابع أم ولد والشيخ محمد والشيخ محمود أولاد الشيخ حسين القصير قضا قهوره تابع ناصته قرية س ساكنلر زحه وزعل بن شيخ شحادة من بصر الحرير قضاء مقيملر زحه بولند فكري وجدا عظميري أولاد حضره سلطات أحمد الرفاعيه سلاله قديمة طاهره ونسب شريف مشهور ومعروف روي وبالتواتر عن المسنين في حوران وجبل العرب أن الأتراك أرادوا تطويع جبل العرب الذي تمرد على الجور والظلم التركي حوالي عام ١٨٨٠م فقاموا بأسر أربعين فتاة كوسيلة ضغط على أبناء الجبل ومرت القافلة التي تحل الفتيات في قرية أم ولد بطريقها إلى خربة غزالة لحمل الفتيات إلى دمشق وأثناء المرور في قرية أم ولد اعترض أهالي أم ولد هذه القافلة وكان على رأسهم نقيب الأشراف في حوران الشيخ محمد الرفاعي إلا أن الضابط التركي لم يستجب لنصائح الشيخ محمد وتوجيهاته له بأن هذا التصرف يتنافى مع تعاليم الدين والقيم العربية إلا أن الضابط نهره فصاح الشيخ محمد الله الله وهنا توقفت القافلة بأمر الله عن المسير ولم يتمكن الأتراك من السير

حتى أذن لهم الشيخ محمد بعد أن تسلم الفتيات وأعادهن إلى أهلهن. هنا كان على الضابط التركي أن يبرر تراجعه عن إيصال الفتيات إلى دمشق وذكر الحادثة إلى الوالي التركي فطلب مقابلة الشيخ محمد في دمشق إلا أن هذا الشيخ كان مسناً وصحته لا تسمح له بالسفر فسافر بدلاً منه أبن عمه الشيخ زعل وشرح للوالي التركي الموقف واستمع الوالي إلى شهادة الشهود والعساكر الأتراك إلى هذه الحادثة.

فخاطب الأستانة وطلبوا منه أن يرسل هذا الشيخ فسافر الشيخ زعل الرفاعي ومعه أحد أقاربه وقام الأتراك بامتحانهم هناك وطلبوا منهم دخول فرن من النحاس كان يستخدم للطبخ في قصر السلطان فنزل الشيخ زعل إلى الفرن بعد أن تم إيقاد النار فيه وصلى فيه ركعتين لله تعالى وهنا اعترف الأتراك بولاية هذه العائلة التي تنتسب إلى الإمام الحسين الشهيد وإلى الرسول الأعظم فصدرت تعليمات الباب العالي بإعفاء كل من ينتسب إلى عشيرة آل الرفاعي من الخدمة العسكرية وبقي هذا الفرمان سارياً حتى بداية حكم مصطفى كمال أتاتورك وممن وصلت إليهم هذه الحادثة بالتواتر وما زالوا على قيد الحياة المسنين ذيبان فندي الرفاعي وإبراهيم عقلة البلخي وغالب سعيد الرفاعي وغيرهم.

لا غرابة في أصالة عائلة الرفاعي الذي ثبت انتماؤها إلى الدوحة النبوية إنها شجرة التقوى وثمرها الطيب أخي القارئ لقد وضع هذا الشيخ أمام خيارات صعبة الخيار الأول هو الموت والثاني هو النجاة وإثبات البرهان لقد سلم هذا الشيخ حياته إلى خالقها ونفسه إلى بارئها وانتصر البرهان بمشيئة الرحمن وأمام أكبر سلطة في استانبول.

كان قارب النجاة هو التقوى التي تدرع بها فكان له ما كان لسيدنا إبراهيم وكانت النار برداً وسلاماً وما كان من القيادة التركية إلا الاعتراف بكرامة هذه الأسرة وبإجلال أصدرت هذه الوثيقة التي نضعها بين يديك وعمرها ١٠٣ سنوات وهي باللغة التركية وبحروف عربية كما كانت اللغة التركية تكتب آنذاك وكذلك نضع ترجمتها بالعربية.

إن هذه الوثيقة نبض في ذاكرة الوطن إن أبناء هذا الوطن كما قيل عنهم رهبان في الليل فرسان في النهار وإن جماهير حوران التي عايشت هذه الأسرة تكن لها كل الاحترام والتقدير وكذلك في كل موطن حيث تمتد هذه الشجرة المباركة على كافة أرجاء الوطن العربي الكبير.

((..شهادة لا بدّ منها.))

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي يتقدم بالشكر والامتنان والعرفان بالجميل للسيدين محمد منصور الخوالدة والسيد خالد حشيش سلامة أبو سالم وهما من العناصر الفاعلة والفعالة بالتنظيم الفلاحي في حوران، فقد قدما لهذه الأرض الخيرة أرض حوران الكثير من أفكارهما وجهودهما البناءة لتطوير التنظيم الفلاحي وازدهاره ولهما الفضل بتوجيهي وتزويدي بمعلومات فكرية عن حوران ونضالها الفلاحي والأخ خالد حشيش سلامة الذي طرق أبواب تفكيري وتذكيري بضرورة التعرف على التاريخ النضالي في هذه المحافظة وكان ذلك من خلال جلسة في بيته الكائن في درعا (حطين اسم الحي) وهو بالنسبة لي بقعة الضوء التي تنير الظلام أمامي في نفق الجهل والأوهام.

وكل الشكر والتقدير أيضاً للسيد الأخ والصديق محمد منصور الخوالدة وهذه شهادة لا بدّ منها بحق هذين الصديقين.

عائلة الغانم في حوران

عائلة عربية أصيلة تضرب جذورها في عمق التاريخ العربي

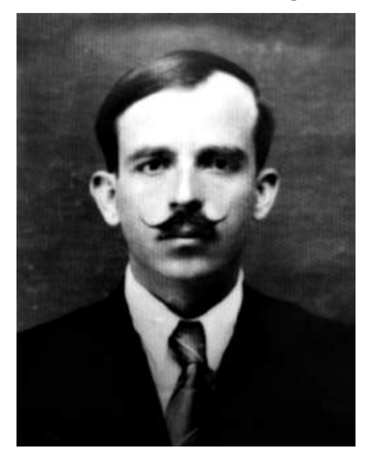
عائلة الغانم عائلة عربية تضرب جذورها في عمق التاريخ العربي ولها كثافة سكانية في بعض القرى الحورانية وخاصة في صيدا والمتاعية

وأبو حابس ـ محمد يوسف الغانم ـ رحمه الله ـ كان وجه من وجوه حوران وكان رائداً من رواد الصلح والإصلاح.

يده سخية اليد السخية يحبها الله لقد التقيت مع هذا الوجه التاريخي منذ عشرات السنين وتكلم عن الماضي وقوة الحياة عندما كانت الرفاهية غائبة عن البشر حيث كان الحصول على قطرة المياه مثل الحصول على قطرة البترول بل أصعب ـ وأبو حابس كان يتكلم وهو يعتصره الألم: كنا نحمل المياه من جهير بصرى على بعد ٤٠ كم على الدواب وكنا نفرغ المياه في بيوت الجيران قبل أن ندخلها إلى بيوتنا والذي يحافظ على قدسية الجيرة مثل من يحافظ على قدسية الوطن وبدأت يد الإصلاح في سورية بين عهدين ((عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ـ وعهد الرئيس الخالد حافظ الأسد)) وحوران لها نصيب بهذا الإصلاح.

وأما أبو حابس عاش عهد الصراع الوطني ضد الاستعمار الفرنسي وكان له دور في مسيرة النضال الوطني ضد الاِستعمار.

((المجاهد الأستاذ جميل كوكاش))



حق للتاريخ أن يسطر آثار الرجال وملاحم المجاهدين الذين برزوا في ميدان الحياة حتى انبسط لهم الأفق واتسعت أمامهم الدنيا إلى أن أضحت الأجيال المتلاحقة تتحدث عن مناقبهم ومآثرهم بكل عزّ وفخار. هؤلاء المناضلين الذين قدموا للوطن والعروبة التضحيات تلوى التضحيات في سبيل عزة هذه الأمة وشموخها .. هؤلاء العظماء الذين بعقولهم وإيمانهم بقضيتهم سياسة الكفاح ضد المستعمرين حيث قضوا في سبيل تحرير وطنهم من براثن الاستعمار ورفعة شعبهم وسموّ عروبتهم.

ولد المجاهد جميل محمد كوكاش في قرية العزونية قضاء عاليه جبل لبنان عام ١٩٠٤م نشأ وترعرع في ظل أسرة متواضعة كادحة عاشت في بيئة محافظة مؤمنة بالله والوطن وتلقى علومه الدراسية في المدرسة الإنجيلية وفي أوائل العام ١٩١٧م وبعد طرد الأتراك من بلاد الشام جاهد مع والده وأسرته إلى دمشق ثم إلى السويداء حيث استقر به الحال في قرية ((حبران)) إحدى ضواحي مدينة السويداء إلى جانب أقربائه ((آل كوكاش)) ومنذ ذلك الحين ومع بداية شبابه أحب الثقافة والأدب ورافق والده الشيخ ((محمد)) الذي كان مثقفاً بلغة القرآن وعلوم الدين وكان معلماً في عدد من قرى محافظة السويداء حيث مارس إلى جانبه مهنة التعليم لفترة من الوقت. وعندما حلّ الانتداب الفرنسي على سورية راح يناهض السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا فانضم إلى صفوف الكتلة الوطنية بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر كواحد من الشبان المثقفين الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الصراع السياسي مع سلطات الانتداب الفرنسي إذ كان ملازماً للدكتور ((الشهبندر)) وعندما انطلقت الشرارة الأولى للثورة السورية الكبرى بقيادة المناضل الكبير ((سلطان باشا الأطرش)) عام ١٩٢٥م ضد النتداب الفرنسي عمل المجاهد ((جميل كوكاش)) على نقل أخبار الانتصارات التي حققها الثوار على الفرنسيين خلال العمليات العسكرية البطولية والمعارك التي خاضوها مع الفرنسيين إلى أبناء الشعب في دمشق وبقية المدن السورية ويدعو إلى مناصرة الثورة ودعمها بكل الإمكانات اللازمة.

وفي صبيحة يوم /٢٩/ أيار ١٩٤٥م دخلت قوات الحرس الوطني بقيادة مجموعة من الضباط الأحرار من أبناء جبل العرب قلعة السويداء واحتلت مركز القيادة

العسكرية الفرنسية ومقر الحاكم الفرنسي ((الكومندان سارازان)) حيث تم اعتقاله وتسليمه إلى ((زيد الأطرش وجميل كوكاش وصباح الأطرش)) الذين اقتادوه إلى بيت المحافظ الأمير حسن الأطرش ووضعوه هناك تحت الإقامة الجبرية إلى أن تسلمته القوات الانكليزية.

١. صحيفة البعث العدد (١٠٦٢٥) تاريخ ١٩٩٨/٥/٢٩.

٢. صحيفة البعث العدد (١٠٦٢٥) تاريخ ١٩٩٨/٥/٢٩.

وبعد الاستقلال وجلاء قوات الانتداب عن أرض الوطن وضع المناضل ((كوكاش)) نفسه تحت تصرف حكومة الاستقلال واختار المضي في طريق بناء الدولة الجديدة فتدرج في إطار عدد من المسؤوليات فكان مدير مالية في عدد من المناطق ،مثل: شهبا - فيق - دوما - ثم قائممقام منطقة دوما - ثم رئيس مالية في كل من - دمشق - درعا - السويداء - ومستشاراً أول لوزارة المالية - حيث كان مثال الإنسان الصادق في تأدية واجباته الوطنية في تطبيق القوانين المالية وجباية الأموال المستحقة بكل إخلاص ووفاء بما يخدم الوطن والمواطنين وكان مساهماً أولاً ومعاوناً لوزير المالية في تحويل النظام المالي الفرنسي إلى النظام العربي كما أسس أول صندوق تعاوني في وزارة المالية.

وفي المجال الاجتماعي كان المرحوم جميل كوكاش متقدماً سخياً في الأعمال الخيرية والخدمات الانسانية المادية منها والمعنوية حتى ذاع صيت خدماته في كل أرجاء محافظة السويداء وكان من المؤسسين الأوائل ((لبيت يتيم السويداء)) إلى جانب رفيقه وصديقه المرحوم ((عارف النكدي)) الذي كان محافظاً للسويداء آنذاك .

كان بارعاً في كتابة الشعر النبطي جيث كتب الكثير من القصائد الوطنية والقومية وفي مقدمتها تلك التي أرسلها إلى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر إبان الوحدة بين سورية ومصر وقد ردّ الرئيس جمال عبد الناصر عليه برسالة شكر وما زالت موجودة حتى الآن عام ١٩٥٨م.

كتب العديد من القصائد الوطنية منها عن الجيش العربي السوري بعد الاستقلال ومنها لفلسطين وعن أبطال الثورة السورية الكبرى وشهدائها الأبرار وهم رفاق السلاح بالنسبة له حيث جاء في مطلع قصيدة له يرثي فيها هؤلاء الأركان الشجعان، فيقول:

يا حيف أركان الجبل يا حيف   يا حافظين حق الدخيل والضيف
كنتم تفدوا أرواحكم لأجل الوطن   والأجنبي تعلوه بضرب السيف

تاريخ إنشاء وزارة البيئة عام ١٩٩١

التصقت هذه الوزارة التصاقاً عضوياً مع الجهاد الوطني على خط الوزارات الأخرى، هذه الوزارة العتيدة التي حملت رسالة النظافة والحفاظ على البيئة، والمعروف أن قنوات النظافة هي ثقافة عالمية انطلاقاً من الحديث الشريفي القائل: ((أعظم شيء عند الله هو شهادة أن لا إله إلا الله وأدنى شيء إماطة الأذى عن الطريق)). وهذه الوزارة الفتية التي حملت السلاح الأمضى بهذه الرسالة، وهي رديفة المقاتل الذي صوب فوهة البندقية على الصهيونية المعادية للبشرية وكانت هذه الوزارة عمر فعلها أكبر من عمرها الزمني وبمزيد من الفخر والاعتزاز وكثير من الندوات التي أقيمت بهذه المحافظة بدعوى من وزارة البيئة للإرشاد والتوعية على نظافة البيئة ومنع تلوثها والمؤلف أحمد الزعبي والمدعو مع المواطنين والذي قدم الكثير من المداخلات والتي بعثتها دائرة البيئة بدرعا إلى وزارة البيئة وهذه بطاقة شرف للمؤلف احمد الزعبي انطلاقاً من الواجب الوطني المطلوب من كل مواطن أن يكون عضواً في هذه الدائرة العتيدة، وإذا كانت قواتنا المسلحة حملة السلاح من أجل محاربة عدو الإنسان العربي وهي الصهيونية فإن وزارة البيئة حملت السلاح الأمضى لمحاربة تلوث البيئة وهي جزء من تلوث الصهيوني بالوسط العربي كنباتات خبيثة لوثت الأخلاق في إنحدارها ولوثت الأرض العربية بالنفايات الذرية والمياه العادمة والتي انحدرت على نهر الأردن وأيضاً الأدوية التي ركبت فيها المواد الضارة بصحة الإنسان وبيعت في الأسواق المصرية والأردنية، ولكن الشعب المصري والأردني اكتشف بقدرته الواعية التلوث البيئي المنحدر عبر المياه والأدوية من الصهاينة ولكن سورية هي القلعة الحصينة لم يفتح بجدارها الصلب الثغرات لتمرير سموم الأفاعي الصهيونية وسوف يأتي اليوم الذي يتم فيه قلع جذور الصهاينة من فلسطين وتعود القدس حاضنته للرحمة وللإسلام والسلام والمسيحية والمعلوم أن الصهاينة هم معاول هدم على رسالة المسيح ومحمد عليهما السلام



الأديب والصحفي عبد السلام قاسم المحاميد عضو اتحاد الكتاب العرب في إحدى الأمسيات الشعرية في دار الأسد للثقافة بمدينة الثورة

وأما مديرية البيئة في محافظة درعا وهذه الأسرة الخيرة من النخبة المثقفة من المهندسين وعلى المقدمة ((الأستاذ قويدر علي حمد))

هذه المديرية بمهندسيها وفنييها وعمالها لم تغير قط حسها الوطني واستنفارها الدائم حتى تكون حضانة للرحمة إلى المواطنين بحمايتهم من تلوث البيئة

وكل الشكر من المؤلف أحمد الزعبي لكل فرد من هذه المديرية العتيدة والمؤلف أحمد الزعبي عضو فخري في هذه المديرية:

- المدير قويدر علي حمد.
- الأستاذ ياسين الحسن هواش .
- المهندس محمد أحمد الحريري.
- المهندسة عطية الزوايده .
- المهندس عدنان الكراد .
- المهندس أسعد الجاد الله .
- المهندس بلال الحايك .
- المهندس جمال مرعي .
- المهندس أحمد القبلاوي .
- المهندس إسماعيل خلف .
- الأستاذ محمد الجاحد .
- المهندسة سميره الحريري .
- المهندسة فاطمة الحريري .
- رئيسة الديوان حربيه سليمان .

وهذه الدائرة وجنودها البواسل أراد المؤلف أحمد الزعبي أن نخصهم بالذكرى دوائر المحافظة ومحاسب الإدارة محمد نصيرات.

شهادة لا بد منها من المؤلف إلى:
الأديب والصحفي عبد السلام المحاميد
عضو اتحاد الكتاب العرب
والمحامي الأديب فؤاد رجا....

يقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي:

مثلما يطل على الإنسان بعد هجعة الليل من سكون السحر نور الضياء ومثلما يعشق الليل ضياء القمر ومثلما تعشق الأرض الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر زهر الربيع وزهوة الثمر، وحينما تطلع غلة البيدر بعد حصار الثمر، لقد طلعت غلة البيدر عندي وهم أحباب العمر هما: الأستاذ المحامي والأديب فؤاد رجا والأديب الشاعر عبد السلام المحاميد عضو اتحاد الكتاب العرب وهو من الشعراء المهتمين في الوطن العربي فقد نال عدة جوائز فكرية وأدبية على مستوى القطر العربي السوري وعلى مستوى الوطن العربي ومنها جائزة د. سعاد الصباح في الكويت عن ديوانه: وفي الروح متسع للصهيل الفائز بالجائزة عام ١٩٩٤ م كما فاز بجائزة الشهيد ما جد أبو شرار وربيعة الرقي وجوائز أخرى وأصدر سبع مجموعات شعرية كان أخرها / وجهكِ الصبح وعيناكِ البلاد / الصادر ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب لعام ١٩٩٤ م وديوان: / ابتهالات بين يدي سيدة الفل والياسمين / الصادر ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب عام ٢٠٠٠ م، والأديب عبد السلام المحاميد يعمل في الصحافة الأدبية وينشر الدراسة والمقالة والخاطرة في الصحف والدوريات العربية والمحلية وقد شغل عدة مهام أدبية خلال عمله في اتحاد الكتاب العرب منها رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب بدرعا وأمين سر لفرع الاتحاد وكان مفرغاً فيه لتسيير أموره بين عامي ١٩٩٠م وحتى ١٩٩٧م

أما الأستاذ الأديب المحامي فؤاد رجا الذي يتمتع بكل الخصال الحميدة وهو الآن يعد العدة لإصدار مجموعة قصصيّة جديدة له فهو قاص له مكانته بين القصاصين العرب. الأستاذ فؤاد رجا وقف على بيدر تفكيري وعقلي واستنهضه من أجل تصويب الفكر على حبر الأقلام وكشف اللثام عن جهاد الآباء من زمان وأكثر من عشرين عاماً والأستاذ فؤاد رجا يفجر صواعق فكري وتفكيري من أجل كتاب تاريخ النضال الوطني والعربي وهكذا وجدت نفسي أسير على طريق الحياة

وهو الدرب الصعب لكتاب تاريخ النضال الوطني والقومي فكل الشكر الكبير للأستاذ المحامي فؤاد رجا رغم وعورة الطريق وسعفة الصديق المخلص والجدير بالذكر أن الأستاذ المحامي فؤاد رجا إضافة إلى عمله في القانون وتحقيق العدالة بين الناس فهو أديب يكتب القصة القصيرة بشكل جيد ومتميز وقد أقام عدة أمسيات قصصية في المنابر الثقافية المتعددة في سورية وقد نشر قصصه في الصحف والدوريات العربية لديه أكثر من مخطوط قصصي، دفع أحدها الآن للطباعة ليصدر مجموعة قصصية مطبوعة، يمتلك الأستاذ فؤاد رجا روحاً مليئة بالخير والصدق وحب الناس ومساعدتهم، يحاول دائماً أن يزرع الابتسامة في وجوه المحرومين من الابتسامة، صديق مخلص ووفي لأصدقائه ولكل من يعرفه. وهو من عائلة امتهنت الأدب وأبدعت فيه، من أشقائه الأدباء المرموقين الأستاذ أنور رجا وهو روائي وقاص معروف جداً والأستاذ ماهر رجا وهو شاعر معروف والأستاذ بسام رجا هو شاعر وقاص معروف وأديب له بصمة في تاريخ الأدب بسورية والوطن العربي

أما الأستاذ عبد السلام المحاميد فقد ساعدني كثيراً في إخراج هذا الكتاب إلى النور فقد أشرف على تدقيقه وكذلك وقف إلى جانب نجلي فؤاد الزعبي الذي ساعدني على التأليف وقف إلى جانبي خطوة بخطوة وهو صاحب موهبة كبيرة وإمكانات إبداعية في تأليف الكتب ورجائي من الله، يتابع ولدي فؤاد مسيرتي الفكرية والإبداعية في تأليف الكتب عن تاريخ حوران والوطن العربي والإسلامي، وفؤاد الزعبي نجلي يملك ذاكرة حفظية قوية وهو يتذكر دقائق المعلومات وأماكن وجودها لا ينس شيئاً منها وهو ذو أخلاق عالية ومثل نبيلة يحب الناس كما يحب وطنه سيرته عطرة وأخلاقه قويمة قائمة على مبادئ الدين والمجتمع الأصيل فكل الشكر للأستاذ عبد السلام المحاميد والأستاذ فؤاد رجا وولدي فؤاد الزعبي المؤلف:
أحمد محمد عطا الله الزعبي

نص الرسالة الموجهة

من ياسين محمود الخطيب الباحث المعروف إلى

السيد المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

الأستاذ المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي

تحية طيبة وبعد:

تشكرون على ما تبدونه من اهتمام في الحديث عن تاريخ حوران ودورها النضالي والحضاري فلك تمنيات الجميع بأن تسدد خطاك وتوفق إلى إظهار الحقيقة فيما لمحافظتنا من مزايا وخصائص تقوم على النقاء الفطري والحس الوطني الصادق

هذا ولي بخصوص المعلومات المتعلقة بأواخر أيام الأتراك والثورة العربية وبالفرنسيين اقتراح أحب أن أبديه لكم وهو:

١ - أن تستعينوا لجمع المعلومات ميدانية عن كل قرية ومدينة في المحافظة لأن كل قرية لها دورها وذاقت ما ذاقت على أيدي الأتراك والفرنسيين

٢ - أن تنسق هذه المعلومات وتصدر لكتاب يؤرخ لهذه الفترة بوضوح ودقة وحبذا لو طبقت الفكرة على كل محافظة من محافظات قطرنا على حدة ووضع كتاب عن نضال كل محافظة

٣ - وحبذا لو نسقت هذه المعلومات وأصدرت بشكل كتاب عام يؤرخ لهذه الفترة ويبرز دور كل مدينة وقرية في الموقوف في وجه الأتراك والفرنسيين

أما بالنسبة لحوران وتاريخ حوران حبذا لو فكرتم بتأليف تاريخ لحوران منذ الفتح الاسلامي أو قبله حتى يومنا هذا على غرار تاريخ دمشق وتاريخ حلب وتاريخ حمص وتاريخ معرة النعمان وغيرها

وبالنسبة لما عندي من معلومات عن موقف أهل إنخل من الأتراك والفرنسيين جمعتها من أخواه الآياد الذين عاصروها وشاركوا فيها ذكرتها كما تسمها فإني أرسلها إليك وأنا على استعداد لكل ما تطلبونه من إيضاحات

ذكر لي قبل شهر تقريباً أن محمد صالح غازية من إنخل عنده معلومات مكتوبة أثناء الحوادث لأن جده الشيخ حسين غازية كان يدون الأحداث ولكن لم يتم لي بعد أن ألقاه وأسأله

وختاماً لكم تحياتي وتقديري وأرجو أن تخبروني عن وصول هذا الملف إليكم لأطمئن وهاكم في مع الملف هاتفي في إنخل ودمشق واسلموا مناراً للحق والخير

ياسين محمود الخطيب

وفي هذه الرسالة ياسين محمود الخطيب يذكر فيها عن أحد المعمرين الذين عاصروا النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي وهذه الرسالة موجهة من ياسين محمود الخطيب سكان دمشق الأصل من إنخل وهذه الرسالة موجهة إلى المؤلف أحمد الزعبي وفيها معلومات عن النضال الوطني في إنخل

دور أهل إنخل في مقاومة الأتراك والفرنسيين صفحات مطوية من نضالنا الوطني والقومي

الخطوط الرئيسية:

قرية إنخل هي إحدى القرى الكبيرة في محافظة درعا تتربع على قسم واسع خصب من سهل حوران المعطاء كانت تنتج كميات كبيرة ومتنوعة من الحبوب والآن تنتج كثيراً من الخضراوات وخاصة البندورة والبامية كما تغطي أشجار الزيتون مساحات واسعة من أرض القرية وأهل إنخل يمتازون بالأنفة وعدم السكوت على الضيم، وهم يجابهون كل من يريد أن ينال منهم أو يعتدي عليهم بقوة العزيمة لذلك كان لهم دور فعال في حركة النضال الوطني والقومي ضد الأتراك والفرنسيين.

آ. دورهم في النضال ضد الأتراك

مشارك أهل إنخل مشاركة فعالة في أحداث الثورة العربية الكبرى، فما أن أنطلقت في ربوع الشام صيحة: ((أرسلوا الفرس الشقراء)) وهي شعار البدء بالثورة حتى هب مناضلوا قرية إنخل ينفذون مهمات الثورة وكان من ذلك تقطيع خطوط المواصلات أمام الجيش التركي المتراجع نحو الأناضول والمحاصر قسم منه في المدينة المنورة والعقبة ينتظر المدد والعون من أتراك الأتحاد والتركي أتراك السهوب والذئب الأغبر الأتراك الذين تنكروا للعرب وحضارتهم ولم يدخروا جهداً في سبيل النيل منهم ومن لغتهم جرياً وراء سياسة من أرادوا أن يضيفوا الأمة بتفريق كلمتها وبث روح الفرقة والشاق بين صفوف أبنائها الأمر الذي ظهر مداه على صفحات جرائدهم كجريدة ((إقدام)) التركية التي راحت تهاجم العرب وتكيل لهم ألتهم الباطلة مما حمل أحد شعرائنا العرب على مهاجمة الجريدة وصاحبها بقوله:

يا رب إقـدام بـات الـداء منحسماً — لقد فتحت جراحاً إذ فتحت فما
ماذا جنى العرب حتى رحت توسعهم — طعناً دراكاً أثار الضغن مضطرنا

ويضفه على صفاقته وجرأته على من كانت لهم الأيادي البيضاء على الأتراك إذ أخرجوهم من السهول: سهول آسيا الوسطى وأدخلوهم بوابة التاريخ فيقول الشاعر

من القصيدة ذاتها:

أما ترى للفتى التركي من سيم　　　تـركيـة محضـة إلا إذ إشـتـمـا ؟!

لذلك كله نقول للذين لم يرقهم هجوم أهل حوران على الجيش التركي المنهار والمتراجع من الحجاز واليمن ومصر إن هذا الهجوم لم يكن هجوماً على جيش دولة تهتم بجميع العناصر المنضوية تحت لوائها وتعاملها جميعاً على قدم المساواة إنه هجوم على جيش دولة حادت عن جادة الصواب وأخذت تغضب لعنصر واحد من عناصر الدولة هو العنصر التركي: تركي السهوب الذي كان يهيم في أصقاع آسيا بلا حضارة يعاشر الذئاب الغب هذا هو المنطق الذي بدأ يعالج به الأتراك الجاهلون قضايا الدولة وقضايا الشعوب التابعة للدولة لذلك أتخذت تنظيماتهم اسم تركيا الفتاة واسم الإتحاد التركي وشعارها الذئب الأغب وراحت تدعو لتتريك الدولة والتنكيل بالعناصر الأخرى وخاصة العنصر العربي

نَعَمْ: كان الهجوم وكانت الثورة وكان النضال سعياً وراء إنقاذ العرب من مخططات هؤلاء الخبيثة والسير بالأمة العربية على نهج يعيد لها حريتها وكرامتها واستقلالها. فما ضلوا قرية إنخل قاموا بتخريب جزء من الخط الحديدي الحجازي كما قاوما بتقطيع أسلاك الهاتف لذلك ألقي القبض على كثير منهم بهذه التهمة ونفذ حكم الإعدام شنقاً حتى الموت بثلاثة من المناضلين هم:

عبد الحميد بن شعيل الوادي وغالب بن محمد الوادي وسعيد بن محمد الفراج، شنقوا عند تل عرار بين عتمان وداعل وأمام أحد الجسور المدبرة ليكونوا على حد تعبير الأتراك عبرة لغيرهم نعم شنقوا هؤلاء المناضلين الإنخليين إرهاباً لشعبنا الثائر المطالب بحريته وكرامته، وكان من الذين نجوا من حكم الإعدام قاسم الفراج لأن أحد الضباط شهد شهادة لصالحه ولم يتعرف عليه من بين المهاجمين للجسر وتنجح الثورة العربية ويقدم الملك فيصل إلى الشام فيخف أهلها لإستقباله من العقبة وكان على رأسهم أهل حوران ومن بينهم وفد من أهل إنخل على رأسه مختار القرية عبد المحسن زين العابداين الحريري وقد رافق الوفد الحوراني جيش الثورة العربية كما شارك مناضلوا حوران مشاركة فعالة في جيش الثورة حتى دخلوا دمشق وروحوا في سمائها العلم العربي

ويمكن أن نشير هنا إلى طريق من طرق الدفاع السلبي ضد الأتراك المنحرفين وهو عدم الإنضياع لأوامرهم بالأنخراط بالجندية الإلزامية التي كانت تستهدف فيما تستهدف قتل أبناء العرب وزجهم في جبهات القتال في حرب ليس لهم ولا للدولة مصلحة بها، فكان الكثيرون يمضون مدة الخدمة متوارين عن أعين الجلادين أو يتركون القطر ويذهبون للجنوب إلى الجزيرة العربية حيث تباشر الثورة التي يرون فيها الأمل والخلاص فكان أن أعدم شنقاً عدد من أبناء العرب من أبناء الشام من أبناء حوران،

نعم أعدم عدد تهمة التهرب من الجندية وكان من بينهم عليوي الزعوقي من قرية إنخل أعدم بعد فترة اعتقال وتعذيب

الرد على بن غوريون



يقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي ليست الوحدة وقف على العالم العربي ولكنها أخذت مسارات أوسع وهي الوحدة العربية والإسلامية والثورة الإيرانية أكبر ثورة شعبية في العالم بقيادة الخميني وهو الذي قادها حتى يحرر المسجد الأقصى ولكن قد قامت ثورة عربية عبر التاريخ بقيادة جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢ وتمت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ وتآمر عليها الاستعمار الغربي وجاء دور القائد الخالد حافظ الأسد الذي كان من أهم أهدافه توحيد الأمة العربية بعدما تآمر الاستعمار على فصل الوحدة بين سورية ومصر ونبت بأحضان الثورة الإيرانية حزب الله بقيادة حسن نصر الله وتم تسجيل أو نصر في جنوب لبنان بقيادة حسن نصر الله

كلمة شكر من المؤلف:

يتوجه المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي ونجله المؤلف فؤاد أحمد الزعبي بالشكر الجزيل إلى الدكتور أحمد قاسم الحريري من بصر الحرير وذلك للمساعدة القيمة والهامة التي قدمها للمؤلفين بجمع الحقائق والوثائق عن حرب تشرين التحريرية وآبائنا المجاهدين الذين قدّموا دماءهم رخيصة فداءً للوطن وعزته وكرامته

كلمة شكر:

يتقدم المؤلفان أحمد محمد عطا الله الزعبي وفؤاد أحمد الزعبي بالشكر الجزيل للدكتور فاروق دخان بن محمد(فاروق محمد دخان) وهو عضو مجلس الشعب سابقاً والآن عضو لجنة دعم الانتفاضة بقيادة السيد محافظ درعا وذلك لجهوده وتشجيعه للمؤلفين والذي ساهم في إنجاح هذا الكتاب

كلمة شكر لابد منها إلى الأستاذ المهندس سمير عبد الرزاق في مركز المستقبل والأستاذ مدين جبر والأستاذ أحمد الغانم والأستاذ محمد أمين وذلك لخوضهم فنية وإبداعية في بداية طباعة كتابي والأخلاق العالية التي أصبحت أرضية غصبة في إدائهم الخير في طباعة الكتب التي ترد عليهم

السيد الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية وحجة الإسلام والمسلمين



سماحة السيّد حسن نصر الله قائد مدرسة الجهاد والاستشهاد

هذه الصورة التاريخية التي تجمع السيد الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية مع سماحة السيّد حسن نصر الله قائد مدرسة الجهاد والاستشهاد هي صورة حيّة تعبر تعبيراً حقيقياً عن تلازم المسارين السوري واللبناني وتؤكد صدق العلاقة الثورية والوطنية بين سورية ولبنان، إنهما يصنعان تاريخ الإسلام، فالقائد الفذ الدكتور بشار الأسد يقود سفينة العروبة باتجاه شاطئ الأمانة والأمان شاطئ المحبة الذي يسوده حبّ الإنسان ليصنع دولة الإنسان والأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ حسن نصر الله يعرف هو ورجاله الأشاوس كيف يسددون الطلقة إلى صدر الغول الصهيوني ويعرفون كيف يصنعون الشهادة لترتوي الأرض المعطاء بدماء الشهداء لتعلو راية الحرية والنصر. إذا كانت المقاومة في لبنان قد احتاجت إلى ثماني عشرة سنة لتصنيع نصرها، فإن المقاومة في فلسطين، تحتاج إلى أقل من ذلك لتصنيع نصرها بكل يقين وتأكيد وأقول لإخوتنا الفلسطينيين، إن الذي يذكي خيار المقاومة هو ثقافة، ثقافة شعب وثقافة جيل لا تراهنوا على أحد.

وعندما يكون جواب الدم هو الدم، تصونون دمكم، ودم رجالكم ونسائكم وأطفالكم وعندما تكرسون هذه المعادلة. ستفرضون قواعد القتال والمعركة، مما يطيلها، ويطيل استنزاف العدو، فأنتم أقدر على صنع النصر.

سماحة السيد حسن نصر الله
الأمين العام لحزب الله

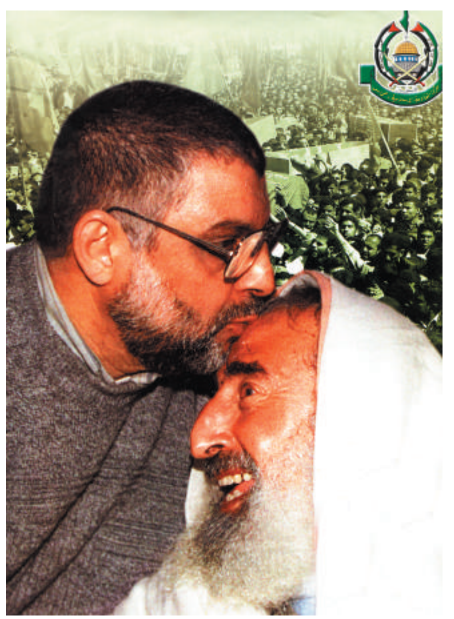


ويقول المؤلف أحمد محمد الزعبي إن القائد الذي قهر أعداء البلاد الصهاينة الأوغاد قادة الموساد، وجهنم لهم هي الميعاد بإرادة رب العباد هو أمين عام حزب الله سماحة السيّد نصر الله ورجالاته الأشاوس، ويقول إن أمريكا أصبحت عكازة رخيصة إلى اللوبي الصهيوني في خدمة مجانية، إنها لهم خيرزار، وسجلهم الأسود أبعدهم عن منطق الحياد، وإذا كانت أميركا يقودها شارون إلى مستنقع الفساد وقطرات البترول العربي تحول بأيدي الصهيونية إلى سلاح حاد وقطرات الدم التي نزفت من محمد الدرّة وإيمان حجو هي لعنة دائمة على البترول العربي الذي صنع السلاح الأميركي ورفد الاقتصاد.

سماحة السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله

إن المقاومة التي يقودها سماحة السيّد حسن نصر الله والمقاومة التي تقودها الثورة الإسلامية الإيرانية وتضافر الجهود العربية ضد الصهيونية كفيلة بإزالة الظلم عن الشعب العربي واستعادة كلّ الأراضي العربية المغتصبة

الشيخ المجاهد أحمد ياسين
عبد العزيز الرنتيسي



الشيخ أحمد ياسين هو أجمل قناديل الجهادية والاستشادية وأصبح رمزاً مقدساً من رموز النضال إلى قيادة الحرية والأحرار من أجل قهر الاستعمار عدو الدار والشيخ أحمد ياسين وصل إلى أول موقع متقدم باستشهاده على شواطىء النصر على مشارف الأقصى وكل حبة تراب في أرض الجولان ولبنان وفلسطين تساوي محراب مقدس هذه الأرض اكتسبت هذه القدسية من دماء الشهداء ما بين بوابة فاطمة ويافا

وحوران الثورة قامت من زمان وإيمان حجو والقسام فتح يا زهر نيسان واجرام شارون ذنب أمريكا أكبر شيطان لا بد أن ينتصر الحق على الطغيان أمريكا وإسرائيل عدوة الإنسان في كل زمان ومكان.

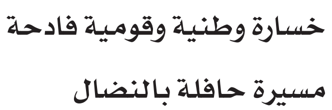
الصهاينة هم معاول هدم على رسالات السماء بل هم نباتات خبيثة بالوسط العربي.

نرجو الله أن يقتلع جذور الصهاينة من فلسطين حتى تعود القدس حضانة للرحمة للإسلام والمسيحية.

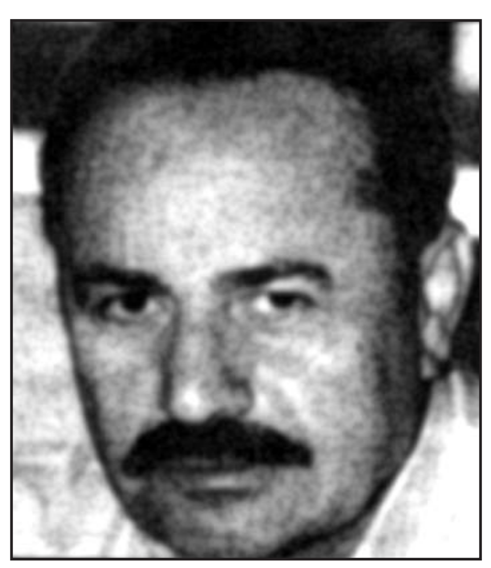
دماء الشهيد أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي هي نيران الجحيم على الصهاينة المعتدين والسيف القاطع هو سيف رب العالمين لقهر الظالمين المارقين.

- يا أيها الجرح المكابر وطني ليس حقيبة وأنا لست مسافر افهمي يا أمريكا وافهمي يا إسرائيل أنّ القدس والجولان ليستا حقيبة والشعب العربي لم ولن يسافر ولكنه راسي على أرضه كرسي جبل الشيخ وجبال القدس وجبل الكرمل والشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد الغزيز الرنتيسي أوفى بنذره وصدق بوعده وصعدت روحه إلى ربه ودمائه الزكية نبتت على دروب الحرية وهي النار الحارقة على الصهيونية ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم)).

أبو علي مصطفى
في قلوب رفاقه إلى الأبد


خسارة وطنية وقومية فادحة

مسيرة حافلة بالنضال



ولد مصطفى علي الزبري عام ١٩٣٨ في بلدة عرابة محافظة جنين، في أسرة متوسطة الحال، وانتقلت الأسرة بعد النكبة إلى عمان سنة ١٩٥٠ وأكمل فيها دراسته وتفتح وعيه الوطني والقومي في مرحلة نهوض وطني وقومي عام وانتسب رسمياً عام ١٩٥٥ إلى حركة القوميين العرب واعتقل بسبب انتمائه هذا ونشاطه الوطني، في الأردن في

سجن الجفر الصحراوي لمدة خمس سنوات، في عام ١٩٦٥، تلقى أبو علي مصطفى دورة عسكرية خاصة في مدرسة أنشاص الحربية في مصر، ثم عاد لتشكيل وحدات سرية خاصة للعمل المسلح، لكنه اعتقل مرة أخرى عام ١٩٦٧ وأطلق عشية حرب حزيران

ساهم مع جورج حبش وقيادات حركة القوميين العرب في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كانون أول ((ديسمبر)) ١٩٦٧ ونجح في التسلل إلى الضفة الغربية وأشرف على إعادة بناء التنظيم وتشكيل خلاياه العسكرية، عاد للأردن عام ١٩٦٨ ليتولى مسؤولية الداخل ثم قيادة العمل المسلح وكان المسؤول الفعلي والميداني عن الجبهة الشعبية أثناء معارك أيلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ وغادر الأردن سرا بعد ذلك انتخب نائبا للامين العام للجبهة الشعبية في المؤتمر الثالث عام ١٩٧٢ وتعزز الدور القيادي لأبو علي مع تدهور الحالة الصحية لحبش في الثمانينيات.



لعب أبو علي مصطفى دورا بارزا في استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية بعد الانشقاق والخلافات العميقة التي ألمت بها بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٧ وشارك إلى جانب الشهيد خليل الوزير (فتح) وقيس عبد الكريم (الديمقراطية) وسليمان النجاب في بلورة اتفاق عدن – الجزائر الذي مهد للمجلس الوطني التوحيدي عام ١٩٨٧ والذي شكل رافعة للانتفاضة الأولى في كانون أول(ديسمبر) ١٩٨٧، وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية لـ (م. ت. ف) بين ١٩٨٧ و ١٩٩١، وكان عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام ١٩٦٩، ثم عضوا في المجلس المركزي لـ (م. ت. ف) عاد إلى أرض الوطن في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٩.

قام أبو علي بجولة يتيمة في أرجاء الوطن الفلسطيني الذي غاب عنه ثلاثين عاما، بدأها في بلدته عرابة، واستغل الجولة لإعادة ترتيب أوضاع الجبهة وتهيئتها للمؤتمر السادس عام ٢٠٠٠ الذي انتخب فيه رسمياً أمنياً عاماً.

استقر في رام الله التي لم يغادرها منذ بدء الانتفاضة حتى للمشاركة في تشييع جثمان شقيقه ياسين الذي توفي في أيار (مايو) الماضي وكان عضواً في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية وهما من أسرة مناضلة اكتوى ثلاثة اشقاء منهم (تيسير وشافع وجهاد) بنار السجون وكان تيسير عضواً في المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية ثم الأمين الأول لـ((حزب الشعب الديمقراطي) الأردني قبل عودته إلى فلسطين.



الشهيد أبو حطب

شهداء عملية حصن مرغنيت

قراءة في عملية حصن مرغنيت

لعل المقاتلين أمين أبو حطب وهشام أبو جاموس، من كتائب المقاومة الوطنية الفلسطينية - الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين - لم يكونا يدركان الأبعاد الحقيقة لعملهما البطولي وهما يتقدمان بخطوات ثابتة، وبحذر نحو حصن مرغنيت، يخترقان سواتره الترابية، وحواجزه الالكترونية، وأسلاكه الشائكة، وأسواره الشاهقة، ويقتحمان بوابته الرئيسية، ويلتحمان مع حاميته في معركة قاسية خسر فيها الجيش الإسرائيلي ضابطا وجنديين)، وسبعة جرحى كما خسر في الوقت نفسه الكثير من سمعته وهيبته اقتحام مقاتلي الديمقراطية لحصن مرغنيت العسكري يفقد المستوطنين الإسرائيليين ثقتهم بقدرة جيشهم على حمايتهم من ضربات مقاتلي الانتفاضة، مما قد يدفع بهم للسؤال ((ماذا نفعل في غزة ؟)) إلى أن يتحول السؤال إلى مطلب ملح ((تعالوا نغادر غزة))



حصن مرغنيت حيث سقط القتلى الاسرائيليون

ذهول في إسرائيل وإحباط في صفوف جيش الإحتلال

عملية ((الديمقراطية)) في حصن مرغنيت زعزعت أركان الدولة العبرية

لجنتان للتحقيق في العملية وتخوف على معنويات الجنود

أبطال الانتفاضة الباسلة
ذاكرة الأجداد في أرض الأمجاد

أخي القارئ هل شاهدت هذا الطفل وهو يمشي مشية العز والفخار أمام آلية الدمار الدبابة الإسرائيلية انظر إليه وهو يقذف الدبابة الإسرائيلية بالحجر إن هذا الطفل هو قراءة بطولية متأنية طفح عنده المكيال / مكيال الإرادة القتالية /



إن طفولة وبطولة علي إبن أبي طالب كرم الله وجهه الذي دخل مدرسة البطولة طفلا وتخرج من مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم عالما وفارسا وهذه الفروسية هي التي قطعت جذور يهود خيبر وقتل أشجع فارس وهو عمرو بن ود العامري اشجع فارس في قريش خلف الخندق وإنّ بطولة علي أبو الحسن والحسين لم تغب عن أطفال الحجارة في فلسطين وإنّ أطفال وأبطال الانتفاضة هم قناديل بطولية نبتوا في أحضان عمر بن الخطاب وعلي وخالد وتستمر مسيرة النضال والأحرار وحتى نهاية المشوار وتحرير فلسطين هو زهوة الثمار وحينها تعود القدس حاضنة للرحمة للإسلام والمسيحية.

وأما الشعب العربي لا يرتضي بأن تتخرج حكام أمريكا من غابات القردة والخنازير وهذه الغابات هي وقف على بني إسرائيل حينما نزلت بحقهم الآية الكريمة.

بسم الله الرحمن الرحيم:

((وجعلنا منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت))

والشعب العربي أكثر أمنياته بأن تتخرج السياسة الأمريكية في حكامها من مدرسة المسيح عليه السلام والإيمان بالإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام ورسالة المسيح ومحمد عليهما السلام التي أرسلت من إله واحد على عبادة رب واحد ورب العالمين هو الذي بعث الحس الانساني في المراسلين الأجانب ومن هؤلاء المراسلين مراسل بلجيكي صرح من ميادين القتال وهو يقول:

هنا يقف الإنسان أمام مشهد ليس له مثيلاً عبر التاريخ البشري إنها مشاهد حية لشاهد عيان وهو مراسل بلجيكي حيث يقول أطفال الانتفاضة يقفون أمام الدبابات ويقذفونها بالحجارة وإني لا أكاد أصدق نظري الذي صوبته على هذه المشاهد كأن هؤلاء الأطفال فصائل ملائكية هبطوا على الأرض من أحد كواكب السماء وهذه الشجاعة المزروعة في وجدان الطفل الفلسطيني لم تكن مألوفة قط في الجنس البشري

وإنّ ملائكة السماء لا تخترق أجسادهم الصواريخ وهي من صنع البشر وهم غير خاضعين لنظام الخوف كخوف الإنسان من الموت لذلك على أمريكا وإسرائيل أن تفهما بأن الشعب العربي الذي اختار الموت هو شعب حي لن يموت في الدنيا والآخرة كما جاء في سياق الآية الكريمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون))

أما الشعب اليهودي الذي تغلف بلباس الجبن والخوف فإنه ميت في الدنيا ومغضوب عليه في الآخرة عند الله عز وجل

الوفاء الاجتماعي مظلة شرف وكرامة في حوران

قصّة يرويها الدكتور أحمد الحاج علي ويؤكدها الراوي الحاج خليل الحميدان الحاج علي

من بلدة خربة غزالة

الوفاء الاجتماعي مظلة شرف وكرامة في حوران ذهبت بصحبة الأستاذ فاعور الزامل ومحمد عبد الرحمن حرفوش لتعزية عائلة الحاج علي في خربة غزالة إثر حادث سير ذهب ضحيته السيد محمد عيسى الحاج علي ((أبو أمجد)) وهو من الرعيل الأول في الحزب وتقلد عدة مناصب في الدولة وكان موضع احترام من الحزب والدولة وأثناء تقديم العزاء جلست بجانب الأستاذ أحمد الحاج علي المحلل السياسي والكاتب الصحفي الذي نثر علي باقات الورود والأزهار من تراث ونضال أبناء حوران إبان العهدين الاستعماريين التركي والفرنسي وبين لي بعض التسامح والخصال الحميدة التي يتمتع بها شعبنا العربي في حوران والتي تعبر عن مدى التصاق الأديب بأرضه ووطنه حيث روى لي قصة حدثت في خربة غزالة في مطلع العشرينات من القرن الماضي أثناء إحدى جلسات التسلية بلعبة تسمى بالعامية ((المنقلة)) وهي عبارة عن قطعة خشبية ذات أجران مزدوجة ينتقل بها الحصى من جرن إلى آخر وكان اللاعبان وجهان اجتماعيان في خربة غزالة هما محمد جمعة الحاج علي وإبراهيم سليم الزعبي فانتهت اللعبة إلى فوز ابراهيم سليم الزعبي على محمد جمعة الحاج علي فحصل بين الاثنين مشادة كلامية نتيجة المزح والمحبة انتهت بضرب ابراهيم الزعبي من قبل محمد جمعة الحاج علي بقطعة خشبية كانت أمامه وتسمى عصا جرن القهوة المرة فاعتبر بعض أهالي المضروب هذه الضربة إهانة ويجب الانتقام من الضارب فذهب بعضهم إلى بلدة المسيفرة لطلب النجدة والعون وكان ذلك حيث وصل إلى خربة غزالة ما بين ٦٠-١٠٠ خيال حسب الاصطلاح الدارج في ذلك الوقت

فما كان من المضروب إلا أن ركب فرسه وبدأ يوجه الكلمات القاسية إلى أهله والقادمين من بلدة المسيفرة قائلاً: عودوا من حيث أتيتم لا شأن لكم بذلك إن آل الحاج علي أهلي وأقاربي وجيراني هم أقرب إلي منكم نحن نعيش معاً ونفرح معاً ونحزن معاً فعادوا من حيث أتوا وتصافت القلوب وعم التسامح استناداً لقول الله تعالى: ((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) ومن هنا نرى أن التسامح هو المحبة الدائمة والمتجددة في أعماق هذا المجتمع المتجذر بالأصالة والإباء وما يحمله دائماً من حب للوطن وبنائه والدفاع عنه في ظل الأخطار المحدقة به ولا سيما الهجمة الاستيطانية الشرسة التي يتصدى لها الوطن بكافة أبنائه لدرء

الخطر عن الأمة بكاملها وكرامة هذه الأمة تلتقي دائماً على المحبة والشرف والإباء والإخلاص لقائد مسيرة هذه الأمة الراحل الخالد حافظ الأسد الذي كرس القيم والمبادئ الوطنية والقومية مع استمرار النهج في عهد القائد بشار الأسد قائد هذه الأمة إلى النصر والتحرير

ملاحظة: وبعد أيام ذهبت إلى خربة غزالة فالتقيت بالحاج خليل حميدان الحاج علي الذي أكد لي هذه القصة التي رواها الأستاذ أحمد الحاج علي أخي القارئ: إن الدكتور أحمد الحاج علي كان صادقاً حينما راهن على عظمة العفو والتسامح. إنه أجمل مسيرة للوفاء والسخاء والنبات الأجمل في القلوب الخيرة فله الحب وحسن البقاء.

إن محمد عيسى الحاج علي كان موضع احترام القائد الخالد حافظ الأسد ومن ربان السفينة التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد وكان من العناصر الفذة بالحركة التصحيحية التي قادها الرئيس الخالد حافظ الأسد وأثناء مراسم العزاء جلست بجانب الأستاذ مصطفى الحاج علي والأستاذ أحمد الحاج علي المحلل السياسي الذي نثر عليَّ باقات الأزهار من حدائق النَّوار الحورانية والنظم الاجتماعية فيها والأستاذ أحمد الحاج علي المخزون بثقافة سياسية عالية والمرآة الصادقة للحركة التصحيحية وهو لم يبتعد عن النظم الاجتماعية الحورانية والوفاء إلى معطياتها الخيرة ومنها العفو والتسامح على قنوات الحب والمحبة وقال لي الدكتور أحمد الحاج علي أن المؤرخين لهم التصاق عضوي في منهج الوفاء الاجتماعي وقرأت في وجهه ملامح الورود الحمراء المزروعة من العادات الوفية الحورانية وأنه يعشق التسامح عشقاً صوفياً ثم بدأ يروي لي قصةً حدثت في خربة غزالة بين وجوه من الزعبية والحاج عليين ان الضارب هو محمد الجمعة الحاج علي أما المضروب هو إبراهيم سليم الزعبي إن المنظومة الأخلاقية هي منبع صافي انطلق من شلالات القلب الدافئ بالعفو والتسامح وهذه الخصال موجودة في خربة غزالة.

أثناء لعبهم بالمنقلة وهي لعبة شعبية قديمة وكانت متداولة في حوران والجولان وجبل العرب وحدث بينهما خلاف أدى الى أن قام محمد جمعة الحاج علي بضرب ابراهيم سليم الزعبي ثم هرب خارج القرية خوفاً من رد الفعل وتفاجأ الزعبي المضروب بوصول مائة خيال من المسيفرة مسلحين من أجل الثأر وهنا يقف الإنسان بإجلال واحترام أمام هذا الزعبي المضروب وهو يطرح شأن المعادلة بين العنف والرد على العنف وبدل الرد على العنف طرح العفو والتسامح وقال لأقاربه عودوا من حيث أتيتم أن عائلة الحاج علي أقرب لنا مودة منكم وقدسية النسب والأهل والعشيرة هي مظلة شرف وكرامة عشناها قواسم مشتركة مع أهلنا وربعنا الحاج عليين وهذا هو

النموذج الفذ في المجتمع الحوراني حيث جعل الدكتور أحمد الحاج علي يعيش نشوة الفخر والأعتزاز لهذا المجتمع الخير الذي أصبح قدوة حسنة لكل مجتمع في حوران

وهذا ينطبق على الأية الكريمة ((الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) والكاظمين الغيظ هم قمة الإحسان المنطلق من عمق الإنسان وأصبح التسامح هو الخميرة الطيبة المتجذرة في أعماق المجتمع الحوراني وهذا الوفاء كان من أجل أهداف القائد الخالد حافظ الأسد الحريص على وحدة السواعد مع وحدة البنادق والمطلوب تصويب البنادق على العدو الصهيوني والمعروف بأن عائلة الحاج علي نبتت في أحضانها الكثير من القناديل الوطنية وفي المقدمة الأستاذ فاروق الشرع وزير الخارجية وأنه الدرع للكرامة العربية في المحافل الدولية ومرآة صادقة في نسيج السياسة الوطنية وكثيرة هي الندوات الثقافية في المنتديات التي يغذي فيها المستمع مثلما تتغذى قطرات الندى من الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر.

أستقيت هذه المعلومات من الوجه التاريخي الحاج خليل حميدان وهو أكبر معمر في خربة غزالة وله صورة عبر الكتاب

إن الدكتور أحمد الحاج علي مستشار وزير الإعلام الذي اشرقت أنوار الحب والمحبة في وجهه بعشقه للقيم الإجتماعية الحورانية وهو الذي أدخلني على هذا الباب التاريخي في خربة غزالة.

إبراهيم السليم الزعبي الذي حمل البندقية حتى يستقبل عملاء فرنسة من الوزراء في محطة خربة غزالة وهذا الأستقبال على الطريقة الحورانية في توجيه فوهة البندقية إلى صدور الوزراء والمرافقين معهم وهي أول صفعة توجهت إلى هيبة فرنسة في حوران تحديداً في خربة غزالة وأما إبراهيم سليم الزعبي الذي وجه إليه الاتهام بأنه مهندس العملية التي قضت على وزراء فرنسا وتم إلقاء القبض على إبراهيم سليم الزعبي وثلاث رجال من عِلما مذكورين في الكتاب الأول ((صور مشرقة من نضال حوران)) وتمكن إبراهيم سليم الزعبي الفرار من القلعة وتم تنفيذ حكم الإعدام بحق الآخرين وإبراهيم سليم الزعبي الذي إلتزم بالآية الكريمة

((محمد رسول الله والذي معه أشد على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً))

صدق الله العظيم

وبقي العفو والتسامح إلى إبراهيم سليم الزعبي هو السلاح الأقوى وأصبح أنشودة الحصادين والعمارين على بيادر الحب والمحبة في خربة غزالة وأصبحت بقعة الضوء في قلب الدكتور أحمد حاج علي المحلل السياسي وأنه لا يزال يحتفظ بهذه القصة الإجتماعية في خربة غزالة وقد مها إلى المؤلف أحمد الزعبي.

قصيدة من وحي الأنتفاضة قالها الشاعر

عبد الكريم حسين كيوان أبو إياد من طفس

حارَ البيانُ وحارَ النطقُ والكَلِمُ ... وصوحت أحرف رفافة وفم
واسَّاقط الدّمعُ من عينيَّ منسكباً ... وساطني القهر والإعياء والألم
ماذا أُحدِّثُوالأرزاء تعصرني ... تصبني حمماً هوجاء تضطرم
أتمسح البسمة الغراعلى شفةٍ ... وردية ويموت الزهر والعنم
أم يصرع الطفل في أحضان والده ... ويستباح نجيع طاهر ودم
وتحصد الصبية الأطهار في وضح ... من النهار ويصلى الكهل والهرم
ماذا أسطر والأصقاع عاصفة ... وذي البراكين والنيران تصطلم
والقوم في ساحنا صرعى مضرجة ... أوصالهم حولنا والموت يقتحم
ماذا أقول وأشلائي ممزقة ... وما عساه يحير النطق والكلم
طوباك صهيوني هذا الغدر ماعرفت ... صنواً شبيهاً له: عرب ولا عجم
رهط هجين من الشذاذ واجتمعوا ... على الشقاق غزاة للحمى قدموا
منذ الخليقة والتاريخ يعرفهم ... أراقم وسباها المسرب الوخم
هذي الصفافة والحقد الجبان بهم ... لقلما عرفته الخلق والنظم
ونحن نمضي حيارى ساهمون سوى ... هذي الشعارات يغشى هامها الورم
هذي الشعارات أصداء نرددها ... يا ليت شعري متى بالحزم نلتزم
ممزقون وذي الأعداء ترصدنا ... ونحن طبقاً لما قد تشتهي خدم
وجمعنا الجمع جرار بساحتنا ... لكنما أمر هذا الجمع منفصم
مضيعون وذي الجلى تهيب بنا ... تقول هيا ولا تسعى لها قدم
معذبون وكأس الشهد في يدنا ... وكيف نشربه والشمل منقسم
إرادة إن نرسخ عزم همتها ... نغدوا كما الطود لا هم ولا هرم

هذاالأجيج سعير في جوانحنا   نحن الجماهير يا حكامنا التزموا
ياأمتي كم شداك الدهر من أزل   لحن الخلود وغنت مجدك الأمم
شب الحنين لظى في مهجتي لهباً   على هواك وطاف الشوق والحلم
يا أمة وشحت صدر الشموس حلى   وهاجة وتناخى العزم والشمم
هذي الحضارةشعت في الورى سمت   حباً ورفقاً وشفت عبرها الشيم
أحنو على بارقات في مسارحها   ألا يطوف عليها حالك جهم
فذاك قابيل في الأرجاء منفلتاً   من العقال وروح البغي تغتلم
وتلك صهيون ماسونية جمحت   ولاصدر نازي فاشستي متهم
وقد تأمرك منها القام وانسربت   كل الحماقات في اعماقها تصم
طوباك طوباك يا صهيون ها مرجت   كل الأحابيل في جنبيك تلتطم
مهلاً لكم جاس في أرجاءنا دنس   عاد عدا وعراه الغل والنهم
وعاد فينا كسيح الحول منقلباً   تحف أسواره الأهوال والظلم
ونحن من نحن كم حست صوارمنا   خصماً عنيداً وأحنت هامها الهمم
فامض إلى الموت منقضاً ومنتفضاً   وانفر سريعاً فهذا الغيض يحتدم
وعج على جسدي واملأ مداهلظىً   تغدو شظايا بصدر الغدر ترتطم
أشهى من الشهد موت في ملاعبنا   عسى نرى دولة الطغيان تنهدم
ياهيئة الأمم العصما بعالمنا   أين الحمية أين اليوم معتصم
أيذبح الأهل في ساحي على ملأ   كأنما الناس في حسبانهم غنم
أواه يا دمنا المشبوب من غضب   هيا انتفض شرراً يهمي ويلتهم
عاث الطغاة بنا شراً وفاتهم   أنا على كل طاغ غاشم حمم
فالعزم أقوى من الطوفان صولته   سنقصم البغي والمولى هو الحكم
ياقدس عهداً سنغدوا ساعداً ويدا   نحمي حماك وهذا العهد والقسم

عيسى وأحمد منذ البدء قد سطعا ... صبحاً وروحاً بنور الحب تتسم

قلبا صنوان مشبوبان واعتنقا ... ليسلم المهد والأقصى وذا الحرم

هما الجناحان في دنيا عروبتنا ... فانظرهما خافقاً يحنو ويلتحم

هيا إلى هدي عيسى نستقي حكماً ... إلى الجهاد لمسرى النور نحتكم

كل الشعائر إن سارت على نسقٍ ... من العدالة نهواها ونحترم

نحن المروءة عشناها على شمم ... وتشهد الأرض والشهباء والنجم

لا نرتضي الظلم أو نرضاه في أحد ... شعارنا العدل والإحسان والحكم

ونحن ما نحن في ذرواء عزتنا ... حضارة شادها الإقدام والقدم

عاشت يهود بظل الأمن في دعةٍ ... ما بيننا وحباها الطيب والكرم

واليوم فينا كرأس الحرية انزرعت ... شؤماً يساندها الطاغوت والحشم

شراذم شبها الشيطان غطرسة ... تموز حقداً فلا حل ولا حرم

تروم من غيظها إطفاء جذوتنا ... وتستشيط فلا تلوى لها اللجم

لم يسلم الرسل من بأساء سطوتها ... حتى ولا الزهر والأطيار والنسم

ونحن ما ضون لا حب يؤلفنا ... يا ليتنا برحاب الحب نعتصم

هنا بيارق حطين قد ارتفعت ... واصدع الشرك في جالوت والصنم

وشع بيرق بدر عزة وسرت ... أنواره في شعاب الدهر ترتسم

وذي بوادر حلم في دمي سطعت ... تصبو لعز ويصحو السيف والقلم

ونبضة في دم الأحرار جامحة ... تشتف من عبر التاريخ تغتنم

يا ثورة في حمى الأقصى مظفرة ... ترمي أبابيلها السجيل تنتقم

تحكي عن الصبر عن حق نؤمله ... وكيف نحكم مسراه وننتظم
تحكي عن الصدق والإيمان قصتها ... وكيف أسرت على تطوافنا القيم
قالت إلام يظل الخلف يحكمنا ... فيم نهرول للباغي ونحتصم
ألم تكن وحدة الأرواح تجمعنا ... والعظم والدم والأنساب والرحم
قالت: أنا الجلد أقصي كل غائلة ... عن الصدور إذا ما أمها السقم
فكل شرخ كشرم الشيخ عاد بنا ... مستهجناً حومت من حوله التهم
فليصبح الفعل للأقوال ترجمة ... تقيم صرحاً لنا فلتدرك القمم
ولنرفع العدل ميزاناً لنهظتنا ... ونجعل الدمع والأفراح تقتسم
هلا يكون هوى تشرين هاجسنا ... وطوع أحكامنا اللاءات والنعم
هبوا نقاطع أمريكا نطوقها ... لعل سورة ذا الطاغوت تنحطم
قوموا نحاصر إسرائيل نهصرها ... كيما نرى ذا الكيان المسخ ينقصم
وتنثني بعدها صهيون خاسئة ... شلاء يهوي لها عرش وينثلم
لسوف تنهض في إرساء وحدتنا ... ويرفع الهام فوق القدس والعلم
وتقتدي المهد والمسرى سواعدنا ... وينطوي الغبن عن ساحي وينصرم
وتنتشي الساح في عز مهللة ... ترنو إلى المجد تحدوه وتبتسم
ويخطر الفرح القدسي منتشياً ... ترف أهدابه الأطياب والنعم
والشام تحنو على الجولان تحضنه ... ضتمه وجراح الشوق تلتئم
وفوق لبنان ينساب الهدى كرماً ... وفي ذراه يضوع الحب والنغم
ونمتطي صهوات المجد في قيم ... علوية ويعم الأمن والسلم

خالد مصطفى حشيش سلامة: / أبو سالم /



هو من مواليد الزوية العال عام ١٩٣٨ يحمل إجازة جامعية في الدراسات الفلسفية والاجتماعية وقد عين رئيساً لدائرة العلاقات الزراعية والخدمات الاجتماعية في الشؤون الاجتماعية والعمل وعين مدير مكاتب التنظيم والتخطيط والقانونية في اتحاد الفلاحين قام بتأسيس ودمج كافة الجمعيات الفلاحية ومدرس في الثانوي ومعهد اعداد المدرسين ومدرب ومشرف تربوي للتدريب المستمر.

خالد مصطفى حشيش هو واحد من الذين ساهموا بتطوير العمل الفلاحي كان درع كرامة حقيقية ومثالاً خيراً يقتدى به، ضحى بوقته وعرقه في سبيل بناء صرح فلاحي في هذا الوطن الذي يعتز بالانتماء إليه، محبته للناس ومحبة الناس له هي الدرع الحقيقي الذي ساهم في إنجاح مهمته التي عجز الآخرين عن القيام بها، بينما هو استطاع أن يؤسس جمعيات فلاحية ويدمجها لتكون عوناً لهذا التنظيم الفلاحي الذي استطاع أن يكبر ويكبر بفضل أمثال أبو سالم ورفاقه سيظل خالد مصطفى الحشيش المثال الحي والوفي للإنسان الذي قدم نفسه وجهده لرفع راية الوطن عالياً في مجال التنظيم الفلاحي والاجتماعي.

النضال الفلاحي

محمد منصور الخوالدة: / أبو منصور /

من السهوة عين عضواً للاتحاد ثم رئيساً للاتحاد ثم رئيس لجنة الرقابة والتفتيش في الاتحاد قام بكافة الدورات الفلاحية الفرعية والمركزية والخارجية وكافة الدورات الحزبية والفرعية والمركزية وهو من مواليد ١٩٣٨



ولايزال محمد منصور الخوالدة / أبو منصور / مثالاً حياً للمواطن العربي الأصيل الذي يعتز بوطنه وأرضه ويؤمن بقضية وطنه وأهداف حزبه نحو الوحدة والحرية والاشتراكية، كان وما يزال محافظاً على المثل والمبادئ الوطنية والقومية، عمل بالتنظيم الفلاحي بكل جد وإخلاص أحب الناس وحببهم بالتنظيم الفلاحي وأحبوه لأنه كان يمثل أحلامهم وطموحاتهم، كان كريماً وسموحاً يحب مساعدة الآخرين، ويؤثرهم على نفسه، كان يعطي العمل كل جهده دون أن يشعر بالتعب لأنه كان يرى السعادة في عيون الآخرين، فمن حق الوطن ومن حق سورية أن تفخر بأمثال أبي منصور لأنهم الدرع الأقوى لهذا الوطن

بأخلاقهم وسجاياهم الحسنة

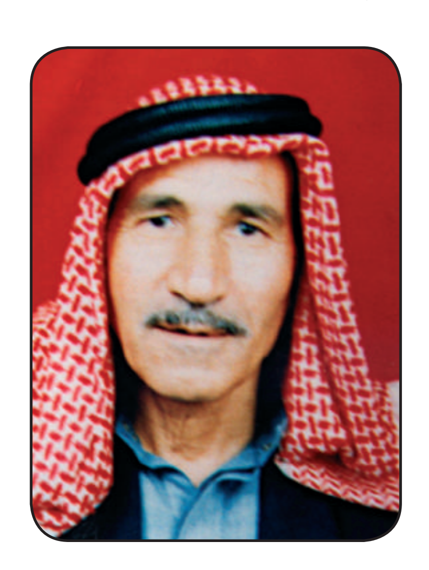
ياسين محمود البريدي: /أبو إبراهيم/

من مواليد نافعة عام ١٩٣٠



عين عضواً للاتحاد ثم رئيساً للاتحاد، قام بكافة الدورات الفلاحية الفرعية والمركزية والخارجية ودورة الإعداد الحزبي الفرعية وحصل عام ١٩٧٤ على ثناء من القيادة القطرية.

سالم سعد الدين طلال (أبو مزيد)



هو من مواليد اللجاة عام ١٩٣٨ عين عضو رابطة ثم عضو اتحاد وقام بكافة الدورات الفلاحية الفرعية والمركزية والخارجية

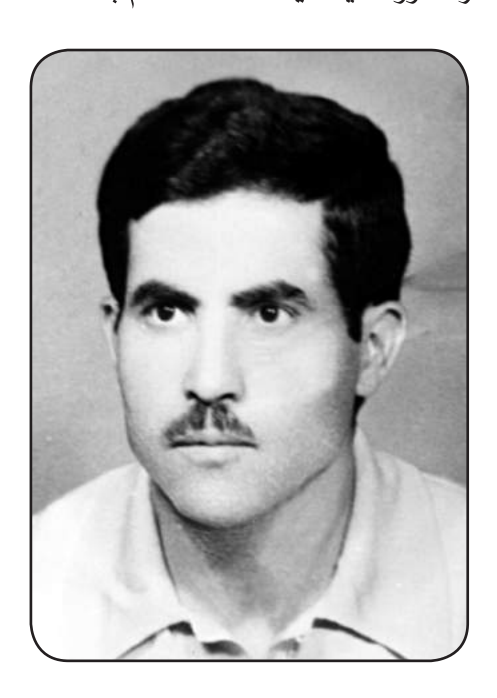
موسى الفياض /أبو إبراهيم/: من المزيريب مواليد 1943

عين محاسباً للاتحاد في الجمعيات الفلاحية وكان يقوم بعمله بهمة ونشاط



حمدي الحمد:

من محجة مواليد ١٩٤٢ يحمل إجازة في اللغة العربية وثانوية زراعية، عين مشرفاً زراعياً في الاتحاد ثم بعدها مدرساً في الثانوي



النضال الفلاحي

نضال يستحق الذكر

استوقفتني قصيدة قالها الأخ الفلاح أبو حسين علي الجفال رئيس الجمعية الفلاحية في قرية الشقرانية وهي القرية البدوية التي تقع على أطراف البادية في الشمال الشرقي من حوران تلمس فيها المرارة التي يعانيها القادة الفلاحين والصعوبات التي يعايشونها وتكشف ما يحس به هؤلاء القياديون من أسى عندما يواجهون واقعاً غير متفاعل معهم بشكل جيد يقف من طروحاتهم موقفا عدائيا رافضاً أو موقفا سلبياً مستهترا غير مبال ليس لعيب فيما يطرح ولا لشيء إلا أنه يصطدم مع عادات بالية وعلاقات متشنجة ومعتقدات خاطئة تقف عثرة أمام عجلة تقدم المجتمع وتطوره وتشكل عائقاً امام وحدته أو أنه لا يحقق رغبات أو نزوات مسيطره على بعض أفراد هذا المجتمع مما دفعني للتفكير في إيراد مثل هذا الموضوع في كتابي ولما كنت قد حصرت موضوعات كتابي هذا على ما يتم في ساحة المعركة أي في أمر الجهاد ووجدتني مشدوداً لإدراج موضوع عن نضال الفلاحين أخذت أتساءل هل يمكن أدراج مثل هذا الموضع في كتابي هذا وهل مثل هذا العمل يمكن أن يدخل في النضال أو الجهاد وهل ينحصر الجهاد أو النضال في ساحة المعركة فقط أم أن هناك مجالات أخرى في الحياة لا يقل النضال فيها أهمية عن الجهاد في ساحة المعركة.

وبعد التمحيص والموازنة وصلت إلى يقين أن النضال لا ينحصر فيما يجري في ساحة المعركة فقط بل يشمل مجالات عديدة من الحياة ووجدت ما يؤيد قولي ويرسخ قناعتي قول قائد هذه الأمة وعظيمها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: وإن أعظم الجهاد جهاد النفس وأن أعظم الجهاد كلمة حق في موقف جور والذي قال: من خرج ساعياً على أبوين عاجزين فهو في سبيل اللّه ومن خرج سعياً على أولاد صغار يكفيهم غائلة العوز والحاجة فهو في سبيل اللّه.

وما دام الجهاد يشمل هذا كله فكيف بالنضال الفلاحي الذي يواجه ترسبات تاريخية من معتقدات خاطئة وعادات بالية وعلاقات متشنجه تشكل عائقاً أمام مسير هذا المجتمع تعطل تقدمه وتبطئ وتعيق ارتقاءه ليلحق ركب الحضارة ويساير المجتمعات التي سبقته حضارياً ويبزها ليحتل دوره القيادي في الحضارة الإنسانية كما كان سابقاً ولعشرات القرون قائد هذا العالم وسيده.

ووصلت إلى نتيجة أن أي عمل كان إذا واجه عقبات وحاول الإنتصار والتغلب عليها

وأن تعددت مسمياته وأساليبه فهو نضال.

وبعد أن توصلت إلى هذه القناعة وجدت نفسي أتوجه إلى نضال الفلاحين الذين يعيشون مواجهة حادة مع واقع يحمل كثيراً من رسوبات الماضي من فقر وجهل وتخلف وإعتقادات خاطئة وجمود عقلي وتعصب سواء كان عشائريا أو طائفيا أو فئوياً والتي تحولت إلى مشكلات تقف حائلاً أمام تقدم المجتمع ووحدته إضافة إلى ما يتجاذب أفراده من رغبات وأهواء تتحكم في تصرفاتهم وعلاقاتهم فيما بينهم مما يتطلب التعامل مع هذا الواقع ومواجهته والتغلب عليه والتحرر مما فيه من رواسب أشخاصاً على مستوى كبير من الأهلية والكفاءه والمسؤولية يملكون من المزايا والصفات التي تؤهلهم تفهم الجماهير واستيعابهم وحسن التعامل والتخاطب معهم والقدرة على التأثير عليهم واستقطابهم يملكون قوه الحجة والمنطق وسحر القول مما يؤثر على عقول وقلوب الغير ويتحلون بالاخلاق والمزايا وحسن السلوك والسيره من اندفاع للعمل والتضحية والتفات في خدمة المجتمع وغياب الأثرة وحب الذات وبروز الإيثار ما يجعلهم ينالون إعجابهم يندفعون للتقرب إليهم والتشبه بهم إضافة لما يملكونه من قدرة على المحاكمة وتقييم الواقع وكشف أخطاءه هذا الواقع وما فيه من سلبيات والقدره على طرح الحلول الناجحة لهذه السلبيات مما يجعل الجماهير يتقبلون انتقاد هذا الواقع والإستعداد والرغبة والعمل على تغييره.

وبالرجوع إلى تاريخ نضال الفلاحين في بلدنا يتبين أن التنظيم الفلاحي ظهر على شكل جمعيات تعاونية زراعية في الخمسينات ثم نشط وتنوع في عهد الوحدة حيث ظهر إضافة للجمعيات التعاونية الزراعية نقابات العمال الزراعيين ونقابات أصحاب العمل الزراعي أما في عهد ثورة الثامن من آذار فقد أخذ التنظيم شكلاً أكثر عمقاً فقد إرتأت الثورة نقل التجربة الاِشتراكية في البلدان الأخرى والتي تقوم على تنظيم كافة الجماهير الشعبية في إطار منظمات تمثلهم كل حسب طبيعة عمله وبرزت أثر ذلك النقابات العمالية على مختلف أنواعها ومنها نقابات العمل الزراعي التي تم تشكيلها بالمرسوم التشريعي رقم ١٢٧ لعام ١٩٦٤ الذي صدر يحث على تشكيل النقابات الفلاحية ويشجع على تأسيسها لتغطي كافة قرى ومزارع القطر ولتسهيل التأسيس جعل الحد الأدنى لتشكيل النقابة الزراعية من عشره أشخاص أما القفزة النوعية من عمر التنظيم الفلاحي فقد كانت في عهد الحركة التصحيحية في عام ١٩٧٤ بصدور القانون رقم ٢١ لعام ١٩٧٤ الذي يقضى بحل النقابات الزراعية والجمعيات التعاونية الزراعية ودمجها في إطار الجمعية الفلاحية التي تهدف إلى:

١ - إنتشال الفلاحين من حالة التسيب والفردية والعلاقات المرضية المختلفة من

طائفية وعشائرية وإقليمية وإحلال العلاقة القومية بدلاً عنها

٢ - جذب الفلاحين من هامش الحياة إلى قلب النضال القومي التحرري والوطني

٣ - تحقيق الثورة الزراعية المعتمدة على استخدام التقنية في المجال الزراعي

٤ - العمل على تحسين الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية لأعضاء الجمعية

٥ - توفير إحتياجات الفلاحين من الآلات الزراعية وأسمده وأعلاف وبذار وقروض وأدوات ومواد مكافحة وأدوية.

٦ - تسويق الحاصلات الزراعية النباتية والحيوانية للفلاحين

٧ - القيام ببناء المستودعات وحظائر الماشية واقتناء الجرارات والآلات الزراعية

٨ - الإنتقال من مرحلة الاقتصاد الزراعي الفردي إلى مرحلة الإستثمار الجماعي وتعزيز الملكية الجماعية

وقد حدد المرسوم ٢١ لعام ١٩٧٤ ثلاثة أشكال للجمعيات الفلاحية وهي:

١ - الجمعية الفلاحية متعددة الأغراض وهي الغالبة على مستوى المحافظة

٢ - الجمعية الفلاحية المتخصصة بتربية الحيوان أغنام - أبقار - دواجن - نحل

٣ - الجمعية التعاونية الإنتاجية والتي تختفي فيها مظاهر الفردية والأنانية والملكية الخاصة وتظهر فيها الملكية العامة والعمل الجماعي في أبرز مظاهره

ونظراً لأن عمر التنظيم الفلاحي طويل تتطلب تغطيته حيزاً كبيراً من الكتاب وكتابي هذا ليس مخصصاً لمثل ذلك فلا بد من إختيار فترة من عمر التنظيم تعطي صورة واضحة عن النضال الفلاحي ولا تأخذ حيزاً كبيراً من كتابي هذا فوقع اختياري على مرحلة الدمج التي تعتبر العصر الذهبي في حياة التنظيم الفلاحي لما تميزت فيه من ضخامةٍ في حجم العمل المطلوب إنجازه إذا ما قيس بكم الكادر المكلف بعمليتي الحل والدمج والزمن اللازم لإنجاز العمل المطلوب لقد كان العمل المطلوب حل الجمعيات التعاونية الزراعية في المحافظة والبالغة أربعين جمعية والنقابات العمالية الزراعية البالغة مائة وعشر نقابات ودمجها في إطار الجمعية الفلاحية وذلك خلال عام فقط أي أقل من ثلاث ماية يوم عمل.

ولإنجاز عمليتي الحل والدمج فلا بد من دعوة الهيئات العامة للنقابة والجمعية وعقد اللقاءات وندوات التوعية لبيان الأسباب الموجبة لحل التنظيمات السابقة ثم التصويت على عملية الحل وتصفية حساباتها ثم بيان أهداف التنظيم الجديد وغاياته والدور القيادي الذي سيحتله في حياة الفلاح والمجتمع والدولة إضافة الى بيان منافع التنظيم الجديد وهذا يتطلب ندوة وحتى الثلاث ندوات أحياناً ثم دعوة أهالي البلد

للأنتساب للتنظيم الجديد الذي هو الجمعية الفلاحية التي يتطلب تشكيلها ثلاثين عضواً على الأقل أي ثلاثة أمثال ما كان يتطلب تشكيل النقابة أو الجمعية التعاونية والتي كانت تتشكل من عشرة أعضاء فقط وتنظيم الثبوتيات اللازمة لعملية الدمج أو التأسيس وتوقيعها من كافة أعضاء المؤسسين وتسمية لجنة المتابعة التي تقوم بإيداع أموال الجمعية في المصرف الزراعي التعاوني وإيداع وثائق تأسيس في الأتحاد الذي يقوم بدوره برفعها إلى الأتحاد العام الذي يقوم بأقرارها بعد التأكد من سلامة الإجراءات وأستكمال الثبوتيات ثم شهرها بالجريدة الرسمية وبعد الشهر بالجريدة الرسمية تدعى الهيئات العامة للجمعيات لإنتخاب مجالس إدارة الجمعيات ثم يتم توزيع الوظائف فيما بين الأعضاء المنتخبين ويتم تدريبهم من قبل مكتب التنظيم في الأتحاد والروابط على أستخدام السجلات الإدارية وتسيير المعاملات وكيفية التعامل مع الأعضاء أو الغير وتدريبهم على السجلات المالية من قبل المحاسبين المعينين لهذه الجمعيات أما التوعية الزراعية والتوجيه الأقتصادي لمجالس الإدارة ولمن تواجد من الأخوة الفلاحين فتتم من قبل المرشدين الزراعيين.

وبذلك نلاحظ أن عملية حل ودمج أية جمعية أو تاسيسها ثم أنتخاب مجلس الإدارة لها يتطلب عقد ندوتين على الأقل وبذلك كان الأتحاد والروابط رغم الأمكانات القليلة لديهم سواء من حيث الكادر أو السيارات ولمدة عام كامل ما هم إلا خلية نحل الكل يعمل والكل يتحرك والكل يساهم يتقاسمون الأدوار كل حسب إختصاصه وكل حسب ما يوكل إليه عمل يبدأ في الثامنة صباحاً وقد لا ينتهي في كثير من الأحيان حتى العاشرة ليلاً لا تفرق فيه بينهم بين رئيس ومرؤس الكل مندفع للعمل والكل متحمس للعطاء.

ولبيان كبر حجم العمل إذا وازناه بالكادر نذكر بأن عقد الندوات واللقاءات والإشراف على عمليات الحل والدمج والتأسيس ثم أنتخاب مجالس الإدارة كانت تتم من قبل لجنة واحدة يرأسها مدير مكتب التنظيم والتأسيس خالد حشيش سلامة وعضوية رئيس مكتب التنظيم والمتابعة في رابطة درعا محمد الإبراهيم أو في رابطة إزرع سالم طلال سعد الدين وراشد النعمة وذيب الحريري وبإشراف رئيس مكتب التنظيم في الأتحاد محمد منصور الخوالدة ومشاركة أعضاء الأتحاد الآخرين في الندوات بالتناوب.

لقد كانت ساعة العمل تبدأ في الثامنة صباحاً بأعداد وثائق تأسيس ودمج الجمعيات التي تم دمجها وتأسيسها ورفعها الى الأتحاد العام ثم التوجه إلى القرى التي تمت فيها عملية الدمج تم أنتخاب مجالس إدارة لها للقيام بحملات التدريب والتوجيه

لمجالس إداراتها أما الندوات وعمليات الدمج والتأسيس فكانت غالباً ما تعقد بعد الساعة الرابعة مساءً في القرى الفلاحية أي بعد عودة الأخوة الفلاحين من أعمالهم الزراعية وبعد المساء في القرى البدوية أي بعد عودة الأخوة العربان من المراعي وكانت تستمر الندوة أحياناً أربع أو خمس ساعات متواصلة.

ولابد من التنويه أن ماسهل العمل وسارع في إنجازه أن اللّه قد أنعم على التنظيم الفلاحي سواء في الاتحاد أو الروابط بمجموعة من الأشخاص سواء كانوا متفرغين أو كلهم حماس وحيوية ونشاط لا يعرفون الكلل أو الملل ويعود الفضل في هذا للقيادة السياسية في المحافظة (أي فرع الحزب) التي أحسنت إختيار المرشحين لقيادة الفلاحين في هذه المرحلة سواء مندبين أو متفرغين فقد كان إختيارهم من أصحاب الحيوية والنشاط والإندفاع للعمل الجاد والمثمر المؤهلين لقيادة الجماهير بحسن تعاملهم معهم والذين هم أهل ليكونوا قدوة للآخرين بجديتهم بالعمل وبسلوكياتهم القويمة وقدرتهم على التأثير في الجماهير الفلاحية مما جعلهم قادرين على شدهم الى التنظيم وأستقطابهم للأندفاع بحماس شديد للأنضمام إلى الجمعيات الفلاحية.

ولم تكتفي القيادة السياسية بحسن الإختيار بل أهلت هؤلاء القياديين مهنياً وحزبياً ليكونوا قادة ناجحين في إطار عملهم الفلاحي حيث سبق وأقامت لهم الدورات التدريبية الفلاحية الفرعية والتي تتم على مستوى المحافظة والدورات التدريبية الفلاحية المركزية والتي تتم على مستوى القطر والدورات الفلاحية الخارجية والتي تتم خارج القطر في الدول التي سبقتنا في التطبيق الأشتراكي إضافة الى الدورات التأهيلية الحزبية من فرعية ومركزية لإعداد الكوادر الحزبية المؤهلة لقيادة الجماهير من كافة شرائح المجتمع

ولابد أن نذكر الأخوة الذين ساهموا بفعالية في هذه المرحلة تقديراً لجهودهم وعرفاناً بما قدموه لهذا التنظيم لهم جزيل الشكر.

١ - محمد منصور خوالدة أبو منصور من السهوة رئيس مكتب التنظيم والتخطيط ثم رئيساً للاتحاد فيما بعد.

٢ - ابراهيم مصطفى الحلقي أبو مالك من العالية عضو إتحاد ثم نائب رئيس الاتحاد

٣ - سالم طلال سعد الدين أبو مزيد من حامر عضو رابطة ثم عضو مكتب الاتحاد

٤ - ياسين محمود البريدي أبو إبراهيم من نافعة عضو أتحاد ثم رئيساً للأتحاد

٥ - محمود طالب الجروان أبو عماد من قيطة عضو أتحاد

٦ - عارف خالد السليمان أبو لؤي من الشجرة عضو أتحاد
٧ - مثقال القداح أبو محمد عضو أتحاد
٨ - راشد أحمد النعمة أبو نبيل من الكرك رئيس رابطة
٩ - محمد إبراهيم سليمان أبو قاسم من عابدين عضو رابطة

ورغم افتقارالاتحاد بالاليات كما نوهنا سابقاً فقد تمكن بأمكاناته المحدودة من تحقيق المعجزة فقد تمت عمليتي الحل والدمج فيمائتي يوم عمل مما شكل لديه فائضاً من الزمن لم يذهبه هدراً بل أستخدمه في تأسيس خمسة عشر جمعية متخصصة لتربية الأغنام وجمعية تسمين عجول وجمعية إنتاجية.

ولابد من التنويه أن ماسهل العمل وسرع إنجاز المهمة وتقبل الفلاحين للطرح الجديد هو تذكيرهم أن التعاون والتضامن ليس جديداً على المجتمع العربي بعامة كما أنه ليس جديداً على مجتمع الريف بخاصة فروح التكافل والتضامن والإخاء والتعاون كانت وما زالت ظاهرة قائمة وبارزة في المجتمع الريفي تشكل جزءاً من عاداتهم وسلوكياتهم فقد كانوا يحيون حياة يتجلى فيها التكافل والتضامن والتعاون في أبهى مظاهره وهي كذلك جزءً من قيم المجتمع العربي ومعتقداته فقد حث تعالى على التعاون إذ قال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وقد ذكر الرسول الكريم محمد (ص) بعاقبة التعاون إذ قال (يد الله مع الجماعة ـالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) وحث على التكاتف والتآزر حيث قال: (المؤمنون أخوة) وبتذكير جماهير الفلاحين أن التعاون والتآزر ماهو إلا جزءً من قيمهم ومعتقداتهم وتراثهم الأصيل وعاداتهم حتى يسارعوا لتقبل الطرح الجديد والأندفاع للأنتساب للتنظيم الجديد الذي هو الجمعية الفلاحية.

ومما ساعد على سرعة إنجاز عمليتي الحل والدمج تواجد خالد حشيش سلامة مديراً لمكتب التنظيم والتخطيط القانونية في اتحاد الفلاحين والذي يحمل مؤهلا جامعياً في الدراسات الفلسفية والإجتماعية وقد كان الرأس المخطط والعقل المدبر في الاتحاد وصاحب الهمة العالية والعزيمة المتميزة التي لا تكل ولا تمل وصاحب الحجة والمنطق وسحر القول يحسن التخاطب مع الناس وسرعان ما يدخل في قلوب وعقول الآخرين يسحرهم في حديثه ويقنعهم بوجهة نظره وهو الوجه المعروف عندهم فقد عايشه الكثير منهم خلال تواجده في الشؤون الاجتماعية والعمل عندما كان رئيساً لدائرتي العلاقات الزراعية والنقابات الفلاحية عن طريق تنظيم عقود المزارعة أو حل الخلافات الزراعية أو من خلال التنظيم الفلاحي أي النقابات الزراعية في الفترة مابين

١٩٦٤ –١٩٧٠ حيث كان يشرف على النقابات الزراعية إشرافاً كاملاً ومباشراً عندما كانت تابعة تبعية مباشرة للشؤون الاجتماعية والعمل كما قام بتأسيس هذه النقابات أنذاك يساعده ـ في ذلك من موظفي الشؤون الاجتماعية نظمي عبد القادر مسالمة من درعا وأحمد حسن الفقرة من داعل.

لقد كان الموظف المتفهم لقضايا العمال والمزارعين المتعاطف معهم المتبني قضاياهم العامل على حل الخلافات الناشئة بينهم وأصحاب العمل والمالكين حلاً رضائياً يناصر العمال والمزارعين ولا يهمل المالكين وأصحاب العمل حقوقهم لذلك كان مرضياً من الطرفين الخصمين يقبلونه حكماً فهو دائماً خصم للباطل وكان يحل ـ في العام ما يقارب المائة خلاف.

وقد كان لايعرف المستحيل ولا يصعب عليه شيء ولا يقف ـ في وجهه عائق وما من مشكلة تعترضه إلا ويجد لها حلاً وقد أغنى التنظيم الفلاحي بكثير من الإقتراحات التي تساهم ـ في شد جماهير الفلاحين إلى منظمتهم وربطهم بها وتزيد الاحتكاك والتماس بينهم وبين منظماتهم ونورد على سبيل الذكر لا الحصر أقتراحه علم ١٩٦٤ إعتماد الشهادة المهنية الفلاحية المعطاة من الجمعية الفلاحية ـ في كافة الدوائر ذات الارتباط بمصالح الفلاحين وهي الشؤون الاجتماعية (علاقات زراعية +عقود مزارعة) - الزراعة - الري - مؤسسة الاعلاف - المصرف الزراعي إضافة إلى دائرة الهجرة لضمان تحصيل ديون المنظمة المترتبة على الأخوة الفلاحين الراغبين بالهجرة خارج القطر وسرعان ما تجاوب فرع الحزب لهذا الاقتراح وتم استصدار قرار من السيد المحافظ يلزم الجهات المعنية بذلك وكانت محافظة درعا أول من أعتمدت الشهادة المهنية المعطاة من المنظمة الفلاحية على مستوى القطر وكان ذلك عام ١٩٦٤ ثم حذت المحافظات الآخرى حذوها مما حقق التماس والإحتكاك بين الفلاحين ومنظمتهم يحسون بوجودها يلمسون خدماتها يدركون أهميتها إضافة لما وفرته للنقابة الفلاحية من مصادر دخل جديدة.

لقد تمكن اتحاد الفلاحين بدرعا من انهاء عمليتي الحل والدمج للمنظمات السابقة بثلثي المدة المخصصة لها وبذلك كانت محافظة درعا أول محافظة على مستوى القطر قامت بانجاز هذا العمل رغم أن عدد النقابات والتعاونيات التي كانت قائمة ـ في المحافظة أكثر من كثير من محافظات القطر

ونورد على سبيل الذكر حوار بين أحد رؤساء الاتحاد وخالد حشيش سلامة يبين صعوبة التعامل مع الفلاحين وتأسيس الجمعيات يقول فيه رئيس الاتحاد إنك لفلفت الجمعيات وورطتنا بها حتى كاد الكثير منها يفشل لقد قمنا نحن مديرية

الزراعة ومعهد التثقيف الفلاحي بالتردد على وعر اللجاة ستة أشهر ولم نتمكن من تأسيس جمعية فيها وترددنا على جلين ثلاثة سنوات لم نتمكن من تأسيس جمعية إنتاجية فيها بينما قمت انت خلال خمسة عشر يوماً بتأسيس عشر جمعيات في الوعر وأسست جمعية أنتا جية في جلين خلال جلسة واحدة فرد عليه فقد قدمت لكم كافة الجمعيات تعج بالحيوية والنشاط والاندفاع الكبير بالعمل التعاوني الجاد والمثمر لقد تعاملت مع الجمعيات بعقلية وسلوكية وأسلوب تعامل يختلف عن العقلية وسلوكية وأسلوب التعامل الذي تعاملت به معها وهذا ما جعلها ناجحة في عهدي فاشلةٌ في أيامكم وأضاف أن التعامل مع الفلاحين يتطلب أستقطابهم وشدهم للأندماج بالتعاون وأستقطاب الجماهير يتطلب الولوج إلى قلوبهم والسيطرة على عقولهم ويمكن أن يكون ذلك بأشعارهم أنك متفهم قضاياهم متبني لها متعاطف معهم غيور على مصالحهم مثلهم أو أكثر منهم وأنك تسعى لخيرهم ولما هو في صالحهم وأنك جاد في معالجة مشاكلهم وتوصيلهم الى مبتغاهم.

وعلينا ألا ننسى الدور الذي قام به الأخوة العاملون المندبون في الاتحاد وهم المرشدون الزراعيون والمحاسبون الذين قام كل منهم بعمله خلال هذه الفترة خير قيام وبإخلاص ووفاء رغم الظروف الصعبة والقاسية التي كانت تحيطهم وتفرض عليهم وتدفعهم في معظم الأيام للتوجه إلى الجمعيات التي تم تأسيسها أو دمجها للقيام بالمهام الموكولة إليهم خير قيام وبالوسائط الخاصة وعلى حسابهم الخاص وغالباً ما كانوا ينتقلون بين قرية وآخرى سيراً على الأقدام لعدم توافر وسائط النقل في تلك الأيام وبذلك كانوا يتكلفون نفقات المواصلات إضافة إلى مشقة السفر ولم يفت ذلك من عضدهم ويثبط من إيمانهم بل كانوا يتحركون يومياً بحماس وأندفاع وإن دل هذا فأنه يدل على عظيم أخلاقهم وحسن سلوكياتهم وصفاء نفوسهم وعلو هممهم لذلك فهم يستحقون كل تقدير وإحترام لما قدموه من عطاء ولما تحملوه من عناء ومشقة ونورد منه على سبيل الذكر كل من المرشدين الزراعيين

-حمدي عبد الله الحمد أبو حسان من محجة
- إسماعيل أحمد الحراكي أبو مفيد من المليحة الغربية
- أحمد عبد المجيد الحراكي أبو أيمن من المليحة الغربية
- صالح رجا العاسمي أبو ياسر من داعل
- إبراهيم الهلال العطيفي أبو جهاد من داعل
- حسين علي العمارين أبو ياسر من المليحة الشرقية
- فيصل شلاش المسالمة أبو غسان من درعا

- حسين القادري أبو كفاح من نامر
- يونس الحريري أبو سيفو من مليحة العطش
- عوض الديري أبو محمد من الشيخ مسكين
- حامد العلوه من أنخل
- عبد الرحيم العبسي من سحم

ومن المحاسبين كل من

- موسى أحمد الفياض أبو إبراهيم من المزيريب
- فرحان محمود النابلسي أبو محمود من المزيريب
- موسى عبد العزيز الزوباني أبو محمد من اليادودة
- شحادة محمد الأقرع أبو محمد من حيط
- إبراهيم أبو شرف أبو العبد من غزة
- محمود قاسم كيوان القطيفان من طفس
- ياسين مقبل الصلخي أبو أسامة من طفس
- قاسم محمد النابلسي أبو محمد من المزيريب
- فاروق ياسين البريدي أبو شجاع من جملة

وعلينا ألا ننسى السائقين الذين أستمروا طيلة مرحلة الدمج والتأسيس بصبر وجلد ومثابرة ولم يصدر عنهم أي أمتعاض أو تذمر رغم ما عانوه من مشقة السفر وطوله والذي كان يبدأ في السابعة صباحاً ساعة خروجهم من بيوتهم ويستمر حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً من كل يوم ساعة عودتهم الى بيوتهم حيث كان يتريب عليهم بعد الأنتهاء من العمل توصيل كافة المرافقين كل إلى بلده ونذكر من السائقين

- أحمد محمد خوالدة أبو بسام من السهوة
- عيسى الخميس أبو علي من الزوية

ولابد من العروج على الجمعية الفلاحية الرائدة في المحافظة منذ تاريخ عمليتي الحل والدمج عام ١٩٦٤ وهي الجمعية الفلاحية المتخصصة بتربية الأغنام في الشقرانية حيث بلغ عدد الأعضاء المنتسبين إلى الجمعية أثناء عملية الدمج مائة عضو وهو يزيد على ثلاثة أمثال الحد المخصص للتأسيس وعدد الأسهم المكتتب بها ألفي سهماً وعدد الثروة الحيوانية المملوكة عشرون ألف رأس من الماشية وهي الجمعية التي كان يتحقق سنوياً فائض في الميزانية وهي الوحيدة التي قامت ببناء مستودع للأعلاف في المحافظة بقرض من صندوق تداول الأعلاف سهل الحصول عليه

مشكوراً رئيس دائرة البادية في الوزارة عبد الله المصري والذي كان متعاطفاً مع جمعيات البادية وقامت الجمعية بتسديد كامل المبلغ في مواعيده كما قامت بشراء جرار زراعي نقداً ويعود لفضل بذلك إلى رئيس الجمعية علي الجفال أبو حسين الذي كان واعياً ومتفهماً للتعاون مندفعاً للعمل الجاد والمثمر لا يعرف الأستقرار والركود فهو في حركة دائمة لحوح في الملاحقات والمراجعات حتى ينجز ما يسعى إليه وإن كان ينقصه بعض التوجيه والإرشاد فقد كان يجد في خالد حشيش سلامة موجهاً له أخذاً بيده وقد تمكن علي الجفال من نقل الشقرانية من قرية ذات تجمع بدوي شتوي في بيوت من الشعر إلى قرية كبيرة ذات أبنية عصرية تتوافر فيها كافة المواصفات الصحية.

وبمراجعاته ومطارداته تمكن من توفير كافة المرافق والخدمات لهذه القرية من ماء وكهرباء وطريق وشوارع ومدرسة إضافة إلى بناء مستودع العلف الذي وفر إحتياجات الفلاحين من المواد العلفية كما وفر نقل الأعلاف من أماكن بعيدة تصل إلى عشرين كيلومتراً لإضافة إلى تحصيله القروض المناسبة لشراء الأغنام والأعلاف

ولابد أن ننوه أنه في إحدى السنوات لم يتوافر العلف في مستودعات العلف بدرعا بكميات كافية مما دفعه مراجعة مؤسسة العلف وأخذ موافقة بنقل مخصصات الجمعية من الأعلاف من دير الزور علماً بأن كافة تحركاتة كان يدفع النفقات بها من حسابه الخاص ولم يكلف الجمعية أية نفقة في أية مهمة

ونترك للقارئ قصدته التي تبين ما أنجزه لقريته وهو صادق فيما يقول:

عمدنا لهم عمدان بأرض فضية ... كهارب ومياه وزفت للسير

مدارس وأعلاف ماهي خفية ... عفت ديارنا وصلت للدير

فلوس يا أجواد آلاف هي ... بأوامر صرف ومعها تقارير

إن صاح أبو حسين تشهد علي ... الشام درعا بكثر المشاوير

اسأل أبو سالم موجه لي ... خالد حشيش مرافقي بالسير

ولم تفتر همته ولم يتوقف طوحه عند حد بل كان كل يوم يسعى إلى جديد وهذا قوله خير معبر عن ذلك:

البادية يا ناس بنت غويه	تعرت هدومهبفلح البوابير
نفسي تنفيذ الخطة الرعوية	مجلس زراعي يطلب التطوير
وإن طالت الأيام حقك علي	لطورك يالبادية وأزرعك بالخير

لكن هل قابل أهل قريته الإحسان بالأحسان والعطاء بالتقدير والعرفان أم أنهم أنكروا جميله وتنكروا له مما جعله يعاني المرارة والألم ويعيش الحسرة والندامة فلنسمع الى قوله الذي يصور الواقع أحسن تصوير:

ياالله يا المعبود ترضى علي	ياخالق الدنيا عليك التدابير
خلقت الدنيا كله سوية	يا مرزق الديدان يا مشبع الطير
أرجوك يا المعبود تستر علي	أنت كريم وعالم بكل مايصير
صويب الرصاص ملسوع حيه	مربط اليدين محبك الجنزير
للمصلحة العامة كنت الضحية	لا بو سعيف ولا يآزرني مشير
مشيت مع الكل مشية رضية	يوم الكرم مليان قدري به الخير
أصبحت للناس عدي بليه	هذا الوكاد ونفسي لهم خير
حملي ثقيل وزاده علي	قرية بلا تعاون ترى ماتصير

ولم ينسى أن يضمن قصيدته هويته الحزبية حيث قال:

بعثي قديم وهذي الهوية	بثمانية أدار قررنا المصير
حياتنا للبعث هي الهدية	هرجي صحيح ومابه تزوير

ولم يفت بعزيمته ما عاناه من سلبية أهل قريته وتحاملهم عليه بدل من تقديرهم لجهوده وامتنانهم لمنجزاته بل أستمر بالعطاء حتى وفاته التي كانت بعد أشهر من نظمه قصيدته هذه وهي القصيدة الوحيدة التي قالها في حياته.

بقلم المؤلف عن المشفى الوطني بدرعا ومديرية الصحة

أخي القارئ: لابد أن تشاهد معي شد الحبال بين إنجازي للكتاب الثالث وبين العملية الجراحية التي واجهت مخاطرها ووقفت على شواطئ الصراع مع نفسي هل هذه العملية ومخاطرها هي الضربة القاتلة لعدم إنجاز مشروع طباعة هذا الكتاب بعد أن وصلت لمنتصف هذا الطريق ودخلت على كبوة اليأس هل تكون لي الحياة بعد العملية لقد دخلت المشفى بدرعا بتاريخ ٢٠٠١/٧/٣١ وإلى جانبي نجلي المؤلف محمد الزعبي وشاهدنا الاستنفار من الطواقم الطبية والجراحية من أجل خوض المعارك وكسب الانتصارات لصالح المريض , وحين حانت ساعة الصفر صعدت إلى الطابق العلوي (الرابع) برفقة ممرضة من عائلة الطعاني حيث عرفت اسمها من اللوحة الاسمية، وهكذا تمت المفاجئة كأنني أعيش أحد كواكب السماء عندما شاهدت الطواقم الطبية أمام غرفة العمليات وبدأت استنفارات واستعدادات تهيئة لخوض المعارك بالسلاح الأبيض للقضاء على عدو الإنسان المختبئ داخل جسده وبدأت قعقعة السلاح الأبيض من المقصات والسكاكين وأدوات الخياطة بالإضافة إلى الأجهزة المتطورة داخل غرفة العمليات، فهذا الشيء أدخلني عالم الأوهام وهو الألبسة الخضراء، إنما الرداء الأجمل للأطباء كأنه الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر، هؤلاء الفرسان بألبستهم الزاهية الخضراء ولم أشاهد داخل هذا اللباس إلا العيون التي ترسل الأضواء على تحكيم مسار المعارك فلم أعرف إلا فارساً فقط وهو مدير المشفى الدكتور عبد الودود الحمصي الذي بدأ بتوجيهاته كالقائد العسكري الذي يرسم خطط المعارك وإذا كانت قواتنا المسلحة على حدود الوطن تواجه العدو الصهيوني والتي بذلت الكثير من قطرات العرق حتى توفر الكثير من قطرات الدماء، وإذا كان أسمى هدف لقواتنا المسلحة من أجل حماية أثمن شيء في الوجود وهو كرامة العرض وقدسيته الأرض وإن كان من الممكن المقارنة بين شيئين فلا بأس من المقارنة بين المعارك التي تخاض ضد العدو الصهيوني وبين معارك أخرى تخاض داخل الوطن بالسلاح الأبيض لاستئصال عدو الإنسان ((المرض)) إن هذه الخلايا الخيرة كخلية النحل تفرز العسل من أجل شفاء الإنسان.

حينما دخلت إلى غرفة العمليات وأصبحت مطوقا من الممرضين والممرضات شعرت بأني بين فصيلة ملائكة هبطت من السماء إلى الأرض حتى تكون حضانة للرحمة لحماية الإنسان من الأمراض، وإذا كان هناك مقاتل عربي يقف على حدود الوطن لمواجهة العدو الصهيوني حتى يقدم المزيد من قطرات العرق والدم من أجل أقتلاع

الخلايا السرطانية الصهيونية كنبته خبيثة في الوسط العربي فنرجو الله اقتلاع الصهاينة من فلسطين على سواعد الإنتفاضة وعلى كل ساعد عربي شريف حتى تعود القدس حضانة للرحمة والإسلام والمسيحية

لقد رأيت داخل المشفى الفروسية الباسلة من الدكتور (حسن المسالمة) الذي تخرج من فرنسا ، إذ رأيت قطرات العرب على جبينه كحبات اللؤلؤ وكأنها قطرات الندى التي تغذي الربيع الأخضر وكان برفقته الدكتور نعيم السعيد ،

وبعد إنتهاء العملية الجراحية أراد الاطباء أن يجعلوا هذه العملية من أثمن مكاسب الأنتصارات حيث أخذوني إلى غرفة المرضى ما شيه وهذا كسب معنوي للإنتصار المعنوي.

أما الأطباء الذين جهزوني للعملية هم: الدكتور حسن المسالمة والدكتور محمد ياسين الزعبي المزروعة في وجهه مسحة رحمانية ، فحين يلمس المريض يبدأ باسم الله وهذا أداء خير وأما الدكتور عبد الودود الحمصي وجه توصياته للطاقم الطبي حيث قال:

إن المؤلفين والأدباء أكرمهم الدكتور ((بشار الأسد)) بحماية حقوقهم بالمرسوم الذي أصدره وما علينا نحن الأسرة الطبية إلا تكريم المؤلف والأديب ((أحمد محمد عطا الله الزعبي وتوفير المناخ والراحة لهذا المؤلف

وإذا كان هذا التطور الطبي داخل المشافي هو بقعة الضوء القادر على تبديد الآلام في نفق الأجسام فالقائد الخالد ((حافظ الأسد)) الحريص على توفير رغيف الخبز كحرصه على توفير البندقية للمقاتل وكحرصه على تأمين جرعة الدواء للمريض

والدكتور ((بشار)) الذي نبت كثمرة طيبة في حضن قائد الثوار الذي حمى غلة البيدر العربي وزهوة الثمار

الدكتور ((بشار)) هو شمس النهار لمواصلة السير على بعد كل مشوار.

أخي القارئ:

هذه الأسماء التي اشتركت في العملية الجراحية لي:

الدكتور حسن المسالمة: قائد الطاقم الجراحي

الدكتور محمد عيد علي: أخصائي تخدير (وهو من أمهر أطباء التخدير في المحافظة على الأداء الخير لإعطاء مقادير التخدير بطريقة عملية وهذه فروسية الدكتور محمد عيد والذي بدأ بقصيد بدوي أثناء العملية من أجل إخراجي من دائرة الأوهام والخوف

الدكتور إبراهيم الحريري: مقيم تخدير عبد الشكور الزعبي

الدكتور نعيم السعيد: مقيم الجراحة نادر بير قدار
الممرضة أميرة أحمد عوض أبو نقطة: جراحة رجال الصفدي
الممرضة رندة الزعبي محمد سعيد مرعي
الممرضة أمينة الشبا بسام الحسن ممرض ضماد
أحمد الصبح: فني تخدير باسم الجبر ممرض جراحة
بسام الشريف: رئيس العمليات وصال الطعاني ممرضة
الممرضة سجى محمد فوزي بكرية عبد الحميد قرفان
الممرض نزال الحريري: من قرية داعل المشهورة بمعاركها ضد الفرنسيين عام ١٩٢٦

هذا الموضوع سوف يأخذ طريقة في الطبع عبر كتاب سيوف تشرين تعانق سيوف حطين

بعد أن انتصر هذا الطاقم الطبي في نجاح عمليتي الجراحية وضعني الدكتور حسن المسالمة على طريق السلامة وله الثناء الدائم على امتداد أيامه وزغردت له نسمات الصبح وهذا من طيب أفعاله وجعل المؤلف أحمد عطا الله الزعبي يسطر الشكر إلى الله الذي أمد رسالة الطب في حبال جماله

إن هذه السطور عبر كتاب ولسوف يتم طباعته في بيروت إنها بطاقة شرف وتكريم إلى جميع الطواقم الطبية في مشفى درعا الوطني هذا المشفى الوطني وهذه رجاله لم يتوقف السخاء الطبي على بعد مشواره

المؤلف أحمد الزعبي

مديرية تموين درعا والرقابة على المخابز

يقول المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي في الرابع من شهر أيلول لعام ٢٠٠١ م ٢٠٠١/٩/٤ م ذهبت إلى مخبز تشرين الاحتياطي بدرعا لشراء ربطة خبز، وفوجئت مفاجأة سارة حين وجدت أمامي مدير تموين درعا المهندس عادل الصياصنة ووجدته على موعد مع بزوغ الشمس على باب مخبز تشرين الاحتياطي وطرحت عليه السؤال التالي:

لماذا هذا الاستيقاظ المبكر لمدير التموين ؟

فأجاب: هذا هو المخبز الخامس الذي أجري عليه تفتيش هذه الليلة وهنا وقفت بإعجاب أمام هذا الشاب الطموح وهو يتنقل على المخابز كالقائد العسكري الذي

يتفقد المواقع القتالية وهو مسلح بمقولة القائد الخالد حافظ الأسد: ((إني حريص على تأمين رغيف الخبز للمواطن كحرصي على تأمين البندقية للمقاتل وكحرصي على تأمين جرعة الدواء للمريض

((من أقوال القائد الخالد حافظ الأسد))

ولا بد أن أذكر أن إحدى القرى تقدمت بشكوى لمدير التموين بإساءة تصنيع الخبز وقام بزيارة مفاجئة إلى هذه المخابز بعد التحريات وأمن لهم عقوبة من أجل الأداء الخير لتحسين الخبز وقلت له لا خوف على حق المواطن طالما أن الرقابة تنطلق من وجدان كل إنسان حريص في الأسرة التموينية على الأداء الخير في تحسين الخبز ولا بد أن أقدم شكري وشكر أهل الحي المحيط لمخبز تشرين وهو المخبز الوحيد الذي يقدم الخبز المميز بنظافته ونتمنى من إدارة الأفران الباقية أن تلتزم بتحسين الأداء الخير لتحسين الخبز وهذه الدوائر التموين والصحة والبيئة والبلدية هذه الدوائر لها التصاق عضوي مباشر على أول خطالمواجهة للقضاء على المرض عدو الإنسان.

المؤلف أحمد الزعبي

هدية ستوديو حوران ومختبرات حوران للتصوير الملون والعادي

كانت هدية ستوديو ومختبرات حوران للتصوير الملون والعادي هذه الصورة التاريخية التي تجمع بين القائد الدكتور بشار الأسد وسماحة السيّد حسن نصر اللّه وهي هدية مقدمة لكتاب سيوف تشرين ومؤلفيه أحمد الزعبي ومحمد الزعبي ومختبرات واستوديو حوران قادرة على وضع البصمة المشرقة والجميلة على طيات هذا الكتاب الذي سيرى النور قريباً بفضل مثل هذا التعاون والمؤلف أحمد الزعبي ونجله المؤلف محمد الزعبي يتقدمان بالشكر الجزيل والامتنان لمختبرات حوران على هذه اللفتة الكريمة.

ـ من أهم القناديل الوطنية والأدبية خليل الحاج علي أبو حمدان عضو قيادة فرع حزب درعا والذي أطلق إشاعاته الفكرية على تاريخ خربة غزالة ذات الأبواب الواسعة بالسرد التاريخي وهناك وثائق عن جنرالات فرنسة بعد قتل الوزراء في خربة غزالة

وهي أكبر صفعة إلى عملاء فرنسة والأستاذ خليل وضع طاقاته الذكية من أجل الوصول على دروب الحرية وزغردت لهما كل تسمية وأبو خلدون المقروىء في وجهه السكينة الهادئة ومرآة كرامة في أقواله وأفعاله وإني لم أنس حينما جمعني بأكبر معمر في خربة غزالة وهو شاهد عيان على قتل الوزراء عملاء فرنسة.

وأما الدكتور أحمد الحاج علي مستشار وزير الإعلام أصبح درع كرامة أدبية وسياسية في المحافل الدولية هذا هو أبو حسام وهذه أفعاله لم يتوقف السخاء الوطني والسياسي على بعد مشواره والعطاء الادبي ونرجو الله أن يدرج هذا الأديب على أرضية خصبة في أدبه وأخلاقه.

ـ العقيد وليد أبو حمدان هو مرآة الكرامة للوجدان في كل مكان وزمان وبقع للحنان والورد الاحمر في زهرة الجنان إنه وليد أبو حمدان والسمعة العطرة له أنشودة الزمان وهو المياه الصافية لكل عطشان مهما تكلم الإنسان عن هذه الصفات المزروعة من الرحمن في إحساس وليد أبو حمدان وهذه الصفات هي كنبع المياه الصافي والعادي تحتضن هذه المياه شقائق النعمان وزمرد الوجدان، وخدم في محافظة درعا أكثر من خمسة عشر عام ولم يتوجه إليه غبار الإساءة من الاقران أو من الآخرين، إنه يأخذ الاحترام ويعطيه حتى أصبح ملاك طاهر لكل إنسان وهنا يقف الإنسان باحترام وإجلال وصفاته الجميلة رجحت بكفه الميزان العقيد وليد أبو حمدان من جبل العرب وحينما قامت الوحدة بين سورية ومصر بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وجاء بزيارة إلى الإقليم الشمالي بسورية عام ١٩٥٨م.

ومن بين المحافظات التي زارها زار جبل الدروز وكان أول المستقبلين سلطان باشا الأطرش ويومها أطلق الزعيم الخالد جمال عبد الناصر تسمية جبل العرب بدل من تسمية جبل الدروز ولم يرض بأن تكون التسمية على بني معروف هي تسمية طائفية وبني معروف انحدرت جذورهم من عصر الناصرية ووضع وسام جبل العرب على صدر التاريخ العربي وهو يعلم الكثير بأن هذا الجبل ليس له انتماء طائفي لكن انتمائه من مصر وعبد الناصر وفي أيام الوحدة فتح الجامعات في الأزهر أمام شباب جبل العرب وانطلقت الصحوة الإيمانية في هذا الجبل وتوحهت إلى المساجد والشرائح الاجتماعية وعلى المقدمة حملة الشهادات العالية وإن القائد الخالد الرئيس (حافظ الأسد) تكريماً لهذه الصحوة الإيمانية أقام (٧٣) مسجد في جبل العرب الأشم. إن العقيد وليد أبو حمدان من جبل العرب خدم في محافظة درعا رئيس مركبات الشرطة خمسة عشر عاماً وبأفعاله النبيلة قد رفع رأس الأهل والعشيرة والوطن وإن

قدسية الجيرة هي مظلة شرف عاشتها حوران مع تاجبل قواسم مشتركة والمطلوب الاستمرار على هذا المشوار من أجل قهر الاستعمار عدو اللدار.

وهذه آخر صفقحة نزلت على الكتاب وأطيب الثمر أواخره.

لقاء بين الفؤادين فؤاد الزعبي وفؤاد رجا

كثيرة هي الكلمات وكثيرة هي العبارات ولكنها قليلة هي الكتابات الهادفة والمعبرة. فها نحن الآن نقف على شواطىء بحر لجي تطير من فوقه طيور النورس والصقور مطلقة التي تتراقص مع أنغام أمراج البحر.

إنني أقف على شواطىء البحور الأدبية والقصصية التي غاص في أعماقها الأديب والقاص فؤاد رجا يوسف فأجاد فن الكتابة المرصعة بالعبارات المرجانية التي اصطادها من قاع البحار منذ ما ينيف عن عقدين من الزمن عرفته وكنت أنصت على سماع الكلمات العذبة التي ينطق بها ثغر فؤاد رجا المنبثقة بالنضارة لتسطر ي بطون الكتب ولتكون مرجعية واقعية بذاكرة القراء والأدباء والشعراء على مر العصور فها هو لسان الأدب والشعر يرصد المآثر ويسجل المكرمات يسجل لنا النجم الأدبي فؤاد رجا صاحب الكلمة الجريئة الذي كتب بمنطقية ومصداقية عن القضية الفلسطينية وعن آمال وآلام هذه الأمة والجدير بالذكر أن الله عز وجل وصف الشعب الفلسطيني بالشعب الجبار الذي يمتاز بالمصابرة والجهاد الشمولي والذي ينسج بيديه خيوط رايات التحرير ليكون بمقدمة من اقتدى بقيم ومبادىء الشهادة.

إنني أقدم الثناء والإطراء للأديب والقاص فؤاد رجا وأنامله الكريمة وأقلامه الأمينة وأفكاره الجسيمة التي سطرت بأحرف من نور ونار أبجدية الادب والقصة الواقعية التي رصدت مأساة الشعب الفلسطيني.

وأخيراً وليس آخراً أهدي عصارة فكري وخلاصة عمري وطيف شجوني وعميق إحساسي ونبض فؤادي إلى فؤاد رجا الذي كتب فأبدع وعاهد فصدق فرضع حليب النضال قبل أيام الرضاع ليكون أديباً ومحامياً وقاصاً وصحفياً والادب هو النواة الحقيقية بين الأمم والشعوب ويحضرني الآن وأستشهد بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) لأنها زرعت في الوجدان.

وأقدم شكري إلى الأديب والكاتب الكبير بأفعاله وبطولاته الأستاذ أنور رجا الذي أنار بعقله وجسمه وقلمه دروب التائهين.

وأقدم شكري الخاص إلى رئيس المركز الإذاعي والتلفزيوني بدرعا الأستاذ نايف

العبيدات الذي قام مشكوراً بإجراء مقابلة تلفزيونية مع المحامي فؤاد رجا وأخص بالشكر والثناء أيضاً الأنسة دلال محمد الفاعوري والآنسة ميسون محمد الفاعوري والاديبة والقاصة هالة محاميد والمصور التلفزيوني أحمد حسين مسالمة والآنسة زهر الجاموس والمهندسة ميادة.

وأقدم الشكر والعرفان إلى المدقق اللغوي يوسف أحمد السيد أحمد أبو معن من مدينة نوى التي تعتبر النواة الرئيسية في حوران.

درعا ٢٠٠٤/٦/٣٠ المؤلف: فؤاد الزعبي.

جهل رئيس بلدية نصيب هل ولد مع ولادته أم اكتسبه من الغير

سؤال أتوجه به إلى رئيس بلدية نصيب التابعة إلى درعا هل هو ينتمي إلى وطنه العربي السوري أم سورية هي التي تنتمي إليه وهو فرد رئيس بلدية نصيب وهو طبعاً لا يدخل في ميزان المعادلة بين فرد وشعب وهذا الشعب المربوط بالعقد الوطني وهل يستطيع أحد أن يفرط هذا العقد ونسيجه الأقوى في مصداقية اللحمة الوطنية إن المراكز الإذاعية السورية وصلت إلى مواقع متقدمة بين الإذاعات العربية حتى أصبحت مرآة كرامة عربية إعلامية في المحافل الدولية. إن الأستاذ نايف العبيدات مدير المركز الإذاعي والتلفزيوني بدرعا ارتفع في حجم عمله وتضحياته وصبره في سهر الليالي الطويلة حتى يغطي الكنوز الثمينة من عملاقة الآثار لأنها قلعة الأحرار وهي قلعة بصرى وآثار اللجاة وهذه الكنوز الثمينة من الآثار كانت منسية من وراء الجدار ولكن جاء الأستاذ نايف العبيدات مدير المركز حتى يصوب المنظار الإعلامي على شاشة التلفزيون هو مرآة كرامة للتراث الشعبي في حوران ومعطياته الخيرة والكشف عن الصيغة الفنية الحورانية لقد وجه دعوى للسيد موسى الشريف من نصيب إلى الإذاعة والتلفزيون إلى منزله في نصيب والمرامي من وراء هذه الدعوى هو إعطاء صورة مشرقة عن الفن الحوراني في كل مساحاته العريقة وموسى الشريف ينحدر من عائلة شريفة وجه دعوى إلى الشاعر أحمد الحاج علي من خربة غزالة فهو من فرسان العزف على الربابة لقد لبى الدعوى وهذا الشاب من عاداته أن يزرع في كل فرحة ابتسامة وكل ميدان وطني وأدبي كرامة وكثيرة هي الساحات التي غطاها لقد غطى حفل تكريمي في الزريقية شمال المحافظة أمام العماد مصطفى طلاس وسلاحه الأقوى في ابداعه الأدبي هو التغني بالأمجاد الوطنية والنضالية لقد نبت على دروب الحرية في مدينة الخربة ذات الأبواب الواسعة بالسرد التاريخي في مقتل الوزراء في خربة غزالة وفتح مقابر جماعية للقوات الفرنسية.

أما الأستاذ نايف العبيدات مدير المركز الإذاعي والتلفزيوني لقد تسلح بكثير من الصبر وكثير من التضحيات والكثير من سهر الليالي الطويلة وكثير من حرمانه بالأنس والاستئناس والبعد عن أولاده حتى يكون له التصاق عضوي مع عمله الإذاعي وتغطية الساحات الإعلامية على الأرض الحورانية ولنا عودة إلى رئيس بلدية نصيب الذي اختبئ وراء جهله ولم يستطع أن يقدم برنامج عن مدى الاصلاحات التي قدمها عن مسيرة عمله عبر البلدية ولكن تجاوز حجم جهله وافترائه على مدير الإذاعة والتلفزيون بدرعا والدوافع إلى هذا الافتراء بعد أن وجه موسى الشريف دعوى إلى الشاعر أحمد الحاج علي أبو علي الشاعر العازف على الربابة والذي تغنّى في أناشيده الشعرية والأدبية وهو من خربة غزالة المدينة ذات الأبواب الواسعة في منظومة السرد التاريخي النضالي ورئيس البلدية يحتج بأن هذا الشاعر أحمد الحاج علي بأنه عنصر غريب لماذا هذا الجهل الأعمى الذي قاد رئيس البلدية إلى نفق الظلم والظلام في هذا الزمان. بأنه صنف بمنظار جهله على الشاب الشاعر الذي غطى كل الساحات الأدبية ونسج الصيغة الشعرية على حملة البندقية للوصول على شواطئ الحرية هل جاء من دولة معادية هذا الشاعر وهل هو من غير الطينة الحورانية وإني أقول إلى رئيس بلدية نصيب إنك أنت العنصر الغريب الذي أغرقك في بحر جهلك حتى أصبحت عنصر غريب عن بلدك نصيب التي استنكرت عليك هذا الافتراء على منظار الكرامة والتكريم ومنظار الحضارة.

وحسن التدبير وتراهم نشامة في مواقع النفير ودرع شجاعة على ساحات التحرير والقنوات الإعلامية السورية هي تحت مظلة العلي القدير.

وحتى الآن على مر السنين من حياتي لم أشاهد غباء مثل غباء هذا الإنسان الذي تقدم بشكوى إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون بدمشق وهذه الشكوى أنه دخل إلى قرية نصيب والمعني هو الشاعر أحمد الحاج علي أنه غريب وهيئة الإذاعة والتلفزيون التي تحتوي على خلية من القناديل الثقافية التي تقف مع شموخ هذا الوطن لأنها الأسرة الخيّرة للإذاعة والتلفزيون تضع في اهتمامها على هذه النوعية الجاهلة المعني صاحب الشكوى رئيس البلدية.

إني أقول إلى رئيس بلدية نصيب إذا دارت الريح حولك وأرداك حظك واحترقت في نار جهلك ولكن الأمل بالله أن يسعدك حظك وتنتصر على جهلك وحينها تعود بين أهلك وربعك وعنصر فاعل إلى وطنك.

هذه القصيدة قدمها الشاعر أحمد الحاج علي في منزل الوجيه موسى الشريف وهي التي أغضبت رئيس البلدية وهذا نص القصيدة يقدمها الشاعر بصيغو وطنية وجهادية.

وين الغلط بقصيدة نصيب

ألفين هلا ويا مرحبا بعز الوطان
ويا مرحبا بعداد رملات الطعاس
صيتاً لهم عم الخلايق والركان
فيها الكرم والجود من خيرة الناس
هذي بلادي موطن رجال حوران
اسمها نصيب وصيتها يرفع الراس
ورجالها صلفين يوم الكوان
يعذو الدخيل ورفعة الشان نوماس
حي النشامة ويا هلا بكل حوران
معدن أصالة مسلسل الجد مقياس
تلقى القهاوي وزهوة البن فنجان
يدرج على صف الجماعة وجلاس
وسمن الزهيري يدعجه فوق خرفان
هذي عوايدنا وهذي لنا ساس
أختم وصلي بذكر عالي الشان
يشفع لنا من كل واشي ودساس

ـ الشاعر الشاب أحمد محمود الحاج علي أبو علي من خربة غزالة والمعروف في حوران أن عائلة الحاج علي نبت في أحضانهم أجمل القناديل الوطنية والأدبية والسياسية، أتقن هذا الشاب العزف على الربابة عن والده محمود منذ كان في سن السابعة من عمره وعلى مر السنين تخضرم في العزف والتأليف من خلال مشاركته في الحفلات وأمسيات شعرية في ربوع حوران وغيرها، شارك في بعض المناسبات الوطنية والمهرجانات ولا ننسى الكلمات الأدبية العطرة التي هطلت من الغيوم الفكرية للكرامة الحورانية، وصاحب المضافة المهندس ابراهيم الغازي أبو حيان والمشحون بالحماس والإرادة المطبوخة على النار الأدبية الحامية، والدكتور أحمد الحاج علي مستشار وزير الإعلام هو النسيج الأقوى في منظومة الصيغة السياسية ومعطياتها الخيرة، والدكتور أحمد الحاج علي حبةُ لؤلؤ في النضال الوطني والسياسي، أما الشاعر أحمد الحاج علي فهو مرآة الكرامة الأدبية التي أضيئت على دروب الحرية وطفحت في عقله وقلبه، الغيوم الفكرية والتي هطلت منها القطرات الندية، وأضحت نسيج الخيوط الذهبية على صدر العباءة العربية، وهذا الشاعر الشاب نظم هذه

القصائد الشعرية على حملة البندقية من أجمل عيون الحرية والكرامة، وهذه القصيدة قدمها الشاعر أحمد الحاج علي تكريماً للمؤلف أحمد الزعبي:

حياكم الله يا أهل العرف والجود
يا أهل المعالم والعلم والعلامه

يا أهل الثقافة صيتكم ليه مردود
إنتو الصدارة والشرف في وسامه

دار الشقاه ما لها حد محدود
تشهد لها الأجيال طيب وكرامه

يا ما تلاها عالمدى عدة وفود
ومكللات رباعها بالشهامه

حوران دون ذكرها خط لفهود
أحمد الزعبي ليك مني سلامه

فكرك نبض إحساس من حس مجهود
دونت بالتاريخ طيب وكرامه

هذي صور حوران تهديكم فهود
حرباً على الأعداء ربعك نشامه

تشرين سيفك ويعتلا فوق مسنود
عائق بني حطين يشهر حسامه

سورية ولبنان ما بينها حدود
والكل منابر تفي في مهامه

قرية الإمتاعية ورجال لم ينساهم التاريخ النضالي في حوران

المجـــاهد محمود إسماعيل الغانم من قرية المتاعية الذي كان يجود بكل ما لديه في قنوات السخاء والعطـــاء وكـــان أول مـــا يصوب على أهله وذويه وجيرانه وأهل بلده وكل من يقصده من قريـــب وبعيد وقد قصفت هذه القرية قرية المتاعية أكثر من مرة وأكثر من مكان نظراً لعنادها الوطـــني . وقـــد عـــايش هذا الصراع وكان يقدم الماء والكلام لجميع المحتاجين حيث كانوا يقومـــون ينقل المياه على الجمال من جهير بصرى وعندما تصل على البلد يقدمها لكل محتاج وكذلـــك الحـــبوب حيث يحتفظ بها في المخازن ويفتحها في سنين القحط ويزود بها كل محتاج فقير .





محمد عبد الرحمن عيسى الخطيب تولد الجيزة :

إنـــه في طليعة القناديل الإجتماعية المضيئة في حوران وهو الخميرة الطيبة في العجينة الحورانية لقـــد اجتمعـــت فيه كل الفضائل الجميلة وربط هذه الخصائل بين آباء الماضي وأبناء الحاضر وجعـــل هـــذه الخصائل منظومة خيرة حيث تحولت منازلهم إلى حقول مضيئة في صيغ الكرامة والتكريم لإستقبال الضيفان وفي كل مناسبة وطنية يدعوا الشعراء والأدباء إلى مضافته لتكريم هـــذه القـــناديل الأدبية ويمدهم في قنوات التشجيع من أجل تصويب الفكر الأدبي على حبر

الأقلام حتى تنطلق مع صواريخ سام لصيانة السلام وأما مضافته هي حقل الكرامة في استقبال الضـــيفان وغطاها في يد السخاء والعطاء النابع من الوجدان وزودها في آلية التكريم وجرنه جرة القهوة هي القلعة الحصينة وأنشودة السخاء والوفاء وروائح البن هي العطر الدائم الذي ينتشر مع قطرات غيوم الندى التي تغذي الربيع الأخضر على سهل حوران الأحمر وأبو خالد محمـــد عبد الرحمن الخطيب له إلتصاق عضوي في تكريم المؤلفين وكثيرة هي قنوات التشجيع نابعة من حسه الوطني وكان يقول لي أن المنظومة النضالية لا بد لها أن تحرك الأقلام النابعة من الوجـــدان والمؤلـــف أحمد الزعبي فتح باب التاريخ الذي لفه النيسان عن نضال حوران لقد اســـتقبل الـــتلفزيون العـــربي السوري في مضافته العامرة في إحدى المناسبات الوطنية وهذا الـــتلفزيون قدم بث حي ومباشر عن الطبائع العربية التي زينت مضافة أبو خالد وجرن القهوة هـــو الابتســـامة المشرقة لاستقبال الضيوف وإن هذا الجرن ليس له مثيل في سورية ووسائل الطـــرب المرتبط بالتراث الشعب الحوراني هي الربابة التي تغطي على أوتارها أحاسيس أدبية للشـــعراء الـــتي تشـــجع على التضحيات النضالية والقيم البدوية وشأن أبو خالد محمد عبد الرحمن الخطيب هو شأن الحديث القائل من جهز غازياً فقد غزا ولقد جهز بالكلام التشجيعي والقـــنوات الخيرة التي ربط فيها بين نضال الماضي والحاضر وقدمها إلى المؤلف أحمد الزعبي إن الغواصـــين الذين ركبوا موجات البحار ودخلوا على صراع مع تيارات المد والجزر كل هذه المتاعـــب التي يعانون حتى يغوصوا في أعماق البحار ويعودون وهم يحملون حبة اللؤلؤ الثمينة وهكذا معدن محمد عبد الرحمن عيسى الخطيب وأن حبة لؤلؤ مخزونة في أعماق وجدان المجتمع الحوراني .

وكـــثيراً ما كان أبو خالد ما يوصل النهار بالليل من أجل إصلاح ذات البين متنقلاً بين مدن وقرى حوران ومشاركاً أهلها بكل الأفراح والأتراح وهو الرائد من رواد الصلح والإصلاح ولا ننسى أن كثيراً من الشعراء تغنوا وكثيراً من الأدباء تمجدوا بكرم وطيب أبو خالد .

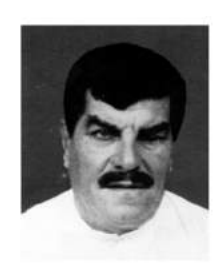
وإن الكـــرم والـــنخوة والشهامة المتوارثة في أبو خالد محمد عبد الرحمن عيسى الخطيب هي شـــجرة عملاقـــة عمرها من عمر وادي الزيدي في حوران وإن الخير وحبة في أبو خالد كما وادي الزيدي الذي نعمت به حوران وسهولها على مدى السنين فنتمنى لأبو خالد مديد العمر من أجل مواصلة عمل الخير وإصلاح ذات البين لتبقى بلادنا شعلة نور وعطاء .

يد العطاء والكفاح
إبراهيم مصطفى الحلقي أبو مالك



هذه اليد المعطاءة هي يد إبراهيم مصطفى الحلقي أبو مالك من مواليد العالية ١٩٣٦م إنهـا يد مباركة وطيبة وهـي يد بيضاء لا تعطي إلا الخير والعطاء لمجتمعها ولوطنها الذي يفخر بهـا ، إنها يد أبو مالك إبراهيم مصطفى الحلقي الذي أعطـى الأرض مـن عرقه وجهده الكثير الكثير ، حمـل المنجـل بيد،وبيد أخرى حمـل راية الكفاح والنضال مـن أجل أن تظل هذه الأرض خضراء وتعطي لأبنائها الخيرات بعـد أن تتبارك بحبات العـرق التـي تروي ترابها ، قـد أعطى أبو مالك عرقه وجهده لهذه الأرض ولفلاح هذه الأرض ، لأن أبا مالك كان يدرك أن من لا أرض له لا عرض له ولا كرامة ، وكمـا يدرك أبو مالك أن هـذه الأرض أمانة فـي أعناقنا ، يتوارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء لتظل تعطي وتعطي إلى أن تملأ الوطن عطاء . وقد عمل السيد إبراهيم مصطفى الحلقي كل ما من شأنه أن يعلي قيمة هـذه الأرض المعطاءة وقيمـة الفلاح الذي يحـرثها ويسقيها حتـى تعطـي الفلاح ، ولـم يكتف أبو مـالك بأن يعمل بيده بهذه الأرض فقط ، بل راح يعمل بفكره وقلبه وروحه لإعلاء كلمة التنظيم والنضال الفلاحي في محافظته فأول ما عمل كان عضواً فـي الرابطة الفلاحية بإزرع حيث أثبت جدارته وقدرته على رفع شأن هذه الرابطة لتصبح أهـم رابطة فلاحية فـي حوران وتمت مكافأته تقديراً لجهوده ونشاطه فأصبح عضواً في اتحاد الفلاحين في المحافظة وراح يحقق النجاح بعد النجاح لهـذا الاتحاد الذي كان أبو مالك يعتبره الأم الحنون التي تعطف على أبنائهاالفلاحين الذين يحيلون سمرة الأرض إلى خضرة وبعد أن أثبت أبو مالك نجاحه كعضو فـي اتحاد الفلاحين وأثبت انتماءه لهـذا الاتحاد مـن خلال التنظيـم الفلاحـي ودورات التثقيف الفلاحي الفرعية والمركزية ، الداخلية والخارجية عُيّن بعـد ذلك نائباً لرئيس اتحاد الفلاحين تقديراً له على الجهود النضالية والفلاحية التي قدمها خلال عمله ، وكان أبو مالك برغـم انشغاله بالنضال الفلاحي ودوراته المتعددة والكثيرة لم ينسى أن يحرث أرضه بيده ويسقيها ويبذرها ثم يحصدها بيده ليوزع خيراتها على أبنائه وأبناء هذا الوطن الغالي الذي يعتز به إبراهيم مصطفى الحلقي .

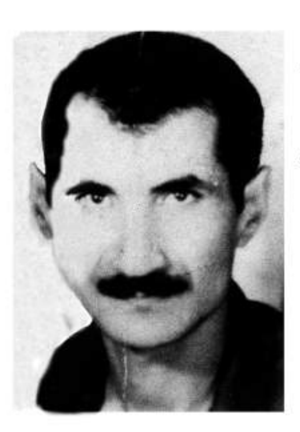
أخي القارئ : إنك أمام رمز من الرموز النضالية والوطنية إنه إبراهيم بن مصطفى الحلقي ، أخي القارئ قد يدور بذهنك سؤال ما هو التعريف بنضال الفلاحين وما هي معطيات هذا النضال على ساحات هذا الوطن ... والجواب على ذلك أخي القارئ ينحصر بالتالي : إن نضال الفلاحين له التصاق عضوي بالنضال الوطني ، فالفلاح هو الذي حرث الأرض وحمل منجل الحصاد وحمى غلة البيدر للأولاد والأحفاد ، والفلاح أيضاً ،حمل البندقية في إشراقة الصباح وهو الذي غرس حقول البساتين حتى تزهر الأشجار ويثمر التفاح فوق أرض حوران الأبية ، إن هذه الصفات الجليلة ومعطياتها الكبيرة جميعها مزروعة في وجدان وضمير الشهم ابن حوران مفخرة الأوطان ويد العطاء ووجه البهاء الأخ إبراهيم مصطفى الحلقي أبو مالك الذي حمل منجل الحصاد وحمى غلة البيدر للأولاد والأحفاد وناضل في سبيل اتحاد الفلاحين الأم الحنون لكل فلاح وما زال أبو مالك يناضل حتى الآن .



إسماعيل أحمد الحراكي
تولد المليحة الشرقية عام ١٩٥٣م

له سيرة حميدة وعطرة في النضال الفلاحي في محافظة درعا ، فقد انتسب عضواً عاملاً في رابطة اتحاد الفلاحين بدرعا ، وساهم في عدة دورات تثقيفية ونضالية كان لها الدور الكبير في إنجاح عمل المنظمة الفلاحية كان محبوباً من مرؤوسيه في العمل ومن رفاقه لما كان يتمتع به من أخلاق عالية ورؤية سديدة ترفع من شأن العمل وتزيد من قيمته وإنه مرآة صادقة للوفاء ورفع وتيرة النضال الفلاحي، فقد تعامل مع العمل الوظيفي بصدق وإخلاص والمؤلف أحمد عطا الله الزعبي مؤلف هذا الكتاب شاهد عيان على حسن الصفاء والوفاء الوطني الذي يتمتع بهما الأخ إسماعيل أحمد الحراكي .

محمود طالب جروان
تولـــد قيطـــة عـــام (١٩٤١) م



إنه رمز من رموز النضال الفلاحي في حوران له سيرة عطرة بين جميع مـــن تعاونوا معه وعرفوه بطيبة نفسه وحسن خلقه وعفة يده ، إنه محمـــــود طالب جروان مـــن قرية قيطـــة التابعـــة لمنطقـــة الصنمين وهـــو مـــن مواليد عـــام ١٩٤١،له باع وفضل كبير في إنجاح التنظيم الفلاحـي الذي بقي مخلصاً له حتـــى وافته المنية وانتقل إلـــى رحمته تعالى وهو لا يزال تحت مظلة التنظيم الفلاحي .
فأول ما عمـــل رحمه الله كان عضواً فـــي رابطة ازرع وكان عضواً فعالاً ساهم مساهمة كبيرة في إنجاح عمـــل هذه الرابطة من خلال تفكيره السديد ورؤيته العميقة ، ثم كافأته الرابطة والقيادة السياسية التي تكافئ كل مخلص لعمله فأصبح عضواً في اتحاد الفلاحين بدرعا وترك فـــي هـــذا الاتحاد بصمات وطنية مضيئة لتكـــون وراثة شرعية إلى الأولاد والأحفاد من بعـــده ، وكان قـــد اتبع عـــدة دورات نضالية بالتثقيف الفلاحـي الفرعي المركزي والخارجي وقام بدورة الإعداد الحزبي الفرعية ، فكان له سيرة عطرة لها التصاق عضوي على امتداد ساحات النضال الفلاحي .

المؤلف أحمد محمد عطا الله الزعبي
درعا – مقابل مخبز تشرين الاحتياطي هـ . ٢٣٦٥١٥

المؤلف في سطور

المؤلف أحمد الزعبي تولد الطيبة عام ١٩٣٣ ولكن والد المؤلف من مواليد المسيفرة ولكن بعد معركة المسيفرة الشهيرة التي خرقت ما استعصى من أبواب التاريخ في الوطن العربي والوجه التاريخي حسين المقداد قال إلى المؤلف أن معركة المسيفرة هي الضربة الموجعة التي صوبت إلى صدر الفرنسية وأثناء تنفيذ حكم الإعدام بالقيادات الوطنية: ضابط كلونيل قال لحسين المقداد هذا ((عمك محمد زعل الزعبي وهذه صورته وهو يطلق عليه النار من قبل ضابط فرنسي)) وبعد خروج والد المؤلف من المسيفرة إلى قرية الطيبة وتزوج وانجاب أربعة أولاد وابنتين والمؤلف تطوع بالجيش الأردني عام ١٩٤٩ من أجل محاربة الشرذمة اليهودية في فلسطين ودخل الوظيفة عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٣ بدأ المؤلف يراسل محمد حسين هيكل وأيضاً جريدة أخبار فلسطين بقطاع غزة وقدم مقالات إلى مجلات الثورة الفلسطينية مثل: مجلة ((إلى الأيام)) ومجلة ((قيادة فتح)) ولكن المشروع الأهم وهو كتابة التاريخ عن النضال الوطني في حوران وصدر الكتاب الأدل ((صورة مشرقة من نضال حوران)) الذي ترجم إلى عدة لغات في الإنكليزية حيث دخل بقوة إلى أكبر وأقدم صروح العلم في العالم الغربي وأوروبا أنها إكسفورد والكتاب الثاني ((سيوف تشرين تعانق سيوف حطين)) جزء أول وهذا الكتاب الثالث بين يديك أخي القارئ والمؤلف أصيب بنكسة عاطفية حين رحيل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في عام ١٩٧٠ ونفس العام ارتفعت رايات الحركة التصحيحية في سماء دمشق بقيادة الزعيم الخالد حافظ الأسد وكما جاءت برقية التعزية بوفاء جمال عبد الناصر من الفريق حافظ الأسد إن هذه التعزية بقعة الضوء التي بددت الظلام في نفق الأحزان العربي ولكن جاء النكسة العاطفية الأخرى بوفاة القائد الخالد حافظ الأسد وهنا المؤلف طرح المعادلة بأن حافظ الأسد لم يغب عن هذه الساحة بعد أن نبت في أحضان القائد الخالد حافظ الأسد ثمرة طيبة الشاب الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية إنه من أهم القناديل الوطنية والعربية بعد أن نبت بأحضان قائد الثورة والثوار قاهر الاستعمار والدكتور بشار الذي يمثل عراقة الماضي وزهوة الثمار وهو القادر على حماية غلة البيدر العربي وهو شمس النهار وحامي الديار وفي هذه الخصوصية عن المؤلف في سطور لا بد أن أذكر الأستاذ المحامي والأديب فؤاد رجا الذي وقف إلى جانبي ورفد فكري وتفكيري بتشجيعي على نشر المقالات وخاصة من أجل انصاف ولدي فؤاد الذي ساعدني على التأليف والأستاذ فؤاد رجا من أقدر المحامين الذي قفز قفزات سريعة في قوة الصيغة القانونية أكبر وأوفى من الزمن الذي سار عليه.

الفهرس

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل الخامس